

كِتَابُ الْحُسَيْنِ

تأليف
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

تحقيق وترجم
عبد السلام هارون

الجزء الأول

دار
الهيئة التراث العربي

بمقتضى وزير
عبدالله بن محمد

مكتبة الجاهلي
أبي عثمان عثمان بن جراح

٢٥٥ - ١٥٠

الكتاب الأول

الجزء الأول

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر
والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي
نظمها المجمع اللغوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الأول

ومعه الفهارس العامة لجميع أجزاء الكتاب

وزير
أحمد بن محمد
بيروت


المجمع اللغوي العربي
منشورات محمد الزيات
ص ٧٨٣٣ - بيروت لبنان

تقديم مكتبة الجاحظ

عمر الله باليقين قلبك ، وأفاض عليك من الخير ، وعقد بيننا وبينك سبباً من الرضا ، وحبب إلينا كما حبب إليك الحق ، وأمتع عينك وقلبك ، بما سيطالك من عجب الجاحظ ، وما افتن فيه وأبدع ؛ وأضفى عليك البشاشة وأسبغ ظل العافية (١) .

١ - بيان الجاحظ

وبعد فالجاحظ إمامٌ فذٌ من أئمة البيان في العربية ، وليس من الإسراف والمغلاة أن نعدّه زعيمَ البيان العربي ، نطلق القول في ذلك إطلاقاً .

هو زعيمٌ للبيان العربي في قوته وأمره ، وفي دقته وصحته ، وحلواته وجماله وفنه .

كان الجاحظ زعيماً للبيان العربي ، وهو كذلك أحد زعماء المكتبة العربية ، التي كانت في الصدر المقدم من مكتبات الدنيا ، فيما أسدت للإنسانية والفكر العربي واللسان العربي من خير ، وما بسطته على ظلام المدنيات المتهافنة من نور .

٢ - عصر الجاحظ

كان الجاحظ في العصر الذهبي للأمة العربية : عصر هارون والمأمون ؛ والعلوم والآداب والفنون يومئذ تزخر بها معاهد البصرة وبغداد والكوفة .

(١) لجاحظ مذهب في البيان ، من سار في أوله دفعه الإعجاب إلى أن يحاول السلوك إلى غايته . وقد أبقى على فضله ، إلا أن أجمل صدد تقديمي له في مثل صورة بيانه .

وقرطبة ، وسائر عواصم الإسلام ، وكان المعين فيأضاً مُترَعاً ، والعقولُ
في نشاط وفورة ، والتأليفُ والترجمةُ لها دوى النحل في كلِّ صُقع . الدينُ
يدعو إلى العلم والنور ، والمالُ تلمع وجوهه في عيون أهل الفضل ، فيُذكي
العزائم ، ويُبرم العقْد . والعلمُ وِلودٌ ، وصاحبُه كلِّما ارتوى منه عادَ به
في سبيل الظَّمأ ، وحيثما شَبِع منه رجع به في سبيل الجوع .

٣ - التأليف في عصر الجاحظ

عاصر الجاحظُ ثلاثةً ممَّن ضربوا بسهمٍ كبيرٍ في وفارة الإنتاج الفكري
والتأليف ، واستَوَوْا على غايةٍ قَصْر عنها من عداهم :

أحدهم : أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى (١١٠ - ٢٠٩) ، وكان من أهل
البصرة ، وُلد وتوفِّي بها^(١) . قال صاحب الوفيات : « وتصانيفه : تقارب
مائتي مصنف^(٢) » . وقد سرد منها ابن النديم في فهرسه مائة وخمسة^(٣) ،
وقال فيه الجاحظ : « لم يكن في الأرض خارجيًّا ولا جماعيًّا أعلمُ بجميع
العلم منه^(٤) » .

والثاني : أبو الحسن عليُّ بن محمد المدائنيُّ (١٣٥ - ٢٢٥) له نحو مائتين
وأربعين مصنفًا ، على ما أحصيت في فهرس ابن النديم ، وقد روى الجاحظُ
عنه في البيان وفي الحيوان رواياتٍ كثيرة .

وثالث هذه الجماعة : هشام بن محمد الكلبي الكوفي (٢٠٠ - ٢٠٦)
عددت كتبه في الفهرس فالفيتها نحو مائة وتسعة وثلاثين مؤلفًا^(٥) .

(١) جلس إليه الجاحظ كما في البيان (٣ : ٢٦٥) .

(٢) الوفيات (٢ : ١٠٦) .

(٣) الفهرس ٧٩ مصر ، ٥٣ ليبسك .

(٤) البيان للجاحظ (١ : ٢٤٧) .

(٥) ١٤٧ مصر ، ١٠١ ليبسك . ولم يمكن تحديد العدد في هذا الموضع والذي قبله لمرونة
عبارة ابن النديم .

كان للجاحظ في هؤلاء الرهط أسوة ، وحافظ في المسابقة والمنافسة ؛ إلى ما وهبه الله من لسنٍ واقتدار ، ومن ذكاءٍ خارق ونفاذ ، وذاكرة - في العلم - قوية (١) ، واستهتار بالمعرفة والتبيين .

حدث أبو هفان (٢) قال : « لم أر قطُّ ولا سمعتُ من أحبِّ الكتبِ والعلومِ أكثرَ من الجاحظ ، فإنه لم يقع بيده كتابٌ قطُّ ، إلا استوفى قراءته ، كائناً ما كان ، حتى إنه كان يكتري دكاكين الوراقين ، ويثبت (٣) فيها للنظر » .

وللجاحظ في صدر الجزء الأول من الحيوان ، نعتٌ للكتب ، يقع منه الدليلُ على ما ملأ الله به صدرَ هذا الرجل من إيمانٍ بما للعلم والكتاب من شرفٍ وجاه ، وما للتفهم والقراءة من مكانٍ عالٍ ، ومنزل كريم .
والعجبُ أن تلك الأسفارَ التي عُنى بها صاحبنا ، لم تبرَّ به ولم تبادله الوفاء ، فغدرتْ به ، « وكان موته بسقوط مجلِّدات العلم عليه (٤) ! ! » .

٤ -- مؤلفات الجاحظ

خرج الجاحظ عن زهاء ثلاثمائة وستين مؤلفاً في ألوانٍ شتى من المعرفة ، رأى أكثرها في مشهد أبي حنيفة النعمان ببغداد ، سبطُ ابن الجوزي (٥) المتوفى سنة ٦٥٤ .

-
- (١) ذكر الجاحظ ، كما في تاريخ بغداد (١٢ : ٢١٤) ومعجم الأديباء (٦ : ٥٦) مرجليوث ، أنه نسي كنيته ثلاثة أيام ثم ذهب إلى أهله فقال : بمن أكنى ؟ فقالوا : بأبي عثمان !! وهكذا طفت ذاكرته في العلم على ذاكرته في غيره .
(٢) كان أخباريا راوية مصنفا . الفهرست ٢٠٧ مصر ، ١٤٤ ليبسك .
(٣) في الأصل : « بيت » .
(٤) شذرات الذهب (٢ : ١٢٢) .
(٥) مرآة الزمان الورقة ٥٨ من المجلد الثالث من الجزء العاشر (مصورة دار الكتب =

ذاك أقصى تقدير وصلت إليه كتب الجاحظ ، الذي يقول فيه
المسعودي^(١) : « ولا يعلم أحدٌ من الرواة وأهل العلم أكثر كتباً منه » . على
أن أذني ماتنزلُ إليه في التقدير ، أن تكونَ مائةً ونيِّفًا وسبعين كتاباً . قال
ابن حجر في لسان الميزان^(٢) : « وسرد ابنُ النَّدِيمِ كتبه ، وهى مائة ونيِّف
وسبعون كتاباً » .

وياقوت في معجم الأدباء^(٣) قد ذكر فهرست كتبه ورسائله : فأثبت
منها مائةً وثمانية وعشرين مصنفاً .

وليس بنا أن نحقق مبلغَ عددِ هذه الكتب ، ولكنَّ ما نريد أن نقول ،
أنَّ الجاحظ في الرَّعيلِ الأول من مؤلِّقِ عصرِه وكتَّابه .

والآن نَسألُ : أين ذهبت هذه الكتبُ جميعاً ، وفي أيِّ مطرح طَوَّحَ
بها الزَّمانُ !! لقد ضرب الدَّهرُ على كثيرها ، فعادت في مثل صنعة الساحر .
لمعت حيناً ثم انكفأت .

أفنقول : إنَّ أعاصيرَ الخلافِ المذهبيِّ عَصَفَتْ بها ، فلم ضاعت
آثارُ غيرِه من أهل السنَّة والجماعة ؟ !

الحقُّ أنَّ الخمودَ الذهنيَّ وهبوط الممهم ، كان لهما معظم الأثر في ضياع
هذه النفائس وفقدِها ، والحقُّ أنَّ الفوضى السياسيَّة التي مُنيت بها الأممُ
الإسلامية في مسأمتها الأولى ، والتي كانت قائمةً - في أكثر ما تقوم - على
التدمير والتخريب والانتقام - جعلت تهدم في هذا المصَّرح الفكري ، حتى
أنت على كثير من قواعدِه ، ولم تبق إلا وشلاً من محيط !!

= المصرية) . والنص فيها : « أما مصنفاته فثلاثمائة وستون مصنفاً ، ووقفت على أكثرها

في مشهد الإمام أبي حنيفة » .

(١) في مروج الذهب ٤ : ١٣٥ .

(٢) لسان الميزان (٤ : ٣٥٧) .

(٣) معجم الأدباء (٦ : ٧٥ - ٧٨) مرجليوث .

ومهما أحرزنا فقد كثيرٍ من آثار الجاحظ ، فإنَّ ممَّا يجلب إلينا العزاء .
أن تبقى الأيامُ منها قدراً لا يستهان به ولا بنفاسته ، قد سار بعضه بين الأدباء
فكان له فضلٌ كبير في تقويم أسنتهم ، وتأديبهم ، وحثُّ بعضه الآخرَ خزائن
متناثرة في أرجاء المعمورة ، سأعمل جهدي على إخراج ما يمكن منها ، بعون الله ،
مأمداً لي في الحياة .

٥ - ابن النديم والجاحظ

والعجب أن الناظر في فهرس ابن النديم لا يكاد يرى فيه شيئاً عن
الجاحظ ، إلا عرضاً واستطراداً ، مع أن ابن النديم كان من أساطين الوراقه ،
وأبرع مختصٍّ بفن الكتب والمكتبات .

لقد عجبت ، ووجدت شيخ العروبة وفقيدها « أحمد زكي باشا »
قد سبقني بهذا في أثناء تحقيقه لكتاب التاج ، وكشف السرَّ عن ذلك ،
بما أقام من دليل قاطع ، أن النسخة المطبوعة من الفهرس مبتورة
ناقصة^(١) . وقد أسلفت قريباً^(٢) نصّاً من لسان اليزان ، يؤيد ما ذهب إليه
شيخ العروبة .

٦ - منحى الجاحظ في التأليف

صنع الجاحظ هذه الكتب جميعاً . ولم يكن همُّهم غيره من المؤلفين .
في الجمع والرواية والحفظ ، وإنما كان وكده أن يبتكر وأن يُطرف ، وأن
يخلق للناس بديعاً ، يسمح على جميعها بالدُّعابة والخرزل ، ويشيع الفكاهة

(١) مقدمة التاج ٤٣ - ٤٤ .

(٢) انظر ص ٦ من هذا التقديم .

في أثناء الكلام . فجمع بذلك قلوبَ القارئین إليه ، واستولى منهم بذلك على شتى ميولهم إلى ما يكتب ، فصَبَّوا إليه وأغرموا به غراماً !
وطرق الجاحظُ في كتابته أبواباً عجيبة ، وتقرَّب إلى العامة^(١) وحرَّص أشدَّ الحرَّص على استرضائهم . ولم ينسَ في ذلك أن يستميل إعجاب الخاصة في المعارف العالية ، والسياسات الرفيعة .

٧ - قيمة كتب الجاحظ

قال أبو حيان^(٢) : « ومن عجيب الحديث في كتبه ، ما حدَّثنا به عليُّ ابن عيسى النحويُّ الشيخ الصالح ، قال : سمعتُ ابن الأخشاد شيخنا أبا بكر يقول : ذكر أبو عثمان في أول كتاب الحيوان أسماء كتبه ، ليكون ذلك كالفهرست . ومرَّ بي في جملتها : النور بين النبي والمُنْبِي ، وكتاب دلائل النبوة ، وقد ذكرهما هكذا على التفرقة ، وأعاد ذكر النور في الجزء الرابع^(٣) لشيء دعاه إليه فأحببتُ أن أرى الكتابين ، ولم أقدرُ على واحدٍ منهما . وهو كتاب دلائل النبوة ، وربما لُقِّب بالفرق خطأ . فهمَّني ذلك وساءني ، في سوء ظفري به . فلما شخَّصت من مصرَ ودخلتُ مكَّة -

(١) قال الجاحظ في البيان ١ : ١٣٧ : « وإذا سمعتموني أذكر العوام فإنني لست أعني الفلاحين والحشوة ، والصناع والباعة ، ولست أعني الأكراد في الجبال ، وسكان الجزائر في البحار ، ولست أعني من الأمم مثل البير والطيلسان ، ومثل موقان وجيلان ، ومثل الزنج وأمثال الزنج . وإنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب وفارس ، والهند ، والروم ، والباقون همج وأشباههمج .
وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا فالطبقة التي عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ، ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا » . فهذا ما يعني الجاحظ بهذه الكلمة .

(٢) انظر معجم الأدباء (٦ : ٧٢ - ٧٣) مرجليوث .

(٣) الحيوان (٤ : ٣٧٨) ص ٩ .

– حرسها الله تعالى – حاجًا، أقت منادياً بعرفاتٍ ينادى – والناسُ حضورٌ من الآفاقِ على اختلافِ بلدانهم وتنازحِ أوطانهم ، وتباينِ قبائلهم وأجناسهم ، من المشرق إلى المغرب ، ومن مهبِّ الشمال إلى مهبِّ الجنوب ، وهو المنظر الذى لا يشابهه منظر – : رحم الله من دلَّنا على كتاب الفروع بين النبى والمنزى لأبى عثمان الجاحظ ، على أى وجه كان !

قال : فطاف المنادى فى ترابيع عرفات وعاد بالخبية وقال : حجَّت الناس مِنى ولم يعرفوا هذا الكتاب ، ولا اعترفوا به !

قال ابن الأخشاد : وإنما أردت بهذا أن أبلغ نفسى عذرَها .

قال ياقوت : « وحسبك بها فضيلةً لأبى عثمان ، أن يكون مثلُ ابن الأخشاد – وهو من هو ، فى معرفةِ علوم الحكمة ، وهو رأسٌ عظيم من رموس المعتزلة – يُستهام بكتب الجاحظ حتى ينادى عليها بعرفات والبيت الحرام . وهذا الكتاب موجودٌ فى أيدي الناس اليوم لاتكاد تخلو خزائنُ منه . ولقد رأيت أنا منه نحو مائةِ نسخةٍ أو أكثر .

والمسعودى ، وهو ممن يُعدُّ فى خصوم الجاحظ ، يقول فى مروج الذهب^(١) فى نعت كتب الجاحظ : « وكتب الجاحظ مع انحرافه المشهور^(٢) ، تجلو صدأ الأذهان ، وتكشف واضح البرهان ؛ لأنه نظَّمها أحسن نظم ، ورصَّفها أحسن رصف ، وكساها من كلامه أجزلَ لفظ . وكان إذا تخوَّفَ مالَى القارىء ، وسامةَ السامع ، خرج من جدِّ إلى هزل ، ومن حكمةٍ بليغةٍ إلى نادرةٍ طريفة . وله كتب حسان ، منها كتاب البيان والتبيين ، وهو أشرفها ؛ لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم ، وغرر الأشعار ، ومستحسن الأخبار ، وبلغ الخطب ؛

(١) مروج الذهب (٤ : ٤٧) .

(٢) يريد ما كان عليه من الاعتزال وعداوة الشيعة . وكان المسعودى شيعياً .

مالو اقتصر عليه مقتصرٌ لاكتفى به ، وكتاب الحيوان ، وكتاب الطفيليين
والبخلاء . وسائر كتبه في نهاية الكمال ، ما لم يقصد منها إلى نصب ، ولا
(صوابها أو) إلى دفع حق .

وهذا حديث آخر ، تعرف به مكانة كتب الجاحظ ، وما أدركت من

شأو وغاية :

قال أبو القاسم السيرافي^(١) : « حضرنا مجلس الأستاذ أبي الفضل
ابن العميد ، فجرى ذكر الجاحظ ، فغض منه بعض الحاضرين ، وأزرى به ،
وسكت الوزيرُ عنه . فلما خرج الرجلُ قلت له : سكتَ أيُّها الأستاذُ عن هذا
الرجل في قوله ، مع عادتك في الردِّ على أمثاله ! فقال : لم أجد في مقابلته
أبلغ من تركه على جهله . ولو واقفته وبيّنتُ له ، لنظر في كتبه وصار بذلك
(إنساناً) يا أبا القاسم . فكتب الجاحظُ نَعْلَمُ الْعَمَلُ أَوْلَى . والأدبُ ثانياً !!
ولم أستصلحه لذلك . »

والخليفة المأمون العباسي ، كان من قراء الجاحظ ، ومن المقدِّرين
لعلمه وفضله في كتبه .

قال الجاحظ - وهو يسرد طائفة من بلاغات المأمون^(٢) : « ولما قرأ
المأمون كتبي في الإمامة ، فوجدها على ما أمر به ، وصرتُ إليه - وكان قد
أمر اليزيدي بالنظر فيها ليخبره عنها . قال لي : قد كان بعضُ من ترتضى
عقله ، ونصدَّق خبره ، خبرنا عن هذه الكتب بإحكام الصناعة وكثرة الفائدة
فقلت : قد تُرَبِّي الصِّفَّةَ على العيان ، فلما رأيتُها رأيت العيان قد أُرَبِّي على الصِّفَّةِ ،
فلما فليتها أُرَبِّي الفلَى على العيان كما أُرَبِّي العيان على الصِّفَّةِ !! »

(١) الحديث في رفيات الأعيان (١ : ٣٨٩) .

(٢) البيان (٣ : ٣٧٤) .

٨ - ذيع كتب الجاحظ

وكانت كتب الجاحظ تذيع وتنتشر ، وتطير إلى الآفاق ، في حياته ،
لرغبة الملحة فيها ، ولحرص الناس على ما فيها من خير كثير .

وإليك صورة تنيب عن مبلغ هذا الذيع ، وتقفك على مقداره :
روى الخطيب البغدادي في كتابه^(١) عن يحيى بن علي ، أنه قال :
حدثني أبي قال : قلت للجاحظ : إني قرأت في فصل من كتابك المسمى
كتاب البيان والتبيين^(٢) : إن مما يستحسن من النساء اللحن في الكلام ،
واستشهدت ببني مالك بن أسماء - يعني قوله^(٣) :

وحدِيثُ اللَّهِ هُوَ مِمَّا يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا
منطق صائب وتلحن أحياناً نأو خير الحديث ما كان لحنا

قال : هو كذلك . قلت : أفما سمعت بخر هند بنت أسماء بن خارجه مع
الحجاج ، حين لحن في كلامها ، فعاب ذلك عليها فاحتجت بيت أخيها ،
فقال لها : إن أخاك أراد أن المرأة فطنة ، فهي تلحن بالكلام إلى غير المعنى
في الظاهر ، لتستر معناه وتورى عنه ، وتفهيمه من أرادت بالتعريض ، كما قال
الله تعالى : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ ولم يرد الخطأ من الكلام . والخطأ
لا يستحسن من أحد ؟ ! فوجم الجاحظ ساعة ثم قال : لو سقط إلى هذا الخبر
لما قلت ما تقدم ! فقلت له : فأصلحه . فقال : آلا إن وقد سار الكتاب
في الآفاق !! هذا لا يصلح ! .

(١) تاريخ بغداد (١٢ : ٢١٤) . وانظره كذلك في معجم الأدباء (٦ : ٦٥)
مرجليوث .

(٢) انظر البيان (١ : ١٤٧) .

(٣) في استملاح اللحن من بعض نسائه .

وصورةً أخرى^(١) : قيل لأبي هفان وقد طال ذكر الجاحظ لأبي هفان - : لم لانهجو الجاحظ ، وقد ندد بك ، وأخذ بمخنقك ؟ ! فقال : أمثلى يُخدع عن عقله ؟ ! والله لو وُضع رسالةٌ في أرنبه أننى ، لما أمست إلا بالصين شهرة !

على مثل ذلك كانت كتبه تغزو الآفاق ، وتطيرُ في الدنيا ، إلى أن كُتب لها ما كُتب .

٩ - وراق الجاحظ

لم يكن بُدُّ للجاحظ ، وقد منحه الله في القراءة والتأليف ، اقتداراً نادراً وصبراً عجبياً ، من أن يستعين بمن يأنس فيه العون ، ليتمكن من تحقيق مطمحہ ، فكان له وراقون^(٢) ، يكتبون له ويكتبون عنه .

عُثر على اسم أحد هؤلاء الورّاقين في موضعين : أحدهما أمالى القالى^(٣) حيث نجد هذا النص : وقرأت على أبي بكر بن دُرید ، لليلى الأخيلية - وقال لى : كان الأصمعى يرويها لحميد بن ثور الهلالى - قال أبو على : فكذا وجدته بخط ابن زكريا « وراق الجاحظ » في شعر حميد :

يأبها السدِّم الملوّى رأسه ليقود من أهل الحجاز بريما

والموضع الثانى : معجم الأدباء^(٤) ، حيث ذكر ياقوت كتابى « النساء »

(١) معجم الأدباء (٦ : ٧١) مرجليوث .

(٢) ما كان أجدر بكلمة الوراق أن تستعمل في معنى « السكرتير » التي حيرت اللغويين .

(٣) أمالى القالى ١ : ٢٤٨ .

(٤) معجم الأدباء (٦ : ٧٥) مرجليوث .

و « النعل » وقال : « قال ابن النَّدِيم : ورأيت أنا هذين الكتابين بخط
زكرياء بن يحيى ، ويكنى أبا يحيى ، وراق الجاحظ » .

وقد عرف ابن النَّدِيم باسم ذلك الوراق فذكر والده وكنيته ، على
حين ذكره القاليُّ غُفلاً ، مما يرجح لدينا أن يكون الصواب في اسم هذا
الوراق ، ما نقل ياقوتٌ عن ابن النَّدِيم .

وللجاحظ وراق آخر ، هو عبد الوهاب بن عيسى بن أبي حية الوراق .
وقد ينسب إلى جدّه . روى عن إسحاق بن إسرائيل ويعقوب بن أبي شيبة .
قال الزبيدي^(١) نقلاً عن الحافظ : « وكان وراقاً للجاحظ ، وعاش إلى رأس
الثلاثمائة » .

وفي تاريخ بغداد^(٢) أنه عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب
ابن أبي حية . وكنيته أبو القاسم . سمع إسحاق بن أبي إسرائيل ، ومحمد بن معاوية
ابن مالج ، ويعقوب بن إبراهيم الدورقي ، ومحمد بن شجاع الثلجي ،
ويعقوب بن شيبه السدوسي . روى عنه أبو عمرو بن حيويه ، والدارقطني ،
وابن شاهين ، وأبو حفص الكنانى ، وكان صدوقاً في روايته ، ويذهب إلى
الوقف في القرآن . أخبرنا الأزهرى أخبرنا أبو الحسن الدارقطني قال :
عبد الوهاب بن عيسى بن أبي حية ثقة يُرمى بالوقف . أخبرنا السَّمْسَارُ أخبرنا
الصفار ، حدثنا ابن قانع ، أن أبا القاسم بن أبي حية مات في شعبان من سنة
تسع عشرة وثلثمائة .

(١) تاج العروس ١٠ : ١٠٨ ص ٣ - ٤ .

(٢) تاريخ بغداد ٥٦٩٥ .

تقديم كتاب الحيوان

١ - كتب الحيوان

سبق اليونانيون أسلافنا العرب ، إلى التأليف في علم الحيوان . قال صاحب كشف الظنون في حديثه عن علم الحيوان (١) : « وفيه كتبٌ قديمة وإسلامية : منها كتاب الحيوان لديمقراطيس ، ذكر فيه طبائعه ومنافعه . وكتاب الحيوان لأرسططاليس ، تسع عشرة مقالة ، نقله ابن البطريق من اليوناني إلى العربي . وقد يوجد سريانيًا نقلًا قديمًا ، أجود من العربي . ولأرسطو أيضًا كتاب في نعت الحيوان الغير الناطق ، وما فيه من المنافع والمضار » . وذكر بعد ذلك كتاب الحيوان للجاحظ ، ومختصره لأبي القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد جعفر (٢) المتوفى سنة ٨٠٦ ، وللموفق البغدادي أيضًا . ونستطيع أن نقول : إن الجاحظ أول واضع لكتاب عربي جامع في علم الحيوان . وقد كان قبله وفي عصره محاولات شتى لطائفة من العلماء ، يتحدثون فيها عن الحيوان ، نذكر منها :

كتب الابل

لأبي حاتم السجستاني (٠٠٠ - ٢٤٨) ، والأصمعي (١٢٢ - ٢١٦) ،
ولأبي عبيدة (١١٠ - ٢٠٩) ، وللنضر بن شميل (١٢٢ - ٢٠٣) ،

(١) كشف الظنون ١ : ٤٥٦ .

(٢) وسماه روح الحيوان . ابن خلكان ٢ : ١٨٨ .

ولأبي زياد الكلابي^(١) ، ولأحمد بن حاتم الباهلي^(٢) (٢٣١ - ٠٠٠) .

كتب الخيل

لابن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦) ، وابن الأعرابي (١٥٠ - ٢٣١) ،
وأبي عبيدة ، وأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي^(٣) (٢٤٥ - ٠٠٠)
وأبي محمّد بن هشام الشيباني^(٤) (٢٤٥ - ٠٠٠) ، ولأحمد بن حاتم .

كتب الفم والشاء

لأبي الحسن الأخفش (٢١٥ - ٠٠٠) ، وللنضر بن شمیل ، وللأصمعي^(٥)

كتب الرموس

للأصمعي ، ولأبي زيد أستاذ الجاحظ (١١٩ - ٢١٥) ، ولأبي حاتم
السجستاني .

كتب الطير

لأبي حاتم السجستاني^(٦) ، والنضر بن شمیل ، وأحمد بن حاتم الباهلي^(٧) .

كتب البازي والحمام والحيات والفقارب

لأبي عبيدة .

(١) اسمه يزيد بن عبد الله بن الحر ، أعرابي بلوى . قال دعبيل : قدم بغداد أيام المهدي حين أصابت الناس المجاعة ، ونزل قطيعة العباس بن محمد فأقام بها أربعين سنة ، ومهامات . وكان شاعرا من بني كلاب . ابن النديم ٦٧ مصر ، ٤٤ ليبسك .

للأصمعي .

، كتابا النمل والنملات

لأبي حاتم السجستاني . وللأصمعي كتاب في النحل والعسل (١) .

* * *

وهذه الكتب لم تؤلّف للقصد العلمي الخالص ، وإنما أريد بها أن تكون باحثة في اللغة أولاً ، فهي بمثابة معجمات لغوية خاصة بما ألّفت له ، فهي لا تبحث في طبع الحيوان وخصائصه بحثاً ، ولا تعنى بدقائقه وغرأزه وأحواله وعاده ، وإنما تجعل ههما الأول والثاني هو اللغة ، وقد يكون منها أن تبحث البحث العلمي ، ولكن على سبيل الاستطراد ومشايعة القول .
وأسوق إليك نموذجاً من نصوص تلك الكتب ، لتتكشف أمامك صورة ما أسلفت .

فهذا أول كتاب الابل للأصمعي (٢) :

« قال أبو سعيد عبد الملك بن قُريب الأصمعي : أجود وقتٍ يُحمل فيه على الناقة أن تجمّ سنةً ويحملَ عليها . فيقال : قد أُضربت الفحلَ ، وأضربها الفحلُ . فإذا حملَ عليها في كلِّ عام فذلك الكشاف . يقال ناقة كُشوفٌ ، وقد أكشفَ بنو فلان العام فهم مُكشِفون : إذا لمحتْ إبلهم على هذا الوجه . قال رؤبة :

(١) اعتمدت في استخراج هذه الكتب على وفيات الأعيان ، وبنية الوعاة ، ونزهة الألباء ، وفهرس ابن النديم ، وكشف الظنون ، ومعجم الأدباء .

(٢) ص ٦٦ - ٦٧ من مجموعة السكز اللغوي المطبوع في بيروت ١٣٢٢ .

• حربٌ كشافٌ لقمحت إعثاراً •

وإليك نصاً آخر من خلاله (١) :

« وما يذكر من ألوان الإبل ، يقال بعير أحمر وناقحة حمراء ، وإذا بُولغ في نعت حمرة قيل : كأنه عِرْقُ أرطاة . ويقال أجلدُ الإبلِ وأصبرُها الحُمْر . فإذا خلطَ الحمرة قُنوءٌ فهو كُبت . فإذا خلطَ الحمرة صفرةٌ قيل : أحمر مدني . قال حميد بن ثور :

وصار مدمّاهما كميناً وشُبّهت قروحُ الكلى منها الوجارُ المهديّما »

وهذا آخر كتاب الإبل للأصمعي (٢) :

« أسماء عدد الإبل : الذود : ما بين الثلاثة إلى العشرة . والصرمة : القطعة التي ليست بالكثيرة . والصبّة : فوق ذلك إلى العشرين إلى الثلاثين ، إلى الأربعين .

والعكرة : إلى الخمسين ، إلى الستين إلى السبعين .

والهجمة : المائة وما داناها . والهنيدة : مائة . والعرج : الإبل إذا كثرت فبلغت مائتين قيل عرج . والبرك : إبل القوم جميعاً ، التي تروح عليهم . قال متمم :

ولا شارف حبشاء ريعت فرجعتُ حينياً ، فأبكي شجوها البرك أجمعا

٢ - كتاب الحيوان للجاحظ

هذه صورة من صور كتب القوم في الحيوان . أمّا الجاحظ فأمامك

(١) ص ١٢٧ من الكتاب السابق .

(٢) ص ١٥٧ . وكتاب الوحوش للأصمعي طبع في فينا سنة ١٨٨٨ ، والحيل له في فينا

١٨٩٥ ، والشاء له في بيروت ١٨٩٦ .

كتابهُ ، ينطقُ بين يديك بالقصد العلمى التفصيلى للحيوان جميعاً ، ولكلِّ مملكةٍ من ممالكه ، ولكلِّ جنسٍ من أجناسه . وهو فضلٌ للجاحظ على جميع من سبقه أو عاصره ممن كتب فى الحيوان . وإن أعوزه بعضُ الترتيب والتهديب فهو شأنُ كلِّ كتابةٍ جديدةٍ ، فى أمرٍ متشعبِ الأطراف ، ممدودِ النواحي .

٣ - مرجع الجاحظ فى تأليف الحيوان

والآن نسأل : ماذا كان مرجع الجاحظ فى هذه الموسوعة العظيمة ، وأين أصاب هذا الفيض المتدافع ؟

لقد استفتيت كتاب الحيوان نفسه ، بإدمان قراءته ، وتقليب صفحاته فوضح لى أن صاحبه اعتمد فى تأليفه على أمور خمسة رئيسة :

أولها : الينبوع الذى لا ينضب من القرآن وحديث الرسول .

والثانى : وعليه كان أكثر اعتماده - (الشعر العربى) فالشعر العربى وبخاصة البدوى منه ، قد تحدّث عن الحيوان حديثاً طويلاً ، تحدّث عن الأنيس منه ولم يهمل الوحشى ، بل أشرك بين هذا وذاك .

فالعرب تحدّثوا عن الإبل فى شعرهم وأطالوا الكلام ، تحدّثوا فى نعتها فلم يذروا دقيقةً من دقائقها ، وتكلّموا فى حملها ونتائجها ، ورأىها وحنينها ، وحلبها وألبانها ، وألوانها ونجارها ونسبها ، وأصواتها ودُعائها ، ورعيها وشربها وسيرها وسراها^(١) .

وكان لهم فى الخيل نعتٌ مفصّل ، وعنايةٌ بمثل ما اعتنوا به فى الإبل .

(١) بما أقوم به الآن إعداد كتاب يبحث فى أثر الإبل فى حياة العرب وأدبهم ولغتهم ، أرجو الله العون فى إتمامه .

ووفوا كذلك لكلابهم وشائمهم . ولا تكاد تجد قصيدة معدودة للعرب
إلا وللحيوان الأنيس فيها شأن .

أما الوحشيات – وفلواتهم مواطن غنيّة بها – فلم يُغفلوها ، ونطق شعرهم
بالأسد^(١) ، والنمر ، والذئب^(٢) ، والثعلب ، والضبّ ، وغيرها .

وذكروا من الطيور النُّسورَ والعقبان والرَّخَمَ ، والحِدَاءَ والقِطَا والحَجَل .
ولو أردتُ أن أستقصى سائرَ مانعتوا من الحيوان ، في شعرهم وحديثهم
وأسمارهم – ما استطعتُ . ولو استطعتُ لامتدَّ القول وفاض .

والجاحظ يرى أن العرب – والأعراب منهم خاصة – قد ثَقِفُوا معرفة
الحيوان ، وبرعوا في ذلك البراعة ، واستوعبوا حاله وعآده . وهو يقول
في ذلك^(٣) :

« وقلّ معنيّ سمعناه في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه في كتب
الأطباء (والمتكلمين) إلا ونحن قد وجدناه أو قريباً منه في أشعار العرب
والأعراب » .

وقال في الكلام على السَّبَاعِ المشتركة الخلق^(٤) : « وقد ذكرنا منها
ما كان مثل الضَّبِّ والسَّمْعِ والعَسْبَارِ ؛ إذ كانت معروفةً عند الأعراب ،
مشهورة في الأخبار ، منوّها بها في الأشعار » .

(١) أشهر عربي وصف الأسد هو أبو زيد الطائي . انظر خبره في الأغاني وطبقات
ابن سلام ومعجم الأدباء .

(٢) كانوا يفخرون أحيانا بإشراكهم الذئب فيما يطعمونه . ومن عرف بذلك الفرزدق . وله
خبر مع الذئب في إطعامه لحم شاة له . خمسة دواوين العرب ١٦٠ .

(٣) الحيوان (٣ : ٢٦٨) .

(٤) الحيوان (٦ : ٢٨) .

وهو يُظهر السَّبَبَ في جَوَدَةِ معرفة الأعرابِ للحيوان ، بقوله (١) :
« ورَبِّمَا ، بل كثيراً ما يُبْتَلَوْنَ بالنَّابِ والمُخْلِيبِ ، واللَّدَغِ واللَّسَعِ ، والعضِّ
والأكلِ . فخرجت بهم الحالُ إلى تعرُّفِ حالِ الجاني والجارحِ والقاتلِ ، وحالِ
المجنبيِّ عليه والمجروحِ والمقتولِ ، وكيف الطَّلَبِ والهربِ ، وكيف الدَّاءِ والدَّواءِ ؛
لطول الحاجة ، ولطول وقوعِ البصرِ . مع ما يتوارثون من المعرفة بالدَّاءِ
والدَّواءِ » .

والكتابُ مفصَّلٌ بكثيرٍ من الشعر العربي ، موشَّعٌ بعيونٍ مانظمٍ العرب
والأعرابِ في الحيوانِ من شعر .

وللجاحظِ ثقةٌ تامةٌ في الشعرِ العربيِّ : فهو يصدِّره في الرَّدِّ على أرسطو ،
ويحتجُّ به عليه . قال بعد أن سرد قول أرسطو في عقوق العقاب (٢) : « هذا
قول صاحب المنطق في عقوق العقاب وجفائها لأولادها .

فأمَّا أشعار العرب فهي تدلُّ على خلاف ذلك ، قال دريد بن الصَّمَّة (٣)
وكلَّ لجوج في العنان كأنها إذا اغتمست في الماء فتخاء كاسر
لها ناهض في الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر

والمادة الثالثة من مواد الكتاب ، هي (كتاب الحيوان لأرسطو (٤)) .
وقد نقل عنه الجاحظ نصوصاً ليست من السكثرة بمكان ، ولكنها من القيمة
والنفاسة بمكان عظيم .

وصاحبنا رجلٌ جرىء العقل ، عنيفُ الفكر ، فهو لا يقبل هذه النصوص

(١) الحيوان (٦ : ٢٩) .

(٢) الحيوان (٧ : ٣٧) .

(٣) في الأغاني (١٠ : ٤٥) والمزهر (٢ : ٢٣٨) أنه معتر بن حمار البارقى .

(٤) سبق التعريف بهذا الكتاب ص ١٤ .

بعلاّتها ، بل يطرحها على الممتحن ، ولا يطاقى بفكره لها ، وإنما يصعد به
عالياً ليرى وجه الحق فيها . وقتلما ترك واحداً منها إلا تسكلم فيه ، وعرضه
على الحجّة .

فمن ذلك مقال^(١) : « وقد ذكر صاحب المنطق أنه قد أبصر ثوراً
وثب بعد أن خصى ، فزأ على بقرة فأحبها » ، وعقب ذلك بقوله : « ولم نجد
هذا عن معاينة ، والصدور تضيق بالردّ على أصحاب النظر ، وتضيق بتصديق
هذا الشكل » .

ذلك . وقد رأيت في الكلام الذى أسلفت ، ردّه عليه بالشعر العربى .
وقال أرسطو فى الفيل^(٢) : « هو أجرد الجلد ؛ فلذلك يشتد جزعه من
البرد » ، فقال الجاحظ : « فإن كان أجرد الجلد ، فما قولهم فى أحاديثهم :
طلبوا من الملك الفيل الأبيض ، والفيل الأبقع ، وجاء فلان على الفيل
الأسود؟! » .

وقال الجاحظ فى ردّه على أرسطو^(٣) : « وقد سمعنا مقال صاحب
المنطق من قبل . وما يليق بمثله أن يخلد على نفسه فى الكتب شهاداتٍ
لا يحققها الامتحان ، ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء » .

وأحياناً يعتذر صاحبنا عن أرسطو ، بأن المترجمين لكتابه لم يحسنوا
النقل ، ولم يتوخوا الدقة والمطابقة . فهو يقول^(٤) : « ولعل المترجم قد أساء
فى الإخبار عنه » ويقول^(٥) : « فكيف أسكن بعد هذا إلى أخبار البحرين

(١) الحيوان (٥ : ٥٠٢) .

(٢) الحيوان ٧ : ٢٢٨ .

(٣) الحيوان ١ : ١٨٥ .

(٤) الحيوان ٢ : ٥٢ .

(٥) الحيوان (٦ : ١٩) .

وأحاديث السماكين ، وإلى مافي كتاب رجل - يعنى أرسطو - لعلّه إن وجد هذا المترجم أن يقيمه على المصنّبة ، ويرأ إلى الناس من كذبه عليه ، ومن إفساد معانيه ؛ بسوء ترجمته .

وله نحو من هذا الكلام فى الردّ على صاحب المنطق فى مواضع آخر من كتابه^(١) نكتفى بالإشارة إليها .

* * *

والمادة الرابعة من مواد الكتاب ، هى تلك المحاولة ، وذلك (الكلام الذى ولّده المعتزلة) . وقد دفع بهم ذاك التيار العارم ، إلى مواطن شتى من نواحي الحجاج والجدل . وكأئما خلق الله كلّ رجل من أهل الاعتزال لساناً دائب التصرف والعمل . فهم إن فرغوا من الكلام فى الصفات والخالق ، وفى التعديل والتجويز ، وفى الوعد والوعيد ، فزِعوا إلى الكلام فى السّاحة والخاطرة ، وفيما يظهر للعين أنّه دقيقٌ مهين .

والكتاب معرّض طريفٌ لهذه المنازعات الكلاميّة ولا سيّما الجزأين الأوّل والثانى منه . فكثيراً ما يمرُّ على بصرِك : « قال صاحب الكلب » و : « قال صاحب الديك » و : « قال صاحب الحمام » و . .

ويبدو أيضاً ، أنّه كان فى عصر الجاحظ نزاعٌ كلامى خاصٌ ، فى المقايسة بين الكلب والديك ، يتقدّم الفريق الأوّل أبو إسحاق إبراهيم النّظام ، ويتزعم الرّهط الآخر معبد^(٢) .

كما أنّ بعضَ الناس كانوا ينظرون إلى هذا النّمط وإلى هذا الضّرب من الجدل يتداوله اثنان من رؤساء المتكلّمين ، بعين الاستغراب والاستنكار .

(١) انظر منها الحيوان : ٣ : ٥١٧ ، ٤ : ١٥٦ ، ٥ : ٥٤١ ، ٦ : ١٧ ، ٧ : ١٢٤ .

(٢) انظر الحيوان : ١ : ٣٥٦ . وانظر كذلك ٢ : ١٥٣ .

وقدرد عليهم الجاحظ ردًا مسهباً ، صدره بقوله (١) : « فإن قلت : وأى شيء بلغ من قدر الكلب وفضيلة الديك ، حتى يتفرغ لذكر محاسنهما ومساويهما ، والموازنة بينهما ، والتثويه بذكرهما ، شيخان من عليّة المتكلمين ومن الجلّة المتقدمين . . . » ثم هو ينشئ بعد ذلك دفاعاً صادقاً ، يستغرق نحو عشر صفحات . وفيه يحاول أن يقول : إن البحث في شأن الحيوان ، ضربٌ من ضروب التعبّد ، ولونٌ من ألوان البحوث الدينية ، التي تنتهي بصاحبها إلى معرفة عظمة الله ، وعظم ما أبدع وبرّاً .

وقد بلغ الأمر بأحد كبار المعتزلة ، في عنايته بالحيوان والحديث فيه ، أن صنع قصيدتين ، ذكر فيهما الحيوان وعجائبه ، « وقد جمع فيهما كثيراً من هذه الغرائب والفوائد ، ونبه بهذا على وجوه كثيرة من الحكمة العجيبة ، والموعظة البليغة (٢) » .

ذلك الرجل هو بشر بن المعتمر ، وكان رأساً لفرقةٍ من المعتزلة ، سمّيت بالبشرية (٣) وتوفى سنة ٢١٠ هـ . .

وقد تصدّى أبو عثمان لشرح القصيدتين في الجزء السادس من الحيوان ، وتكلم فيهما كلاماً طويلاً ، استغرق نحو نصف الجزء .

والمادة الخامسة من موادّ الكتاب هي تلك الخبرة الشخصية ، وذلك الولوج الذي كان يدفع بصاحبنا إلى السؤال ممّن يتوسّم فيه العلم . وكان الجاحظ

(١) الحيوان ١ : ٩٣ - ١٠٤ ساسي .

(٢) العبارة للجاحظ نفسه في الحيوان ٦ : ٢٨٤ .

(٣) مفاتيح العلوم ١٩ ومعجم الزركلي ١٤٧ .

بطبعه شعبياً ، مع أنه كان مقرباً نافذ الكلمة عند الوزراء والخلفاء^(١) . فهو قد جالس الملاحين مراراً ، وسمع من أحاديثهم . فن ذلك مايقول^(٢) :
«وسمعت حديثاً من شيوخ ملاحى الموصل ، وأنا هائب له ، ورأيت الحديث يدور بينهم .. »

وهو يتحدث مع صائد العصافير ويقول^(٣) : « وخبرنى من يصيد العصافير .. » .

وأحياناً يخالط الحوائين ، ويقف منهم موقف المستمع إلى الشكوى . وفي ذلك يقول^(٤) : « وشكا إلى حواء مرة فقال : أفقرنى هذا الأسود ومنعنى الكسب ؛ وذلك أن امرأتى جهلت فرمت به فى جونة فيها أفاعى ثلاث أو أربع ، فابتلعهن كلهن - وأرانى حية منكورة ! »

وله نقاش فى شأن القيل مع عبد يدعى « غانما^(٥) » . وما حدا به إلى الحديث معه إلا أنه من ذوى الخصام والجدل كما عرفت .

٤ - متى ألف كتاب الحيوان

قيل لأبى العيناء : لبت شعرى ، أى شىء كان الجاحظ يحسن ؟ فقال :

لبت شعرى ، أى شىء كان الجاحظ لا يحسن^(٦) !؟

(١) انظر لذلك تاريخ بغداد ١٢ : ٢١٩ : حيث يقول الجاحظ : « حال أن الوزير يتكلم برأى ، وينفذ أمرى ، ويؤثر (صوابها : يوتر) الخليفة الصلات إلى » .

(٢) الحيوان ٢ : ١٢٦ .

(٣) الحيوان ٢ : ٣٢٩ .

(٤) الحيوان ٦ : ٤٠١ وانظر ٤ : ٤١٩ .

(٥) الحيوان ٧ : ١٠٩ .

(٦) جمع الجواهر للحصرى ١٦٥ .

نعم ، كان الجاحظ أعجوبة الدنيا ، تعرف ذلك إذا قرأت كتاب الحيوان ولمست ما يحتاج إليه من جهد ، وما يتطلبه من وعيٍ واسع ، وانتباه دقيق ثم عرفت بعد ذلك كله أن تلك المعلمة الخالدة ، صنعها صاحبها وأتم حوكها ، وهو في سنٍ عاليةٍ ، مفلوجٌ يقول في شكايته مرضه : « أنا من جانبي الأيسر مفلوج ، فلو قُرض بالمقاريض ما علمت به ، ومن جانبي الأيمن مُنقرَس ، فلو مرَّ به الذبابُ لألمت !! (١) » .

قال الخُصريُّ (٢) : « ومن إحدى عجائبه ، أنه ألّف كتاب الحيوان وهو على تلك الحال » ، يعنى السنَّ العالية ، والفالج الشديد .

وما بالننا نذهب بعيداً والجاحظ نفسه يقول (٣) : « وقد صادف هذا الكتاب منى حالاتٍ تمنعُ من بلوغ الإرادة فيه : أوّل ذلك العلة الشديدة .. » .

وهنا مشكلةٌ تطلُع علينا من ثنايا نصوصٍ عدّة ، فقد قالوا إنّ الجاحظ فُلج في آخر أيامه (٤) وقالوا كذلك إنّه ألّف كتابه الحيوان باسم محمد ابن عبد الملك الزيات (٥) المتوفى سنة ٢٣٣ ، وأنه أهداه إليه فأعطاه خمسة آلاف دينار (٦) ، فهل نقول إنّ الجاحظ ظلّ مفلوجاً ثنتين وعشرين سنة (٧) في الأقل ؟ ! ذلك ماتنفيه العادة ، ويحمله الكثير من الواقع فيما يرى الناس .

(١) ابن خلكان .

(٢) في جمع الجواهر ١٦٥ .

(٣) الحيوان ٤ : ٢٠٨ .

(٤) الوفيات وتاريخ بغداد وشذرات الذهب ٢ : ١٢٢ .

(٥) معجم الأدباء ٦ : ٧٥ مرجليوث .

(٦) معجم الأدباء ٦ : ٧٦ مرجليوث .

(٧) هي فرق ما بين وفاة ابن الزيات سنة ٢٣٣ ووفاة الجاحظ سنة ٢٥٥ في أصح الروايات .

ولكننا نرجع إلى تاريخ علته من المراجع التي بين أيدينا فنجد أن صاحب « سرح العيون^(١) » قد عني بذكر ذلك ، حيث قال :

« وكانت سبب علة الجاحظ أنه حضر مائدة ابن أبي دواد ، وفي الطعام سمك ولبن ، وكان ابن بختيشوع الطيب حاضراً ، فنهاه عن الجمع بينهما ، فقال الجاحظ : إن السمك إن كان مضاداً للبن فإني إذا أكلتهما دفع كل منهما ضرراً الآخر . وإن كانا متساويين فكأني أكلت شيئاً واحداً ! فقال ابن بختيشوع : أنا لأحسن الكلام ، واسكن إن شئت أن تجرب فكل . فأكل فأصابه فالج عظيم . »

فإذا عرفنا أن أحمد بن أبي دواد قد توفي سنة ٢٤٠^(٢) وأبنتى بالفالج بعد موت عدوه ابن الزيات بسبعة وأربعين يوماً في سنة ثلاث وثلاثين^(٣) . إذا عرفنا ذلك أمكننا أن نقول إن مرض الجاحظ كان قبل سنة ٢٣٣ ، سنة وفاة ابن الزيات ، وأنه استمر مريضاً بالفالج أكثر من اثنتين وعشرين سنة ، وأن المعنى بقولهم : « آخر أيامه » هو الشطر الأخير من حياته .

وأحب أن أشير هنا إلى أن الجاحظ ابتداءً في تأليف كتاب الحيوان ، قبل أن يبدأ في صنوه الآخر في الذئع والشهرة : البيان والتبيين . وقد عثرت بنص قاطع في البيان^(٤) يدل على ذلك . قال : « كانت العادة في كتب الحيوان أن أجعل في كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من

(١) سرح العيون ص ١٣٦ . وانظر مثل هذا النص مضطرباً في عيون الأنبياء . ١٨١ : ١

(٢) مروج الذهب ٤ : ٩٧ وشذرات الذهب ٢ : ٩٣ .

(٣) مروج الذهب ٤ : ٩٧ .

(٤) البيان ٣ : ٣٠٢ .

مقطعات الأعراب ونوادير الأشعار ؛ لما ذكرت من عَجَبِكَ بذلك . فأحببت أن يكون حظُّ هذا الكتاب في ذلك أوفر ، إن شاء الله تعالى .

كما أودُّ أن أشير أيضاً إلى أن الجاحظ كان يسمِّي كلَّ جزء من أجزاء الحيوان مصحفاً . وفي النسخة الشنقيطية من الحيوان نجد مكتوباً في نهاية كل جزء : « تم المصحف . . من كتاب الحيوان ويابه المصحف . . » .

٥ - جهد الجاحظ في تأليف الحيوان

هو يحدثنا بذلك فيقول^(١) : وقد صادف هذا الكتاب مني حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه : أوَّل ذلك : العلة الشديدة . والثانية : قلة الأعوان . والثالثة : طول الكتاب . والرابعة : أني لو تكلفت كتاباً في طوله وعدد ألفاظه ومعانيه ، ثمَّ كان من كتب العرض والجوهر ، والطفرة والتوليد والمداخلة ، والغرائز والنحاس^(٢) لكان أسهل وأقصر أيتاماً وأسرع فراغاً ؛ لأنني كنت لأفزع فيه إلى تلقط الأشعار وتتبع الأمثال واستخراج الآي من القرآن ، والحجج من الرواية ، مع تفرُّق هذه الأمور في الكتب . بهذا شرح صاحبنا جهده في تأليف الكتاب ، وبين ما بذل في تأليفه وجمعه ، من عنتٍ ومشقة .

(١) الحيوان ٤ : ٢٠٨ وانظر ص ٢٠٩ منه أيضاً .

(٢) النحاس هنا بمعنى الطبيعة .

٦ - عدد أجزاء الكتاب

جرى بعضُ الناسخين والطابعين ، على ألا يتقيّدوا في النسخ أو الطبع بتقسيم المؤلف لكتابه ، وكنت خشيتُ أن يكون وقعَ هذا التصرف في كتابنا هذا ، وأدركني الرّيبُ في ذلك . ولكّني وجدتُ من نصوص الكتاب ما يشهد بأنّ تقسيم المطبوعة الأولى من الحيوان هو نفسه تقسيم الجاحظ . ففي الجزء السابع بالصفحة التاسعة ، نجد هذا النصّ . « قد كتبنا من كتاب الحيوان ستة أجزاء . وهذا الكتاب السابع هو الذي ذكرنا فيه القيل بما حضرنا . . . » .

ونجد في ثنايا الكتاب نصوصاً آخر تشهد بصحة هذا التقسيم^(١) .

وإنّ في مطابقة نهايات أجزاء المطبوعة الأولى ، لنهايات أجزاء المخطوطة الشنقيطية المرموز إليها برمز « سه » التي بصرّح فيها بنحتم كلّ جزء بهذه العبارة : « تمّ المصحف . . . من كتاب الحيوان ويليه المصحف . . . » - إن في ذلك لدليلاً آخر على صحة التقسيم التي سنتبعه .

٧ - قيمة كتاب الحيوان

لا يعرف فضلَ هذا الكتاب ، إلّا من نظر فيه طويلاً ، وتناول نواحيه بالدرس والتبَيُّن .

وقد يُوهم اسمه أنّه قد خصّص بالحيوان وما يمتُّ إليه بسبب . ولكنّ

(١) الحيوان ؛ : ٥ ، ٥ : ٥ ، ٦ : ٥ - ٦ وما يضم إلى ذلك قول ياقوت في معجم الأدباء : « كتاب الحيوان وهو سبعة أجزاء » .

الحق أن الكتاب معلمة واسعة ، وصورة ظاهرة لثقافة العصر العباسي ،
المتشعبة الأطراف .

فقد حوى الكتاب طائفةً صالحةً من المعارف الطبيعية^(١) ، والمسائل
الفلسفية ، كما تحدّث في سياسة الأقاليم والأفراد ، وكما تكلم في نزاع أهل
الكلام وسائر الطوائف الدينية .

تحدّث الكتاب في كثير من المسائل الجغرافية ، وفي خصائص كثير
من البلدان ، وفي تأثير البيئة في الحيوان والإنسان والشجر ، كما تناول الحديث
في الأجناس البشرية وتباينها ، وكما عرض لبعض قضايا التاريخ .

وفيه كذلك حديث عن الطب والأمراض : أمراض الحيوان والإنسان
وبيان لكثير من المفردات الطبية ، نباتيها وحيوانيها ومعدنيها .

تحدّث فيه الجاحظ عن العرب والأعراب ، وأحوالهم وعادتهم ، ومزاعمهم
وعلومهم : كما أفاض القول في آي الكتاب العربي ، وحديث الرسول
العربي ، وكما فصل بعض مسائل الفقه والدين .

والكتاب كذلك ديوانٌ جمع الصّفوة المختارة من حُرّ الشعر العربي
ونادره . وناهيك باختيار أبي عثمان ! وإن أردت الأمثال فهو قد جمع لك
منها القدر الكبير ، أو أحببت الحديث في البيان ونقد الكلام والشعر ،
وجدت ما تروح إليه نفسك وتطمئن .

أما فكاهة الجاحظ فهذه قد نثرت في الكتاب نثراً ، وإنها لتطالعك
بين الفينة والأخرى ، متمثلةً فيما يروى من نادرة ، أو يحكي من قصة .

(١) ولعل هذا ما حدا بالمغفور له أحمد تيمور باشا ، أن يضع نسخته الخطية في قسم
الطبيعات من مكتبته .

وأما المحبون فلا عليك أن تمر به لتظهر لك ناحية من النواحي التي غلبت على كثير من متأدبي عصر الجاحظ ، التي لم يكن فيها حرج حينئذٍ ولا خشية .
هذه صفة للكتاب مجملة ، أوجزتها إيجازاً ولم أورد تفصيلها ، فذلك إنما يكون في كتاب .

على أن الفهرس الذي ابتدعته وأسميته « فهرس المعارف » سوف يجلي للقارى أشياء وأشياء غير ما ذكرت ، وبه يظهر كثير مما كمن في جنابات ذلك الكنز القيم .

تصحیح الكتاب

١ - قراءة الكتاب

كان أول عهدي بدراسة هذا الكتاب منذ أربع سنوات مضين ،
وكنت أجدني أمضى في الكتاب وأتابع قراءته ، رغم ما كان يحفل به
من خطأ وتحريف وتصحيف ، وأنه لم يكن بحال تشجع قارئه على المتابعة ؛
مما كان عليه من سوء نظام واستعجاب .

وكنت أثناء قراءتي أكتب تصحيحاتٍ على جوانبه بقدر ما استطاعه
جهدي ، كما عانيت بوضع عنوانات وأرقام تربط أجزاءه بعضها ببعض .

والذي يقرأ للجاحظ يرى فيه طبيعة التكرار ، وهو يحرص بذلك على
تثبيت ما يريد القارئ على وعيه وفهمه ، فالجاحظ معلمٌ حريص على إفادة
تلميذه ؛ ولكن تلميذه لا يجلس بين يديه ، أو يسايرُه ليتلقى عنه المعرفة ، بل
يؤلف له أستاذَه الكتابَ جامعاً ، ويدعُه يُفيدُ مما يقرأ ويتفهم . وللجاحظ
كلام في هذا المعنى بالجزء الأول من الحيوان^(١) . ولقد نفعني هذا التكرار
في مقارنة النصوص وتصحيحها .

(١) ص ٨٥ .

٢ - البدء في تحقيقه

وعُدت لقراءة الحيوان في الصيف الماضي ، فطلب إلى حضرات
ناشرى هذا الكتاب أن أقوم بإعداده للطبع .

فبسطنى لهذا الأمر ما كنت قد أثبت من تصحيحات ، ووجدت أن
من الضرورى أن أنتفع بالنسخ الخطية والمصورة المودعة دار الكتب
المصرية ، حتى يخرج الكتاب للناس أقرب ما يكون إلى السلامة .

شرعتُ في ممتارنة النصوص بالنسخ . فهالنى الأمر واستعظمت التبعة
التي ألقيت على عاتقى ؛ للتخالف الشديد ما بين النسخة والأخرى في صور
الألفاظ . وفي الزيادة والنقص . والإعجام والإهمال . وحاولت أن أنكص
وأرتد عن الميدان الذي هابه قبلى رجلٌ ورجل .

لولا أن شدت من عزمى تشجيع حضرة الأخ الجليل ، فخر أهل الحديث
في مصر غير مدافع : « الأستاذ الكبير الشيخ أحمد محمد شاكر » ، فقد قرب
- حفظه الله - إلى الأمر ، واستهنضنى ، وبسط لى من عونه الأدبى ، ماهون
على ، ما كنت أعدده في الحال .

وإنى لأسجل له هنا شكراً صادقاً ، واعترافاً بما أسدى وأرشد ، وما
أعان وعضد . فجزاه الله خير ما يجزى به عالمٌ فاضل !

٣ - مراجع التحقيق

ولجأت بعد مقابلة النسخ إلى الانتفاع بالكتب الأخرى ، فكنت أجد
بها تصحيحاتٍ عجيبةً لتحريفاتٍ عجيبة وقعت في الكتاب . ووجدت
في البيان والتبيين تصحيحات كثيرة للشعر والنصوص ، وفي كتب ابن

قتيبة : « عيون الأخبار » و « المعارف » و « تأويل مختلف الحديث » تحقيقات
جمّة للأخبار والأعلام ، وما قيل في الحيوان^(١) . ولعل السرّ في ذلك أن
الجاحظ كان قد أجاز ابن قتيبة برواية بعض كتبه^(٢) ، وأنه كان
معاصراً له^(٣) .

ولست أعظم سائر الكتب ، التي أفردت لها ثبوتاً ، حقّها من الاشتراك
في إقالة عثرة هذا الكتاب الجليل .

٤ - تنظيم الكتاب

كان لابدّ لي وأنا أخرج هذا الكتاب أن أعرضه على الناس في ثوب
عصرهم ، وأن أخرج به من ظلام الماضي إلى نور هذا الزّمن . فاستقصيتُ
جهدي في أن أرتبه ترتيباً حديثاً لا يُخلُّ بوضعه الأوّل ، ولا يعتدى على حقّ
مؤلّفه . فلم أبتدع فيه إلا الضبّط والترقيم ، بعد عرض كلماته على المعجمات .
وثانيةً أتّى فصلت أثناءه بعنوانات تميّز مسائله ، وتظهرها أعلاماً لطريقه
المهيّج الممتدّ ، ولم أشأ أن أجعلها معوجةً اللهجة مسائرةً لما طرأ على لغة هذا
الزّمن من أساليب الأعاجم ، بل قرّبتها تقريباً من لغة الجاحظ نفسه ؛
واقتبستها اقتباساً من تضاعيف كلامه ؛ ليكون بذلك التّساوق والتّناسب .
وقد ميّزت هذه العنوانات الإضافيّة بأقواس خاصة ، وتركت الأصيلة منها
مجردةً من الأقواس . فهذا فصل ما بين هذه وتلك .

(١) في عيون الأخبار : ٢ : ٦٢ - ١٠٤ كلام في الحيوان نجد مثله في أجزاء متفرقة من كتاب
الحيوان ، وسيمر عليك ذلك في حواشي الكتاب .

(٢) انظر عيون الأخبار ٣ : ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ حيث صرح ابن قتيبة بإجازة
الجاحظ له .

(٣) ولد ابن قتيبة سنة ٢١٣ ، وتوفى سنة ٢٨٦ .

ولما كان من أسلوب تصحيح هذا الكتاب ، أن يُعارض بعضه ببعض ، وأن يقارنَ بين نصوصه المتشابهة – وذلك يقتضى الإشارةَ إلى صفحاتٍ من أجزاءٍ قد تتلو الجزء الذى يطبع ، فقد رأيتُ أن أثبت على جوانب طبعتنا هذه ، أرقامَ صفحات الطبعة الأولى . كما أن لذلك مزيةً ثانيةً ، هى تمكين القارئ من الانتفاع بكل الإشارات ، التى يشاربها فى الكتب المختلفة إلى مواضع خاصة من هذا الكتاب .

٥ - أسقاط الكتاب

وقد وضعتُ أسقاطَ الكتاب بين إشارات الزيادة : [] ، ونبّهت فى كل منها على مصدر التكميل ، أما ماورد من هذه الإشارات مهملاً من التنبيه فهو ما كان من أجود نسخة من نسخ الكتاب : وهى مصورة «كوبريلى» الرموز إليها برمز «ل» وقد انفردت هذه النسخة بإثبات سقط كبير وقع فى جميع النسخ (١) .

٦ - النسخ المعتمدة فى هذه المطبوعة

هذه المطبوعة الحديثة من كتاب الحيوان نتاجُ ما بين المطبوعة الأولى وعدة نسخ مختلفة ، بعضها مخطوط ، وبعضها مصور .

١ - فأول تلك النسخ ، هى المصورة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٤٢٨٥ ، وأصلها فى مكتبة كوبريلى ، وهذه النسخة جيّدة مقروءة ، وعلى صدرها تاريخ يرجع إلى سنة تسع وخمسين وثمانمائة . والموجود منها أربع

(١) انظر لذلك الجزء الأول من الحيوان ٩٧ - ١٠٦ .

مجلدات هي الأول والثالث والخامس والسابع . وقد رمزت إليها في التحقيق بالرمز « ل » .

٢ - وثانيها النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٩ سى وهي نسخة كاملة في مجلدين ، مكتوبة بخطوط مختلفة ، وهي في جودتها تتلو سابقتها . وقد رمزت إليها بالرمز « سى » .

٣ - وثالثها النسخة الخطية التي تحمل رقم ٥٦ ، في دار الكتب المصرية ، وتبتدى بأول الكتاب وتنتهى بالصفحة الثمانين من الجزء الثانى من النسخة المطبوعة ، وكتب في صدرها : « مشترى من قومسيون حصر الأملاك بالضبطية في ٢٣ يونية سنة ٨٨٣ » وقد رمزت إليها بالرمز م .

٤ - ورابعها النسخة المخطوطة المحفوظة برقم ١٠ سى بدار الكتب المصرية . خطها محمد جاد القماش الأشمونى سنة ألف وثلثمائة وخمسة . وهي في بدئها وانتهائها مثل سابقتها وقد رمزت إليها برمز « ١٠ سى » .

٥ - وخامسها النسخة التيمورية ، برقم ٤٥ طبيعيات ، كتب على صدرها :

« مشترى من تركة المرحوم عبد الحميد بك دقيق مصر كان سنة ١٢٨٠ وصار في ملك سعادتلو أفندى حسن باشا سرى يكن زاده دامت معاليه واستقامت مساعيه ، طالعه كاتبه الفقير على الليثى خادم الإمام ، وفيه ما فيه فليتأمل قاريه » وفي نهايتها : « برسم كتيبة العبد الحقير موسى بن جرجس ابن أبى نوفل الطرابلسى الكاتب اشراه من الشاكر الشاعر في سنة ١١٥٧ هجرية ، ثم انتقل بالشراء الشرعى إلى ملك حضرة الأستاذ الشيخ على الليثى » . وهذه النسخة مثل سابقها في البدء والانتها . وهذه لم أرمز إليها ، بل صرحت باسمها .

٦ - والسادسة النسخة المطبوعة في المطبعة الحميدية ، ثم مطبعة التقدم من سنة ١٣٢٣ إلى سنة ١٣٢٥ . وقد قام بطبعها الوراق المعروف المرحوم « محمد ساسي » . وهي في سبعة أجزاء . ولم يمكنى الاهتداء إلى معرفة الأصول التي طبعت عنها . ولكن يظهر مما أثبت في أسفل صفحاتها من تعليقات أنها طبعت من عدة نسخ خطية ؛ فقد ورد في أسفل (٢ : ٥) عبارة : « كما في النسخ التي بأبرينا » وقد رمزت إلى هذه النسخة بالرمز « ط » .

٧ - مخطوطة مكتبة امبروزيانا رقم R, F, D ١٤٠ . وهي تحتوي على ٨٧ ورقة وبها تاريخ تملك يرجع إلى سنة ١٠٢٤ وقد قام أوسكار لوفجرين وكارل جون لابوم بجامعة أبسالا سنة ١٩٤٦ بنشر ٢٤ صفحة ، من هذه الصفحات . ووقعت إلى نسخة من ذلك المنشور المصور ، وراجعت عليه مايقابله من نصوص .

٧ - تيسير الانتفاع بالكتاب

لقد عنيت جمهرة المستشرقين عناية خاصة بوضع الفهارس لما يذشرون من كتب العرب ، وابتدعوا ذلك ابتداءً ، فلهم فضل السبق . ولا ريب أن الفهارس للكتب العربية ، ولا سيما القديم منها ، هي بمكان الحيا للأرض الطيبة ، به تؤتى نفعها وثمرتها ، وبخاصة في هذا العصر ، الذي أصبح الوقت فيه نهياً مقسماً بين مطالب المدنية وتعقيدات الحضارة ، فلا يبقى لراغب العلم فيه والثقافة ، إلا اليسير من زمنه ، ليفرغ فيه لما نصب نفسه له . فأصبح بذلك في حاجة ملحّة إلى ما يمكنه من تحصيل الكثير في اليسير من الزمن ، وإلى مايدلله الاضطلاع بالبحث الطويل الدقيق في الوجيز من الوقت .

لذلك ولما تضمنه هذا الكتاب من غزارة خير ، ووفارة فضل ، أنشأت طائفة من الفهارس لجملة الكتاب هي كما ترى :

- ١ - فهرس تفصيلي لأجناس الحيوان .
 - ٢ - فهرس لأعلام الحيوان .
 - ٣ - فهرس لأعلام الناس .
 - ٤ - فهرس للقبائل والطوائف ونحوها .
 - ٥ - فهرس للبلدان والأماكن ونحوها .
 - ٦ - فهرس للأمثال .
 - ٧ - فهرس للشعر .
 - ٨ - فهرس للأرجاز .
 - ٩ - فهرس للغة .
 - ١٠ - فهرس للكتب .
 - ١١ - فهرس لأيام العرب .
 - ١٢ - فهرس للمعارف العامة .
- وقد أفردت لها مجلداً كبيراً ، يلحق بالكتاب في نهايته إن شاء الله .
وآثرت ذلك ابتعاداً عن التكرار والإعادة .
- والفهرس الأخير منها ، وهو فهرس المعارف ، قد قسمته على أجزاء الكتاب ، فجعلت لكل جزء نصيباً منه ، كي يتمكن القارئ من متابعة الانتفاع بالكتاب إلى أن يتم نشره ، ثم أضمت أطرافه فأجعل منها ، فهرساً واحداً .
- وسيجد القارئ في نهاية كل جزء ، فهرس خاصة به ، جعلتها على نمط طريف ، مقتبساً ثانياً وثالثاً ورابعاً ، من عنوانات الكتاب : أصيلها والإضافي منها .

وبعد ، فأقولها صريحةً بيّنة : أن ليس يوجد في عصرنا هذا من يستطيع أن يخرجَ هذا الكتاب الذي أخرجته ، مبراً من العيب ، سليماً من التحريف ؛ فهذا عصر قد انقطعت دونه الرواية ، وأوصد أمامه بعض أبواب العلم ، واختفى عن الناس فيه كثيرٌ من أعلام الثقافة العربية في عصرها الأوّل .

أقول : ليس يُوجد الفرد ، وأقول : ليست توجد الجماعة . ولست هنا بسبيل التمثيل بفرد أو جماعة ، فذلك يعرفه من نظر فيما يُحيي الناشرون من أثر الأسلاف .

وأما أنا فلستُ بمكان من يدّعي العصمة ، أو يخال السلامة ، فليس يكون ذلك إلا لمن ذهب عن نفسه ، وتعلق بالباطل .

ولسكنني يعجبني أنّي بذلتُ فيه غاية الجهد ، وأنى التزمتُ جانبَ الأمانة ، فلم أسقط حرفاً ولم أزد حرفاً ، إلا استأذنت القارىء ، ولا أبدلت حرفاً بآخر إلا نبّهت القارىء إلى ما صنعت .

وجعلت من دأبي في الشرح والتحقيق أن أشير إلى المصادر دالاً على مواضع النصوص منها ، بذكر أرقامها ؛ ليطمئن القارىء ، وليكون شريكاً في النظر والتأمل .

وعسى أن أكون قد أصبت في عملي هذا بعض التوفيق ، وظهرتُ على كثير من الحق .

ومن الله أستمدّ العون في هذا العمل ، الذي أستهمُّ به في بعث
الآثار الفكرية ، الخالدة على الدهر ، وفي خدمة هذه اللغة
الكريمة القوية .

وأدعو اللهَ جاهداً ، أن أكون أبدأً في طريق الإخلاص ، وعلى نهج
الحقِّ والإنصاف .

عبد السلام محمد خير

منشئة البكري

في يوم الاثنين ١٠ من رجب سنة ١٣٥٧

تقديم الطبعة الثانية

لم أكن أتوقع عند ظهور الطبعة الأولى أن عملي هذا سيلقى تقديراً ، فقد كنت أهونَ على نفسي في مقام العلم وجلاله ، أن يسوقني هذا العمل إلى أن أغترَّ أو أُخدَع عن قدرى كما يغترُّ بعض الناس أو يُخدَع . ومن نعمة الله عليّ - وله الفضل - أنني وقد علتُ بي السنُّ لأزال ، كما كنت في صدر الشباب ، أسخر ممن يضعون أنفسهم فوق أقدارهم ، ولا أزال أشعر في صدقٍ بما يشعر به طالب العلم من حاجةٍ إلى الاستزادة ، ومن الرجوع إلى الحق حينما يلمع نوره ، ومن الاعتراف بالفضل لمن أفاد علماً أو علمَ حرفاً .

وفد دأبت منذ ظهور الجزء الأول من الطبعة الأولى - وذلك نحو من سبعة وعشرين عاماً - أن أراجع بين الفينة والأخرى نصوص الكتاب وما يظهر من أجزائه ، وأعنى بتنقيحه وإصلاح ما يبدو فيه من هنات .

وأتاح لي فرصة إخراجي وتحقيقي لكثير من كتب التراث العربيّ أن تظهر في أثناء ذلك تصحيحات وتعليقات كنت أدونها على جوانب نسختي ، انتظارا لليوم الذي أتمكن فيه من إعادة طبع هذه المعلمة الضخمة .

وكنت قد اعتمدت في إخراج النشرة الأولى على ست مخطوطات بيّنت خمساً منها في تقديم النشرة الأولى^(١) ، أما السادسة فهي النسخة المحفوظة بدار الكتب

(١) ص ٣٤ - ٣٦ .

الأزهرية تحت رقم (٤٨٤ أباطة) . وقد كنت عارضت بها ابتداء من الجزء الرابع ورمزت لها بالرمز (هـ) كما أشرت إلى ذلك في ملحقات الجزء الرابع من النشرة الأولى بالصفحة ٥٢٢ . وهي نسخة حديثة في ثلاث مجلدات بقلم النسخ بخط محمد بن عبدالله الزمراني سنة ١٣١١ . وقد انتفعت بما فيها من تصحيحات توافق كثيراً مما أجده في نسخة الشنقيطي مع خلاف يسير جدا . وذلك ابتداء من الجزء الرابع إلى نهاية الكتاب . وكنت أتمنى أن أتمكن من إتمام معارضة هذه النسخة ابتداء من الجزء الأول إلى الثالث ، ولكن لم أجد ذلك في الإمكان لصعوبة تصوير المخطوطات في هذه الفترة من إخراج الطبعة الثانية ، ولأني لأؤمن بأن يكفل المحقق إلى غيره معارضة المخطوطات ، وكنت فيما قبلُ أنتقل بنفسى إلى مواضع المخطوطات لمعارضتها .

ومنذ ثماني سنوات عثرت على نسخة سابعة ، هي ٢٤ صفحة مصورة عن مخطوطة من الحيوان محفوظة في مكتبة الأمبروزيانا ، بميلانو في إيطاليا برقم R.F:D ١٤٠ وقام بنشر هذه الصفحات مصورة كل من الأستاذين أوسكار لوفجرين وكارل جون لا بوم في نشریات جامعة أوسالا سنة ١٩٤٦ فعارضت بتلك الصفحات المصورة ما يقابلها من الجزأين الأول والثاني من هذا الحيوان وكانت معارضة غير كاملة لأني كنت أتوقع أن أتمكن من العثور على صورة المخطوطة كاملة فيما بعد . وقد ظهرت آثار تلك المعارضة في بعض صفحات هذه النشرة من الجزء الأول (١) .

ولم أعلم بأن معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية قد اجتلب صورة تلك المخطوطة كاملة إلا بعد الفراغ من طبع هذا الجزء ، فرجعت إلى تلك

(١) انظر ص ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٨٧

المصورة التي وجدت أنها تشمل ٨٨ لوحا وهي محتلة الترتيب اختلا لا بينا، وحاولت أن أعيدها سيرتها الأولى ، وبعد لأى شديد واستعانة عريضة بالفهارس الفنية التي وضعتها لكتاب الحيوان استطعت ترتيبها والاستفادة منها استفادة كاملة في المعارضة . وقد أذن لي معهد المخطوطات في إجراء ذلك الترتيب العلمى فأصلحت وضع النسخة بعد أن بينت على كل جزء من أجزاء الألواح ما كان عليه قبل الترتيب وما صار إليه بعد الترتيب .

والمصورة كما ذكرت في ٨٨ لوحا تمثل ٨٧ ورقة من أصلها المخطوط اختلطت فيها أوراق من الجزء الأول بأوراق من الجزء الثانى، وتاريخ تملكها ستة ١٢٠٤ وتجليدها سنة ١٠٢٥ وقد كتبت بخط قديم يرجع إلى القرن السابع الهجرى ، وهي دقيقة الضبط وإن كان بها بعض التحريف والنقص، وبالصفحة ١٧ سطرًا ماعدا الصفحات التي تظهر فيها بعض صور الإنسان والحيوان والنبات الذى يرد له ذكر فى الكتاب ، ومنها صور بعض علاقات الجنس . وتبدو فى تلك الصور جميعا سمة الفن الفارسى .

وقد أجريت معارضة لهذه النسخة فيما يخص هذا الجزء الأول وأثبتها مع دراسة وتحقيق فى أواخر هذا الجزء الأول .

أما معارضة ما عثرت عليه من نصوص الجزء الثانى فقد احتل مكانه الطبعى بين نصوص وحواشى ذلك الجزء وقد رمزت لها بالرمز « مب » .

وإليك بيانين :

أحدهما للوضع الذى كانت عليه النسخة المصورة قبل ترتيبها، وهو الترتيب القائم الآن بمخطوطة الأمبروزيانا فى مكتبتها .

والآخر للوضع الصحيح الذى مكنتى البحث من أن أظهره فأردّه به النسخة إلى نصابها .

١ - الترتيب الذي عليه مخطوطة الأميروزيانا

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات	رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
			١ - قطعة من الجزء الأول
١ ب	٢٢٢ : ٢ : ٢٢٣	١٢ ب	٢٠٣ : ٩ : ٢٠٣
٢ ا	٢٢٣ : ١ : ٢٢٤	١٣ ا	٢٠٤ : ١ : ٢٠٤
٢ ب	٢٢٤ : ٦ : ٢٢٥	١٣ ب	٢٠٥ : ٤ : ٢٠٥
٣ ا	٢٢٥ : ١٢ : ٢٢٧	١٤ ا	٢٠٦ : ١٣ : ٢٠٦
٣ ب	٢٢٧ : ٣ : ٢٢٨	١٤ ب	٢٠٨ : ٣ : ٢٠٨
٤ ا	٢٢٨ : ٦ : ٢٢٩	١٥ ا	٢٠٩ : ٧ : ٢٠٩
٤ ب	٢٢٩ : ١١ : ٢٣٠	١٥ ب	٢٠٩ : ٧ : ٢٠٩
٥ ا	٢٣٠ : ٧ : ٢٣١	١٦ ا	١٨٩ : ١٦ : ١٩١
٥ ب	٢٣١ : ١١ : ٢٣٢	١٦ ب	١٩١ : ٧ : ١٩١
٦ ا	٢٣٢ : ١٠ : ٢٣٣	١٧ ا	١٦٨ : ٤ : ١٦٨
٦ ب	٢٣٣ : ١٧ : ٢٣٥	١٧ ب	١٦٨ : ٤ : ١٦٨
٧ ا	٢٣٥ : ٣ : ٢٣٦	١٧ ب	١٦٩ : ٥ : ١٦٩
٧ ب	٢٣٦ : ٣ : ٢٣٥	١٨ ا	١٧٠ : ١١ : ١٧٠
٨ ب	١٩٢ : ١٢ : ١٩٣	١٨ ب	١٧٠ : ١١ : ١٧٠
٨ ب	١٩٤ : ١٢ : ١٩٥	١٩ ا	١٧٢ : ٤ : ١٧٢
٩ ا	١٩٥ : ٤ : ١٩٦	١٩ ب	١٧٢ : ٤ : ١٧٢
٩ ب	١٩٦ : ٩ : ١٩٧	٢٠ ا	١٧٤ : ٢ : ١٧٤
١٠ ا	١٩٧ : ٣ : ١٩٨	٢٠ ب	١٧٤ : ٢ : ١٧٤
١٠ ب	١٩٨ : ٧ : ١٩٩	٢١ ا	١٧٥ : ٨ : ١٧٥
١١ ا	١٩٩ : ٤ : ٢٠٠	٢١ ب	١٧٥ : ٨ : ١٧٥
١١ ب	٢٠٠ : ٧ : ٢٠١	٢٢ ا	١٧٧ : ٧ : ١٧٧
		٢٢ ب	١٧٧ : ٧ : ١٧٧

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات	رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
٢٣ ا	١٨٢ : ٧ - ١٨٣ : ٢	٣٥ ب	١٦٤ : ١٧ - ١٦٥ : ١٨
٢٣ ب	١٨٣ : ٣ - ١٨٤ : ٢	٣٦ ا	١٦٥ : ١٨ - ١٦٧ : ٣
٢٤ ا	١٨٤ : ٢ - ١٨٤ : ١٦	٣٦ ب	١٢١ : ٧ - ١٢٢ : ٤
٢٤ ب	١٨٤ : ١٦ - ١٨٦ : ٦	٣٧ ا	١٢٢ : ٤ - ١٢٣ : ١٠
٢٥ ا	١٨٦ : ٧ - ١٨٧ : ٩	٣٧ ب	١٢٦ : ٨ - ١٢٧ : ٨
٢٥ ب	١٨٧ : ١٠ - ١٨٨ : ٨	٣٨ ا	١٢٧ : ٨ - ١٢٨ : ١٠
٢٦ ا	١٨٨ : ٨ - ١٨٩ : ١٥	٣٨ ب	١٢٣ : ١٠ - ١٢٥ : ٢
٢٦ ب	١٤٢ : ١٤ - ١٤٣ : ٤	٣٩ ا	١٢٥ : ٢ - ١٢٦ : ٨
٢٧ ا	١٤٣ : ٤ - ١٤٤ : ٤	٣٩ ب	١٢٨ : ١٠ - ١٢٩ : ١٣
٢٧ ب	١٤٤ : ٤ - ١٤٥ : ١١	٤٠ ا	١٢٩ : ١٣ - ١٣١ : ٤
٢٨ ا	١٤٥ : ١٢ - ١٤٧ : ٢	٤٠ ب	١٣١ : ٤ - ١٣٢ : ٣
٢٨ ب	١٤٧ : ٢ - ١٤٧ : ٧	٤١ ا	١٣٢ : ٣ - ١٣٣ : ٢
٢٩ ا	١٤٨ : ٨ - ١٤٩ : ٤	٤١ ب	١٣٥ : ٢ - ١٣٥ : ١٣
٢٩ ب	١٤٩ : ٤ - ١٤٩ : ١٢	٤٢ ا	١٣٥ : ١٤ - ١٣٦ : ١٤
٣٠ ا	١٤٩ : ١٢ - ١٥١ : ٢	٤٢ ب	١٣٩ : ١ - ١٣٩ : ٩
٣٠ ب	١٥١ : ٢ - ١٥٢ : ٧	٤٣ ا	١٣٩ : ١٠ - ١٤١ : ٤
٣١ ا	١٥٢ : ٩ - ١٥٤ : ١	٤٣ ب	١٣٦ : ١٥ - ١٣٧ : ١٩
٣١ ب	١٥٤ : ١ - ١٥٥ : ٦	٤٤ ا	١٣٧ : ١٩ - ١٣٨ : ١٧
٣٢ ا	١٥٥ : ٧ - ١٥٧ : ٢	٤٤ ب	١٤١ : ٣ - ١٤٢ : ٧
٣٢ ب	١٥٧ : ٢ - ١٥٨ : ٨	٤٥ ا	١٤٢ : ٧ - ١٤٢ : ١٣
٣٣ ا	١٥٨ : ٨ - ١٥٩ : ١٦	٤٥ ب	٧٦ : ١٤ - ٧٧ : ١٩
٣٣ ب	١٥٩ : ١٦ - ١٦١ : ٤	٤٦ ا	٧٧ : ١٩ - ٧٧ : ٣
٣٤ ا	١٦١ : ٤ - ١٦٢ : ٩	٤٦ ب	٨٢ : ١٠ - ٨٤ : ٦
٣٤ ب	١٦٢ : ٩ - ١٦٣ : ١٦	٤٧ ا	٨٤ : ٨ - ٨٥ : ١١
٣٥ ا	١٦٣ : ١٦ - ١٦٤ : ١٦	٤٧ ب	٨٥ : ١٢ - ٨٧ : ٣

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات	رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات	رقم اللوح
١٤٨	٧ : ٨٨ - ٣ : ٨٧	١٦٠	٧ : ١٤٢ - ١١ : ١٤٠	
٤٨ ب	١٠ : ٩٣ - ٦ : ٩٢	٦٠ ب	٥ : ١٤٤ - ٧ : ١٤٢	
١٤٩	١١ : ٩٤ - ١٠ : ٩٣	١٦١	١٠ : ١٤٥ - ٥ : ١٤٤	
٤٩ ب	١٢ : ٩٥ - ١٢ : ٩٤	٦١ ب	٤ : ٣٧ - ٢ : ٣٥	
١٥٠	٧ : ٩٧ - ١٣ : ٩٥	١٦٢	١٠ : ٣٩ - ٤ : ٣٧	
٥٠ ب	٢ : ١٠٠ - ٣ : ٩٩	٦٢ ب	٣ : ٤٢ - ١١ : ٣٩	
١٥١	٤ : ١٠١ - ٢ : ١٠٠	١٦٣	٤ : ٤٦ - ٢ : ٤٣	
٢ - قطعة من الجزء الثاني				
٥١ ب	١١ : ١١٢ - ٩ : ١١١	٦٣ ب	١٢ : ٥٠ - ١٣ : ٤٩	
١٥٢	١١ : ١١٤ - ٢ : ١١٣	١٦٤	٢ : ٥١ - ١٢ : ٥٠	
٥٢ ب	١٦ : ١١٥ - ١١ : ١١٤	٦٤ ب	٧ : ٥٣ - ١٦ : ٥٢	
١٥٣	٨ : ١١٧ - ١٦ : ١١٥	١٦٥	١٠ : ٥٥ - ٧ : ٥٣	
٥٣ ب	٣ : ١١٩ - ٨ : ١١٧	٦٥ ب	١ : ٦٢ - ١ : ٥٩	
١٥٤	١٣ : ١٢٠ - ٣ : ١١٩	١٦٦	٤ : ٦٦ - ٢ : ٦٢	
٥٤ ب	١٠ : ١٢٢ - ١٣ : ١٢٠	٦٦ ب	٤ : ٦٩ - ٥ : ٦٦	
١٥٥	١٢ : ١٢٤ - ١٠ : ١٢٢	١٦٧	١٠ : ٧١ - ٤ : ٦٩	
٥٥ ب	١٠ : ١٢٦ - ١٢ : ١٢٤	٣ - قطعة من الجزء الأول		
١٥٦	١ : ١٢٩ - ١٢ : ١٢٦	٦٧ ب	٤ : ٥١ - ١٤ : ٤٩	
٥٦ ب	٨ : ١٣٠ - ١ : ١٢٩	١٦٨	٦ : ٥٢ - ٤ : ٥١	
١٥٧	٤ : ١٣٢ - ٨ : ١٣٠	٦٨ ب	١٠ : ٥٣ - ٦ : ٥٢	
٥٧ ب	٨ : ١٣٤ - ٤ : ١٣٢	١٦٩	٥ : ٥٥ - ١١ : ٥٣	
١٥٨	١ : ١٣٦ - ٨ : ١٣٤	٦٩ ب	١٠ : ٥٦ - ٥ : ٥٥	
٥٨ ب	٦ : ١٣٧ - ١ : ١٣٦	١٧٠	١٣ : ٥٧ - ١١ : ٥٦	
١٥٩	١٢ : ١٣٨ - ٧ : ١٣٧	٧٠ ب	٥ : ٥٩ - ١٣ : ٥٧	
٥٩ ب	١١ : ١٤٠ - ١٢ : ١٣٨	١٧١	١٤ : ٦٠ - ٦ : ٥٩	
		٧١ ب	٢ : ٦٢ - ١٥ : ٦٠	

ما يقابله من الصفحات	رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات	رقم اللوح
٧ : ٣٦ — ١ : ٣٥	٨٠ ب	٥ : ٦٣ — ٢ : ٦٢	١٧٢
١٥ : ٣٢ — ٧ : ٣١	٨١ ا	١٠ : ٦٤ — ٥ : ٦٣	٧٢ ب
٦ : ٣٤ — ١ : ٣٣	٨١ ب	٩ : ٦٥ — ١٠ : ٦٤	١٧٣
٨ : ٣٧ — ٧ : ٣٦	٨٢ ا	١٣ : ٦٦ — ١٠ : ٦٥	٧٣ ب
١٣ : ٣٨ — ١٠ : ٣٧	٨٢ ب	٢ : ٦٨ — ١ : ٦٧	١٧٤
١ : ٤٠ — ١٣ : ٣٨	٨٣ ا	٣ : ٧٠ — ٣ : ٦٨	٧٤ ب
٥ : ٤١ — ١ : ٤٠	٨٣ ب	٥ : ٧١ — ٣ : ٧٠	١٧٥
٨ : ٤٢ — ١٥ : ٤٠	٨٤ ا	١٣ : ٧٢ — ٥ : ٧١	٧٥ ب
١٢ : ٤٣ — ٨ : ٤٢	٨٤ ب	٧ : ٧٤ — ١٣ : ٧٢	١٧٦
١٤ : ٤٤ — ١٢ : ٤٣	٨٥ ا	١٤ : ٧٥ — ٨ : ٧٤	٧٦ ب
١٨ : ٤٥ — ١٤ : ٤٤	٨٥ ب	١٤ : ٧٦ — ١٤ : ٧٥	١٧٧
٥ : ٤٧ — ١٩ : ٤٥	٨٦ ا	٣ : ٢٥ — ١٤ : ٢٣	٧٧ ب
١٠ : ٤٨ — ٥ : ٤٧	٨٦ ب	١٣ : ٢٦ — ٣ : ٢٥	١٧٨
١٣ : ٤٩ — ١٠ : ٤٨	٨٧ ا	٨ : ٢٨ — ١٣ : ٢٦	٧٨ ب
٨ : ٢٢ — ١٤ : ٢٠	٨٧ ب	١ : ٣٠ — ٨ : ٢٨	١٧٩
١٣ : ٢٣ — ٩ : ٢٢	٨٨ ا	٧ : ٣١ — ١ : ٣٠	٧٩ ب
		١٤ : ٣٤ — ٦ : ٣٤	١٨٠

٢ - الترتيب الصحيح لنسخة الأميروزيانا

رقم اللوح	صفحات المطبوعة	رقم اللوح	صفحات المطبوعة
ب ٨٥	١٨ : ٤٥ - ١٤ : ٤٤		الجزء الأول
ا ٨٦	٥ : ٤٧ - ١٩ : ٤٥	ب ٨٧	٨ : ٢٢ - ١٤ : ٢٠
ب ٨٦	١٠ : ٤٨ - ٥ : ٤٧	ا ٨٨	١٣ : ٢٣ - ٩ : ٢٢
ا ٨٧	١٣ : ٤٩ - ١٠ : ٤٨	ب ٧٧	٣ : ٢٥ - ١٤ : ٢٣
ب ٦٧	٤ : ٥١ - ١٤ : ٤٩	ا ٧٨	١٣ : ٢٦ - ٣ : ٢٥
ا ٦٨	٦ : ٥٢ - ٤ : ٥١	ب ٧٨	٨ : ٢٨ - ١٣ : ٢٦
ب ٦٨	١٠ : ٥٣ - ٦ : ٥٢	ا ٧٩	١ : ٣٠ - ٨ : ٢٨
ا ٦٩	٥ : ٥٥ - ١١ : ٥٣	ب ٧٩	٧ : ٣١ - ١ : ٣٠
ب ٦٩	١٠ : ٥٦ - ٥ : ٥٥	ا ٨١	١٥ : ٣٢ - ٧ : ٣١
ا ٧٠	١٣ : ٥٧ - ١١ : ٥٦	ب ٨١	٦ : ٣٤ - ١ : ٣٣
ب ٧٠	٥ : ٥٩ - ١٣ : ٥٧	ا ٨٠	١٤ : ٣٤ - ٦ : ٣٤
ا ٧١	١٤ : ٦٠ - ٦ : ٥٩	ب ٨٠	٧ : ٣٦ - ١ : ٣٥
ب ٧١	٢ : ٦٢ - ١٥ : ٦٠	ا ٨٢	٨ : ٣٧ - ٧ : ٣٦
ا ٧٢	٥ : ٦٣ - ٢ : ٦٢	ب ٨٢	١٣ : ٣٨ - ١٠ : ٣٧
ب ٧٢	١٠ : ٦٤ - ٥ : ٦٣	ا ٨٣	١ : ٤٠ - ١٣ : ٣٨
ا ٧٣	٩ : ٦٥ - ١٠ : ٦٤	ب ٨٣	٥ (١) : ٤١ - ١ : ٤٠
ب ٧٣	١٣ : ٦٦ - ١٠ : ٦٥	ا ٨٤	٨ : ٤٢ - ١٥ : ٤٠
ا ٧٤	٢ : ٦٨ - ١ : ٦٧	ب ٨٤	١٢ : ٤٣ - ٨ : ٤٢
ب ٧٤	٣ : ٧٠ - ٣ : ٦٨	ا ٨٥	١٤ : ٤٤ - ١٢ : ٤٣

(١) هذا نتيجة لاضطراب نصوص النسختين .

رقم اللوح	صفحات المطبوعة	رقم اللوح	صفحات المطبوعة
ب ٤٠	٣ : ١٣٢ - ٤ : ١٣١	١٧٥	٥ : ٧١ - ٣ : ٧٠
١٤١	٢ : ١٣٣ - ٣ : ١٣٢	ب ٧٥	١٣ : ٧٢ - ٥ : ٧١
ب ٤١	١٣ : ١٣٥ - ٢ : ١٣٥	١٧٦	٧ : ٧٤ - ١٣ : ٧٢
١٤٢	١٤ : ١٣٦ - ١٤ : ١٣٥	ب ٧٦	١٤ : ٧٥ - ٨ : ٧٤
ب ٤٣	١٩ : ١٣٧ - ١٥ : ١٣٦	١٧٧	١٤ : ٧٦ - ١٤ : ٧٥
١٤٤	١٧ : ١٣٨ - ١٩ : ١٣٧	ب ٤٥	١٩ : ٧٧ - ١٤ : ٧٦
ب ٤٢	٩ : ١٣٩ - ١ : ١٣٩	١٤٦	٣ : ٧٩ - ١٩ : ٧٧
١٤٣	٤ : ١٤١ - ١٠ : ١٣٩	ب ٤٦	٦ : ٨٤ - ١٠ : ٨٢
ب ٤٤	٧ : ١٤٢ - ٤ : ١٤١	١٤٧	١١ : ٨٥ - ٨ : ٨٤
١٤٥	١٣ : ١٤٢ - ٧ : ١٤٢	ب ٤٧	٣ : ٨٧ - ١٢ : ٨٥
ب ٢٦	٤ : ١٤٣ - ١٤ : ١٤٢	١٤٨	٧ : ٨٨ - ٣ : ٨٧
١٢٧	٤ : ١٤٤ - ٤ : ١٤٣	ب ٤٨	١٠ : ٩٣ - ٦ : ٩٢
ب ٢٧	١١ : ١٤٥ - ٤ : ١٤٤	١٤٩	١١ : ٩٤ - ١٠ : ٩٣
١٢٨	٢ : ١٤٧ - ١٢ : ١٤٥	ب ٤٩	١٢ : ٩٥ - ١٢ : ٩٤
ب ٢٨	٧ : ١٤٨ - ٢ : ١٤٧	١٥٠	٧ : ٩٧ - ١٣ : ٩٥
١٢٩	٤ : ١٤٩ - ٧ : ١٤٨	ب ٥٠	٢ : ١٠٠ - ٣ : ٩٩
ب ٢٩	١٢ : ١٤٩ - ٤ : ١٤٩	١٥١	٤ : ١٠١ - ٢ : ١٠٠
١٣٠	٢ : ١٥١ - ١٢ : ١٤٩	ب ٣٦	٤ : ١٢٢ - ٧ : ١٢١
ب ٣٠	٧ : ١٥٢ - ٢ : ١٥١	١٣٧	١٠ : ١٢٣ - ٤ : ١٢٢
١٣١	١ : ١٥٤ - ٩ : ١٥٢	ب ٣٨	٢ : ١٢٥ - ١٠ : ١٢٣
ب ٣١	٦ : ١٥٥ - ١ : ١٥٤	١٣٩	٨ : ١٢٦ - ٢ : ١٢٥
١٣٢	٢ : ١٥٧ - ٧ : ١٥٥	ب ٣٧	٨ : ١٢٧ - ٨ : ١٢٦
ب ٣٢	٧ : ١٥٨ - ٢ : ١٥٧	١٣٨	١٠ : ١٢٨ - ٨ : ١٢٧
١٣٣	١٦ : ١٥٩ - ٧ : ١٥٨	ب ٣٩	١٣ : ١٢٩ - ١٠ : ١٢٨
ب ٣٣	٤ : ١٦١ - ١٦ : ١٥٩	١٤٠	٤ : ١٣١ - ١٣ : ١٢٩

رقم اللوح	صفحات المطبوعة	رقم اللوح	صفحات المطبوعة
ب ١٥	٧ : ١٩١ - ١٦ : ١٨٩	١ ٣٤	٩ : ١٦٢ - ٤ : ١٦١
١ ١٦	١٢ : ١٩٢ - ٧ : ١٩١	ب ٣٤	١٦ : ١٦٣ - ٩ : ١٦٢
ب ٧	١٠ : ١٩٣ - ١٢ : ١٩٢	١ ٣٥	١٧ : ١٦٤ - ١٦ : ١٦٣
١ ٨	١٢ : ١٩٤ - ١٠ : ١٩٣	ب ٣٥	١٨ : ١٦٥ - ١٧ : ١٦٤
ب ٨	٤ : ١٩٥ - ١٢ : ١٩٤	١ ٣٦	٣ : ١٦٧ - ١٨ : ١٦٥
١ ٩	٩ : ١٩٦ - ٤ : ١٩٥	ب ١٦	٤ : ١٦٨ - ٣ : ١٦٧
ب ٩	٣ : ١٩٧ - ٩ : ١٩٦	١ ١٧	٢ : ١٦٩ - ٤ : ١٦٨
١ ١٠	٦ : ١٩٨ - ٣ : ١٩٧	ب ١٧	١١ : ١٧٠ - ٥ : ١٦٩
ب ١٠	٣ : ١٩٩ - ٧ : ١٩٨	١ ١٨	٢ : ١٧٢ - ١١ : ١٧٠
١ ١١	٧ : ٢٠٠ - ٤ : ١٩٩	ب ١٨	١٥ : ١٧٢ - ٤ : ١٧٢
ب ١١	٩ : ٢٠١ - ٧ : ٢٠٠	١ ١٩	٢ : ١٧٤ - ١٥ : ١٧٢
١ ١٢	١ : ٢٠٣ - ٩ : ٢٠١	ب ١٩	٧ : ١٧٥ - ٢ : ١٧٤
ب ١٢	٤ : ٢٠٤ - ١ : ٢٠٣	١ ٢٠	١ : ١٧٦ - ٨ : ١٧٥
١ ١٣	٨ : ٢٠٥ - ٤ : ٢٠٤	ب ٢٠	٧ : ١٧٧ - ٢ : ١٧٦
ب ١٣	١٣ : ٢٠٦ - ٨ : ٢٠٥	١ ٢١	١٢ : ١٧٧ - ٧ : ١٧٧
١ ١٤	٣ : ٢٠٨ - ١٣ : ٢٠٦	ب ٢١	٦ : ١٧٩ - ١٣ : ١٧٧
ب ١٤	٧ : ٢٠٩ - ٣ : ٢٠٨	١ ٢٢	١٣ : ١٨٠ - ٦ : ١٧٩
١ ١٥	١٠ : ٢١٠ - ٧ : ٢٠٩	ب ٢٢	٦ : ١٨٢ - ١٣ : ١٨٠
ب ١	١ : ٢٢٣ - ٢ : ٢٢٢	١ ٢٣	٢ : ١٨٣ - ٧ : ١٨٢
١ ٢	٥ : ٢٢٤ - ١ : ٢٢٣	ب ٢٣	٢ : ١٨٤ - ٣ : ١٨٣
ب ٢	١٢ : ٢٢٥ - ٦ : ٢٢٤	١ ٢٤	١٦ : ١٨٤ - ٢ : ١٨٤
١ ٣	٢ : ٢٢٧ - ١٢ : ٢٢٥	ب ٢٤	٦ : ١٨٦ - ١٦ : ١٨٤
ب ٣	٦ : ٢٢٨ - ٣ : ٢٢٧	١ ٢٥	٩ : ١٨٧ - ٧ : ١٨٦
١ ٤	١١ : ٢٢٩ - ٦ : ٢٢٨	ب ٢٥	٨ : ١٨٨ - ١٠ : ١٨٧
ب ٤	٦ : ٢٣٠ - ١١ : ٢٢٩	١ ٢٦	١٥ : ١٨٩ - ٨ : ١٨٨

رقم الورق	صفحات المطبوعة	رقم اللوح	صفحات المطبوعة
١٥٢	١١ : ١١٤ - ٢ : ١١٣	١٥	١١ : ٢٣١ - ٧ : ٢٣٠
ب ٥٢	١٦ : ١١٥ - ١١ : ١١٤	ب ٥	١٠ : ٢٣٢ - ١١ : ٢٣١
١٥٣	٨ : ١١٧ - ١٦ : ١١٥	١٦	١٧ : ٢٣٣ - ١٠ : ٢٣٢
ب ٥٣	٣ : ١١٩ - ٨ : ١١٧	ب ٦	٣ : ٢٣٥ - ١٧ : ٢٣٣
١٥٤	١٣ : ١٢٠ - ٣ : ١١٩	١٧	٣ : ٢٣٦ - ٣ : ٢٣٥
ب ٥٤	١٠ : ١٢٢ - ١٣ : ١٢٠		الجزء الثاني
١٥٥	١٢ : ١٢٤ - ١٠ : ١٢٢	ب ٦١	٤ : ٤٧ - ٢ : ٣٥
ب ٥٥	١٠ : ١٢٦ - ١٢ : ١٢٤	١٦٢	١٠ : ٣٩ - ٤ : ٣٧
١٥٦	١ : ١٢٩ - ١٢ : ١٢٦	ب ٦٢	٣ : ٤٢ - ١١ : ٣٩
ب ٥٦	٨ : ١٣٠ - ١ : ١٢٩	١٦٣	٤ : ٤٦ - ٢ : ٤٣
١٥٧	٤ : ١٣٢ - ٨ : ١٣٠	ب ٦٣	١٢ : ٥٠ - ١٣ : ٤٩
ب ٥٧	٨ : ١٣٤ - ٤ : ١٣٢	١٦٤	٢ : ٥١ - ١٢ : ٥٠
١٥٨	١ : ١٣٦ - ٨ : ١٨٤	ب ٦٤	٧ : ٥٣ - ١٦ : ٥٢
ب ٥٨	٦ - ١٣٧ - ١ : ١٣٦	١٦٥	١٠ : ٥٥ - ٧ : ٥٣
١٥٩	١٢ : ١٣٨ - ٧ : ١٣٧	ب ٦٥	١ : ٦٢ - ١ : ٥٩
ب ٥٩	١١ : ١٤٠ - ١٢ : ١٣٨	١٦٦	٤ : ٦٦ - ٢ : ٦٢
١٦٠	٧ : ١٤٢ - ١١ : ١٤٠	ب ٦٦	٤ : ٦٩ - ٥ : ٦٦
ب ٦٠	٥ : ١٤٤ - ٧ : ١٤٢	١٦٧	١٠ : ٧١ - ٤ : ٦٩
١٦١	١٠ : ١٤٥ - ٥ : ١٤٤	ب ٥١	١١ : ١١٢ - ٩ : ١١١

وقد عنيت في هذه النشرة بإضافة تحقيقات وتعليقات وتخریجات لم تكن من قبل، كما أبدلت أرقام الإشارة إلى صفحات الحيوان بأرقام نشرتي الأولى التي حرصت في هذه النشرة الثانية أن أحتفظ بنظامها وعددها كي لا تختل الفهارس ، بعد أن كنت أشير في الحواشي إلى أرقام صفحات مطبوعة الساسي .

وكذلك أبدلت أرقام البيان والتبيين بأرقام شرقي الثانية له ، وصنعت مثل ذلك في بعض الكتب التي تعددت طبعاتها لأعيدها إلى أرقام موحدة . وحذفت الفهارس التي كنت ألحقها بكل جزء لأنني استنفدتها فيما بعد في صنع الفهارس الفنية العامة ولم أستبق إلا فهرس الأبواب لكل جزء .

وأما بعد فإني أحمد الله أن أمكنني من تحقيق أمنية طال عليها العهد ، وأحمده كذلك لما أعان ووفق ، فإنه بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير .

عبد السلام محمد هارون

مصر الجديدة في { ٢٠ من ربيع الثاني سنة ١٣٨٥
١٧ من أغسطس سنة ١٩٦٥

كتاب الشيخون

تأليف

أبي عثمان عمرو بن محمد الجاحظ

الجزء الأول

بتحقيق وإشراف

عبد السلام محمد هارون

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثالثة

١٩٦٩ - ١٣٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه ثقتي

٢ جَنَّبَكَ اللَّهُ الشُّبُهَةَ ، وَعَصَمَكَ مِنَ الْحَيْرَةِ ، وَجَعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَعْرِفَةِ
نَسْبًا ، وَبَيْنَ الصَّدَقِ سَبَبًا ، وَحَبَّبَ إِلَيْكَ التَّثَبُّتَ ، وَزَيَّنَ فِي عَيْنِكَ
الْإِنْصَافَ ، وَأَذَاقَكَ حَلَاوَةَ التَّقْوَى ، وَأَشْعَرَ قَلْبَكَ عِزَّ الْحَقِّ ، وَأَوْدَعَ صَدْرَكَ
بَرْدَ الْيَقِينِ (١) وَطَرَدَ عَنْكَ ذُلَّ الْيَأْسِ ، وَعَرَّفَكَ مَا فِي الْبَاطِلِ مِنَ الذَّلَّةِ ،
وَمَا فِي الْجَهْلِ مِنَ الْقِلَّةِ .

ولعمري لقد كان غيرُ هذا الدعاء أصوبَ في أمرِكَ ، وأدلَّ عَلَى
مقدارِ وزنِكَ ، وعلى الحال التي وضعتَ نفسك فيها ، ووسمتَ عرضَكَ
بها ، ورضيتها لدينِكَ حظًّا (٢) ، ولمرءتِكَ شكلاً ؛ [فقد انتهى إلى
مَيْلِكَ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ ، وَحَمَلَكَ عَلَيْهِ ، وَطَعَنَكَ عَلَى مَعْبَدٍ ، وَتَنَقَّصَكَ
له في الذي كان جَرَى بَيْنَهُمَا في مساوي الديكِ ومحاسنِهِ ، وفي ذكرِ منافع
الكلبِ ومضارِّهِ ، والذي خرجَا إليه من استقصاءِ ذلك وجمعه ، ومن تَبُّعِهِ
ونظْمِهِ ، ومن الموازنةِ بَيْنَهُمَا ، وَالْحُكْمِ فِيهِمَا . ثم عبتني بكتاب حيل
الاصوص ، وكتاب غشِّ الصناعات ، وعبتني بكتاب المُلح والطُّرف ،
وما حرَّ من النوادر وبرُد ، وما عاد بارده (٣) حارًّا لفرط برده حتى

(١) في ط : « البر واليقين » . وما أثبتته في ل ، ١٠ س وهو الصواب .

(٢) كذا في ل ، ١٠ س وهو تصحيح ما في ط « ورضيتها لعرضك حظا » .

(٣) في ل : « وعاد باردها » وما هنا عن م .

أمتعَ بأكثرَ من إمتاعِ الحارِّ ، وعبتني بكتابِ احتجاجاتِ البخلاء ،
ومناقضتِهم للسُّمحاء ، والقولِ في الفرقِ بين الصدقِ (١) [إذا كان ضاراً
في العاجل ، والكذبِ إذا كان نافعاً في الآجل ، ولمْ جعلِ الصدقُ أبداً
محموداً ، والكذبُ أبداً مذموماً ، والفرقِ بين الغيرةِ وإضاعةِ الحرمةِ ،
وبين الإفراطِ في الحميةِ والأنفةِ ، وبين التقصيرِ في حفظِ حقِّ الحرمةِ ، وقلةِ
الاكتراثِ لسوءِ (٢) القالةِ ؛ وهل الغيرةِ اكتسابِ وعادة ، أم بعضُ ما يعرضُ
من جهةِ الديانةِ ، وبعضُ التزيُّدِ فيه والتحسُّنِ به ، أو يكونُ ذلكِ في طباعِ
الحريةِ ، وحقيقةِ الجوهريةِ ، ما كانتِ العقولُ سليمةً ، والآفاتُ منفيةً (٣)
والأخلاقُ معتدلةً .

وعبتني بكتابِ الصُّرحاءِ والهَجَناءِ ، ومفاخرةِ السودانِ والحميرانِ ،
وموازنةِ ما بينِ حقِّ الخثولةِ والعمومةِ ؛ وعبتني بكتابِ الزرعِ والنخلِ
والزيتونِ والأعنابِ ، وأقسامِ فضولِ الصناعاتِ ، ومراتبِ التجاراتِ ؛
وبكتابِ فضلِ ما بينِ الرجالِ والنساءِ ، وفرقِ ما بينِ الذكورِ والإناثِ ،
وفي أيِّ موضعٍ يغلبنِ ويفضُلنِ ، وفي أيِّ موضعٍ يكننِ المغلوباتِ والمفضولاتِ ،
ونصيبِ أيِّهما في الولدِ أوفرَ ، وفي أيِّ موضعٍ يكونُ حقُّهنَّ أوجبَ ، وأيِّ
عملٍ هو بهنَّ أليقَ ، وأيِّ صناعةٍ هنَّ فيها أبلغَ .

وعبتني بكتابِ القحطانيةِ و [كتابِ] العدنانيةِ في الردِّ على

(١) سقطت هذه العبارة من جميع النسخ الخطية أيضا ماعدا ل و م .

(٢) في ط : « بسوء » وتصحيحه من ل . قال في القاموس « ما أكثرث له :
مأبأى به » وقال الزبيدي : الأصل فيه ألا يستعمل إلا في النوى وشذ ، استعماله
في الإثبات .

(٣) هذا ما في ل . وفي ط : « منيفة » وبذلك يفسد المعنى .

القحطانية ، وزعمت أني تجاوزتُ فيه حدَّ الحميَّة إلى حدِّ العصبية ،
وأني لم أصل^(١) إلى تفضيل العدنانية إلا بتنقُّص^(٢) القحطانية . وعبتني^٣
بكتاب العرب والموالي ، وزعمت أني بخست الموالى حقوقهم ، كما أني أعطيتُ
العربَ ما ليس لهم . وعبتني بكتاب العرب والعجم ، وزعمت أن القولَ
في فرقِ ما بين العرب والعجم ، هو القولُ في فرقِ ما بين الموالى والعرب ،
ونسبتني إلى التكرار والترداد ، وإلى التكثير ، والجهل بما في المعاد من
الخلط ، وحملِ الناسِ المؤن .

وعبتني بكتاب الأصنام ، وبذكر اعتلالات الهند لها ، وسبب عبادة
العرب إيَّها ، وكيف اختلفا في جهة العلة^(٣) مع اتِّفاقهما على جملة الديانة ،
وكيف صار عبادة البددة^(٤) والمتمسكون بعبادة الأوثان المنحوتة ، والأصنام
المنجورة ، أشدَّ الديانين إلفاً لما دانوا به^(٥) ، وشغفاً بما تعبَّدوا له^(٦) ،
وأظهرهم حدًّا ، وأشدَّهم على من خالفهم ضغنًا ، وبما دانوا ضنًّا^(٧) ،
وما الفرق بين البُدِّ والوشن ، وما الفرق بين الوشن والصنم ، وما الفرق بين

(١) في ل : « أصر » ومؤداهما واحد .

(٢) في ط : « بتنقيص » والمشت هنا في ل . وفي القاموس « وهو يتنقصه :
يقع فيه ويذمه » .

(٣) في ط : « العلسة » وتصحيحه من ل .

(٤) في ط : « عبادة البدرة » وهو تصحيف صوابه ما في ل . والبددة: جمع بد
- بضم الباء - وهو الصنم ، معرب « بت » ، وجمعه بددة وأبداد .

(٥) في ل : « أشد الناس إلفاً لما دانوا به » .

(٦) في ط : « وشغفاً لما » وصوابه ما أثبتته عن ل . يقال شغف بالشئ إذا
علق قلبه به .

(٧) في ل : « صباية وعجبا » .

اللُّمِيَّة والجُثَّة ، ولمَّ صَوَّرُوا في محاريبهم وبيوت عباداتهم ، صَوَّرَ
عظائمهم ورجالِ دعوتهم ، ولم تَأْتَقُوا في التصوير ، وتَجَوَّدُوا^(١) في إقامة
التركيب ، وبالغوا في التحسين والتفخيم ، وكيف كانت أوليَّة تلك
العبادات ، وكيف اقترفت تلك النَّحْل ، ومن أيِّ شكل كانت خُدَع تلك
السدنة ، وكيف لم يزالوا أكثرَ الأصنافِ عدداً ، وكيف شمل ذلك المذهب
الأجناسَ المختلفة .

وعبنتي بكتاب المعادن ، والقولِ في جواهر الأرض ، وفي اختلاف
أجناس الفلِيزِّ والإخبار عن ذائبها وجامدها ، ومخلوقها ومصنوعها ، وكيف
يسرع الانقلاب إلى بعضها ، ويُبْطِئُ عن بعضها ؛ وكيف صار بعضُ
الألوان يَصْبُغُ ولا ينصِغُ ، وبعضها يَنْصَبِغُ ولا يَصْبُغُ ، وبعضها يصبِغُ
وينصِغُ ، وما القولُ في الإكسير والتلطيف .

وعبنتي بكتاب فرق ما بين هاشمٍ وعبد شمس ، وكتاب فرق ما بين
الجنِّ والإنس ، وفرق ما بين الملائكة والجنِّ ، وكيف القولُ في معرفة
الهدهد واستطاعة العفريت^(٢) ، وفي الذي كان عنده عِلْمٌ من الكتاب ،
وما ذلك العلم^(٣) ، وما تأويل قولهم : كان [عنده اسم الله الأعظم]

(١) في ط : « تجردوا » بالراء . وصوابه ما في ل . وتجود : فعل الجيد .

(٢) في ط : « وكيف القول في استيلاء العفريت على سليمان وفي الهدهد » ، وهو
كلام مشوه محرف وضعت بدله ما في ل . ومعرفة الهدهد هي التي يشير إليها
القرآن الكريم بآية « وجنتك من سبأ نبأ يقين » . وأما استطاعة العفريت فهو
ما في قوله تعالى « قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك » .
يعني عرش بلقيس .

(٣) في ط : « وما الذي هو ذلك العلم » وهو تحريف صوابه في ل .

وعبّنتى بكتاب الأوفاق والرياضات ، وما القولُ في الأرزاق والإنفاقات
[وكيف أسباب التشمير والترقيح ^(١)] ، وكيف يجتلب ^(٢) التجار الحرفاء ،
وكيف الاحتيال للودائع ، [وكيف التسبُّب إلى الوصايا ، وما الذى يوجب
لهم حسن التعديل ، ويصرف إليهم باب حسن الظن ؛ وكيف ذكرنا غشَّ
الصناعات والتجارات ، وكيف التسبُّب إلى تعرف ما قد سترتوا وكشف
ما موهُوا ؛ وكيف الاحتراس منه والسلامة من أهله . وعبّنتى برسائلى [
وبكلِّ ما كتبت [به] إلى إخوانى وخلطائى ، من مزح وجدِّ ، ومن إفصاح
وتعريض ، ومن تغافل وتوقيف ، ومن هجاء لا يزال ميسمه باقياً ، ومديح
لا يزال أثره نامياً ؛ ومن مُلح تُضحك ، ومواعظ تُبكي .

وعبّنتى برسائلى الهاشميات ، واحتجاجى فيها ، واستقصائى معانيها ،
وتصويرى لها فى أحسن صورة ، وإظهارى لها فى أتم حلية . وزعمت أنى
قد خرجتُ بذلك من حدِّ المعتزلة إلى حدِّ الزيدية ، ومن حدِّ الاعتدال فى
التشيع والاعتقاد فيه ، إلى حدِّ السرف والإفراط فيه . وزعمت أن مقالة
الزيدية خطبة مقالة الرافضة ^(٣) ، وأن مقالة الرافضة خطبة مقالة الغالية ^(٤) .
وزعمت أن فى أصل القضية والذى جرّت عليه العادة ، أن كلَّ كبير فأوُّله
صغير ، وأنَّ كلَّ كثير فإنما هو قليل جُمع [مِنْ] قليل ، وأنشدت قول
الراجز ^(٥) :

(١) ترقيح المال : إصلاحه والقيام عليه .

(٢) فى ط : « نجرد » وصوابه فى ل .

(٣) فى ط : « خطيئة مقالة الرافضية » وتصحيحه من ل .

(٤) فى ط : « خطيئة مقالة الغالية » وصوابه ما فى ل .

(٥) أنشد الجاحظ هذا الرجز فى المحاسن والأضداد ٤٤ .

قد يَلْحَقُ الصَّغِيرُ بِالْجَلِيلِ وَإِنَّمَا الْقَرْمُ مِنَ الْأَفِيلِ
وَسُحْقُ النَّخْلِ مِنْ التَّمْسِيلِ

وأنشدت قول الشاعر (١) :

رَبُّ كَبِيرٍ هَاجَهُ صَغِيرُ وَفِي الْبُجُورِ تَفَرَّقَ الْبُحُورُ

وقلت : وقال يزيد بن الحكم (٢) :

فَاعْلَمْ بُنَىٰ فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ
إِنَّ الْأُمُورَ دَقِيقَهَا مِمَّا يَهْبِجُ لَهُ الْعَظِيمُ

وقلت : وقال الآخر :

صَارَ جِدًّا مَا مَزَحْتَ بِهِ رَبًّا جِدًّا سَاقَهُ اللَّعْبُ

وأنشدت قول الآخر (٣) :

مَا تَنْظُرُونَ بِحَقِّ وِرْدَةٍ فِيكُمْ تُقْضَى الْأُمُورُ وَرَهْطُ وِرْدَةٍ غُيْبٍ (٤)

قَدْ يَبْعَثُ الْأَمْرَ الْكَبِيرَ صَغِيرُهُ حَتَّى تَظَلَّ لَهُ الدِّمَاءُ تَصَبَّبُ

وقالت كَبِشَةُ بِنْتُ مَعْدٍ يَكْرِبُ :

(١) البيت في المحاسن والأضداد ص ٤٤ .

(٢) يزيد هذا ، شاعر إسلامي عاصر جريرا والفرزدق . مر الفرزدق به يوما فقال : من هذا الذي ينشد شعرا كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم ، فقال : نعم أشهد أن عمي ولدته ! والبيتان من أبيات له اختارها أبو تمام في الحماسة ٢ : ٤٥ وهو يخاطب بهذه الأبيات ولده بدرا .

(٣) في ط : « قول الآخر وهو قول عنترة » ، وعبارة « وهو قول عنترة » دخيلة على الكتاب بدليل أنها في ل ، مثبتة بخط مخالف . كما أن البيتين لطرفة بن العبد مثبتان في ديوانه طبع ١٩٠٩ ص ٣٧ ، والشعر والشعراء ٢٧ ، وخزانة الأدب ١ : ٤١٧ ، ومعاهد التنصيص ١ : ١٢٣ .

(٤) وردة : هي أمه ، وكان أبو طرفة قد مات وهو غلام ، فلما اقتسم أعمامه المال ظلموا أمه . . ماتنظرون : أي تنتظرون .

جَدَعْتُمْ بَعْدَ اللَّهِ أَنْفَ^(١) قَوْمِهِ بَنِي مَازَنَ أَنْ سَبَّ رَاعِيَ الْمُحَزَّمِ^(٢) .
وَقَالَ الْآخِرُ^(٣) :

أَيَّةُ نَارٍ قَدَحَ الْقَادِحُ وَأَيُّ جِدِّ بَلَغَ الْمَارِحُ
وَتَقُولُ [الْعَرَبُ] : « الْعَصَا مِنَ الْعُصَيَّةِ ، وَلَا تَلِدُ الْحَيَّةُ إِلَّا حَيَّةً^(٤) » .

وَعَبَتَ كِتَابِي فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ ، كَمَا عَبَتَ كِتَابِي فِي الرَّدِّ عَلَى الْمَشْبُهَةِ
وَعَبَتَ [كِتَابِي] فِي الْقَوْلِ فِي أَصُولِ الْفِتْيَا وَالْأَحْكَامِ ، كَمَا عَبَتَ كِتَابِي
فِي الْإِحْتِجَاجِ لِنِظْمِ الْقُرْآنِ وَغَرِيبِ تَأْلِيفِهِ وَبَدِيعِ تَرْكِيبِهِ . وَعَبَتَ مَعَارِضَتِي
لِلزَيْدِيَّةِ وَتَفْضِيلِي^(٥) الْإِعْتِزَالَ عَلَى كُلِّ نَخْلَةٍ ، كَمَا عَبَتَ كِتَابِي فِي الْوَعْدِ
وَالْوَعِيدِ ، وَكِتَابِي عَلَى النَّصَارَى وَالْيَهُودِ^(٦) ثُمَّ عَبَتَ جَمَلَةَ كِتَابِي فِي الْمَعْرِفَةِ
وَالْتَمَسْتُ تَهْجِينَهَا بِكُلِّ حِيلَةٍ ، وَصَغَّرْتُ مِنْ شَأْنِهَا ، وَحَطَّطْتُ مِنْ قَدْرِهَا ،
وَاعْتَرَضْتُ عَلَى نَاسِخِهَا وَالْمُنْتَفِعِينَ بِهَا ، فَعَبَتَ كِتَابُ الْجَوَابَاتِ ، وَكِتَابُ
الْمَسَائِلِ ، وَكِتَابُ أَصْحَابِ الْإِلْهَامِ ، وَكِتَابُ الْحُجَّةِ فِي تَثْبِيْتِ النَّبُوَّةِ ،
وَكِتَابُ الْأَخْبَارِ ، ثُمَّ عَبَتَ إِنْكَارِي بِصِيرَةِ غَنَامِ الْمُرْتَدِّ ، وَبَصِيرَةِ كُلِّ
جَاحِدٍ وَمَلْحَدٍ ، وَتَفْرِيقِي بَيْنَ اعْتِرَاضِ الْغُمُرِ^(٧) ، وَبَيْنَ اسْتَبْصَارِ الْحَقِّ ، وَعَبَتَ

(١) فِي ط : « أَنْفَ » وَأَثْبَتَ مَا فِي ل ، س ، ١٠ س . وَأَنْفَ يَجْمَعُ عَلَى أَنْوْفٍ
وَأَنْفٍ وَأَنْوْفٍ .

(٢) فِي ط ، ل ، س ، ١٠ س : « الْمُحَزَّمِ » بِالْخَاءِ ، وَتَصْحِيحُهُ مِنَ الْخَزَانَةِ
بِفِضْطِ الْبَغْدَادِيِّ ٣ : ٧٧ . وَالْبَيْتُ مِنْ أَيْبَاتِ سِتَّةِ رَوَاهَا الْبَغْدَادِيُّ وَذَكَرَ لَهَا قِصَّةَ
طَوِيلَةَ طَرِيفَةٍ .

(٣) هُوَ أَبُو نَوَاسِ الْحَسَنِ بْنِ هَافٍ كَمَا فِي الْبَيَانِ وَالْبَيِّنِينَ ٣ : ١٩٨ .

(٤) فِي ط : « حَيَّةٌ » وَيَقْلِبُ أَنْ يَكُونَ تَصْحِيفٌ طَبَعٌ .

(٥) فِي ط : « تَفْضِيلٌ » وَالْوَجْهُ مَا فِي ل .

(٦) فِي ط : « النَّصْرَانِيَّ وَالْيَهُودِيَّ » وَأَثْبَتَ مَا فِي ل .

(٧) هَذَا مَا فِي ل ، س ، ١٠ س . وَفِي ط « الْقَمَرُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالغُمُرُ :
الْجَاهِلُ الَّذِي لَمْ يَجْرِبِ الْأُمُورَ .

كتاب الرد على الجهمية في الإدراك ، وفي قولهم في الجهالات^(١) ، وكتاب الفرق ما بين النبي والمنتبي ، والفرق ما بين الحيل والمخاريق^(٢) ، وبين الحقائق الظاهرة والأعلام الباهرة^(٣) . ثم قصدت إلى كتابي هذا بالتصغير لقدره والتهجين لنظمه ، والاعتراض^(٤) على لفظه ، والتحقيق لمعانيه ، فزريت على نحتيه وسبكه ، كما زريت على معناه ولفظه ، ثم طعنت في الغرض الذي إليه نزعنا ، والغاية التي إليها قصدنا^(٥) . على أنه كتاب معناه أنبه من اسمه ، وحقيقته آتق من لفظه ، وهو كتاب يحتاج إليه المتوسط العامى ، كما يحتاج إليه العالم الخاص^(٦) ، ويحتاج إليه الرئىض كما يحتاج إليه الحاذق : أما الرئىض فالتعلم والدربة ، وللترتيب والرياضة ، وللتمرين وتمكين العادة ؛ إذ كان جليله يتقدم دقيقه ، وإذ كانت مقدماته مرتبة وطبقات معانيه منزلة . وأما الحاذق فلكفاية المؤنة ؛ لأن كل من التقط كتابا جامعاً ، وباباً من أمهات العلم مجموعاً ، كان له غنمه ، وعلى مؤلفه غرمة ، وكان له نفعه ، وعلى صاحبه كدّه ، مع تعرضه لمطاعن البغاة ، ولاعتراض المنافسين ، ومع عرضه عقله المكدود على العقول الفارغة ؛ ومعانيه على الجهايزة ، وتحكيمه فيه المتأولين والحسدة . ومتى ظفر بمثل صاحب علم ، أو هجم عليه طالب فقه ، وهو وادع رافه ، ونشيط جام :

(١) ماعدال : « الجهات » تحريف . وانظر ٢ : ١٣٩ و ٤ : ٢٨٨ .

(٢) فى ط : « المخارق » .

(٣) فى ل : « القاهرة » وفى ط « الباصرة » وصواهما ما فى س ، ١٠ س .

(٤) فى ط : « والاغماض » .

(٥) فى ل : « أجرينا » .

(٦) دنا ما فى ل . وفى ط : « كما يحتاج إليه الخاص » .

ومؤلفه مُتَعَبٌ مكدود ، فقد كُنِيَ مَوْؤَنَةً جمعه وخزنيه ، وطلبه وتبّعه ، وأغناه ذلك عن طول التفكير ، واستنفادِ العمر وفلّ الحدّ ، وأدرك أقصى حاجته وهو مجتمعُ القُوّة . وعلى أنّ له عند ذلك أن يجعلَ هُجُومَه عليه من التوفيق ، وظفره به باباً من التسديد .

وهذا كتابٌ تستوى فيه رغبةُ الأمم . وتشابهه فيه العُربُ والعجمُ ، لأنه وإن كانَ عَرَبِيًّا أعرابياً ، وإسلامياً جماعياً ، فقد أخذَ من طُرَفِ ٦ الفلسفة ، وجمع بين معرفة السماعِ وعلمِ التجربة ، وأشركَ بين علمِ الكتاب والسنة ، وبينَ وجدانِ الحاسة ، وإحساسِ الغريزة . ويشبهه الفتيان كما تشبهه الشيوخ ، ويشبهه الفاتِكُ كما يشبهه الناسِكُ ، ويشبهه اللاعبُ ذو اللّهُوِ كما يشبهه المجدُّ (١) ذو الحزم ، ويشبهه العُفْلُ كما يشبهه الأريب ، ويشبهه الغبيُّ كما يشبهه الفَطِنُ .

وعبّنتي بحكاية قولِ العُثمانيّة (٢) والضّرّارية ، وأنت تسمعي (٣) أقول في أوّل كتابي : وقالت العُثمانيّة والضّرّاريّة ، كما سمعتني أقول : قالت الرافضة والزيدية ، فحكمتَ عليّ بالنصب لحكايتي [قول العُثمانيّة] ، فهلاًّ حكمتَ عليّ بالتشيع لحكايتي [قول الرافضة] !! وهلا كنتُ عندك من الغاليّة لحكايتي حجج الغاليّة ، كما كنتُ عندك من الناصبّة لحكايتي قولَ الناصبّة !! وقد حكينا في كتابنا قولَ الإباضيّة والصُّفريّة ، كما حكينا قولَ الأزارقة والزيدية . وعلى

(١) في ل : « الجدي » نسبة إلى الجد ضد الهزل .

(٢) في ط : « بحكاية سر قول العُثمانيّة » ، وكلمة « سر » هذه لوجودها في جميع

النسخ المخطوطة .

(٣) كذا في ل . وفي ط : « كما سمعتني » .

هذه الأركان الأربعة بُنِيَتْ الخارجية ، وكلُّ اسمٍ سواها فلإنما هو فرعٌ ونتيجةٌ ، واشتقاقٌ منها ، ومحمولٌ عليها . والأَكْثَرُ عندك من الخارجية ، كما صرنا عندك من الضَّرَّارِيَّةِ والناصِبَةِ . فكيف رضيتَ بأن تكون أمرعٌ من الشيعة ، أسرع إلى أعراض الناس من الخارجية (١) ، اللهم إلا أن تكون وجدتَ حكايتي عن العُمَانِيَّةِ والضَّرَّارِيَّةِ أشبعَ وأجمعَ ، وأتمَّ [وأحكم] ، وأجود [صنعة ، وأبعد غاية . ورأيتني قد وهنت حقَّ أوليائك ، بقدر ما قويتُ باطل أعدائك ! ولو كان ذلك كذلك ، لكان شاهدك من الكتاب حاضراً ، وبرهانك على ما ادعيت واضحاً] .

وعبنتي بكتاب العباسية ، فهلاً عبنتي بحكاية مقالةٍ من أبي وجوب الإمامة ، ومن يرى الامتناع من طاعة الأئمة الذين زعموا أن تركَ الناسِ سُدىً بلا قيمٍ أردُّ عليهم ، وهماً بلا راعٍ أربحُ لهم ، وأجدرُ أن يجمع لهم ذلك بين سلامة العاجل ، وغنيمة الآجل ، وأنَّ تركهم نَشْراً لا نظامَ لهم ، أبعُدُ من المفساد ، وأجمعُ لهم على المرشد !! بل ليس ذلك بك ، واسكنه بهرك ما سمعت ، وملاً صدرك الذي قرأت ، وأبعلك وأبطرَكَ ، فلم تتَّجه للحجة وهي لك معرضة ، ولم تعرف المقاتل وهي لك بادية (٢) ، ولم تعرف بابَ المخرج إذ جهلتَ بابَ المدخل ، ولم تعرف المصادر إذ جهلتَ الموارد .

رأيتَ أنَّ سبَّ الأولياءِ أشقى لدائك ، وأبلغ في شفاء سقمك ؛ ورأيتَ أن إرسالَ اللسانِ أحضرُ لذَّةً ، وأبعُدُ من النَّصَبِ ، ومن إطالة الفكرة ، ومن الاختلافِ إلى أرباب هذه الصناعة .

(١) في ل : « فكيف رضيت بأن تكون الشيعة إلى أعراض الناس أسرع من المارقة » .

(٢) في ط : « وهي لك معوضة ، ولم تعرف المقابل وهي لا بادية » .

ولو كنتَ فطِنتَ لعجزك ، [و^(١)] وصَلتَ نَقصَكَ بتمامِ غيرِكَ ،
واستكفِيتَ من هو موقوفٌ على كفايةِ مثلك ، وحييسٌ على تقويمِ أشباهك ٧
كان ذلكَ أزينَ في العاجِلِ ، وأحقُّ بالمشوَبَةِ في الآجِلِ ، وكنْتَ إنْ
أخطأتَكَ الغنِمةُ لم تُخطِطِكَ السلامة ، وقد سَلِمَ عليكِ المخالفُ بقدرِ ما ابتلي
[به] منكِ الموافقِ . وعلى أَنَّهُ لم يُبتَلِ منكِ إلا بقدرِ ما ألزمتَهُ من مُؤنَةٍ
تثقيفِكَ ، والتشاغُلِ بتقويمِكَ . وهل كنتُ في ذلكِ إلا كما قالَ العربيُّ :
« هَلْ يَضُرُّ السَّحَابَ نَبْحُ الكِلَابِ » .

وإلا كما قالَ الشاعرُ :

هَلْ يَضُرُّ البَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا أَنْ رَمَى فِيهِ غُلَامٌ بِحَجَرٍ^(٢)

وهل حالنا في ذلكِ إلا كما قالَ الشاعرُ^(٣) :

مَاضِرٌ تَغْلِبَ وَائِلٌ أَهْجَوْتَهَا أُمُّ بُلْتِ حَيْثُ تَنَاطَحَ البَحْرَانِ

وكما قالَ حَسَّانُ بنُ ثابتٍ^(٤) :

مَا أَبَالِي أَنْبًا بِالْحَزَنِ تَيْسٌ أُمَّ لِحَانِي بظَهْرِ غَيْبٍ لَشِيمٌ

وما أشكُ أَنَّكَ قد جعلتَ طولَ إعراضنا عنكَ مَطِيَّةً لك ، ووجهتَ حِلْمنا
عنكَ إلى الخوفِ منك ، وقد قالَ زُفَر بنُ الحارثِ لبعضِ مَنْ لم يَرِ حقَّ
الصفحِ ، فجعلَ العفوَ سبباً إلى سوءِ القولِ :

(١) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام .

(٢) البيت رواه الجاحظ في البيان ٣ : ٢٤٨ . والرواية هناك « ما يضير » .

(٣) هو الفرزدق ديوانه ٨٨٢ والبيان ٣ : ٢٤٨ والخزانة ٢ : ٥٠١ .

(٤) ديوانه ٣٧٨ .

فَإِنْ عَدْتَ وَاللَّهِ الَّذِي فَوْقَ عَرْشِهِ مَنَحْتُكَ مَسْنُونَ^(١) الْغِرَارِينَ أَرْقَا
فَإِنَّ دَوَاءَ الْجَهْلِ أَنْ تُضْرَبَ الطَّلَى وَأَنْ يُغْمَسَ الْعَرِيضُ حَتَّى يَغْرَقَا^(٢)

وقال الأول :

وَضَعَانٍ دَاوَيْتُهَا بَضْعَانٍ حَتَّى شَفَيْتُ وَبِالْحُقُودِ حُقُودَا

وقال الآخر :

وَمَا نَفَى عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائِفُهُمْ كَمِثْلِ وَقِكَ جُهَّالًا بِجُهَّالٍ^(٣)
فَاقْعَسْ إِذَا حَدَّبُوا وَاحْدَبْ إِذَا قَعَسُوا وَوَازِنْ الشَّرَّ مَثْقَالًا بِمَثْقَالٍ
فَإِنَّا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا سِنَانُ زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَلَا مَعَارِضَةُ هَوْلَاءَ الشَّرِّ
بِالشَّرِّ ، وَالْجَهْلَ بِالْجَهْلِ ، وَالْحِقْدَ بِالْحِقْدِ ، فَإِنْ عِنْدِي مَا قَالَ الْمَسْعُودِيُّ^(٤) :
فَمَسًّا تَرَابِ الْأَرْضِ مِنْهُ خُلِقْتُمَا وَفِيهِ الْمَعَادُ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْحَشْرِ
وَلَا تَأْنِفَا أَنْ تَرْجِعَا فَتَسْلِمَا فَمَا كَسَى الْأَفْوَاهُ شَرًّا مِنْ الْكِبْرِ^(٥)

(١) في ط : « مصقول » . و غرار السيف أى حده لا يوصف بالصقل ، وإنما يوصف بالحدة . فالوجه (مسنون) كما في ل وكا في البيان ٤ : ٥٦ .

(٢) فان من الجهل أن تضرب الطلى وأن تلمس العريض حتى يغرقا هكذا ورد البيت في ط وهو تحريف أصلحته من ل ومن البيان للجاحظ . والطلّى : الأعتاق أو أصولها ، جمع طلية أو طلاة ، بضم الطاء في كل منهما . والعريض كسكيت : الذى يتعرض للناس بالشر .

(٣) جاء البيت في ط على هذه الصورة :
وما تسمى عنك قوما أنت خائفهم كمثل رقمك جهالا بجهال
ومصحناه من البيان ٣ : ٣٣٤ ومن ل ، س والروض الأنف ١ : ١٧٠ ومجالس ثعلب ٤٩١ . والوقم : القهر والإذلال والكبح .

(٤) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . وهذه الأبيات من عشرة أبيات رواها المرتضى في أماليه ٢ : ٦٠ ، ٦١ وذكر قصة لها ، انظر لها أيضا جمع الجواهر ص ٣ .

(٥) في الأمال : « فا حشى الأقوام » وفي جمع الجواهر : « فا حشى الإنسان » . وفي ل ، س « ولا تعجبا أن ترجعا » . يخاطب عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو بن عثمان .
كذا في المحبر ٢٩٧ .

فلوشئتُ أدلى^(١) فيكما غير واحد علانيةً أو قالَ عندي في السرِّ
فإن أنا لم آمرُ ولم أنه عنكما ضحككُ له كيما يلجُ ويستشري^(٢)
وقال النمر بن تولب :

جزى الله عني جمرَةَ ابنة نوفلٍ جزاءً مُغلٍ بالأمانةِ كاذب^(٣)
بما خبرت عني الوشاة ليكذبوا عليّ وقد أوليتها في النوائب
يقول : أخرجتُ خبرها ، فخرج [إلى^(٤)] من أحبُّ أن يعابَ عندها .

ولو شئت أن نعارضك لعارضناك في القول بما هو أقبحُ أثراً وأبى
وسماً ، وأصدقُ قبلاً ، وأعدلُ شاهداً . وليس كلُّ من ترك المعارضة فقد
صفح ، كما أنه ليس من عارض فقد انتصر ، وقد قال الشاعر قولاً ، إن
فهمته فقد كفتينا مئونة المعارضة ، وكفيت نفسك لزوم العار ، وهو قوله^(٥) :

إن كنت لا ترهبُ ذمي لِمأ تعرفُ من صفحي عن الجاهلِ
فاخشَ سُكوتي إذ أنا منصت فيك لمسموعِ خناً القائلِ^(٦)
فالسامعُ الدمَّ شريكٌ له ومُطعمُ المأكولِ كالأكلِ

(١) في ط : «أولى» ، وصوابه ما في ل ، س ، ١٠ س والأماي . وفسرها المرتضى بقوله : معناه
لوشئت اغتابكما عندي غير واحد .

(٢) في ط «يلج» بالحاء ، وأثبت ماهو في أمالي المرتضى و ل ، ١٠ س والبيان .

(٣) كذا في ل ، ١٠ س . . . وغل وأغل بمعنى خان . . وفي ط «مقل» وتحريفه ظاهر .
وفي س : «نخل» . وجمره بالجيم اسم زوجته ، كما في الأغاني ١٩ : ١٥٨ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق . والمعنى أنها أظهرت سر الحب ، فذاع حتى وصل إلى الوشاة
الذين يمتنى هو أن يعابوا عندها .

(٥) نسب إلى العتابي في الأغاني ١٢ : ١٠ ولباب الآداب ٣٦٠ ورسالة فصل ما بين العداوة
والحسد . ونسب إلى كعب بن زهير في الخزانة ٤ : ١٢ .

(٦) كذا في الخزانة وجمع الجواهر ٣ وشرح بانت سعاد ٣ والشريشي ٢ : ١٥٠ . وفي ل ، س
«فاخش سكوتي آذنا منصتا» . وآذنا : مصغياً .

مقالةُ السُّوءِ إلى أهلها أُسرِعُ من مُنحدرِ سائلِ
ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ
فلا تَهْجُ إن كنتَ ذا إرْبَةٍ حَرْبَ أخى التَّجْرِبةِ العاقلِ
فإنَّ ذا العَقْلِ إذا هِجَّتْهُ هِجَّتْ به ذا خَبَلٍ خابِلِ
تُبْصِرُ في عاجلِ شِدَّاتِه عليك غِبَّ الضَّرَرِ الآجِلِ
وقد يقال : إنَّ العَفْوَ يُفسدُ من اللِّئيمِ بقدرِ إِصلاحه من السَّكريمِ ، وقد
قال الشاعر :

والعَفْوُ عندَ لبيبِ القومِ موعِظَةٌ وبعضُهُ لسَفِيهِ القومِ تَدْرِيبٌ
فإن كُنَّا^(١) أسأنا في هذا التَّقْرِيعِ والتَّوْقِيفِ ، فالذى لم يأخُذَ فينا بِحُكْمِ
القرآنِ ولا بِأَدَبِ الرِّسُولِ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ، ولم يَفْزَعْ إلى ما في الفِطْنِ
الصَّحِيحَةِ ، وإلى ما توجِبُهُ المَقاييسُ المَطْرُدَةُ ، والأَمْثالُ المَضْرُوبَةُ ، والأَشْعارُ
السَّائِرَةُ ، أَوْلَى بِالإِسْأَةِ وأَحَقُّ بِاللَّائِمَةِ ، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تَزِرُ
وَأَزِرَّةً وِزْرَ أُخْرَى ﴾ . وقد قال النَّبِيُّ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ : « لَا تَجْنُ
يَمِينُكَ عَلَى شِمَالِكَ » .

وهذا حُكْمُ اللهِ تَعَالَى وآدَابُ رِسُولِهِ والَّذِي أُنْزِلَ بِهِ الكِتَابُ ودَلٌّ
عليه من حُجَجِ العُقُولِ .

فأمَّا ما قالوا في المثلِ المَضْرُوبِ [« رَمَتْنِي بِدَأْمِهَا وانسَلَّتْ » ، وأمَّا]
قولُ الشعراءِ ، وذمُّ الخطباءِ لِمَنْ أَخَذَ إنساناً بِذَنْبِ غَيْرِهِ ، وما ضَرَبُوا في ذلكِ
من الأمثالِ ، كقولِ النابغة حيث يقول في شعره :

وَكَلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكَتَهُ كَذِي العُرِّ يُسْكَوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعُ

(١) في ط : « فانا كنا » وتصحيحه من ل ، س ، ١٠ س .

وكانوا إذا أصابَ إبلَهُم العرَّ كَوُوا السليمَ ليدفعه عن السقيم ، فأسقمُوا
الصحيحَ من غير أن يُبرِّثوا السقيم .

وكانوا إذا كثرتْ إبلُ أحدهم فبلَّغتِ الألف ، فقثُّوا عَيْنَ الفحل ،
فإن زادتْ الإبلُ على الألف فقثُّوا العينَ الأخرى ، وذلك المفقأ والمعنى اللذان
سمعتَ في أشعارهم .

قال الفرزدق :

غلبتك بالمفقأ والمعنى وبيتِ المحتسبي والخافقات^(١)
[وكانوا يزعمون أن المفقأ يطرد عنها العين والسواف^(٢) والغارة ،
فقال الأول :

فقاتُ لها عينَ الفحجيل عيافةً وفيهن رَعلاءُ المسامع والحامى^(٣)

(١) هذا البيت دخيل على الكتاب ، ويبعد من مثل الجاحظ أن يفكر في الاستشهاد به
في هذا الموضع إذ لا علاقة له به ، وإنما يشير الفرزدق بكلمة « المفقأ » إلى قصيدته
التي يقول فيها مهاجياً لجرير :

ولست وإن فقات عينك واجدا أبالك إن عد المساعي كدارم
وبكلمة « المعنى » إلى قوله :

وإنك إذ تسعى لتدرك دارما لأنت المعنى ياجرير المكلف
و « بيت المحتسبي » إشارة إلى قوله :

بيتاً زرارة محتب بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
و « الخافقات » يريد قوله :

وَأين تقضى المالكان أمورها بحق وأين الخافقات اللوامع
انظر ابن سلام ٣٢٩ - ٣٣٠ والنقائض ٧٦٨ ليدن ولسان العرب (عني) .
وقد ورد البيت مصحفاً على الوجه الآتي :

غلبتك (بالمفقأ والمعنى) وبيت (المحتسبي) والخافقات

(٢) السواف : الموتان يقع في الإبل ، يقال بالفتح وبالضم .

(٣) البيت في البيان ٣ : ٥٤ . والفحجيل : المنجب في ضرابه ، وعنى بالعيافة التفاؤل .

الرعاء : التي تشقّ أذنّها وتترك مدلاة ، لكرمها [.
 وكانوا يقولون في موضع الكفارة والأمنيّة ، كقول الرجل : إذا بلغت
 إبلى كذا وكذا وكذلك غنمي ، ذبحتُ عند الأوثان كذا وكذا عتيرة .
 والعتيرة من نسك الرّجبيّة والجمع عتائر - والعتائر من الظباء - فإذا بلغت
 إبلى أحدهم أو غنمه ذلك العدد ، استعمل التأويل وقال : إنّما قلتُ إنّني
 أذبحُ كذا وكذا شاة ، والظباء شاء كما أنّ الغنم شاء ، فيجعل ذلك القربان
 شاء كلّهُ ممّا يصيد من الظباء ، فلذلك يقول الحارثُ بن حنّزة اليشكريّ :
 عننا باطلاً وظلماً كما تُعترُّ عن حجرة الرّبيصِ الظباء
 بعد أن قال :

أمّ علينا جناح كندة أن يغ - نم غازيهم ومنا الجزاء
 وكانوا إذا أوردوا البقر فلم تشرب ، إمّا لكدر الماء ، أو لقلّة العطش ،
 ضربوا الثور ليقتمح الماء ، لأنّ البقر تتبعه كما تتبع الشولُ الفحل : وكما
 تتبع أنّ الوحش الحمار . فقال في ذلك عوفُ بن الخرع (١) :
 تمتّ طيُّ جهلاً وجبناً وقد خاليتهم فأبوا خلائى (٢)
 هجوني أن هجوتُ جبال سلمي كضربِ الثورِ للبقرِ الظماء
 وقال في ذلك أنس بن مدرك في قتله سليك بن السليكة :

إنّي وقتلي سليكا ثمّ أعقله كالثورٍ يضربُ لما عافتِ البقرُ (٣)
 أنفتُ للمرء إذ نيكته حليلته وأن يشدّ علي وجعائها الثفر (٤)

(١) في ط : « عوض بن الخرع » ، وهو على الصواب الذي أثبتّه ، في ل ، سه
 ١٠ س .

(٢) خاليتهم : تركتهم .

(٣) عافت : امتنعت عن شرب الماء .

(٤) الوجعاء : الاست . والثفر بالتحريك : السير في مؤخر السرج .

وقال الهيثبان الفهمي^(١) :

كما ضُربَ اليعسوبُ أن عافَ باقِرُ وما ذنبُهُ أن عافَتِ الماءَ باقِرُ
ولما كان الثورُ أميرَ البقرِ ، وهي طبيعُهُ كطاعةِ إناثِ النحلِ لليعسوبِ ، سمَّاهُ
باسمِ أميرِ النحلِ .

وكانوا يزعمون أن الجنَّ هي التي تصدُّ الثيرانَ عن الماءِ حتى تُمسِكَ البقرُ
عن الشربِ حتى تهلكَ ، وقال في ذلك الأعشى :

فلنِّى وما كلَّفْتُمونى - وربِّكم - لأعلمُ مَنْ أمسى أعقَّ وأحوبا^(٢)
لكالثورِ والجنىُّ يضربُ ظهرهَ وما ذنبه أن عافَتِ الماءَ مشرباً
وما ذنبه أن عافَتِ الماءَ باقِرُ وما إن تعافُ الماءَ إلاَّ ليضرباً^(٣)
كأنه قال : إذا كان يُضربُ أبداً لأنها عافت الماءَ ، فكأنها إنما عافَتِ الماءَ ليضربَ .

وقال يحيى بن منصور الدهلي في ذلك :

لكالثورِ والجنىُّ يضربُ وجههَ وما ذنبه إن كانتِ الجنُّ ظالمه
وقال نهشل بن حرَّي^(٤) :

أثركُ عارضٌ وبنو عـديِّ وتغـرمَ دارمٌ وهم براءُ
كدأبِ الثورِ يُضربُ بالهراوى إذا ما عافَتِ البقرُ الظمأ^(٥)
وكيف تكلفُ الشعريُّ سهيلاً وبينهما الكواكبُ والسماءُ

(١) في الأصل : « الهيثان » . وانظر الإصابة ج ٢ ص ٩ والقاموس « هيب » . وفي ط ، س :
« الفقى » صوابه في ل .

(٢) في ط ، س ، ١٠ س : « أحرابا » بالراء . . وما أثبتته عن ل .. يقال حاب بكذا :
أثم ، والمصدر الحوب بفتح الحاء وتضم . وفي القرآن الكريم « إنه كان حوبا كبيرا » .

(٣) باقِر : اسم جمع للبقر . ومثله بقير وبيقور وبقور وبقورة .

(٤) له ترجمة في خزائن البغدادى ١ : ٢٨٤ بولاق .

(٥) في الأصل : « بالبرارى » ، صوابه من حماسة البحترى ٣٥٣ .

وقال أبو نويرة بن الحصين ، حين أخذه الحكم بن أيوب بذنب العطرُق (١) :

أبا يوسُفٍ لو كنتَ تعلمُ طاعتي ونُصحي إذْنا ما بعِتنى بالمخلُق (٢)

ولا ساقَ سراقِ العِرافةِ صالح (٣) بِنِيّ ولا كُلفتُ ذنْبَ العطرُق (١)

وقال خِداش (٤) بن زُهَير حين أخذَ بِدماءِ بني محارب (٥) :

أكلَفُ قَتَلِي مَعَشْرَ لَسْتُ مِنْهُمُ ولادارُهُمُ دارِي ولانصرُهُمُ نصرِي

أكلَفُ قَتَلِي العِيصِ عِيصِ شِواحِطٍ وذلكَ أمرٌ لم تُثَفِّ لهُ قِدرِي (٦)

وقال الآخر :

١١ إذا عَرَكَتِ عِجْلُ بنا ذنْبَ طِيّ عَرَكَنا بِتِمْ اللاتِ ذنْبَ بِنِي عِجْلِي

ولما وَجَدَ اليهودِيُّ أبا حنِيبِض (٧) الضِبابِيّ في مَنزله فَخَصَّاه فَمات ، وأخَذَ

حنِيبِضُ بِنِي عَبَسِ بِجِنايَةِ اليودِيّ ، قال قيسُ بن زُهَير : أتأخِذُنا بِذنْبِ

غيرِنا ، وتَسألُنا العَقْلَ والقاتِلُ يهودِيّ من أهلِ تِمْاء ؟ فقال : واللهُ أنْ لو

قَتَلْتَهُ الرِيحُ ، لو دَيْتُمُوهُ ! فقال قيسُ لبني عَبَسِ : الموتُ في بِنِي ذُبيانَ

خَيْرٌ من الحِياةِ في بِنِي عامر ! ثم أنشأ يقول :

أكلَفُ ذَا الخُصِيبِينِ إن كانَ ظالِماً

وإن كنتُ مظلوماً وإن كنتُ شاطنا (٨)

(١) في ط « العطرُق » بالفاء ، وصوابه في ل ، س ، ١٠ س .

(٢) ماعدال و ١٠ س « إذن هاديتي » . تحريف . وانظر الخزانة ٣ : ٢١٥ . وفي

الخزانة : « والمخلُق الضببي ولاء الحكم بن أيوب سفوان » .

(٣) في ط : « سراق العرافة » وتصحيحه من ل ، س ، ١٠ س .

(٤) في ط : « خراش » وما هنا عن ل . وخداش شاعر جاهلي ، من أشرف بني عامر

(٥) في ط : « بذنب ابن محارب » وتصحيحه من ل وكما يتضح من الشعر .

(٦) في ط : « عيص شواهد » وهو تحريف ما في ل ، س ، ١٠ س . وفيها كذلك

« لم يكلف له » وصوابه ما في ل ، س ، ١٠ س . وثق القدر : وضع لها الأثافي

وانظر معجم البكري ٨١٥ وجمهرة أشعار العرب ١٠٩ .

(٧) ماعدال « أبا حنيبض » ، صوابه في ل والميداني ٢ : ٥٩

(٨) شاطنا : بعيدا نائيا .

خصاه امرؤ من آل تيماء طائر
ولا يَعدُمُ الإنسىُّ والجنُّ كائنا (١)
فَهَلَّا بنى ذبيانَ - أمك هابلٌ -
رَهنتَ بفيفِ الرِّيحِ إن كُنتَ رَاهِنًا (٢)
إذا قلتُ قد أفلتُ من شرِّ حنْبِضٍ
أتاني بأخرى شرَّه مُتَباطِنًا
فقد جَعَلتُ أكبادنا تجتويكُمُ
كما تجتوي سوقُ العِضاهِ الكرازنا (٣)

(قتل لقمان بن عاد لنسائه وابنته)

ولما قتل لقمان بن عاد ابنته - وهي صُحْرُأختُ لُقيم - قال حين قتلها:
ألسنتِ امرأة ! وذلك أنه قد كان تزوج عِدَّةَ نساء ، كلُّهنَّ خنَّه في أنفسهنَّ ،
فلما قتل أخراهنَّ ونزل من الجبل ، كان أوَّلَ من تلقَّاه صُحْرُ ابنته ، فوثبَ
عليها فقتلها وقال : وأنت أيضاً امرأة ! وكان قد ابتلي بأنَّ أخته كانت
مُحمِّقة (٤) وكذلك كان زوجها ، فقالت لإحدى نساء لقمان : هذه ليلة
طُهْرِي وهي ليلتك ، فدعيني أنام في مَضَجِعِكَ ، فإنَّ لقمانَ رجلٌ مُنْجِبٌ ،

(١) في ل : « من آل تيماء طابن » وفيها « طابنا » موضع « كائنا » .
(٢) في الأصل : « بهيف الرِّيح » تحريف . وانظر خبر يوم فيف الرِّيح في الأغاني ١٥ : ٧٠
وأمثال الميداني ٢ : ٣٥٨ والكامل لابن الأثير ١ : ٣٨٧ .
(٣) الكرزون وقد يكسر والكرزين : الفأس الكبير .
(٤) المحمقة والمحمق أيضا : المرأة تلد الحمق . قال السيوطي في شرح شواهد المغني ٦٧ :
وكانت تحت رجل أحق .

فَعَسَى أَنْ يَقَعَ عَلَيَّ فَأُنَجِّبَ . فَوَقَعَ عَلَيَّ أُخْتِي فَحَمَلْتِ بِلِقِيمٍ . فَهُوَ قَوْلُ
النَّمِيرِ بْنِ تَوْلَبٍ (١) :

لُقِيمٌ بْنُ لُقَيْمَانَ مِنْ أُخْتِيهِ فَكَانَ ابْنَ أُخْتٍ لَهُ وَابْنًا
لِيَالِي حَمَقٍ فَاسْتَحْصَنَتْ عَلَيْهِ فَغُرِّبَهَا مُظْلِمًا (٢)
فَأَجْبَلَهَا رَجُلٌ مُحْكِمٌ فَجَاءَتْ بِهِ رَجُلًا مُحْكِمًا (٣)

فَضْرِبَتِ الْعَرَبُ فِي ذَلِكَ الْمَثَلِ بِقَتْلِ لُقَيْمَانَ ابْنَتَهُ صُحْرًا ، فَقَالَ خُفَافٌ

ابن ندبة في ذلك :

وَعِيَّاشٌ يُدِبُّ لِي الْمَنِيَا وَمَا أَذْنَبْتُ إِلَّا ذَنْبَ صُحْرٍ (٤)

وقال في ذلك ابن أذينة (٥) :

أَتَجْمَعُ تَهِيَامًا بَلِيلِي إِذَا نَأَتْ وَهَجْرَانَهَا ظُلْمًا كَمَا ظَلِمْتُ صُحْرُ ١٢

وقال الحارث بن عباد :

قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَقِحَتْ حَرْبٌ وَائِلٍ عَنِ حِيَالٍ (٦)

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّهُ هُوَ وَإِنِّي بَحْرُهَا الْيَوْمَ صَالِي

وقال الشاعر ، وأظنه ابن المقفع :

(١) شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له كتابا ، وروى عنه حديثا ، وكان أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم .

(٢) في ط « فعربه » . وغربها : خدع بها . ومظلمًا : في الظلام .

(٣) المحكم : المنجب الذي يلد حكيمًا ، ويقابله المحمق : الذي يلد الحمق .

(٤) في ثمار القلوب ٢٤٥ « وعيَّاش يمهد لي المنيا » وفي ل « وعيَّاش يدب إلى » . وأدبها : جعلها تدب .

(٥) هو عروة بن أذينة ، وأذينة لقب لأبيه ، واسم أبيه يحيى . شاعر مقدم من أهل المدينة ويعتد في الفقهاء والمحدثين أيضا ، ولكن غلب عليه الشعر ، وله ترجمة مستفيضة في الأغاني

٢١ : ١٠٥ - ١١١ .

(٦) النعامة : فرس الحارث . وعن حِيَالٍ : أي بعد انقطاع عن الحمل . والمعنى أنه قد جد الجد .

فلا تَلْمُ المرءَ في شأنِهِ فربَّ مَلُومٍ ولمَّ يُذْنِبِ
وقال آخر :

لعلَّ لَهُ عُدْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ وكَم لَأَمِّ قَد لَامَ وَهُوَ مُلِيمٌ^(١)

(حديث سننار)

وقال بعض العرب ، في قتل بعض الملوك^(٢) إسِنَار الرومي ؛ فإنه لما
علا الخورنق ورأى بُنياناً لم يرَ مثله ، ورأى في ذلك المستشرف ، وخاف
إن هو استبقاه أن يموت فيبنى مثلَ ذلك البنيانَ لرجلٍ آخرَ من الملوك ،
رمى به من فوق القصر ، فقال في ذلك الكلبي^(٣) في شيء كان بينه وبين
بعض الملوك :

جَزَانِي جَزَاءُ اللَّهِ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءُ سِنِيَّارٍ وما كان ذا ذنبٍ
سِوَى رَصِّهِ البنيانَ سَبْعِينَ حِجَّةً يُعَلِّي عَلَيْهِ بِالقَرَامِيدِ وَالسَّكْبِ^(٤)
فلما رأى البُنيانَ تَمَّ سُجُوقُهُ

وَأَصَّ كَمِثْلِ الطُّودِ ذِي البَاذِخِ الصَّعْبِ^(٥)

وظنَّ سِنِيَّارٌ به كُلَّ حَبِوَةٍ وفازَ لَدَيْهِ بِالمُودَةِ والقُرْبِ^(٦)

(١) كذا ، وحفظي أن الشعر الأول عجز ، صدره كما في الميداني ٢ : ١٢٦ :

تأن ولا تعجل بلومك صاحباً

(٢) قال الهيثم بن عدى : إنه النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى. وقال ابن الكلبي :

هو بهرام جور بن يزدجرد .

(٣) في ثمار القلوب ص ١٠٩ أنه شراويل الكلبي . وفي أمالي ابن الشجري ١ : ١٠٢

أنه عبد العزيز بن امرئ القيس .

(٤) القراميد : مفردة قرمد كجعفر وهو الآجر. والسكب : للنحاس أو للبرصاص ، ويجرك .

وفي ثمار القلوب «عشرين حجة» وفي معجم البلدان «ستين حجة» .

(٥) في معجم البلدان «كمثل الطود والشامخ الصعب» .

(٦) في ل : «حبرة» بمعنى السرور .

فقال اقدِفُوا بِالْعِلْجِ مِنْ رَأْسِ شَاهِقٍ فَذَلِكَ لِعَمْرُ اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ الْخَطْبِ
 وجاء المسلمون ، يروى خَلَفٌ عَنْ سَلْفٍ ، وَتَابِعٌ عَنْ سَابِقٍ ، وَآخِرٌ عَنْ
 أَوَّلٍ ، أَنَّهُمْ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي عَيْبِ قَوْلِ زِيَادٍ^(١) : « لَأَخُذَنَّ الْوَلِيَّ بِالْوَلِيِّ ،
 وَالسَّمِيَّ بِالسَّمِيِّ ، وَالْجَارَ بِالْجَارِ » ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي لَعْنِ شَاعِرِهِمْ حَيْثُ يَقُولُ :
 إِذَا أُخِذَ الْبَرِيُّ بِغَيْرِ ذَنْبٍ تَجَنَّبَ مَا يُحَاذِرُهُ السَّقِيمُ
 قَالَ : وَقِيلَ لِعَمْرٍو بْنِ عَبِيدٍ : إِنَّ فَلَانًا لَمَّا قَدَّمَ رِجْلًا لِيُضْرَبَ عُنُقَهُ ،
 فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ مَجْنُونٌ ! فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّ الْمَجْنُونَ يَلِدُ عَاقِلًا لَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ . قَالَ :
 فَقَالَ عَمْرٍو : مَا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ إِلَّا بِالْحَقِّ !

١٣

وَمَا قَالَتِ التَّغْلِبِيَّةُ لِلْجَحَّافِ ، فِي وَقْعَةِ الْبِشْرِ^(٢) : فَضَّ اللَّهُ فَالَكَ
 وَأَعْمَاكَ ، وَأَطَالَ سُهَادَكَ ، وَأَقَلَّ رُقَادَكَ ، فَوَاللَّهِ إِنْ قَتَلْتَ إِلَّا نِسَاءً أَعَالِيهِنَّ
 تُدِي ، وَأَسَافِلُهُنَّ دُمِي !! فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : لَوْلَا أَنْ تَلِدَ هَذِهِ مِثْلَهَا لَخَلَّيْتُ
 سَبِيلَهَا ! فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ فَقَالَ : أَمَّا الْجَحَّافُ فَجَذْوَةٌ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ .
 قَالَ : وَذَمَّ رَجُلٌ عِنْدَ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسِ الْكَمَاءَةِ بِالسَّمَنِ ، فَقَالَ
 عِنْدَ ذَلِكَ الْأَخْنَفِ : « رَبِّ مَذْمُومٌ لِأَذْنَبَ لَهُ^(٣) » .

فَسَبَّهَ السَّيْرَةَ سَرَتَ فِينَا .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٤) :

وَإِنَّ امْرَأَةً أَمْسَى وَأَصْبَحَ سَالِمًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ

(١) هو ابن أبيه. والكلام في خطبته البتراء المعروفة . انظر البيان ٢ : ٦٣ .

(٢) في ط : « البسر » وهو تصحيف ، والبشر : جبل يمتد من الشام إلى الفرات. وانظر
 المعجم والأغاني ١٩ : ١٣٠ .

(٣) الخبر في البيان والتبيين ٢ : ٣٤٤ ، ٣٧٤ .

(٤) هو سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

(عناية العلماء بالملح والفكاهات)

وقلتَ : وما بالُ أهلِ العلمِ والنظرِ ، وأصحابِ الفسكِ والعِبَرِ ، وأربابِ
النَّحْلِ ، والعلماءِ وأهلِ البصرِ بمُخارجِ المَلَلِ ، وورثةِ الأنبياءِ ، وأعوانِ
الحلفاءِ ، يكتبونَ كتبَ الظُّرفاءِ والمُلِحِّاءِ ، وكتبَ الفُرَّاغِ والنُّلَعاءِ ،
وكتبَ المِلاهِي والفُكاهاتِ ، وكتبَ أصحابِ النُّصوماتِ ، وكتبَ
أصحابِ المِراءِ ، وكتبَ أصحابِ العِصِيَّةِ وحمِيَّةِ الجاهليَّةِ ! ! الأِنَّهْمُ
لا يحاسبونَ أنفسهم ، ولا يُوازِنونَ بينَ ما عليهم ولهم ، ولا يخافونَ تصفُّحَ
العلماءِ ، ولا لأئمةِ الأربابِ^(١) ، وشنف الأَكْفاءِ ، ومَشْنَأة^(٢) الجُلُساءِ ! ؟

فهلَّا أمسكتَ - يَرْحُمُكَ اللهُ - عَن عَيْبِهَا وَالطَّعْنِ عَلَيْهَا ، وَعَن
المَشُورَةِ والموعِظَةِ ، وَعَن تَجْوِيفِ ما في^(٣) سوءِ العاقِبَةِ ، إلى أنْ تَبْلُغَ حالَ
العلماءِ ، ومراتبِ الأَكْفاءِ ؟ !

فأَمَّا كتابُنا هذا ، فسنذكرُ جُمْلَةَ المذاهبِ^(٤) فيه ، وسنأتِي [بعد ذلك]
على التفسيرِ ، ولعلَّ رأيكَ عند ذلك أنْ يتحوَّلَ ، وقولكَ أنْ يتبدلَ ،
فَتُثْبِتَ أو تكونَ قد أخذتَ من التوقُّفِ بنصيبِ ، [إن شاء اللهُ] .

(١) كذا في ل . وفي ط « ولائمة الأدباء » .
(٢) في ط : « شنأة » وصوابه شنأة ، وأثبت ما في ١٠ س وأما في ل فهي « مساءة » . والشنف
بالتحريك وكذا المشناة بمعنى ، هو البغض .
(٣) في ل : « ما فيه » .
(٤) في ط : « المذاهب » والوجه ما أثبتته من ل ، س .

(أقسام الكائنات)

وأقول : إنَّ العالمَ بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء : متَّفِق ، ومختلف ، ومتضادُّ ؛ وكلُّها في جملة التولِّدِ جمادٍ ونامٍ . وكان حقيقة القولِ في الأجسام من هذه القِسْمَةِ ، أن يقال : نامٍ وغيرُ نامٍ . ولو أنَّ الحكماءَ وضعُوا لكلِّ ما ليس بنامٍ اسماً ، كما وضعُوا للنامي اسماً ، لاتبَعنا أثرَهُمْ ؛ وإنما ننتهي إلى حيثُ انتهوا . وما أكثرَ ما تكونُ دلالةُ قولِهِمْ جمادٍ ، كدلالةِ قولِهِمْ مَوَاتٍ . وقد يفتَرِقان في مواضعَ بعضِ الافتراقِ . وإذا أُخرجت (١)

من العالمِ الأفلاكَ والبروجَ والنجومَ والشمسَ والقمرَ ، وجدتها غيرَ نامية ، ولم تجذهم يسمُّون شيئاً منها بجمادٍ ولا مواتٍ ، وليس لأنها تتحرَّكُ من تلقاءِ أنفسِها لم تُسمَّ مواتاً ولا جماداً .

وناسٌ يجعلونها مدبِّرة غير مدبِّرة ، ويجعلونها مسخِّرة غير مسخِّرة (٢) ، ويجعلونها أحياء من الحيوان ؛ إذ كان الحيوانُ إنَّما يحيى بإحيائها له ، وبما تُعطيه وتُعيره . وإنما هذا منهم رأى ، والأئمُّ في هذا كلُّه على خلافِهِمْ ، ونحنُ في هذا الموضعِ إنَّما نعبرُ عن لُغتنا ، وليس في لُغتنا إلا ما ذكرنا .

والناسُ يسمُّون الأرضَ جماداً ، وربما يجعلونها مواتاً إذا كانت لم

(١) في ط : « خرجت » .

(٢) ما عدل و س : « مدبرة وناس غير مدبرة ويجعلونها مسخرة وغير مسخرة » وما هنا صوابه .

تُنْبِتُ قَدِيمًا ، وهى مَوَاتِ الأَرْضِ ، وذلك كقولهم : مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا
فَهِيَ لَهُ .

وهم لا يجعلون الماء والنار والهواء ، جماداً ولا مَوَاتًا ، ولا يسمونها
حيواناً ما دامت كذلك ، وإن كانت لاتضاف إلى النماء والحسّ .

والأرضُ هى أحدُ الأركانِ الأربعة ، التى هى الماء والأرضُ والهواءُ
والنار ، والاسمانِ لا يتعاورانِ عندهم إلا الأرض .

(تقسيم النامي)

ثمَّ النامي على قسمين : حيوان ونبات ، والحيوانُ على أربعة أقسام :
شئٌ يمشى ، وشئٌ يطير ، وشئٌ يسبحُ ، وشئٌ يذساح^(١) . إلا أن كلَّ
طائرٍ يمشى ، وليس الذى يمشى ولا يطير يسمى طائراً . والنوعُ الذى يمشى
على أربعة أقسام : ناس ، وبهائم ، وسباع ، وحشرات . على أن الحشراتِ
راجعةٌ فى المعنى إلى مشاكلةِ طباعِ البهائمِ والسباع . إلا أننا فى هذا كله
نتبع الأسماءَ القائمة^(٢) المعروفة ، البائِئاتِ بأنفسِها ، التميِّزاتِ عند سامعيها ،
مِنْ أهلِ هذه اللغةِ وأصحابِ هذا اللسانِ ، وإنما نُفرد ما أفردوا ،
ونُجمَع ما جَمَعوا^(٣) .

(١) ينساح : يمشى على بطنه .

(٢) فى ط « الفارقة » .

(٣) فى ط « وإنما يفرد ما أفردوا ويجمع ما جمعا » .

(تقسيم الطير)

والطيرُ كلُّ سَبْعٍ وَبَهِيمَةٍ وَهَمَجٍ . والسباعُ من الطير على ضَرْبَيْنِ :
فمنها العِتاقُ والأحرارُ والجوارحُ ، ومنها البغاثُ (١) وهو كلُّ ما عظمَ من
الطير : سبعاً كان أو بهيمةً ، إذا لم يكن من ذواتِ السلاحِ والمخالبِ
المعقَّفةِ ، كالنَّسورِ والرَّخَمِ والغربانِ ، وما أشبهها مِنْ لثامِ السباعِ .

ثم الحشاشُ ، وهو ما لطفَ جرْمُه وصَغُرَ شخصُه ، وكان عديمَ السلاحِ
[ولا يكون (٢)] كالزَّرَقِ (٣) واليُؤيُّو (٤) والبادنجارِ (٥) .

فأما الهمَجُ فليس من الطير ، واسكنه مما يطير . والهمَجُ فيما يطيرُ ،
كالحشراتِ فيما يمشى .

والحيَّاتُ من الحشراتِ ، وأىُّ سبعٍ أَدخَلَ في معنى السَّبْعِيَّةِ مِنَ
الأفاعيِ والثعابينِ ؟ ولكن ليس ذلك من أسمائها ، وإن كانت من ذواتِ
الأنيابِ وأكَّالةِ اللحومِ وأعداءِ الإنسِ وجميعِ البهائمِ ، ولذلك تأكلُها
الأوعالُ (٦) والخنازيرُ والقنَافِذُ والعقبانُ (٧) والشاهمُركُ (٨) والسنانيرُ ، وغيرِ
ذلك من البهائمِ والسباعِ . فَمَنْ جَعَلَ الحَيَّاتِ سِباعاً ، وسَمَّها بذلك عندَ
بعضِ القومِ والسببِ فقد أصابَ ، ومن جَعَلَ ذلك لها كالاسمِ الذي هو العلامةُ

(١) في القاموس ، البغاثُ مثلثة : طائرٌ أغبرٌ جمعه كغزلان ، وشرار الطير .

(٢) كلمةٌ يفتقرُ إليها الكلامُ .

(٣) الزرق : طائرٌ يصاد به ، بين البازي والباشق ، وفيه ختلٌ وخبثٌ .

(٤) اليؤيو : من جوارح الطير يشبه الباشق .

(٥) كذا في ط و س و ١٠ س . وفي ل « الباذنجان » . وأراها محرقة عن « الباشق » . انظر

الحيوان ٢ : ١٨٨ .

(٦) في ط « الأوغال » وتصحيحه من ل ومن الحيوان للجاحظ ٢ : ٥٢ و ٦ : ٥٥ .

(٧) في ط « الغربان » .

(٨) الشاهمرك : الفقى من الدجاج قبل أن يبيض بأيام قلائل ، وهو معرب شاه مرغ ، ومعناه

ملك الطير . الدميرى .

كالكلب والذئب والأسد فقد أخطأ .

ومن سباع الطير شكلٌ يكون سلاحه الخالب كالعقاب وما أشبهها ، ١٥
وشيءٌ يكون سلاحه المناقير كالذئب والرَّخَم والغِرْبَان ، وإنما جعلناها سباعاً
لأنها أكلةٌ لحوم .

ومن بهائم الطير ما يكون سلاحه المناقير كالكرَّاكِي وما أشبهها ، ومنه
ما يكون سلاحه الأسنان كالبوم والوطواط وما أشبهها ، ومنه ما يكون
سلاحه الصياصي كالديكة ، ومنه ما يكون سلاحه السَّلح^(١) كالحباري^(٢)
والثعلب أيضاً كذلك .

والسَّبع من الطير : ما أكل اللحم خالصاً ، والبهيمة : ما أكلت الحبَّ
خالصاً . وفي الفن الذي يجمعها من الخلق المركب والطبع المشترك ، كلامٌ
سنأتى عليه في موضعه إن شاء الله تعالى .

والمشترك عندهم كالعصفور ؛ فإنه ليس بندي مخلبٍ معقف ولا منسر^(٣)
وهو يلقط الحبَّ ، وهو مع هذا يصيد النمل^(٤) إذا طار ، ويصيد الجراد ،
ويأكل اللحم ، ولا يزقُّ فراخه كما تزقُّ الحمام ، بل يلقمها كما تلقم
السباع من الطير فراخها . وأشباهُ العصافير من المشترك كثيرٌ ، وسندكر
ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

(١) السلاح والسلاح كفراب : النجو .

(٢) في ط « كالحباري » والصواب « كالحباري » كما في ل . وهي من الطيور التي
سلاحها سلاحها .

(٣) المنسر كجلس ومنبر : منقار الطير الجارح .

(٤) في ط « النحل » والصواب « النمل » كما في ل فان النحل طائر بطبعه ، وأما النمل فيعرض
له الطيران حين الكبر ، قال أبو العتاهية :

وإذا استوت للنمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطبه

وليس كلُّ ما طار بجناحين فهو من الطير ؛ قد يطير الجعلانُ والجحَلُ
واليعاسيبُ والذبابُ والزَّنابيرُ والجرادُ والنملُ والقراشُ والبَعوضُ والأرضةُ
والنحلُّ وغيرُ ذلك ، ولا يسمَّى بالطير . وقد يقال ذلك لها عند [بعض] الذكور
والسبب . وقد يسمُّون الدجاجَ طيراً ولا يسمُّون بذلك الجراد ، والجرادُ
أَطيرٌ^(١) ، والمثلُ المضروبُ به أشهر ، والملائكةُ تطيرُ ، ولها أجنحةٌ وليستُ
من الطير . وجعفر بن أبي طالب ذو جناحين يطير بهما في الجنة حيثُ شاء ،
وليس جعفرٌ من الطير .

واسم طائرٍ يقع على ثلاثة أشياء : صورة ، وطبيعة ، وجناح . وليس
بالريش والقوادِم^(٢) والأباهر^(٣) والحوافى^(٤) ، يسمَّى طائراً ، ولا بعده
يسقط ذلك عنه . ألا ترى أنَّ الحفَّاشَ والرَّطواطَ من الطير ، وإن كانا أمرطينِ
ليس لهما ريشٌ ولا زغبٌ ولا شكيرٌ ولا قصب^(٥) وهما مشهورانِ بالحمل
والولادة ، وبالرضاع ، وبظهور حَجْم الآذان ، وبكثرة الأسنان . والنعامة
ذاتُ ريشٍ ومنقارٍ وبيضٍ وجناحين ، وليست من الطير .
وليس أيضاً كلُّ عامٍ سمكة ، وإن كان مناسباً للسَّمك في كثير من
معانيه . ألا ترى أنَّ في الماء كَلْبَ الماء ، وعنزَ الماء ، وخنزيرَ الماء ؛
وفيه الرِّقُّ^(٦) والسُّلْحَفَاةُ ، وفيه الضَّفَدَعُ وفيه السرطان ، والبيذيبُ^(٧) ،

-
- (١) في ط « طير » والصواب ما في ل . وأطير : أشد طيرنا .
(٢) القوادِم والقداى - كحبارى - أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح . الواحدة قادمة .
(٣) الأبهر : الجانب الأقصر من الريش ، جمعه أباهر .
(٤) الحوافى : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .
(٥) الزغب : الريش القصير . والشكير : صغار الريش بين كبارها . والقصب : ضرب من
صغار الريش .
(٦) قال الدميري : بكسر الراء وبالقفاف : ضرب من دواب الماء يشبه التمساح . والرقة
أيضاً : العظيم من السلاحف ، وجمعه رقوق .
(٧) ورد هذا الاسم محرفاً في جميع النسخ فهو في ط « التبتل » وفي ل « البنيل » وفي س « الثبتل »
وصوابه في الدميري قال : « على وزن فيعيل سَمك بحرى معروف عند أهل البحر » .
وانظر معجم المملوف ٢٥١ .

والتَّمْساح والدُّخس والدُّلْفين واللَّحْمُ والبنبِك^(١) ، وغيرُ ذلك من الأصناف .
والكَّوسَج والدِّ اللّحْم ، وليس للكوسج أبٌ يُعرَف . وعامَّةٌ ذا يَعيشُ في الماء ، ١٦
ويبيتُ خارجاً من الماء ، وَيَبْيِضُ في الشَّطِّ ، وَيَبْيِضُ بيضاً له صُفْرَةٌ ، وقِيضُ
وِغْرَقِيٌّ ، وهو مع ذلك ممّا يكون في الماء مع السمك .

(تقسيم الحيوان إلى فصيح وأعجم)

ثمَّ لا يخرج الحيوان بعد ذلك في لغة العرب من فصيح وأعجم ، كذلك
يقال في الجملة ، كما يقال الصامت لما لا يصنع صمماً قطُّ ولا يجوز عليه
خلافه ، والناطق لما لم يتكلم قطُّ ، فيحملون ما يرغو ، وَيَثغو ، وَيَهقُ ،
ويَضهلُ ، وَيَشحجُ ، وَيَحُورُ ، وَيَبْغَمُ ، وَيَعويُ ، وَيَنْبَحُ ، وَيَزُقُو ،
ويَضغُو ، وَيَهْدِرُ ، وَيَصْفِرُ ، وَيُصَوِّصِي ، وَيُقَوِّقِي ، وَيَنْعَبُ ، وَيَزْأَرُ ،
ويَنْزِبُ^(٢) ، ويكشُّ^(٣) ، وَيَعِجُّ^(٣) ، على نطق الإنسان إذا جمع بعضه على بعض .
ولذلك أشباهه ، كالذكور والإناث إذا اجتمعا ، وكالغير التي تسمى لطيمة ،

(١) في الأصل : « البلبل » والصواب ما كتبه عن القاموس وعن معجم المثلوف
٢٢٥ قال الفيروزبادي « والبنبك ، كتمنذ وجندل : دابة كالدلّفين ، أو سمك يقطع
الرجل نصفين فيبلعه » .

(٢) في ط « يترب » وفي ل « ينبر » وهو تحريف ما أثبت .

(٣) الرغاء للإبل ، والثغاء للشاة ، والنهيق للحمير ، والصهيل للخيل ، والشحيج
للبنغال ، والحوار للثيران ، والبغام للظباء ، والعواء للذئاب ، والنباح للكلاب ،
والزقاء للديكة ، والضغاء للسنانير ، والهدير للفحول ، والصفير للنسور ،
والصوصاة للجراء ، والقوقاة للدجاج ، والنعيب للغربان والبوم ، والزئير للأسد ،
والنزيب للظباء أو ذكورها خاصة ، والكشيش للأفاعى تحدّثه بجلودها .
والعجيج : الصياح ، وأحسب هذه الكلمة « يفتح » والفتح صوت الأفاعى
تحدّثه بأفواها .

وكالظُّنن ؛ فإنَّ هذه الأشياء إذا وجد بعضها إلى بعض ، أو أخذ بعضها من بعض ، سُمِّيتْ بآنبه النوعين ذِكْرًا ، وبأقواهما . والفصيحُ هو الإنسان ، والأعجم كلُّ ذى صوتٍ لا يفهمُ إرادته إلا ما كان من جنسه . ولعمري إنا نفهم^(١) عن الفرس والحمار والكلبِ والسَّنور والبعير ، كثيرًا من إرادته وحوادثه وقصوده^(٢) ، كما نفهم إرادة الصبيِّ في مهده ونعلم^(٣) - وهو من جليل العلم - أن بكاءه يدلُّ على خلافٍ ما يدلُّ عليه ضحكُه . وحممةُ الفرس عند رؤية المخلاة^(٤) ، على خلاف ما يدلُّ عليه حممته عند رؤية الحجر ، ودعاء الهرة الهرَّ خلافُ دعائها لولدها ، وهذا كثير .

والإنسان فصيح ، وإن عبَّرَ عن نفسه بالفارسيَّة أو بالهنديَّة أو بالروميَّة ، وليس العربيُّ أسوأ فهمًا لِطَمَطَمَةِ الرومِيِّ [من الرومى] لبيان لسان العربيِّ . فكلُّ إنسانٍ من هذا الوجه يقال له فصيح ، فإذا قالوا : فصيح وأعجم ، فهذا هو التأويل في قولهم أعجم ، وإذا قالوا العرب والعجم ولم يلفظوا بفصيح وأعجم ، فليس هذا المعنى يريدون ، إنَّما يعنون أنه لا يتكلَّم بالعربيَّة ، وأنَّ العرب لا تفهم عنه . وقال كثيرٌ :

فبُورِكَ ما أعطى ابنُ لَيْلى بِنديَّةٍ وصامتُ ما أعطى ابنُ لَيْلى وناطقُه

(١) كذا على الصواب في ل . . وفي ط « إن التعميم » .

(٢) في الأصول « وقصوره » بالراء ولم يظهر معناه ، فكتبت مكانه « قصوده » جمع قصد .

(٣) في ط : « ونفهمه » . وانظر البيان ١ : ١٦٢ .

(٤) في ط « الفحل » وليس بالوجه . والوجه ما في ل ، وورد في ط زيادة

« من » قبل « حممة » وإثباتها يفسد التركيب .

ويقال « جاء بما صأى^(١) وصمت ». فالصامت مثل الذهب والفضة ، وقوله صأى^(١) يعنى الحيوان كله ، ومعناه نطق وسكت ؛ فالصامت فى كل شىء سوى الحيوان .

ووجدنا كون العالم بما فيه حكمة ، ووجدنا الحكمة على ضربين : شىء جعل حكمة وهو لا يعقل الحكمة ولا عاقبة الحكمة ، وشىء جعل حكمة وهو يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة . فاستوى بذلك الشىء العاقل وغير العاقل ١٧ فى جهة الدلالة على أنه حكمة ؛ واختلفا من جهة أن أحدهما دليل لا يستدل ، والآخر دليل يستدل ، فكل مستدل دليل وليس كل دليل مستدلا ، فشارك كل حيوان سوى الإنسان ، جميع الجماد فى الدلالة ، وفى عدم الاستدلال^(٢) ، واجتمع للإنسان أن كان دليلاً مستدلاً .
ثم جعل للمستدل سبب يدل به على وجوه استدلاله ، ووجوه ما نتج له الاستدلال ، وسموا ذلك بياناً .

(وسائل البيان)

وجعل البيان على أربعة أقسام : لفظ ، وخط ، وعقد^(٣) ، وإشارة ،

(١) فى ط « ضأى » بالضاد، وهو تصحيف صوابه ما فى ل ، س .
(٢) فى ط « وفى عدم الاستدلال وسموا ذلك بياناً » . و « وسموا ذلك بياناً » عبارة إضافية لامعنى لها .
(٣) تحدث الجاحظ عن العقد فى البيان ١ : ٢٧ ، ٧٦ ، وقال : إنه الحساب دون اللفظ والخط ، وقد علق الجاحظ عليه أهمية كبرى إذ يقول « وفى عدم اللفظ وفساد الخط ، والجهل بالعقد فساد جل النعم ، وفقدان جمهور المنافع » . فيظهر أن ذلك الضرب من الحساب كان شائعاً فى عصره . ووجدت للبغدادى كلاماً فى (العقد) ٣ : ١٤٧ بولاق ، قال « واعلم أن العقود والعقد نوع من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له : حساب اليد ، وقد ورد منه فى الحديث : وعقد عقد تسعين . وقد ألفوا فيه كتباً وأراجيز » . وانظر الخزانة .

وَجُعِلَ بَيَانُ الدَّلِيلِ الَّذِي لَا يَسْتَدِلُّ تَمَكِينُهُ الْمُسْتَدِلَّ مِنْ نَفْسِهِ ، وَاقْتِيَادَهُ كُلَّ مَنْ (١) فَكَّرَ فِيهِ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا اسْتُخْرِنَ مِنَ الْبُرْهَانِ ، وَحُشِيَ (٢) مِنَ الدَّلَالَةِ ، وَأُودِعَ مِنْ عَجِيبِ الْحِكْمَةِ . فَالْأَجْسَامُ الْخُرْسُ الصَّامِتَةُ ، نَاطِقَةٌ مِنْ جِهَةِ الدَّلَالَةِ ، وَمُعْرَبَةٌ مِنْ جِهَةِ صِحَّةِ الشَّهَادَةِ ، عَلَى أَنَّ الَّذِي فِيهَا مِنَ التَّدْبِيرِ وَالْحِكْمَةِ ، نَجْرٌ لِمَنْ اسْتَخْبَرَهُ ، وَنَاطِقٌ لِمَنْ اسْتَنْطَقَهُ ، كَمَا خَبَّرَ الْمُهْرَالُ وَكُسُوفَ اللَّوْنِ ، عَنْ سُوءِ الْحَالِ ، وَكَمَا يَنْطِقُ السَّمْنُ وَحُسْنُ النَّضْرَةِ ، عَنْ حَسَنِ الْحَالِ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ [وَهُوَ نَصِيبٌ] :

فَعَاجُوا فَاتْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

وَقَالَ آخَرُ :

مَتَى تَكُ فِي عَدُوٍّ أَوْ صَدِيقٍ مُتَخَبِّرُكَ الْعَيُونَ عَنِ الْقُلُوبِ

وَقَدْ قَالَ الْعُكْلِيُّ (٣) فِي صِدْقِ شَمِّ الذَّنْبِ وَفِي شِدَّةِ حَسِّهِ وَاسْتِرْوَاخِهِ :

يَسْتَخْبِرُ الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصِّفَا الْمَوْقِعِ (٤)

وَقَالَ عَنْرَةَ ، وَهُوَ يَصِفُ نَعِيبَ غُرَابٍ :

حَرِقُ الْجَنَاحِ كَأَنَّ لِحْيَ رَأْسِهِ جَلَمَانَ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلَعٌ (٥)

(١) فِي ط « وَاقْتِيَادَهُ فَكُلَّ » وَأَصْلَحَتِ الْعِبَارَةُ مِنْ ل .

(٢) فِي ط « وَحُشِيَ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ ظَاهِرٌ تَوْجِيهِيٌّ فِي ل .

(٣) هُوَ أَبُو الرَّدِينِيِّ الْعُكْلِيُّ ، كَمَا فِي الْبَيَانِ ١ : ٨٢ . وَانظُرِ الْلسَانَ (خنر) .

(٤) قَالَ الْجَاهِظُ فِي الْبَيَانِ : الْمِقْرَاعُ : الْفَأْسُ الَّتِي يَكْسِرُ بِهَا الصَّخْرَ . وَالْمَوْقِعُ : الْمَحْدَدُ .

(٥) فِي ط « حَرِقُ » بِالْخَاءِ وَهُوَ تَصْحِيفٌ ، صَوَابُهُ فِي ل وَفِي الْبَيَانِ . قَالَ الْجَاهِظُ

فِي الْبَيَانِ ١ : ٨٢ : « الْحَرِقُ : الْأَسْوَدُ ، شَبَّهَ لِحْيَتَهُ بِالْجَلْمَيْنِ لِأَنَّ الْغُرَابَ يَخْبِرُ

بِالْغُرْبَةِ وَالْفَرْقَةِ ، وَيَقْطَعُ كَمَا يَقْطَعُ الْجَلْمَانُ » . وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ رَشِيقٍ هَذَا الْبَيْتَ فِي

الْعَمْدَةِ ١ : ٢٠٢ وَجَعَلَهُ مِنَ التَّشْبِيهَاتِ الْعَقْمِ ، الَّتِي لَمْ يَسْبِقْ أَصْحَابُهَا إِلَيْهَا وَلَا تَعْدَى

أَحَدٌ بَعْدَهُمْ عَلَيْهَا .

وقال الفضل بن عيسى بن أبان في قصصه (١) : سَلَّ الأَرْضَ ، فقل : مَنْ شَقَّ
أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ؛ فإن لم تُجِبْكَ حِوَاراً ،
أجابتك اعتباراً .
فموضوعُ الجسم ونصبتُه ، دليلٌ على ما فيه وداعيةٌ إليه ، ومنبهةٌ (٢) عليه .
فالحمادُ الأَبَكُّ الأخرسُ من هذا الوجه ، قد شارك في البيان الإنسان الحيُّ
الناطق . فمن جعل أقسام البيان خمسة ، فقد ذهب أيضاً مذهباً له جوازٌ في اللغة ،
وشاهدٌ في العقل . فهذا أحدُ قسمي الحكمة ، وأحدُ معني (٣) ما استخزنها (٤) ١٨
الله تعالى من الوديعه .

(ما يعجز عنه الإنسان مما قدر عليه الحيوان)

والقسمة الأخرى ما أودع صدورَ صنوفِ سائرِ الحيوان ، من ضروب (٥)
المعارف ، وفطرها عليه من غريب (٦) الهدايات ، وسخر حناجرها له من
ضروبِ النغم الموزونة ، والأصواتِ الملحنة ، والمخارجِ الشجية ،
والأغاني المطربة ؛ فقد يقال إنَّ جميعَ أصواتها معدلة ، وموزونة موقعة ،
ثمَّ الذي سهل لها من الرفق العجيب في الصنعة ، مما ذلَّه الله تعالى
لمناقيرها وأكفِّها ، وكيف فتح لها من باب المعرفة على قدر ما هيأ لها
من الآلة ، وكيف أعطى كثيراً منها من الحسِّ اللطيف ، والصنعة
البديعة ، من غير تأديبٍ وثقوب ، ومن غير تقويمٍ وتلقين ، ومن غير
تدريجٍ وتمرين ، فبلَّغتْ بعنموها وبمقدار قوى فطرته ، من البديهة

(١) انظر البيان ١ : ٨١ .

(٢) في ط « ومهيمنة » والوجه ما في ل .

(٣) في الأصل « معنى » والصواب التثنية .

(٤) في الأصل « استخزنها » والضمير راجع إلى « الحكمة » .

(٥) في ط « ضرب » وصوابه في ل .

(٦) في ط « غريب » وهو تصحيف ظاهر .

والارتجال ، ومن الابتداء والاختصاص ، ما لا يقدر عليه حذاق رجال
الرأى ، وفلاسفة علماء البشر ، بيد ولا آلة . بل لا يبلغ ذلك من الناس
أكملهم خصالاً وأتمهم خلاصاً ، لا من جهة الاختصاص والارتجال ، ولا من
جهة التعسف والاعتدار ، ولا من جهة التقدم فيه ، والتأني فيه ، والتأني له .
والترتيب لمقدماته ، وتمكين الأسباب المعينة عليه . فصار جهد^(١) الإنسان
الثاقب الحس ، الجامع القوى ، المتصرف في الوجوه ، المقدم في الأمور ،
يعجز عن عفو كثير منها ؛ وهو ينظر إلى ضروب ما يجيء منها ، كما
أعطيت العنكبوت ، وكما أعطيت السُرْفَة ، وكما علم النحل ، بل^(٢)
وعرف التنوط من بديع المعرفة ، ومن غريب الصنعة ، في غير ذلك من
أصناف الخلق . ثم لم يوجب لهم^(٣) العجز في أنفسهم في أكثر ذلك ،
إلا بما قوى عليه الهمج والحشاش وصغار الحشرات ، ثم جعل الإنسان
ذا العقل والتمكين^(٤) ، والاستطاعة والتصريف ، وذا التكلف والتجربة ،
وذا التأني والمنافسة ، وصاحب الفهم والمسابقة^(٥) ، والمتبصر شأن العاقبة ،
متى أحسن شيئاً كان كل شيء دونه في الغموض عليه أسهل ، وجعل
سائر الحيوان ، وإن كان يحسن أحدها ما لا يحسن أحدق الناس متى
أحسن شيئاً عجيبياً ، لم يمكنه أن يحسن ما هو أقرب منه في الظن ، وأسهل
منه في الرأى ، بل لا يحسن ما هو أقرب منه في الحقيقة . فلا الإنسان جعل

(١) في ط « جملة » وصوابه في ل .

(٢) هذا الحرف ليس في ل .

(٣) في ط ، ل « يوجد لهم » موضع « يوجب لهم » وما أثبتته هو الوجه .

(٤) في ط « ليعلم الإنسان أن ذا العقل والتمكين » ووجه ما في ل لتم المقارنة بقوله بمد :
« وجعل سائر الحيوان . . الخ » .

(٥) في الأصل « السابقة » وكتبت ما هو أشبه بالكلام .

نفسه كذلك ، ولا شئ من الحيوان اختارَ ذلك ، فأحسنَت هذه الأجناسُ
بلا تعلم ، ما يمتنع على الإنسان وإن تعلم ، فصار لا يحاوله ؛ إذ كان ١٩
لا يطمع فيه ، ولا يحسدها ؛ إذ لا يؤمل اللحاقَ بها . ثم جعل تعالى وعزاً ،
هاتين الحكمتين بإزاء عيون الناظرين ، وتجاهَ أسماعِ المعتبرين ، ثم حثَّ
على التفكير والاعتبار ، وعلى الاتعاظ والازديجار ، وعلى التعرف والتبين ،
وعلى التوقف والتذكر ، فجعلها مذكرةً منبهةً ، وجعل الفطر تُنشئ (١)
الخواطر ، وتجوُّلُ أهلها في المذاهب . ذلكَ اللهُ رَبُّ العالمين ، ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ
أَحْسَنُ الْحَالِقِينَ ﴾ .

(مزج الهزل بالجد في الكتاب)

وهذا كتابٌ موعظةٍ وتعريفٍ وتفقهٍ وتنبية . وأراك قد عبته قبل أن
تقف على حدوده ، وتفكر في فصوله ، وتعتبر (٢) آخره بأوله ، ومصايدره
بموارده ، وقد غلظك فيه بعض ما رأيت [في أثنائه] من مزحٍ لم تعرف
معناه ، ومن بطلالةٍ لم تطلع على غورها ؛ ولم تدبر لم اجتلبت ، ولا لأى
علة تُكلفت ، وأى شئ أربغ بها ، ولأى جدٍ احتمل ذلك الهزل ،
ولأى رياضةٍ نُجشمت تلك البطلالة ؛ ولم تدبر أن المزاح جدٌ إذا اجتلب
ليكون علةً للجد ، وأن البطلالة وقارٌ ورزاة ، إذا تُكلفت لتلك العاقبة .
ولما قال الخليل بن أحمد : لا يصل أحدٌ من علم النحو إلى ما يحتاج إليه .

(١) هذا ما في ل . وفي ط « وجعل الفكر ينشئ » .

(٢) في الأصل « تفكر » والوجه : « تعتبر » .

حَتَّى يَتَعَلَّمَ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، قَالَ أَبُو شَمْرٍ : إِذَا كَانَ لَا يُتَوَصَّلُ إِلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِلَّا بِمَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فَقَدْ صَارَ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَذَلِكَ مِثْلَ كِتَابِنَا هَذَا ؛ لِأَنَّهُ إِنْ حَمَلْنَا جَمِيعَ مَنْ يَتَكَلَّفُ قِرَاءَةَ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى مُرِّ الْحَقِّ ، وَصُعُوبَةِ الْجِدِّ ، وَثِقَلِ الْمَثُونَةِ ، وَحِلْيَةِ الْوَقَارِ ، لَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ مَعَ طَوْلِهِ إِلَّا مَنْ تَجَرَّدَ لِلْعِلْمِ ، وَفَهَمَ مَعْنَاهُ ، وَذَاقَ مِنْ ثَمَرَتِهِ ، وَاسْتَشْعَرَ قَلْبَهُ مِنْ عِزِّهِ ، وَنَالَ سُرُورَهُ عَلَى حَسَبِ مَا يُبْرِثُ الطَّوْلُ مِنَ الْكَدِّ ، وَالسَّكْرَةِ مِنَ السَّامَةِ . وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يُقَادُ إِلَى حِطَّةٍ بِالسَّوَابِجِرِ (١) ، وَبِالسُّوقِ الْعَنِيفِ ، وَبِالْإِخَافَةِ الشَّدِيدَةِ .

(نَمَتْ الْكِتَابِ)

ثُمَّ لَمْ أَرَكَ رَضِيْتَ بِالطَّعْنِ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ لِي بَعِيْنِهِ ، حَتَّى تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ عَيْتَ وَضَعَ الْكُتُبِ كَيْفَمَا دَارَتْ بِهَا الْحَالُ ، وَكَيْفَ تَصَرَّفَتْ (٢) بِهَا الْوُجُوهُ . وَوَقَدْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ عَيْبِكَ الْبَعْضَ بِبَلَا عِلْمٍ ، حَتَّى عَيْتَ الْكُلَّ بِبَلَا عِلْمٍ ، ثُمَّ تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ إِلَى التَّشْنِيعِ ، ثُمَّ تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ إِلَى نَصْبِ الْحَرْبِ فَعَيْتَ الْكِتَابَ ؛ وَنَعِمَ الذَّخِرُ وَالْعُقْدَةُ (٣) هُوَ ، وَنَعِمَ الْجَلِيسُ وَالْعُدَّةُ ، وَنَعِمَ النَّشْرَةُ وَالنَّزْهَةُ ، وَنَعِمَ الْمَشْتَغَلُ وَالْحَرْفَةُ ، وَنَعِمَ الْأُنَيْسُ لِسَاعَةِ الْوَحْدَةِ ، وَنَعِمَ الْمَعْرِفَةُ بِبِلَادِ الْغَرْبَةِ ، وَنَعِمَ الْقَرِينُ وَالذَّخِيلُ ، وَنَعِمَ الْوَزِيرُ وَالنَّزِيلُ .
٢ وَالْكِتَابُ وَعَاءٌ مُلِيٌّ عِلْمًا ، وَظَرْفٌ حُشِيٌّ ظَرْفًا ، وَإِنَاءٌ شُحِنَ مُزَاحًا وَجِدًّا ؛

(١) الساجور : خشبة تعلق في عنق الكلب . وسجره : شده به كسوجره . وانظر البيان ٣ : ٥٥ .

(٢) في الأصل : « تصرف » .

(٣) العقدة ، بضم العين : مافيه بلاغ الرجل وكفايته .

إِن شئتَ كَانَ أَبِينُ من سَحْبَانٍ وائلٍ ، وَإِن شئتَ كَانَ أَعْيَا من بَاقِلٍ ، وَإِن
شئتَ ضَحِجْتَ من نَوَادِرِهِ ، وَإِن شئتَ عَجِبْتَ من غَرَائِبِ فَرَائِدِهِ ، وَإِن
شئتَ أَهْنَكِ طَرَائِفُهُ ، وَإِن شئتَ أَشَجَّتْكَ مَوَاعِظُهُ . وَمَنْ لَكَ بِوَاعِظِ مُلِهِ ،
وَبزَاجِرِ مُغْرٍ ، وَبِنَاسِكِ فَاتِكِ ، وَبِنَاطِقِ أَخْرَسٍ ، وَبِبَارِدِ حَارٍّ . وَفِي البَارِدِ
الحَارُّ يَقُولُ الحَسَنُ بنُ هَانِي^(١) :

قُلْ لَزُهَيْرٍ إِذَا انْتَحَى وَشَدَا أَقْلِيلٌ أَوْ أَكْثَرٌ فَأَنْتَ مِهْدَارُ^(٢)
سَخُنْتَ مِنْ شِدَّةِ البُرُودَةِ حَـ سَيَّ صِرْتَ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ^(٣)
لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي كَذَلِكَ الثَّلْجُ بَارِدٌ حَارُّ^(٤)
وَمَنْ لَكَ بِطَيْبِ^(٥) أَعْرَابِيٍّ ، وَمَنْ لَكَ بِرُومِيٍّ هِنْدِيٍّ ، وَبِفَارِسِيٍّ^(٦)
يُونَانِيٍّ ، وَبِقَدِيمٍ مَوْلَدٍ ، وَبِمَيْتٍ مَمْتَعٍ^(٧) ، وَمَنْ لَكَ بِشَيْءٍ يَجْمَعُ لَكَ
الأَوَّلَ وَالآخِرَ ، وَالنَّاقِصَ وَالوَاقِفَ ، وَالْحَقِيَّ وَالظَّاهِرَ ، وَالشَّاهِدَ وَالغَائِبَ ،
وَالرَّفِيعَ وَالرَّوَضِيعَ ، وَالنَّعْثَ وَالسَّمِينَ ، وَالشُّكْلَ وَخِلَافَهُ ، وَالجِنْسَ وَضَدَّهُ .
وبعد : فَتَى رَأَيْتَ بَسْتَانًا يُحْمَلُ فِي رُدُنٍ^(٨) ، وَرَوْضَةً تُقَلُّ^(٩)

- (١) الأبيات في الديوان ١٨١ وعيون الأخبار كذلك ٢ : ٧ والعقد ٦ : ٧٥ .
(٢) في ط « إذا انتحى لشدا » وتصحيحه من ل والديوان ، وعيون الأخبار . وفي ط
« مهذار » بالدال .
(٣) في أخبار أبي نواس لابن منظور ١٤ : « هذا شيء أخذه أبو نواس من مذاهب حكماء
الهند ، فإنهم يقولون : إن الشيء إذا أفرط في البرودة انقلب حارا . وقالوا :
إن الصندل يحك منه اليسير فيبرد ، فإذا أكثر منه سخن » .
(٤) خفف راء (حار) لضرورة الوزن .
(٥) في ط « بطيب » وأصلحته من ل ومن المحاسن ٤ .
(٦) في ط « بفارس » وصوابه في ل والمحاسن ٤ .
(٧) في ط « ممتع » وفي المحاسن : « ونجيب ممتع » .
(٨) الردن : أصل الكم . . ويظهر أنهم يستعملونه كذلك في الكم نفسه .
(٩) في ط « تقلب » ، والوجه « تقل » لتتلام مع « يحمل » إذ هما بمعنى . وفي
المحاسن « تنقل » .

في حِجْرٍ ، وناطقاً ينطق عن الموتى ، ويُترجمُ عن الأحياء ! ! وَمَنْ لك
بمؤنس لا ينام إلا بنومك ، ولا ينطق إلا بما تهوى ؛ آمَنُ مِنَ الأَرْضِ ،
وأَكْمُ للسرِّ من صاحب السرِّ ، وأحفظُ للوديعَةِ من أرباب الوديعَةِ ،
وأحفظُ لما استُحْفِظَ من الآدميين ، ومن الأعرابِ المعربين^(١) ، بل مِنَ
الصَّبِيانِ قبلَ اعتراضِ الاشتغال ، ومن العُميانِ قبلَ التَّمَتُّعِ بتمييزِ الأشخاصِ ،
حينَ العنايةِ تامَّةٌ لم تنقصْ ، والأذهانُ فارغةٌ لم تنقسمْ ، والإرادةُ وافرةٌ
لم تتشعبْ ، والطَّيْنَةُ لينةٌ ، فهي أقبلُ ما تكونُ للطبائعِ ، والقضيبُ
رطبٌ ، فهو أقربُ ما يكونُ من العلوقِ ، حينَ هذه الحِصَالُ لم يَخْلُقْ
جديدها ، ولم يُوهنْ غَرْبُهَا ، ولم تنفَرِّقْ قُواها ، وكانت كما قال الشاعر^(٢) :

أنا في هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا
وقال عبدة بن الطبيب^(٣) :

لأناموا قوماً يشبُّ صبيهم بين القوابلِ بالعداوةِ يُدشعُ^(٤)
ومن كلامهم : التعلُّمُ في الصَّغَرِ كالنقشِ في الحجرِ . وقد قال جرَّانُ العودِ^(٥) :

[تُرْكَنُ برجلةِ الروحاءِ حتَّى تنكَّرتِ الديارُ على البصيرِ]
كوخِي في الحِجَارَةِ أو وُشومِ بأيدي الرُّومِ بأقيَّةِ النُّورِ
وقال آخر ، وهو صالحُ بن عبد القدُّوسِ :

وإنَّ من أدبته في الصَّبِيِّ كالعودِ يُسقى الماءَ في غرسيه

(١) في ط « المتعربين » وإنما يتعرب الأعاجم . وهو تحريف صوابه في ل .
(٢) هو مجنون بن عامر كما في بيان الجاحظ ٢ : ٤٢ .
(٣) البيت ساقط من ل . . وفي ط « نَميرة بن الطبيب » والتصحيح من س .
(٤) نشع الصبى وأنشعه : أوجره . والنشوع : الوجور .
(٥) شاعر نمرى اسمه عامر بن الحارث ، لقب بذلك لقوله يخاطب امرأته :
خذا حذرا يا جارتي فإنني رأيت جرَّان العود قد كاد يصلح
وله ديوان طبعته دار الكتب .

حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا بَعْدَ الَّذِي قَد كَانَ فِي يُبْسِهِ (١)

وقال آخر :

يُقَوِّمُ مِنْ مَيْلِ الْغُلَامِ الْمُؤَدَّبُ وَلَا يَنْفَعُ التَّادِيبُ وَالرَّأْسُ أُشِيبُ

وقال آخر :

وَتَلْوُمُ عِرْسِكَ بَعْدَ مَا هَرِمْتَ وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرَمِ

وقد قال ذو الرُّمَّة (٢) لعيسى بن عمر (٣) : أَكْتُبُ شِعْرِي ؛ فَالْكِتَابُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحِفْظِ . لِأَنَّ الْأَعْرَابِيَّ يَنْسِي الْكَلِمَةَ وَقَدْ سَهَرَ فِي طَلَبِهَا لَيْلَتَهُ ، فَيَضَعُ فِي مَوْضِعِهَا كَلِمَةً فِي وَزْنِهَا ، ثُمَّ يُنْشِدُهَا النَّاسَ ، وَالْكِتَابُ لَا يَنْسَى وَلَا يُبَدِّلُ كَلَامًا بِكَلَامٍ .

وعبتَ الكتابَ ، ولا أعلمُ جاراً أبرَّ ، ولا خَلِيطاً أنصفَ ، ولا رفيقاً أطوعَ ، ولا معلماً أخضعَ ، ولا صاحباً أظهرَ كفايةً ، ولا أقلَّ جنابةً ، ولا أقلَّ إملالاً وإبراماً ، ولا أحفلَ أخلاقاً ، ولا أقلَّ خِلَافاً وإجراماً ، ولا أقلَّ غيبةً ، ولا أبعدَ من عَضِيبة (٤) ، ولا أكثرَ أعجوبةً وتصرُّفاً ، ولا أقلَّ

(١) المحفوظ « من يبسه » .

(٢) في ط « ذو الرومة » وواضح تحريفه .

(٣) عيسى بن عمر الثقفي ، أبو عمر ، مولى خالد بن الوليد ، نزل في ثقيف فنسب إليهم ، إمام في النحو والعربية ، أخذ عن أبي عمرو وعبد الله بن أبي إسحق ، وروى عن الحسن البصري والعجاج ورؤبة ، وعنه الأصمعي ، ويقال إنه له نيفاً وسبعين مصنفاً ذهبت كلها ، وكان يتقعر في كلامه . حكى عنه الجوهري في الصحاح وغيره ، أنه سقط عن حمار فاجتمع إليه الناس فقال : « مالي أراكم تكأكم على كتفكم على ذي جنة ؟ ! افرنقوا عني » . وأتمه عمر بن هبيرة بوديعة ، فضربه نحو ألف سوط ، فجعل يقول : « والله إن كانت إلا أثياباً في أسقاط قبضها عشاروك ! » . وانظر بغية الوعاة ٢٧٠ .

(٤) العضية : الكذب والإفك والبهتان .

تصلفاً وتكلفاً، ولا أبعد من مراءٍ ، ولا أترك لشغب ، ولا أزهّد في جدالٍ ،
ولا أكفّ عن قتالٍ ، من كتاب . ولا أعلم قريناً أحسن موافاةً ، ولا أعجل
مكافاةً ، ولا أحضر معونةً ، ولا أخفّ مئونةً ، ولا شجرةً أطولَ عمراً ، ولا
أجمعَ أمراً ، ولا أطيبَ ثمرةً ، ولا أقربَ مجتنىً ، ولا أسرعَ إدراكاً ، ولا
أوجدَ في كلِّ إبتانٍ ، من كتاب . ولا أعلم نتاجاً في حدائثِ سنّه وقُرب
ميلاده ، ورخص ثمنه ، وإمكان وجوده ، يجمع من التداوير العجيبة
والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأذهان اللطيفة ،
ومن الحكم الرفيعة ، والمذاهب القويمة^(١) ، والتجارب الحكيمة ، ومن
الإخبار عن القرون الماضية ، والبلاد المتنازحة ، والأمثال السائرة ، والأم
البائدة ، ما يجمع لك الكتاب . قال الله عزّ وجلّ لنبه عليه الصلاة
والسلام ﴿إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ﴿فَوَصَفَ نَفْسَهُ ،
تبارك وتعالى ، بأنّ علمَ بالقلم ، كما وصف نفسه بالكرم ، واعتدّ بذلك
في نعمة العظام ، وفي أياديه الجسام . وقد قالوا : القلمُ أحدُ اللسانين ، وقالوا :
كلُّ مَنْ عَرَفَ النُّعْمَةَ فِي بَيَانِ اللِّسَانِ ، كان بفضل النُّعْمَةِ فِي بَيَانِ القَلَمِ
أَعْرَفَ . ثُمَّ جَعَلَ هَذَا الأَمْرَ قَرَأْنَا ، ثُمَّ جَعَلَهُ فِي أوَّلِ التَّنْزِيلِ
وَمُسْتَفْتَحِ السِّكِّتِ .

٢٣

(كون الاجتماع ضرورياً)

ثمّ اعلم ، رحمتك الله تعالى ، أنّ حاجة بعض الناس إلى بعضٍ ، صفة
لازمة في طبائعهم ، وخلقة قائمة في جواهرهم ، وثابتة لا تنزأيلهم ، ومحيطة
بجماعتهم ، ومشملة على أذنهم وأصاهم ، وحاجتهم إلى ما غاب عنهم -

(١) في الأصل « القديمة » بالدال .

مَمَا يُعِيشُهُمْ وَيُخَيِّمُهُمْ ، وَيُمْسِكُ بِأَرْمَاقِهِمْ ، وَيُصَلِّحُ بِهِمُ ، وَيَجْمَعُ شَمْلَهُمْ ، وَإِلَى التَّعَاوُنِ فِي دَرْكِ ذَلِكَ ، وَالتَّوَازُرِ عَلَيْهِ - كَحَاجَتِهِمْ إِلَى التَّعَاوُنِ عَلَى مَعْرِفَةِ مَا يَضُرُّهُمْ ، وَالتَّوَازُرِ عَلَى مَا يَحْتَاجُونَ مِنَ الِارْتِفَاقِ بِأُمُورِهِمُ الَّتِي لَمْ تَغِبْ عَنْهُمْ ، فَحَاجَةُ الْغَائِبِ مَوْصُولَةٌ بِحَاجَةِ الشَّاهِدِ ، لِاحْتِيَاجِ الْأَدْنَى إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَقْصَى ، وَاحْتِيَاجِ الْأَقْصَى إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَدْنَى ، مَعَانٍ مُتَضَمِّنَةٌ ، وَأَسْبَابٌ مُتَّصِلَةٌ ، وَحِبَالٌ مُنْعَقِدَةٌ . وَجَعَلَ حَاجَتَنَا إِلَى مَعْرِفَةِ أَخْبَارِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، كَحَاجَةِ [مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِلَى أَخْبَارِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ ، وَحَاجَةِ [مَنْ يَكُونُ بَعْدَنَا إِلَى أَخْبَارِنَا ؛ وَلِذَلِكَ تَقَدَّمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْبِشَارَاتِ بِالرُّسُلِ ، وَلَمْ يَسْخَرْ لَهُمْ جَمِيعَ خَلْقِهِ ، إِلَّا وَهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَى الِارْتِفَاقِ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ . وَجَعَلَ الْحَاجَةَ حَاجَتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا قِوَامٌ وَقُوَّةٌ ، وَالْأُخْرَى لَذَّةٌ وَإِمْتَاعٌ وَازْدِيَادٌ فِي الْآلَةِ ، وَفِي كُلِّ مَا أَجْدَلَ النُّفُوسَ ، وَجَمَعَ لَهُمُ الْعِتَادَ ^(١) . وَذَلِكَ الْمَقْدَارُ مِنْ جَمِيعِ الصَّنْفَيْنِ وَفَقْ لِكثْرَةِ حَاجَاتِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ ، وَعَلَى قَدْرِ اتِّسَاعِ مَعْرِفَتِهِمْ وَبُعْدِ غَوْرِهِمْ ، وَعَلَى قَدْرِ احْتِمَالِ ^(٢) طَبْعِ الْبَشَرِيَّةِ وَفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ . ثُمَّ لَمْ يَقْطَعْ الزِّيَادَةَ إِلَّا لِعَجْزِ خَلْقِهِمْ عَنْ احْتِمَالِهَا ، وَلَمْ يَجْزْ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَجْزِ ، إِلَّا بَعْدَمَ الْأَعْيَانِ ، إِذْ كَانَ ^(٣) الْعَجْزُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ ، وَنَعْتًا مِنْ نَعُوتِ الْعَبِيدِ .

لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ تَعَالَى أَحَدًا يَسْتَطِيعُ بَلُوغَ حَاجَتِهِ بِنَفْسِهِ ^(٤) دُونَ الْاِسْتِعَانَةِ

(١) فِي ط : « الْمَعْتَاد » وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٢) فِي ط : « اِعْتِمَار » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل .

(٣) فِي ط : « إِذَا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ يَقَعُ كَثِيرًا فِي مَوَاضِعَ تَشْبِهٍ هَذَا .

(٤) فِي ط : « بِنَفْسِهِ » وَالْوَجْهَ مَا أُثْبِتَ عَنْ ل .

ببعض من سخر له ، فأدناهم مسخر لأقصاهم ، وأجلهم ميسر لأدقهم .
وعلى ذلك أحوج الملوك إلى السوق في باب ، وأحوج السوقة إلى الملوك
في باب ، وكذلك الغنى والفقير ، والعبد وسيده . ثم جعل الله تعالى كل
شيء للإنسان خوفاً ، وفي يده مذكلاً ميسراً^(١) إما بالاحتياط له والتلطف
في إراغته واستمالته ، وإما بالصولة عليه ، والفتك به ، وإما أن يأتيه
سهواً ورهواً . على أن الإنسان لولا حاجته إليها ، لما احتال لها ، ولا صال
عليها . إلا أن الحاجة تفرق في الجنس والجهة والجيلة ، وفي الحظ والتقدير . ٢٣

ثم تعبد الإنسان بالتفكير فيها ، والنظر في أمورها ، والاعتبار
بما يرى ، ووصل بين عقولهم وبين معرفة تلك الحكم الشريفة ، وتلك
الحاجات اللازمة ، بالنظر والتفكير ، وبالتنقيب^(٢) والتنقيب ، والتثبت^(٣)
والتوقف ؛ ووصل معارفهم بمواقع حاجاتهم إليها ، وتشاعرهم بمواضع
الحكم فيها بالبيان عنها .

(البيان ضروري للاجتماع)

وهو البيان الذي جعله الله تعالى سبباً فيما بينهم ، ومعبراً عن حقائق
حاجاتهم ، ومعرفاً لمواضع سد الخلة ورفع الشبهة ، ومداواة الخيرة ، ولأن
أكثر الناس عن الناس أفهم منهم عن الأشباح المائلة ، والأجسام
الجامدة ، والأجرام الساكنة ، التي لا يتعرف ما فيها من دقائق الحكمة

(١) في ط : « مذ ، إلا ميسراً » والوجه ما في ل .

(٢) كذا في ل : وهو الصواب . وفي ط : « والتنقيب » .

(٣) كذا في ل وهو الوجه . والذي في ط : « والتثبت » .

وكنوز الآداب ، وينايع العلم ، إلا بالعقل الثاقب اللطيف ، وبالنظر
النائم النافذ ، وبالأداة الكاملة ، وبالأسباب الوافرة ، والصبر على مكروه
الفكر ، والاحتراس من وجوه الخدع ، والتحفظ من دواعي الهوى ؛ ولأن
الشكل أفهم عن شكله ، وأسكن إليه وأصب به . وذلك موجود في
أجناس البهائم ، وضروب السباع . والصبى عن الصبي أفهم له ، وله آلف
وليه أنزع ، وكذلك العالم والعالم ، والجاهل والجاهل ، وقال الله عز وجل
لنبيّه عليه الصلاة والسلام ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ لَأَنَّ
الإنسان عن الإنسان أفهم ، وطباعه بطباعه آنس ؛ وعلى قدر ذلك يكون
موقع ما يسمع منه .

ثم لم يرض لهم من البيان بصنف واحد ، بل جمع ذلك ولم يفرق ،
وكثر ولم يقلل ، وأظهر ولم يخف ، وجعل آلة البيان التي بها يتعارفون
معانيهم ، والترجمان الذي إليه يرجعون عند اختلافهم ؛ في أربعة أشياء ؛
وفي خصلة خامسة ؛ وإن نقصت عن بلوغ هذه الأربعة في جهاتها ، فقد
تبدل بجنسها الذي وضعت له وصرفت إليه ، وهذه الخصال هي : اللفظ ،
والخط ، والإشارة ، والعقد ؛ والخصلة الخامسة ما أوجد من صحة الدلالة ،
وصدق الشهادة ووضوح البرهان ، في الأجرام الجامدة والصامته ؛
والساكنة التي لا تتبين (١) ولا تحس ، ولا تفهم ولا تتحرك إلا بدخول
يدخل عايبها ، أو عند ممسك خلى عنها ، بعد [أن] كان تقييده لها .

ثم قسم الأقسام ورتب المحسوسات ، وحصل الموجودات ، فجعل
اللفظ للسامع ، وجعل الإشارة للناظر ، وأشرك الناظر واللامس في معرفة

(١) في ل : « لا تنبس » ، أى تنطق . والتبين هنا معناه التفهم .

٢٤ العَقْد ، إلا بما فضّل الله به نصيبَ الناظرِ في ذلك على قدرِ نصيبِ اللامس . وجعلَ الخطَّ دليلاً على ما غابَ من حوائجِه عنه ، وسبباً موصولاً بينه وبين أعوانه ؛ وجعله خازناً لما لا يأمن نسيانَه ، ممّا قد أحصاه وحفظه ، وأتقنه وجمعه ، وتسكلف الإحاطة به ؛ ولم يجعل للشامِّ والذائق نصيباً .

(خطوط الهند)

ولولا خطوطُ الهندِ لضاع من الحسابِ الكثيرُ والبسيطُ ، ولبطلت^(١) معرفةُ الضاعيفِ ، ولعدِموا الإحاطةَ بالباوراتِ وباوراتِ الباوراتِ^(٢) ، ولو أدركوا ذلك لما أدركوه^(٣) [أن] تغلظَ المثونةُ ، وتنتقصَ المنةُ ، ولصاروا في حالٍ معجزةٍ وحسورٍ ، وإلى حالٍ مضیعةٍ وكلالٍ حدٍّ ، مع التشاغلِ بأمورٍ لولا فقدُ هذه الدلالةِ لكان أربحَ لهم ، وأردَّ عليهم ، أن يُصرفَ ذلك الشغلُ في أبوابِ منافعِ الدين والدنيا .

(نفع الحساب)

ونفع الحساب معلوم ، والخلّةُ في موضعِ فقدهِ معروفة . قال الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ . ثم قال : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ . وبالبيانِ عرّفَ الناسُ القرآنَ . وقال الله تبارك وتعالى

(١) في ط : « ولبطلت » .

(٢) رسمت هذه الكلمات باثبات ألفات بعد واواتها في ط : ورسمت في ل بحذفها .

(٣) في ط : « ولو أدكروا ذلك لما أدكروه » وهو تحريف أصلحته من ل .

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ، وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ ، لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ فَأَجْرَى الْحِسَابَ مُجْرَى الْبَيَانِ بِالْقُرْآنِ . وَبِحُسْبَانِ مَنَازِلِ الْقَمَرِ ، عَرَفْنَا حَالَاتِ الْمَدِّ وَالْجُزْرِ ، وَكَيْفَ تَسْكُونُ الزِّيَادَةُ فِي الْأَهْلَةِ وَأَنْصَافِ الشُّهُورِ (١) ، وَكَيْفَ يَكُونُ النِّقْصَانُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ ، وَكَيْفَ تَلِكِ الْمَرَاتِبُ وَتَلِكِ الْأَقْدَارِ .

(فضل الكتابة)

ولولا السكتبُ المدوّنة والأخبار المخلّدة ، والحكم المخطوطة التي تُحصّن الحسابَ وغيرَ الحساب ، لبطلَ أكثرُ العلم ، ولغلبَ سلطانُ النسيانِ سلطانَ الذكْرِ ، ولما كان للناس مفرعٌ إلى موضعِ استذكار . ولو تمَّ ذلك لحرمنا أكثرَ النفع ؛ إذ كنا قد علمنا أنّ مقدارَ حفظِ الناسِ لعواجلِ حاجاتهم وأوائلها ، لا يبلغ من ذلك مبلغاً مذكوراً ولا يُغني فيه غناء (٢) محموداً . ولو كُلفَ عامّةٌ من يطلب العلمَ ويصطنع السكتب ، ألا يزال حافظاً لفهرست كتبه لأعجزه ذلك ، والكلّف شططاً ، ولشغله ذلك عن كثيرٍ ممّا هو أولى به . وفهمك لمعاني كلامِ الناس ، ينقطع قبل انقطاعِ فهمِ عينِ الصوتِ مجرداً ، وأبعدُ فهمك لصوتِ صاحبك ومُعاملك والمعاونِ لك ، ما كان صياحاً صرفاً ، وصوتاً مصمّتاً ونداءً خالصاً ، ولا يكون ذلك إلا وهو بعيدٌ من المفاهمة ، وعُطلٌ من الدلالة . فجعل اللفظُ

(١) انظر الحيوان ٧ : ٤١ .

(٢) في ط : « غنا » وصوابه المد كما في ل .

لأقرب الحاجات ، والصوت لأنفس من ذلك قليلا ، والكتابة للنازح
٢٥ من الحاجات . فأما الإشارة فأقرب المفهوم منها : رفع الحواجب ، وكسر
الأجفان ، ولي الشفاه وتحريك الأعناق ، وقبض جلد الوجه ؛ وأبعدها
أن تلوى بثوب على مقطع جبل ، تُجَاهَ عَيْنِ الناظر ، ثم ينقطع عملها ويدرس
أثرها ، ويموت ذكرها ، ويصير بعد كل شيء فضل عن انتهاء مدى الصوت
ومنتهى الطرف ، إلى الحاجة وإلى التفاهم بالخطوط والكتب . فأى نفع أعظم ،
وأى مزق أعون من الخط ، والحال فيه كما ذكرنا !! وليس للعقد حظ
الإشارة في بُعد الغاية .

(فضل القلم)

فلذلك وضع الله عز وجل القلم في المكان الرفيع ، ونوّه بذكره
في المنصب الشريف حين قال ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فأقسم بالقلم
كما أقسم بما يُحَطُّ بالقلم ؛ إذ كان اللسان لا يتعاطى شأوه ، ولا يشقُّ
غبارَه ولا يجرى في حلبته ، ولا يتكلف [بُعد] غايته . لكن لما أن
كانت حاجات الناس بالحضرة^(١) أكثر من حاجاتهم في سائر الأماكن ،
وكانت الحاجة إلى بيان اللسان حاجة دائمة واكدة ، وراهنة ثابتة ،
وكانت الحاجة إلى بيان القلم أمراً يكون في الغيبة وعند النائية ، إلا
ما خصت به الدواوين ؛ فإن لسان القلم هناك أبسط ، وأثره أعم ، فلذلك

(١) الحضر بالتحريك والحضرة والحاضرة والحضارة بالكسر ويفتح : خلاف البادية .

قَدَّمُوا اللِّسَانَ عَلَى الْقَلَمِ . فَاللِّسَانُ الْآنَ إِنَّمَا هُوَ فِي مَنَافِعِ الْيَدِ^(١) وَالْمُرَافِقُ الَّتِي فِيهَا ، وَالْحَاجَاتِ الَّتِي تَبْلُغُهَا .

(فضل اليد)

فمن ذلك حَظُّهَا وَقِسْطُهَا من مَنَافِعِ الْإِشَارَةِ ، ثم نَصِيبُهَا في تَقْوِيمِ الْقَلَمِ ، ثم حَظُّهَا^(٢) في التَّصْوِيرِ ، ثم حَظُّهَا في الصَّنَاعَاتِ ، ثم حَظُّهَا في الْعَقْدِ ، ثم حَظُّهَا في الدَّفْعِ عَنِ النَّفْسِ ، ثم حَظُّهَا في إِيْصَالِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَى الْفَمِ ، ثم التَّوَضُّؤُ وَالْإِمْتِسَاحَ^(٣) ، ثم انْتِقَادِ الدَّنَائِرِ وَالْدِرَاهِمِ وَلُبْسِ الثِّيَابِ ، وفي الدَّفْعِ عَنِ النَّفْسِ ، وَأَصْنَافِ الرَّمِيِّ ، وَأَصْنَافِ الضَّرْبِ ، وَأَصْنَافِ الطَّنَنِ ، ثم التَّنْقِرِ بِالْعُودِ وَتَحْرِيكِ الْوَتْرِ ؛ وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَبَطَلَ الضَّرْبُ كُلُّهُ أَوْ عَامَّتُهُ . وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَلَهَا ضَرْبُ الطَّبْلِ وَالذُّفِّ ، وَتَحْرِيكُ الصِّفَاقَتَيْنِ^(٤) ، وَتَحْرِيكِ مَخَارِقِ خُرُوقِ الْمَزَامِيرِ ، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِطْلَاقِ وَالْحَبْسِ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْيَدِ إِلَّا إِمْسَاكُ الْعِنَانِ وَالزَّمَامِ وَالْحِطَامِ ، لَسَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْحِظُوظِ .

وقد اضطرَبوا في الحُكْمِ بَيْنَ الْعَقْدِ وَالْإِشَارَةِ ، وَلَوْ لَا أَنَّ مَغْزَانًا فِي هَذَا الْكِتَابِ سِوَى هَذَا الْبَابِ ، لَقَدْ كَانَ هَذَا مِمَّا أُحِبُّ أَنْ يَعْرِفَهُ إِخْوَانُنَا

(١) في ل « إنما يوفى منافع اليد » .

(٢) هذه الكلمة ومكرراتها هي في ط : « خطها » وهو تصحيف أصلح من ل .

(٣) في ط : « والتمسح » .

(٤) الظاهر أنها آلة موسيقية تشبه تلك التي يستعملها أصحاب الموسيقى النحاسية : قرصين نحاسيين يضرب أحدهما بالآخر .

وخلطاؤنا . فلا ينبغي لنا أيضاً أن نأخذ في هذا الباب من الكلام ، إلا بعد
٢٦ الفراغ مما هو أولى بنا منه ، إذ كنت لم تنازعني ، ولم تعب كتبي ، من طريق
فضل^(١) ما بين العقد والإشارة ، ولا في تمييز ما بين اللفظ وبينهما ، وإنما
قصدنا بكلامنا إلى الإخبار عن فضيلة الكتاب .

(فضل الكتاب)

والكتاب هو الذي يؤدي إلى الناس كتب الدين^(٢) ، وحساب الدواوين
مع خفة نقله ، وصغر حجمه ؛ صامت ما أسكته ، وبلغ ما استنطقته . ومن
لك بمسامر لا يبتدك في حال شغلك ، ويدعوك في أوقات نشاطك ،
ولا يُحوجك إلى التجميل له والتذمُّم منه . ومن لك بزائر إن شئت جعل
زيارته غيباً ، ووروده خمساً ، وإن شئت لزِمك لزوم ظلك ، وكان منك
مكان بعضك .

والقلم مكتفٍ بنفسه ، لا يحتاج إلى ما عند غيره ؛ ولا بدَّ لبيان اللسان
من أمور : منها إشارة اليد ، ولولا الإشارة لما فهموا عنك^(٣) خاصَّ الخاصِّ
إذا كان أخصَّ الخاصِّ قد يدخل في باب العام ، إلا أنه أدنى طبقاته ؛ وليس
يكتفى خاصُّ [الخاصِّ] باللفظ عمَّا أداه ، كما اكتفى عامُّ العامِّ والطبقاتُ
التي بينه وبين أخصَّ الخاصِّ .

والكتاب هو الجليس الذي لا يُطريك ، والصديق الذي لا يُغريك ،

(١) كذا . ولعلها « فصل » .

(٢) في ل : « كتب علم الدين » .

(٣) في ط « عن » . وتصحيحه من ل .

والرفيق الذي لا يملك ، والمستريح الذي لا يسترئيك^(١) ، والجار الذي لا يستبطنك ، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق ، ولا يعاملك بالمسكر ، ولا يخدعك بالنفاق ، ولا يحتال لك بالكذب . والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطلت إمتاعك ، وشهدت طباعك ، وبسطت لسانك ، وجوّد بنانك ، وفخّم ألفاظك ، وبيّح^(٢) نفسك ، وعمّر صدرك ، ومنحك تعظيم المعوامّ وصدّاقة الملوك ، وعرفت به في شهر ، ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر ، مع السلامة من الغرم ، ومن كدّ الطلب ، ومن الوقوف بباب المكتسب بالتعليم ، ومن الجلوس بين يدي من أنت أفضل منه خلقاً ، وأكرم منه عرقاً ، ومع السلامة من مجالسة البغضاء ومقارنة الأغياء . والكتاب هو الذي يُطيعك بالليل كطاعته بالنهار ، ويطيعك في السفر كطاعته في الحضر ، ولا يعتلّ بنوم ، ولا يعترّيه كلال السهر . وهو المعلم الذي إن افتقرت إليه لم يُخفرك ، وإن قطعت عنه المادّة لم يقطع عنك الفائدة ، وإن عزّلت لم يدع طاعتك ، وإن هبّت ريح أعاذك لم ينقلب عليك ، ومتى كنت منه متعلّقاً بسبب أو معصياً بأذنى حبل ، كان لك فيه غنى من غيره ، ولم تضطرّك [معه] وحشة الوحدة إلى جليس سوء . ولو لم يكن من فضله عليك ، وإحسانه إليك ، إلا منعه لك من الجلوس على بابك ، والنظر إلى المسارّة بك ، مع ما في ذلك من التعرّض للحقوق التي تلزم ، ومن فضول

(١) المستريح : طالب العرف . واسترأته : استبطأه . وفي ط : « يشتريك » . وفي ل :

« يسترئك » وهما تحريف ما أثبت .

(٢) البجح محرّكة : الفرح ، وبجح به كفرح ، وبجحته تبجيحاً فبجح : أي أفرحته ففرح

النظر : ومن عادة الخوض فيما لا يعينك ^(١) ، ومن ملابس صغار الناس ،
وحضور أفاظهم الساقطة : ومعانيهم الفاسدة ، وأخلاقهم الرديئة ،
وجَهالاتهم المدمومة ، لكان في ذلك السلامة ، ثم الغنيمة ، وإحراز الأصل ،
مع استفادة الفرع . ولو لم يكن في ذلك إلا أنه يشغلك عن سُخف المنى وعن
اعتیاد الراحة ، وعن اللعب ، وكل ما أشبه اللعب ، لقد كان على صاحبه
أسبغ النعمة وأعظم المنّة .

وقد علمنا أن أفضل ما يقطع به الفراغ نهارهم ، وأصحاب الفكاهات
ساعات ليلهم ، الكتاب . وهو الشيء الذي لا يرى لهم فيه مع النيل أثر
في ازدياد تجربة ولا عقل ولا مروءة ، ولا في صون عرض ، ولا في إصلاح
دين ، ولا في تثير مال ، ولا في ربّ صنّعة ^(٢) ولا في ابتداء إنعام .

(أقوال لبعض العلماء في فضل الكتاب)

وقال أبو عبيدة ، قال المهلب لبنيه في وصيته : يا بني لا تقوموا
في الأسواق إلا على زرادٍ أو وراق ^(٣) .

وحدثني صديق لي قال : قرأت على شيخ شامي كتاباً فيه من ماثر
غطفان فقال : ذهب المكارم إلا من السكتب .

وسمعت الحسن اللؤلؤي ^(٤) يقول : غبرت أربعين عاما ما قلتُ

(١) بدل هذه الجملة في ط « ومن عادة الحرص » .

(٢) رب الصنّعة : تعهدا .

(٣) الزراد : صانع الدروع . والمهلب يوصى بنيه باستكمال أسباب الفروسية والعلم .

(٤) في ط « أبا الحسن اللؤلؤي » والصواب ما أثبتته . والحسن هذا هو ابن =

ولا بُتْ [ولا اتكأت] إلا والكتابُ موضوعٌ على صدرى (١) .

وقال ابن الجهم : إذا غشيتني النعاس في غير وقت نوم - وبئس الشيءُ النومُ الفاضلُ (٢) عن الحاجة - قال : فإذا اعتراني ذلك تناولتُ كتاباً من كتب الحكم ، فأجدُ اهتزازي للفوائد ، والأريحية (٣) التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة ، والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة وعزّ التبيين (٤) أشدَّ إيقاظاً من نهيق الحمير وهدّة الهدم .

وقال ابن الجهم : إذا استحسنتُ الكتابَ واستجدته ، ورجوتُ منه الفائدة ورأيتُ ذلك فيه - فلو تراني وأنا ساعةً بعد ساعةٍ أنظرُكم بتي من ورقه مخافةً استنفاده ، وانقطاعِ المادّة من قلبه ، وإن كان المصحفُ عظيمَ الحجم كثير الورق ، كثير العدد - فقد تمَّ عيشي وكَمَلَ سروري .

وذكر العتبي (٥) كتاباً لبعض القدماء فقال : لولا طولُه وكثرةُ ورقه

= زياد اللؤلؤى الكوفي ، قاض فقيه من أصحاب أبي حنيفة ، أخذ عنه وسمع منه ، وكان عالماً بمذهبه بالرأى . وله عدة كتب في الفقه . عن معجم الأعلام للزركلي . . وقد روى الجاحظ في البيان ٢ : ٣٣٠ ، ٣ : ٣٧٨ أن الحسن اللؤلؤى كان في بعض الليالي بالرقعة يحدث المأمون ، والمأمون يومئذ أمير ، إذ نعس المأمون ، فقال له اللؤلؤى : نمت أيها الأمير ؟ ففتح المأمون عينه وقال : سوق والله ! خذ يا غلام بيده ! ! (١) إشارة إلى التزامه القراءة وعدم هجرها إلا وقت النعاس . وغبرت : مكثت . وقال يقييل : نام وقت الظهيرة .

(٢) في ط : « الفاصل » والصواب ما في ل .

(٣) في الأصل « الأريحة » والوجه ما أثبت .

(٤) كذا . ولعلها « التبين » .

(٥) في ل : « القيني » وهو تصحيف ما في ط . وقد اشتهر بهذا اللقب ثلاثة رجال أحدهم محمد بن أحمد بن عبد العزيز الأموي القرطبي الأندلسي وكان قاضياً وتوفي سنة ٢٥٤ هـ . . وثانيهم محمد بن عبد الجبار العتبي أبو نصر ، مؤرخ من الكتاب الشعراء ، أصله من الري ونشأ في خراسان ثم استوطن نيسابور وانتهت إليه رياسة الإنشاء في خراسان والعراق وتوفي سنة ٤٢٧ هـ . وثالثهم هذا الذي يعنيه الجاحظ =

لنسخته . فقال ابن الجهم : لكتني ما رغبتني فيه إلا الذي زهدك فيه ؛ وما قرأت قط كتاباً كبيراً فأخلاني من فائدة ، وما أحصي كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كما دخلت .

٢٨ وقال العتيبي ذات يوم لابن الجهم : ألا تتعجب من فلان ! نظر في كتاب الإقليدس مع جارية سلمويه^(١) في يوم واحد ، وساعة واحدة ، فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو بعد لم يحكم مقالة واحدة ، على أنه حرٌّ مخيرٌ ، وتلك أمة مقصورة ، وهو أحرص على قراءة الكتاب من سلمويه على تعليم جارية . قال ابن الجهم : قد كنت أظن أنه لم يفهم منه شكلاً واحداً ، وأراك تزعم أنه قد فرغ من مقالة ! ! قال العتيبي : وكيف ظننت به هذا الظن ، وهو رجل ذو لسانٍ وأدب ؟ قال : لأني سمعته يقول لابنه : كم أنفقت على كتاب كذا ؟ قال : أنفقت عليه كذا ، [قال^(٢)] : إنما رغبتني^(٣) في العلم أني ظننت أني أنفق عليه قليلاً وأكتسب كثيراً ، فأما إذ صرت أنفق الكثير ، وليس في يدي إلا المراعيد ، فإني لا أريد العلم بشيء ! !

= وهو محمد بن عبد الله من بني عتبة بن أبي سفیان . أديب كثير الأخبار ، له شعر حسن من أهل البصرة ووفاته فيها . وله تصانيف حسان منها « أشعار النساء اللاتي أحبين ثم أبغضن » و « الأخلاق » و « الخيل » . قال ابن النديم ١٧٦ : « كان العتيبي وأبوه سيدين أديبين فصيحين » وانظر حواشي البيان ٢ : ١٨٢

(١) هو سلمويه بن بنان طبيب فاضل ، خدم المعتصم واختص به حتى إن المعتصم لما مات سلمويه قال « سألق به ، لأنه كان يمسك حياتي ويدبر جسمي » وكان سلمويه قد اكتسب من خدمة الخلفاء سياسة اقترنت بعقله ، فحدث له منها حسن الرأي والنظر في العواقب لنفسه ولغيره ممن يستنصحه ، وتوفي سنة ٢٢٥ انظر القفطي ١٤١ وابن أبي أصيبعة ١ : ١٦٤ والزركل ١ : ٣٨٠ .

(٢) حرف يستقيم به الكلام

(٣) في الأصل « رغبتني »

(السماع والكتابة)

فالإنسان لا يعلم حتى يكثرَ سماعه ، ولا بُدَّ من أن تكون كتبه أكثرَ من سَماعِهِ ؛ ولا يعلمُ ، ولا يجمع العلم ، ولا يُخْتَلَفُ [إليه]^(١) ، حتى يكون الإنفاقُ عليه من ماله ، ألدَّ عنده من الإنفاق من مال عدوِّه . ومَن لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب ، ألدَّ عنده من إنفاق عُشاق القيان ، والمستهزئين بالبنيان^(٢) ، لم يبلغ في العلم مبلغاً رضيئاً . وليس ينتفع بإنفاقه ، حتى يؤثر اتُّخاذ الكتب إيثارَ الأعرابي فرسه باللبن على عياله ، وحتى يؤمَّل في العلم ما يؤمَّل الأعرابي في فرسه .

(حرص الزنادقة على تحسين كتبهم)

وقال إبراهيم بن السديّ مرة : ودِدْتُ أن الزنادقة لم يكونوا حرصاء على المغلاة^(٣) بالورق النقي الأبيض ، وعلى تحيُّر^(٤) الحبرِ الأسودِ المشرقِ البرّاق ، وعلى استجادة الخطِّ والإرغاب لمن يخطُّ ، فإنِّي لم أَرَ كورق كتبهم ورقاً ، ولا كالخطوط التي فيها خطأ . وإذا غرمتُ مالا عظيماً - مع حبي للمال وبُغضِ الغُرم - كان سخاءُ النفس بالإنفاق على الكتب ، دليلاً على تعظيمِ العلم ،

(١) ليست بالأصل ، وزدتها ليظهر المعنى . والمراد أن يختلف إليه تلاميذه .

(٢) المستهزئ : المولع بالشئ لمنهك فيه . وفي ط : « ألدَّ عنده من عشق القيان وإنفاق

المستهزئين بالبيان » ، وهي عبارة مضطربة أبدالها بما في ل لتصح .

(٣) في ط « حرصى على المقالات » وصوابه ما في ل . وحريص إنما يجمع على حرص - كرمان

وحراص ، بكسر الحاء ، وحرصاء .

(٤) في ط : « تحلل » والتصحيح من ل .

وتعظيمُ العلم دليل على شرف النفس ، وعلى السلامة من سُكْرِ الآفات .
قلت لإبراهيم : إنَّ إنفاقَ الزنادقةِ على تحصيل الكتب ، كإنفاقِ النصارى على
البيع ، ولو كانت كتبُ الزنادقةِ كتبَ حكمٍ وكتبَ فلسفة ، وكتبَ مقاييسَ
وَسُنَنِ [و] تَبَيُّنٍ وَتَبْيِينٍ ^(١) ، أو لو كانت كتبهم كتباً تُعرِّفُ الناسَ أبوابَ الصناعاتِ ،
أو سُبُلَ التَّكْسِبِ والتَّجَارَاتِ ، أو كتبَ ارتفاعاتِ ورياضاتِ ، أو بعض
ما يتعاطاه الناسُ من الفطن والآداب - وإن كان ذلك لا يقربُ من غنى
ولا يُبعدُ من مأثم - لكانوا ممن قد يجوز أن يُظنَّ بهم تعظيمُ البيان ، والرغبةُ
٢٩ في التَّبَيُّنِ ^(٢) ، ولكنهم ذهبوا فيها مذهبَ الدِّيَانَةِ ، [و] على طريقِ تعظيمِ
المِلَّةِ ، فإنَّما إنفاقهم في ذلك ، كإنفاقِ المجوس على بيت النار ، وكإنفاقِ
النصارى على صُلبانِ الذهب ، أو كإنفاقِ الهند على سَدَنَةِ البِدَدَةِ . ولو كانوا
أرادوا العلمَ لكان العلمُ لهم مُعرضاً ، وكتبُ الحكمة لهم مبدولةً ، والطرقُ إليها سهلةً
معروفةً . فما بالهم لا يصنعون ذلك إلا بكتبِ دياناتهم ، كما يزخرفُ النصارى
بيوتَ عباداتهم ! ولو كان هذا المعنى مستحسنًا عند المسلمين ، أو كانوا يرون
أنَّ ذلك داعيةٌ إلى العبادة ، وباعثةٌ على الخشوع ، لبلغوا في ذلك بعقوهم ،
ما لا تبلغه النصارى بغاية الجهد .

(مسجد دمشق)

وقد رأيتُ مسجدَ دِمَشْقَ ، حين استجاز هذا السبيل ملكٌ من
ملوكها ، ومَنْ رآه فقد علم أن أحداً لا يرومه ، وأن الرومَ لا تسخوا أنفسهم

(١) في الأصل « نبيين وتبيين » وصحته بما ترى .

(٢) في ط : « التبيين » .

به ، فلمَّا قام عمرُ بنُ عبد العزيز ، جَلَّه بِالْجَلالِ ، وَغَطَّاه بِالْكَراييسِ (١) ،
وَطَبَخَ سِلاسِلَ القِناديلِ حَتَّى ذَهَبَ عَها ذِلكَ التَّلألُؤُ والهِريقُ ؛ وَذَهَبَ
إلى أَنَّ ذِلكَ الصنِيعَ مِجانِبُ لِسَنَّةِ الإِسلامِ ، وَأَنَّ ذِلكَ الحُسنَ الرَّائِعَ
والْحاسِنَ الدِّقاَقِ ، مَذْهَلَةٌ لِلقَلوبِ ، وَمَشغَلَةٌ دُونَ الحِشوعِ ، وَأَنَّ البالَ
لا يَكُونُ مِجتَمِعاً وَهناكَ شِئٌ يَفَرِّقُه وَيَعْتَرِضُ عَليه .

(صِفَةُ كِتابِ الزِنادِقَةِ)

والذِي يَدُلُّ عَلى ما قَلنا ، أَنَّهُ لَيسَ في كِتابِهِم مِثْلُ سائِرِ ، وَلا خَبِرُ
طَريفِ ، وَلا صِنعَةُ أدبٍ ، وَلا حِكمةٌ غَريبَةٌ ، وَلا فِلسَفَةٌ ، وَلا مَسأَلَةٌ كِلامِيَّةٌ ،
وَلا تَعريفُ صِناعَةٍ ، وَلا اسْتِخراجُ آلةٍ ، وَلا تَعليمُ فِلاحَةٍ ، وَلا تَدبِيرُ (٢)
حِربِ ، وَلا مِقاَرَعَةٌ (٣) عَنِ دِينِ ، وَلا مِناضَلَةٌ عَنِ نِجَلَةٍ ، وَجُلُّ ما فِيها
ذِكرُ النورِ وَالظلمَةِ ، وَتِناكُحُ الشِياطِينِ ، وَتِساْفُدُ العِمارِيتِ ، وَذِكرُ
الصنِديدِ ، وَالتِهويلِ بَعمودِ السِنخِ (٤) ، وَالإِخبارِ عَنِ شِقالونِ ، وَعَنِ الهامَةِ
[وَالهامَةِ] . وَ [كَلَّهُ] هَذَرٌ وَعِىٌّ وَخُرافَةٌ ، وَسُخْرِيَّةٌ وَتِكاذُبٌ ، لا تَرى
فِيه موعِظَةً حَسَنَةً ، وَلا حَدِيثاً مُونِقا ، وَلا تَدبِيرَ مَعاشٍ ، وَلا سِياسَةَ عامَةً ،
وَلا تَرْتِيبَ خاصَّةً (٥) . فَأَيُّ كِتابٍ أَجْهَلُ ، وَأَيُّ تَدبِيرٍ أَفسَدُ مِنَ كِتابِ

(١) الكرباس بالكسر : ثوب من القطن الأبيض ، معرب فارسيته بالفتح ، غيروه لفة
فدلال . والنسبة كراييسي ، كأنه شبه بالأنصاري .

(٢) في ط : « تدبر » والوجه ما في ل .

(٣) ماعدال : « منازعة » .

(٤) في ط « الصبح » .

(٥) في ط « ولا سياسة عاملة ولا ترتيب خاصة » والعبارة مشوهة أصلحتها من ل .

يوجب على الناس الإطاعة ، والبخوع^(١) بالديانة ، [لا^(٢)] على جهة الاستبصار والمجبة ، وليس فيه صلاحٌ معاشٍ ولا تصحيحٌ دين ! ؟ والناسُ لا يحبون إلا ديناً أو دنياً : فأما الدنيا فإقامةٌ سوقها [وإحضارٌ نفعها . وأما الدين فأقلُّ ما يُطمع في استجابة العامة] ، واستمالة الخاصة ، أن يصور في صورةٍ مغلطة ، ويموه تمويه الدينار البهرج ، والدرهم [الزائف] الذي لا يغلط فيه الكثير ، ويعرف حقيقة القليل^(٣) . فليس إنفاقهم عليها من حيثُ ظننت . وكلُّ دين يكون أظهر [أختلافاً وأكثرَ] فساداً ، يحتاج من الترقيع والتمويه^(٤) ، ومن الاحتشاد له والتغليظ^(٥) فيه إلى أكثر . وقد علمنا أن النصرانية أشدُّ انتشاراً من اليهودية تعبداً ، فعلى حسب ذلك يكون تزيدهم في توكيده ، واحتفالهم في إظهار تعليمه .

(فضل التعلم)

وقال بعضهم : كنتُ عندَ بعضِ العلماء ، فكنتُ أكتبُ عنه بعضاً وأدعُ بعضاً ، فقال لي : اكتبْ كلَّ ما تسمعُ ، فإن أحسنَّ ما تسمعُ خيرٌ من مكانه أبيض^(٦) .

(١) في ط : « والتخرج » .

(٢) زيادة يقتضيها الكلام .

(٣) في ط : « ويموه تمويه (الدنيا والبهرج) والدرهم الذي (لا) يغلط فيه الكثير ويعرف (حقيقة) القليل » . ووجهت للعبارة من ل ، بعد أن حذفت (لا) .

(٤) في ط : « احتاج من الترقيع والتمويه » وتصحيحه من ل .

(٥) ماعدال « والتغليظ » بالطاء المهملة .

(٦) هذا ما في ل . ويطابقه ما في المحاسن والمساوي ١ : ٩ وانظر الحيوان ٥ : ٢٤٨ . وفي

سائر النسخ « فإن مكان ما تسمع أسود خير من مكانه أبيض » لكن في ط : « من مكان » .

وقال الحليل بن أحمد : تسكّر من العلم لتعرف ، وتقلل منه لتحفظ .

وقال أبو إسحاق : القليل والكثير للكتب ، والقليل وحده للصدر .

وأنشد قول ابن يسير^(١) :

أما لو أعي كل ما أسمع وأحفظ من ذاك ما أجمع
ولم أستفيد غير ما قد جمعت لقليل هو العالم المصقع^(٢)
ولكن نفسي إلى كل نو ع من العلم تسمعه تنزع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ولا أنا من جمعه أشبع
وأحصر بالعي في مجلسي وعلمي في الكتب مستودع
فمن يك في علمه هكذا يكن دهره القهقرى يرجع
إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع

(التخصص بضروب من العلم)

وقال أبو إسحاق : كلّف ابن يسير الكتب ما ليس عليها . إن

الكتب لا تحيي الموتى ، ولا تحوّل الأحمق عاقلاً ، ولا البليد ذكياً ،

ولكن الطبيعة إذا كان فيها أدنى قبول ، فالكتب تشحذ وتفتيق ،

وترهف وتشفي . ومن أراد أن يعلم كل شيء ، فينبغي لأهله أن يداووه !

(١) هو محمد بن يسير الرياشي ، يقال إنه مولى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرغ الرياشي

الأخباري الأديب . وكان شاعراً ظريفاً من شعراء المحدثين ، متقللاً ، لم يفارق البصرة ،

ولا وفد إلى خليفة ولا شريف منتجعا ، ولا تجاوز بلده . وكان ماجناً هجاء خبيثاً ،

وكان من بخلاء الناس . . انظر الأغاني ١٢ : ١٢٤ - ١٣٦ . والشعر نسبة الجاحظ

في المحاسن ص ٨ إلى الأصمعي ولكنه هنا يؤكد - بتعقيبه للشعر - أنه لابن يسير . وهو

بدون نسبة في المحاسن والمساوي ١ : ٩ .

(٢) في الأصول « خبر ما قد جمعت » والصواب ما أثبتته .

فإن ذلك إنما تصوّر له بشيءٍ اعتراه !! فن كان ذكياً حافظاً فليقصد إلى شيئين ، وإلى ثلاثة أشياء ، ولا ينزع عن الدرس والمطارحة ، ولا يدع أن يمرّ على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ، ما قدر عليه من سائر الأصناف ، فيكون عالماً بخواصّ ، ويكون غير غفلي من سائر ما يجري فيه الناس ويخوضون فيه . فمن كان مع الدرس لا يحفظ شيئاً ، إلا أنسى ما هو أكثر منه ، فهو من الحفظ من أفواه الرجال أبعد .

(جمع الكتب)

وحدّثني موسى بن يحيى قال : ما كان في خزائن كتب يحيى ، وفي بيت مدرسه^(١) كتابٌ إلا وله ثلاث نسخ .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما دخلتُ على رجل قطُّ ولا مررتُ ببابه ، فرأيتُهُ ينظرُ في دفترٍ وجليسه فارغُ اليد ، إلا اعتقدتُ أنه أفضلُ منه وأعقل .

وقال أبو عمرو بن العلاء : قيل لنا يوماً : إن في دار فلان ناساً قد اجتمعوا على سوءة ، وهم جلوسٌ على خيصة لهم^(٢) ، وعندهم طنبورٌ . فتسورنا عليهم^(٣) في جماعةٍ من رجال الحى ، فإذا فتى جالسٌ في وسط

(١) في ل : « مدرسه » وهو تحريف صوابه في ط . والمدارس : جمع مدرس كخبز ، وهو الكتاب . وأما المدارس فهو الموضع الذي يقرأ فيه القرآن ، ومنه قالوا : مدراس اليهود . فالوجه ما أثبتته عن ط .

(٢) في ط : « على خيصة » وما هنا عن ل و س . فإن ضبطت بضم الخاء كان معناها الخمر (بعد تصغيرها) وإن ضبطت بفتح الخاء كان المراد بها الحصيرة الصغيرة من السعف . ولكل وجه . وانظر ثمار القلوب ٤٧ والأغانى ٧ : ١٧٥ .

(٣) في ل : « فذمرنا عليهم » . صواب هذه « فذمرنا » بالدال المهملة ، أى دخلنا بغير إذن . انظر اللسان (دمر) وما سيأتى في ص ٢٩٦ .

الدار ، وأصحابه حوله ، وإذا هم بيضُ اللَّحَى ، وإذا هو يقرأ عليهم دفترأ
فيه شعر . فقال الذي سعى بهم : السَّوءة في ذلك البيت ، وإن دخلتموه
عثرتم عليها ! فقلت : والله لا أكشفُ فتى أصحابه شيوخ ، وفي يده دفترُ
علم ، ولو كان في ثوبه دمٌ يحيى بن زكرياء !!

وأشدد رجلٌ يونسَ النحوى :

استودعَ العلمَ قرطاساً فضيَّعَه فبئسَ مستودعُ العلمِ القراطيسُ

قال ، فقال يونس : قاتله الله ، ما أشدَّ ضنانتَه بالعلم ، وأحسنَ صيانتَه
له ، إنَّ علمك من روحك ، ومالك من بدنك ، فضعه منك بمكان الروح ،
وضع مالك بمكان البدن !!

وقيل لابن داحة - وأخرج كتاب أبي الشمقمق ، وإذا هو في جلود
كوفية ، ودفتين طائفيتين^(١) ، بخطٌ عجيب - فقيل له : لقد أضيع من
تجوّد بشعر^(٢) أبي الشمقمق ! فقال : لاجرم والله !! إنَّ العلمَ ليُعطيكم على
حساب ما تعطونه ، ولو استطعتُ أن أودعه سويداء قلبي ، أو أجعله محفوظاً
على ناظري ، ل فعلت .

ولقد دخلت على إسحاق بن سليمان في إمرته ، فرأيتُ السَّماطين
والرجالَ مُثولاً كأنَّ على رعوسهم الطير ، ورأيتُ فرشته وبزته ؛ ثم دخلتُ
عليه وهو معزول ، وإذا هو في بيتِ كتبه ، وحواليه الأسفاطُ والرُّقوق ،
والقماطرُ والدفاترُ والمساطرُ والمجابرُ ، فما رأيتُه قطُّ أفخمَ ولا أنبلَ ، ولا أهيبَ

(١) في ط : « طائفين » والصواب ما في ل ، نسبة إلى الطائف .

(٢) في ل : « لشعر » باللام بدل الباء .

ولا أجزك منه في ذلك اليوم ؛ لأنه جمع مع المهابة المحبة ، ومع الفخامة الحلاوة ، ومع السؤدد الحكمة .

وقال ابن داحة : كان عبدُ الله بنُ عبدِ العزيز بنِ عبدِ الله بنِ عمر ابنِ الخطَّاب ، لا يجالسُ الناسَ ، وينزلُ مقبرةً من المقابر ، وكان لا يكادُ يُرى إلا وفي يده كتابٌ يقرؤه . فسُئِلَ عن ذلك ، وعن نزوله المقبرة فقال : لم أرَ أَوْعظَ من قبر ، ولا أَمنعُ^(١) من كتاب ، ولا أسلمَ من الوحدة . فقيل له : قد جاء في الوحدة ما جاء ! فقال : ما أفسدها للجاهل [وأصلحها للعاقل !] .

(ضروب من الخطوط)

وضروبٌ من الخطوطِ بعد ذلك ، تدلُّ على قدرِ منفعةِ الخطِّ . قال الله تبارك وتعالى ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وقال الله عزَّ وجلَّ ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ وقال ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ وقال ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ وقال ﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

ولو لم تسكتب أعمالهم اسكانت محفوظةً لا يدخلُ ذلك الحفظُ نسياناً ، ولكنَّه تعالى وعزٌّ ، علم أن كتابَ المحفوظِ ونسخه ، أو كدُّ وأبلغُ في الإنذار والتحذير ، وأهيبُ في الصدور .

(١) كذا في ط : وفي المحاسن ص ؛ « ولا آنس » فعمل صحة ما هنا « أمتع » من الإمتاع .

وخط آخر ، وهو خط الحازي والعراف^(١) والزاجر . وكان فيهم
حليس^(٢) الخطاط الأسدي ، ولذلك قال شاعرهم في هجائهم :
فأنتم عضاريط الحميس إذا غزوا غناؤكم تيك الأخطيط في الثرب^(٣)
وخطوط آخر ، تكون مستراحاً للأسير والمهموم والمفكر ، كما يعترى المفكر
من قرع السن ، والغضبان من تصفيق اليد وتجحيظ العين . وقال تأبط شراً :
لتقرعن على السن من ندم إذا تذكرت يوماً بعض أخلاق
وفي خط الحزين في الأرض يقول ذو الرمة^(٤) :

عشية مالي حيلة غير أنني بليقط الحصى والخط في الدار مولع^(٥)
أخط وأحو الخط ثم أعيدته بكفى والغربان في الدار وقع
وذكر النابغة صنيع النساء ، وفزعهن إلى ذلك ، إذا سبين واغتربن
وفكرن ، فقال :

(١) في ط : « الحادي والقراف » وتحقيقه من ل . والحازي : صاحب الكهانة
في العرب . والعراف : الكاهن أو الطيب . قال عروة بن حزام :

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف حجر إن هما شفيان

(٢) كذا في س : ورسائل الجاحظ طبع الساسي ص ١٣٠ . وورد في ل برسم
« حليس » وفي ط برسم « جلس » .

(٣) العضاريط : جمع عضرط كقنفذ ، وعضارط كملايط ، وعضروط كعصفور ، قال في
القاموس : « هو الخادم على طعام بطنه ، والأجير ، واللثيم » . والشعر لأبي نواس في ديوانه
١٥٩ يهجو به تميما وأسدا .

(٤) قال الثعالبي في الثمار ٢١٤ « ابناعيان ضرب من الزجر ، وهو أن يخط الناظر في
في أمر بأصبعه ، ثم بأصبع أخرى ويقول : ابناعيان ! أسرع البيان ! ! ثم يخبر بما
يرى . وهو مشتق من قولك : أرياني ما أريد عيانا . وهذا معنى قول ذي الرمة :

عشية مالي حيلة غير أنني بليقط الحصى والخط في الدار مولع »

وانظر العقد ٦ : ١٤٩ .

(٥) في الثمار كما كتبت « بليقط » بالقاف بدل الفاء ، وفي الأصل : « بليقط » وانظر
تفسير الجاحظ الآتي .

ويخططن بالعيدان في كل منزلٍ ويحبان رمان الثدي النواهد
وقد يفرع إلى ذلك الحجل والمتعلل، كما يفرع إليه المهموم وهو قول القاسم
ابن أمية بن أبي الصلت :

لا ينقرون الأرض عند سؤلهم لتلمس العلات بالعيدان^(١)
بل يبسطون وجوههم فترى لها عند اللقاء كأحسن الألوان
وقال الحارث بن الكندي ، وذكر رجلاً سأله حاجة فاعتراه العبث
بأسنانه ، فقال :

وأض بكفه يترك ضرساً يُرينا أنه وجع بضرس
وربما اعتري هؤلاء عد الحصى ، إذا كانوا في موضع حصى ، ولم يكونوا
في موضع تراب ، وهو قول امرئ القيس :

ظلمت ردائي فوق رأسي قاعداً أعد الحصى ما تنقضي حسراتي
وقال أمية بن أبي الصلت :

نهرًا جارياً وبيتاً علياً يعترى المعتفين فضل نداكا
في تراخ من المكارم جزل لم تعلقهم بلقط حصاكا^(٢)
وقال الآخر ، وهو يصف امرأة قتل زوجها ، فهي محزونة تلقط الحصى :
وبيضاء مكسال كأن وشاحها على أم أحوى المقتلين لخدول^(٣)

(١) في ط : « ينكتون » ، وهو تصحيف ، وفي س « ينكتون » ، وفي ل وكذلك عيون
الأخبار ٣ : ١٥٢ ومعجم المرزباني ٣٣٢ « لا ينقرون » كما أثبت . وانظر مجالس ثعلب
١٧٣ والعمدة ٢ : ٢٣٦ ولباب الآداب ٢٥٧ .

(٢) « تراخ » لعلها « براح » كسحاب ، وأصل معناه الفسيح من الأرض . و « تعلقهم »
هي في ط : « تعلقهم » وليس بشئ . وفي ل « تعلق لهم » وهو خطأ كتابي .

(٣) في ط : « المقتلين » وهو تصحيف عجيب . وأحوى المقتلين يعني به الطبقى .
والخدول من وصف أمه ، وهي التي خذلت أصحابها فانفردت عنهم قائمة على ولدها ،
فهي فزعة ولهة على خشفها ، وهي تمد عنقها وترتاع ، وذلك أحسن لها .

عَقَلْتُ لَهَا مِنْ زَوْجِهَا عَدَدَ الْحَصَى
مَعَ الصُّبْحِ ، أَوْ فِي جُنْحِ كُلِّ أُصْبَلٍ
يَقُولُ : لَمْ أُعْطِهَا عَقْلاً عَنْ زَوْجِهَا ، وَلَمْ أُورْثْهَا إِلَّا الْهَمَّ الَّذِي دَعَاها إِلَى لِقَاءِ
الْحَصَى . يَخْبِرُ أَنَّهُ لَمْ يَنْعَتِهِ ، لَا يُوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى عَقْلِ وَلَا قَوْدِ .

(أقوال الشعراء في الخط)

وَمَا قَالُوا فِي الْخَطِّ ، مَا أَنْشَدَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ
قَالَ : قَالَ الْمُقَنَّعُ الْكَنْدِيُّ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ ، مَدَحَ فِيهَا الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ :
كَالْخَطِّ فِي كُتُبِ الْغَلَامِ أَجَادَهُ (١) بِمَدَادِهِ ، وَأَسَدَّ مِنْ أَقْلَامِهِ (٢)
قَلَمٌ كَخَرْطُومِ الْحَمَامَةِ مَائِلٌ مُسْتَحْفِظٌ لِلْعِلْمِ مِنْ عِلَامِهِ
يَسِيمُ الْحُرُوفَ إِذَا يَشَاءُ بِنَاءِهَا لِيَبَانِهَا بِالنَّقْطِ مِنْ أَرْسَامِهِ
مِنْ صُوفَةٍ نَفَثَ الْمَدَادِ سُخَامَهُ حَتَّى تَغْيِرَ لَوْنَهَا بِسُخَامِهِ
يَخْنِي فَيُقْصَمُ مِنْ شَعِيرَةِ أَنْفِهِ (٣) كَقَلَامَةِ الْأُظْفُورِ مِنْ قَلَامِهِ
وَبِأَنْفِهِ شَقٌّ تَلَامٌ فَاسْتَوَى سَقَى الْمَدَادَ ، فَزَادَ فِي تَلَامِهِ
مُسْتَعْجِمٌ وَهُوَ الْفَصِيحُ بِكُلِّ مَا (٤) نَطَقَ اللِّسَانُ بِهِ عَلَى اسْتِعْجَامِهِ

(١) في ط : « كتف » وفي ل « كف » والوجه ما كتبت من س .

(٢) في ط : « بمراده » وهو تصحيف ظاهر .

(٣) في ط : « يخني » وإنما هو « يخني » بالحاء كما في ل ، أي يرق سنه ، فيتعث في الكتابة .
وهو مأخوذ من حفا القدم والحف والحافر .

(٤) في ط : « متعجم » وأثبت ما في ل ؛ لأنه الوجه . واستعجم : سكت ،
ومنه قول النابغة :

فاستعجمت دار نعم ماتكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار

وله تراجمة بالسنة لهم تبيان ما يتلون من ترجمته
ماخط من شيء به كتابه ما إن يبوخ به على استكثامه
وهجاؤه قاف ولام بعدها ميم معلقة بأسفل لامة
ثم قال :

قالت لجارتها الغزِيلُ إذ رأت وجهَ المقنَّع من وراء لِثامِهِ
قد كان أبيضَ فاعتراه أذمةٌ فالعينُ تُنكره من أذهيَامِهِ
كم من بُوزِلِ عامِها مهريّة سُرحِ اليدينِ ومن بُوزِلِ عامِ
وهبَ الوليدُ برَحَلِها وزمامِها^(١) وكذلك ذاكَ برَحَلِهِ ، وزِمَامِهِ
وقويرحِ عتدَ أَعْدَ لِنِيهِ ابنُ اللُّقُوحِ فعادَ مِلءَ حِزامِهِ^(٢)
وهبَ الوليدُ بسَرَجِها ولجامِها وكذلك ذاكَ بسَرَجِهِ ، ولجامِهِ
أهدى المقنَّع للوليدِ قصيدةً كالسيفِ أرهفَ حدُّهُ بحُسامِهِ
وله المأثرُ في قريشٍ كلِّها وله الخِلافةُ بعد موتِ هشامِهِ

وقال الحسن بن جماعة الجذامي^(٣) في الخط :

(١) في ط : « وزماعها » والصواب ما كتبت من ل .
(٢) النى بالكسر : الشحم . القويرح : مصفر قارح ، وهو من ذى الحافر ، بمنزلة البازل .
من الإبل . العتد محركة وككتف : المعد للجرى ، أو الشديد التام الخلق . اللقوح :
الناقة قد لقت . . وكان العرب يسقون كرائم الخيل ألبان الإبل . قال الأعرج
المعنى (الحماسة ١ : ١٣٠) :

أرى أم سهل ما تزال تنجع تلوم وما أدرى علام توجع
تلوم على أن أمنح الورد لقة وما تستوى والورد ساعة تفزع
إذا هي قامت حاسرا مشمعة نخيب الفؤاد رأسها مايقنع
وقمت إليه بالجام ميسرا هنالك يجزيني بما كنت أصنع

وقال قبيصة بن النصراني الجرمي (الحماسة ١ : ٢٤٦) :

هاجرقي يابنت آل سعد أن حلبت لقة للورد
جهلت من عنانه الممتد ونظري في عطفه الألد

(٣) كذا في ل و س . . وقد ورد « جماعة » بالحاء في ط .

إِلَيْكَ بِسْرِي بَاتَ يُرْقِلُ عَالِمٌ

أَصْمٌ الصدى مُحْرورِفُ السِّنِّ طَائِعٌ (١)
بَصِيرٌ بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَالُهُ لِسَانٌ وَلَا أُذُنٌ بِهَا هُوَ سَامِعٌ
كَأَنَّ ضَمِيرَ الْقَلْبِ بَاحَ بِسْرِهِ لَدَيْهِ ، إِذَا مَا حُثِّحَتْهُ الْأَصَابِعُ
لَهُ رِبْقَةٌ مِنْ غَيْرِ فَرِثٍ تَمُدُّهُ وَلَا مِنْ ضُلُوعِ صِدْقَتِهَا الْأَضَالِعُ (٢)

وقال الطائي ، يمدح محمد بن عبد الملك الزيات :

وَمَا بَرِحَتْ صُوراً إِلَيْكَ نَوَازِعاً أَعْنَتْهَا مَدُّ رَاسَلَتِكَ الرِّسَالِ
لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشِبَاهِهِ يُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِيِّ وَالْمَفَاصِلِ (٣)
لَكَ الْخَلَوَاتُ اللَّاءُ لَوْلَا نَجِيئُهَا لَمَّا احْتَفَلْتَ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْحَوَافِلِ (٤)
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى أَشَارَتَهُ أَيْدٍ عَوَاسِلِ
لَهُ رِبْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا بِأَثَارِهَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلِ
فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلٌ
إِذَا مَا مَطَى الْحَمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرَغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلِ
أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ لَنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الْخِيَامِ الْجَحَافِلِ
إِذَا اسْتَغْزَرَ الذَّهْنَ الْجَلِيَّ وَأَقْبَاتُ أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلِ (٥)

(١) في ط : « إليك سري » وتصحيحه من س . الصدى : جسد الآدمي بعد موته . فهو بذلك يعني أن القلم عجيب في وعيه للسر مع صممه . والصلى كذلك : رجع الصوت ، فكان القلم ينطق في القرطاس ، دون أن يبين صدى صوته .

(٢) في ل و س : « ضمنها » . وفي البيت تحريف كما ترى .

(٣) في ط : « بشباهته » موضع بشباهته ، وهو تحريف صوابه في ل والديوان .

(٤) في ط : « لولا تجيئها لما اختلفت » وتصحيحه من ل والديوان .

(٥) في ط : « إذا استشعر الذهن المجلي » وأثبت ما في ل .

وقد رَفَدَتْهُ الخِنْصِرَانِ وسَدَّدَتْ ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأناميلُ^(١)
رَأَيْتَ جليلاً شأنُهُ وهو مُرْهَفٌ ضنَى وسميناً خَطْبُهُ وهو ناحلُ^(٢)
أرى ابنَ أبي مروانَ أمّا لِقَاؤُهُ فدانٍ وأمّا الحِكمُ فيه فعادلُ
٣٥ وقد ذكر البُحْتَرِيُّ في كلمةٍ له ، بعضَ كهولِ العسكرِ^(٣) ، ومن أنبَلِ أبناءِ
كتّابِهِمْ^(٤) الجِلَّةُ فقال :

وإذا دَجَّتْ أَقْلَامُهُ ثم انْتَحَتْ برَقَّتْ مِصَابِيحُ الدُّجَى في كِتابِهِ

(الكتابات القديمة)

وكانوا يجعلون الكتاب حفراً في الصخور ، ونقشاً في الحجارة ، وخلقة
مُرَكَّبَةً في البُنْيَانِ ؛ فربّما كان الكتابُ هو النَّاقِيُ ، وربّما كان
الكتابُ هو الحفر ، إذا كان تاريخاً لأمرٍ جسيم ، أو عهداً لأمرٍ عظيم ،
أو موعظةً يُرْتَجَى نفعُها ، أو إحياءً شرفٍ يريدون تخليد ذكره ،
[أو تطويل مدته] ، كما كتبوا على قُبَّةِ غُمْدَانَ^(٥) ، وعلى باب القَيْرُوانِ^(٦) ،

(١) في ط : « وقد رَمَزَتْهُ الخِنْصِرَانِ وشَدَّدَتْ » وهو تحريف ما أثبتته من ل والديوان .

(٢) في ط : « نَقِي » وصوابه من الديوان و ل .

(٣) هو الحسن بن وهب ، وليت شعري لم لم يصرح الجاحظ باسمه ، مع أن الجاحظ له رسالة
إلى الحسن بن وهب ، في مدح النبيذ وصفة أصحابه ، ذكر صدرها منها عبيد الله
ابن حسان ، في كتابه « الفصول المختارة » انظر هامش الكامل ١ : ٩٧ . والبيت
المذكور من قصيدة في ديوان البحتري ٦٧ مطلعها :

من سائل لمعدل عن خطبه أو صافح لمقصر عن ذنبه

(٤) في ط : « أنيل ابناكتابهم » وتصحيحه من ل .

(٥) غمدان : قصر بين صنعاء وطبوة ، واختلف في اسم بانيه ، وله صفة عجيبة
في معجم البلدان .

(٦) هي المدينة المعروفة في إفريقية ، مصرت في الإسلام في أيام معاوية .

وعلى باب سَمَرْقَنْد^(١) ، وعلى عمود مأرب^(٢) ، وعلى ركن المشقر^(٣) ، وعلى الأبلق الفرد^(٤) ، وعلى باب الرها^(٥) ؛ يعمدون إلى الأماكن المشهورة ، والمواقع المذكورة ، فيضعون الخط في أبعـد المواضع من الدثور ، وأمنعها من الدروس ، وأجدر أن يراها من مرّ بها ، ولا تنسى على وجه الدهر .

(فضل الكتابة وتسجيل المعاهدات والمخالفات)

وأقول : لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكوك ، وكلّ إقطاع ، وكلّ إنفاق ، وكلّ أمان ، وكلّ عهد وعقد ، وكلّ جوارٍ وحلف . ولتعظيم ذلك ، والثقة به والاستناد إليه ، كانوا يدعون في الجاهلية من يكتب لهم ذكر الحلف والهدنة ؛ تعظيماً للأمر ، وتبعيداً من النسيان ، ولذلك قال الحارث بن حلزة ، في شأن بكرٍ وتغلب^(٦) :

واذكروا حلف ذى المَجَاز وما قَدَّم فيه العهود والكفلاء

(١) بلدة عظيمة في التركستان ، والأصمعي يروي أنه كتب على بابها بالحيرية . انظر المعجم .

(٢) مأرب : بين صنعاء وحضرموت من بلاد اليمن .

(٣) المشقر : حصن كان بالبحرين . وفي ط : « الركن المشقر » ، وأصلحته من له والمحسن ٣ .

(٤) قال ياقوت : هو حصن السمويل بن عدياء اليهودي ، مشرف على نيماء ، بين الحجاز والشام ، على رابية من تراب ، فيه آثار أبنية من لبن ، لاتدل على ما يحكى عنها من العظمة والحصانة ، وهو خراب .

(٥) مدينة بالجزيرة .

(٦) البيتان من معلقة الحارث المشهورة ، التي مطلعها :

أذنتنا ببيئها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

وقد رواهما الجاحظ في البيان ٣ : ٧ وقال في البيت الثاني : « الحسون : الحياة .

ويروي : الجور . »

حَذَرَ الْجَهْرِ وَالتَّعَدَّى ، وَهَلْ يَنْفُضُ مَا فِي الْمَهَارِقِ الْأَهْوَاءُ !
والمهاريق ، ليس يراد بها الصُّحُفُ والسُّكُتُبُ ؛ ولا يقال للسُّكُتُبِ مَهَارِقُ حَتَّى
تَكُونَ كِتَابَ دِينٍ ، أَوْ كِتَابَ عَهْدٍ ، وَمِيثَاقٍ ، وَأَمَانٍ .

(الرقوم والخطوط)

وليس بين الرقوم والخطوط فرق ، ولولا الرقوم لهلك أصحابُ البزِّ
والغزول ، وأصحابُ الساجِّ وعامةُ المتاجر ، وليسَ بينَ الوُسُومِ (١) التي تكونُ
على الحافرِ كلَّهُ والخفِّ كلَّهُ والظِّلْفِ كلَّهُ ، وبين الرقومِ فرق ، ولا بينَ
العقودِ والرقومِ فرق ، ولا بين الخطوط والرقومِ كلُّها فرق ، وكلُّها خطوط ،
وكلُّها كتابٌ ، أو في معنى الخطِّ والسُّكُتَابِ ، ولا بين الحروفِ المجموعةِ
والمصوَّرةِ من الصوتِ المقطَّعِ في الهوائِ ، ومن الحروفِ المجموعةِ المصوَّرةِ من
السوادِ في القرطاسِ فرق .

٣٦ وَاللِّسَانُ : يَصْنَعُ فِي جَوْبِهِ (٢) الْفَمَ [وَهَوَائِهِ الَّذِي فِي جَوْفِ الْفَمِ]
وَفِي خَارِجِهِ ، وَفِي لَهَاتِهِ ، وَبِاطْنِ أَسْنَانِهِ ، مِثْلَ مَا يَصْنَعُ الْقَلَمُ فِي الْمَدَادِ وَاللِّبْقَةِ
وَالْهَوَاءِ وَالْقُرْطَاسِ ، وَكُلُّهَا صُورٌ وَعَلَامَاتٌ وَخَلْقٌ مُوَاثِلٌ ، وَدَلَالَاتٌ ،
فَيَعْرِفُ مِنْهَا مَا كَانَ فِي تِلْكَ الصُّورِ لِكثْرَةِ تَرْدَادِهَا عَلَى الْأَسْمَاعِ (٣) ،
وَيَعْرِفُ مِنْهَا مَا كَانَ مَصَوَّراً مِنْ تِلْكَ الْأَلْوَانِ لِطَوْلِ تَكَرُّرِهَا عَلَى الْأَبْصَارِ ،
كَمَا اسْتَدَلُّوا بِالضَّحْكَ عَلَى السَّرُورِ ، وَبِالْبُكَاءِ عَلَى الْأَلَمِ . وَعَلَى مِثْلِ ذَلِكَ
عَرَفُوا مَعَانِيَ الصُّوْتِ ، وَضُرُوبَ صُورِ الْإِشَارَاتِ ، وَصُورَ جَمِيعِ الْهَيْئَاتِ ،

(١) في الأصل « الرسوم » بالراء وإنما هي « الوسوم » جمع وسم .

(٢) ما عدال : « جوية » .

(٣) كذا في ل . ووردت بحرفة في ط برسم « الأسماء » .

وكما عرف المجنون لقبه ، والكلبُ اسمه . وعلى مثل ذلك فهم الصبيُّ الزجرُ والإغراء ، ووعى المجنون الوعيد والتهدُّد^(١) ، وبمثل ذلك اشتدَّ حُضْرُ الدابة مع رفع الصوت ، حتَّى إذا رأى سائسه حمم . وإذا رأى الحمامُ القيمَّ عليه انحطَّ للقطِّ الحبَّ ، قبل أن يُلقَى له مايلقطه . ولولا الوسومُ^(٢) ونُقُوش الخواتم ، لدخل على الأهوالِ الخللُ الكثير ، وعلى خزائنِ الناس الضرُّ الشديد .

(الخط والحضارة)

وليس في الأرض أمةٌ بها طِرُق^(٣) أو لها مُسكَّة ، ولا جيلٌ لهم قبضٌ وبسط ، إلا ولهم خطٌّ . فأما أصحاب الملك والمملكة ، والسلطان والجباية ، والدِّيانة والعبادة ، فهناك الكتابُ المتقن ، والحساب المحكم ؛ ولا يخرج الخطُّ من الجزم والمسند المنعم والسمون^(٤) كيف كان ، قال [ذلك] الهيثم [ابن عدى] ، وابنُ الكلبي .

(تخليد الأمم لما أثرها)

[قال] : فكلُّ أمةٍ تعتمدُ في استبقاءِ ما أثرها ، وتحصين مناقبها ، على ضربٍ من الضروب ، وشكلٍ من الأشكال .

(١) في ل : « وودع المخنوق الوعيد والتهدد » وفي ط : « وودع المجنون الوعيد والتهدد »

أما كلمة « المخنوق » . فواضحة التحريف وكذلك « ودع » . وكتبت « وعى » موضع

« ودع » لتتناسب مع « فهم » في الفقرة السابقة .

(٢) في الأصل « الرسوم » وصوابه « الوسوم » .

(٣) الطرق بالكسر : معناه هنا القوة .

(٤) بدله في ط ، س : « كذا » ويبدو أنها من النسخ . وانظر رسائل الجاحظ ١٣٨ ساسي .

(تخليد العرب لما آثرها)

وكانت العربُ في جاهليَّتها تحتال في تخليدها ، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفَّى ، وكان ذلك هو ديوانها . وعلى أن الشعرَ يُفيد فضيلةَ البيانِ ، على الشاعرِ الراغبِ ، والمداحِ ، وفضيلةَ المؤثرةِ ، على السيِّدِ المرغوبِ إليه ، والمدوحِ ربه . وذهبت العجمُ على أن تقيِّدَ ما آثرها بالبُنيانِ ، فبنوا مثلَ كرد بيدا^(١) ، وبنى أردشير بيضاء إصطخرَ ، وبيضاء المدائن ، والحضرَ ، والمدن والحصون ، والقناطر والجسور ، والنواويس . قال : ثمَّ إنَّ العربَ أحبَّتْ أن تشاركَ العجمَ في البناءِ ، وتفردَ بالشعرِ ، فبنوا عُمدانَ ، وكعبةَ نَجْران^(٢) ، وقصرَ ماردَ ، وقصرَ مأربَ ، وقصرَ شعوب^(٣) والأبلى الفردَ ؛ و [فيه وفي ^(٤)] ماردَ ، قالوا « تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَى » وغيرَ ذلك من البُنيانِ . قال : ولذلك لم تكن الفرسُ تبيحُ شريفَ البُنيانِ ، كما لا تبيحُ شريفَ الأسماءِ ، إلا لأهل البيوتات ، كصنيعهم في النواويس والحمامات والقباب الحضر ، والشرفِ على حيطان الدار ، وكالعقد على الدهليز وما أشبه ذلك ، فقال بعض من

(١) كذا في ط . ومكانه في ل « كرد بنداذا » .

(٢) كعبة نجران : بيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي ، على بناء الكعبة ، وعظموها مضاهاة للكعبة ، وكان فيها أساقفة معتمون ، وهم الذين جاءوا إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى المبالغة . انظر ياقوت .

(٣) شعوب : قصر باليمن معروف بالارتفاع . كذا قال ياقوت .

(٤) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام ، وصاحب هذا القول هو الزباه ، فيما روى ياقوت في رسم (مارد) قال في مارد : « حصن بنومة الجندل ، وفيه وفي الأبلق قالت الزباه ، وقد غزتها ، فامتنعنا عليها : تمرّد مارد وعز الأبلق . . فصارت مثلا لكل عزيز ممتنع .

حضر « كُتُبُ الحكماء وما دَوَّنت العلماءُ من صنوف البلاغات والصناعات ، والآداب والأرفاق^(١) » ، من القرون السابقة والأمم الخالية ، ومن له بقیةٌ . ومن لا بقیةٌ له ، أبى ذكراً وأرفعُ قدراً وأكثرُ رداً ، لأنَّ الحكمةَ أنفعُ لمن ورثها ، من جهة الانتفاع بها ، وأحسنُ في الأحدثوة ، لمن أحبَّ الذكر الجمیل .

(طمس الملوك والأمراء آثار من سبقهم)

والكتبُ بذلك أولى من بُنيان الحجارة وحيطان المدر ؛ لأنَّ من شأن الملوك أن يطمسوا على آثارٍ من قبلهم ، وأن يُميتوا ذكراً أعدائهم ، فقد هدموا بذلك السبب [أكثرَ] المدن وأكثرَ الحصون ، كذلك كانوا أيامَ العجمِ وإيامَ الجاهليَّة ، وعلى ذلك هم في أيام الإسلام ؛ كما هدم عُمانُ صومعةَ عُمدان ، وكما هدم الآطام^(٢) التي كانت بالمدينة ، وكما هدم زيادٌ كلَّ قصر ومصنَع كان لابن عامر^(٣) ، وكما هدم أصحابنا بناءً مدن الشامات^(٤) لبني مروان .

(١) الأرفاق : جمع رفق بالكسر ، وهو ما يستعان به .

(٢) الآطام : جمع أطم بضمه وبضمين وهو القصر ، أو الحصن المبني بالحجارة ، أو كل بيت مربع مسطح .

(٣) هو عبد الله بن عامر بن كرز بن حبيب بن ربيعة ، أمير فاتح ، ولد بمكة وولى البصرة في أيام عُمان . وافتتح سجستان صلحا ومدنا كثيرة في الشرق . وكان شجاعا سخيا ، ويهولوا لقومه ، رحيا محبا للعران . وتوفى سنة ٥٥٩ . ولما بلغ نبأ وفاته معاوية ، قال : رحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن نفاخر ونباهي ؟ وانظر الجهشياري ١٤٨ .

(٤) الشامات ، فسرها ابن عبد ربه في العقد ٦ : ٢٥١ - ٢٥٢ بأنها خمس : فلسطين ومدينتها بيت المقدس ، والأردن ومدينتها طبرية ، والغوطة ومدينتها دمشق ، وحصن ، وقنسرين ومدينتها حلب .

(تاريخ الشعر العربي)

وأما الشعرُ فحديثُ الميلاد ، صغيرُ السنِّ ، أوَّلُ من نَهَجَ سبيلَه ،
وسهَّلَ الطريقَ إليه : امرؤُ القيس بن حُجر ، ومُهلهل بن ربيعة . وكتبُ
أرسطاطاليسَ ، ومعلِّمِه أفلاطون ، ثم بطليموس ، وديمقراطس^(١) ، وفلان
وفلان ، قبلَ بدءِ الشعرِ بالدهور قبلَ الدهور^(٢) ، والأحقاب قبلَ الأحقاب .
ويدلُّ على حداثةِ الشعرِ ، قولُ امرئِ القيس بن حُجر :

إِنَّ بَنِي عَوْفٍ ابْتَنَوْا حَسَنًا ضِيَعَهُ الدُّخْلُونَ إِذْ غَدَرُوا^(٣)
أَدَّوْا إِلَى جَارِهِمْ خِفَارَتَهُ وَلَمْ يَضِيعْ بِالْمَغِيبِ مَنْ نَصَرُوا^(٤)
لَا حِمِيرِيٌّ وَفِي وَلَا عُدَسٌ وَلَا اسْتِ عَيْرٍ يَحْكُمُهَا الثَّنْفَرُ^(٥)
اسْكُنْ عَوِيرٌ وَفِي بَدْمَتِهِ لَا قِصْرَ عَابَهُ وَلَا عَوْرٌ^(٦)

فانظرُ ، كم كان عمرُ زُرارة ! وكم كان بين موت زُرارة ومولدِ النبي عليه الصلا
والسلام ؟ ! فإذا استظهرنا الشعرَ ، وجدنا له — إلى أن جاء اللهُ بالإسلام -
خسین ومائةَ عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فماتى عام^(٧) .

قال : وفضيلة الشعر مقصورةٌ على العرب ، وعلى من تسكَّم بلسا

(١) في ط : « فنى بقراط » ، وما أثبتته في ل . . وانظر القفطى (حرف الدال المهملة
حرف الدال المعجمة) .

(٢) في الأصل : « وقبل الدهور » .

(٣) جاءت (حسنا) بالنون في الأصل ، ويظهر أنه تصحيح مافي الديوان ١٥٩ . والمراد
المعروف والجميل . والدخل ، كما قال أبو بكر : الذى يداخل الرجل فى أمره ويصاحبه على .
(٤) الخفارة : الذمة والعهد ، والخاء مثلثة .

(٥) حميرى وعدس : رجلا من بنى حنظلة .

(٦) أبو بكر شارح الديوان : كان عوير قد أجاز هندا بنت حجر أخت امرئ القيس
فوفى لها حتى أتى بها نجران ، فدحه بوفاء الذمة ، ونزّهه من كل عيب يشين غير

(٧) انظر لتوضيح هذا ما أثبت في الاستدراكات .

العرب ، والشعر لا يُستطاع أن يترجم ، ولا يجوز عليه النقل ؛ ومتى جوّل
تقطع نظمه وبطلَ وزنه ، وذهب حسنه وسقطَ موضعُ التعجب ، [لا]
كالكلام المنثور . والكلام المنثور المبتدأ على ذلك أحسنُ وأوقعُ من
المنثور [الذي تحوّل من] موزون الشعر .

٣٨

قال : وجميع الأمم يحتاجون إلى الحكم في الدين ، والحكم في
الصناعات ، وإلى كلِّ ما أقام لهم المعاشَ وبوّب لهم أبوابَ النِيطن ،
وعرفهم وجوهَ المرافق ؛ حديثهم كقدِيمهم ، وأسودهم كأحمرهم ، وبعيدهم
كثريبهم ؛ والحاجة إلى ذلك شاملةٌ لهم .

(صعوبة ترجمة الشعر العربي)

وقد نُقلت كتبُ الهند ، وترجمت حكمُ اليونانية ، وحوّلت آدابُ
الفرس ؛ فبعضها ازدادَ حسناً ، وبعضها ما انتقص شيئاً ، ولو حوّلت حكمة
العرب ، لبطل ذلك المعجزُ الذي هو الوزن ؛ مع أنّهم لو حوّلوا لم يجدوا في
معانيها شيئاً لم تذكره العجم في كتبهم ، التي وضعت لمعاشهم وفِطنتهم
وحِكمهم . وقد نُقلت هذه الكتبُ من أمةٍ إلى أمةٍ ، ومن قرنٍ إلى
قرنٍ ، ومن لسانٍ إلى لسانٍ ، حتى انتهت إلينا ، وكنا آخرَ مَنْ ورثها
ونظر فيها . فقد صحَّ أن الكتبَ أبلغُ في تقييدِ المآثر ، من البُنيان والشعر .

(قِحة الترجمة)

ثم قال بعضُ مَنْ ينصر الشعر ويحوطه ويحتجُّ له : إنَّ التَّرجمانَ
لا يؤدّي أبداً ما قال الحكيمُ ، على خصائص معانيه ، وحقائق مذاهبه ،

ودقائق اختصاراته ، وخفيات حدوده ، ولا يقدر أن يوفيهما حقوقها ،
ويؤدى الأمانة فيها ، ويقوم بما يلزم الوكيل ويجب على الجرى^(١) ،
وكيف يقدر على أداؤها وتسليم معانيها . والإخبار عنها على حقها وصدقها ،
إلا أن يكون في العلم بمعانيها ، واستعمال تصاريف ألفاظها ، وتأويلات
مخرجها ، مثل مؤلف الكتاب وواضعه . فمتى كان رحمه الله تعالى
أبن البطريق ، وأبن ناعمة ، وابن قرّة ، وأبن فهريز ، وثيفيل^(٢) ،
وأبن وهبلى ، وأبن المقفع ، مثل أرسطاطاليس ؟ ومتى كان خالد^(٣)
مثل أفلاطون ؟ !

(شرائط الترجمان)

ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة ، في وزن علمه
في نفس المعرفة ، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها ،
حتى يكون فيهما سواءً وغاية . ومتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين ، علمنا
أنه قد أدخل الضيم عليهما ؛ لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى
وتأخذ منها ، وتعرض عليها . وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعين
فيه ، كتمكّنه إذا انفرد بالواحدة ، وإنما له قوة واحدة ، فإن تسكلم

(١) في الأصل « الجرى » وإنما هو « الجرى » وهو في معنى الوكيل ، كما في القاموس

(٢) ابن فهريز هو حبيب ، أو عبد يشوع بن فهريز . ابن النديم ٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

وأما ثيفيل : فهو تيوفيل بن توما أحد المترجمين لأرسطو . مجلة الثقافة العدد ٢٨ .

(٣) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، ولى الخلافة ثلاثة أشهر . وقد قام بأول

نقل في الإسلام ، قال الجاحظ في البيان ١ : ٣٢٨ : « وكان خالد بن يزيد بن معاوية

خطيباً شاعراً ، وفصيحا جامعاً ، وجيد الرأي كثير الأدب ، وكان أول من ترجم

كتب النجوم والطب والكيمياء » . توفى خالد سنة ٨٥ هـ .

بلغةٍ واحدة استُفْرِغَتْ تلك القُوَّةُ عليهما . وكذلك إن تكلمَ بأكثرَ مِنْ لغتين ، على حساب ذلك تكون الترجمةُ لجميع اللغات . وكلَّما كان البابُ من العلمِ أعسرَ وأضيقَ ، والعلماءُ به أقلَّ . كان أشدَّ على المترجمِ ، وأجدرَ أن يخطئَ فيه . وإن تجدَ ألبتَّةَ مترجماً يفنى بواحدٍ من هؤلاء العلماء .

٣٩

(ترجمة كتب الدين)

هذا قولنا في كتب الهندسة ، والتنجيم ، والحساب ، واللحون ؛ فكيف لو كانت هذه الكتبُ كتبَ دينٍ وإخبارٍ عن الله - عزَّ وجلَّ - بما يجوزُ عليه ممَّا لا يجوزُ عليه ، حتَّى يريد أن يتكلمَ على تصحيح المعاني في الطبائع ، ويكون ذلك معقوداً بالتوحيد ، ويتكلمَ في وجوه الإخبار واحتمالاته للوجوه ، ويكون ذلك متضمناً بما يجوزُ على الله تعالى ، ممَّا لا يجوزُ ، وبما يجوزُ على الناسِ ممَّا لا يجوزُ ، وحتَّى يعلمَ مستقرَّ العامِّ والخاصِّ ، والمقابلاتِ التي تلقى الأخبارَ العاميةَ المخرَجَ فيجعلها خاصيةً ؛ وحتَّى يعرفَ من الخبرِ ما يخصُّه الخبرُ الذي هو أثرٌ ، ممَّا يخصُّه الخبرُ الذي هو قرآنٌ ، وما يخصُّه العقلُ ممَّا تخصُّه العادة أو الحال الرائدةُ له عن العموم ؛ وحتَّى يعرفَ ما يكونُ من الخبرِ صدقاً أو كذباً ، وما لا يجوزُ أن يسمَّى بصدقٍ ولا كذبٍ ؛ وحتَّى يعرفَ اسمَ الصدقِ والكذبِ ، وعلى كم معنىً يشتملُ ويجمعُ ، وعند فقد أيِّ معنىً ينقلبُ ذلك الاسمُ ؛ وكذلك معرفةُ المُحالِ من الصحيحِ ، وأيِّ شئٍ تأويلُ المُحالِ ؛ وهل يسمَّى المُحالُ كذباً أم لا يجوزُ ذلك ، وأيِّ القولين أفحشُ : المُحالُ أم الكذبُ ، وفي أيِّ موضعٍ يكونُ المُحالُ أفضَحَ^(١) ، والكذبُ أشنعُ ؛ وحتَّى يعرفَ المثلَ والبديعَ ، والوحي

(١) في الأصل « أقطع » .

والكناية ، وفصل ما بين الخطل والهذر ، والمقصور والمبسوط والاختصار ؛
وحتى يعرف أبنية الكلام ، وعادات القوم ، وأسباب تفاهمهم ، والذي ذكرنا
قليلٌ من كثير . ومتى لم يعرف ذلك المترجمُ أخطأ في تأويل كلام الدين ،
والخطأ في الدين أضرُّ من الخطأ في الرياضة والصناعة ، والفلسفة والكيمياء ،
وفي بعض المعيشة التي يعيش بها بنو آدم .

وإذا كان المترجم الذي قد ترجم لا يكمل لذلك ، أخطأ على قدر
نقصانه من السكالم . وما علم المترجم بالدليل عن شبه الدليل ؟ وما علمه
بالأخبار النجومية ؟ وما علمه بالحدود الخفية ؟ وما علمه بإصلاح سقطات
الكلام ، وأسقاط الناسخين للكتب ؟ وما علمه ببعض الخطرفة لبعض
المقدمات ؟ وقد علمنا أن المقدمات لا بد أن تكون اضطرارية ، ولا بد أن
تكون مرتبة ، وكالحيط الممدود^(١) . وابن البطريق وابن قرّة^(٢) لا يفهمان
هذا موصوفاً منزلاً ، ومرتباً مفصلاً ، من معلمٍ رفيقٍ ، ومن حاذقٍ طبٍّ ؛
٤٠ فكيف بكتابٍ قد تداولته اللغات واختلاف الأقلام ، وأجناس
خطوط الملل والأمم ؟ !

ولو كان الحاذق بلسان اليونانيين يرمى إلى الحاذق بلسان العربية ،
ثم كان العربي مقصراً عن مقدار بلاغة اليوناني ، لم يجد المعنى والناقل
التقصير ، ولم يجد اليوناني الذي لم يرض بمقدار بلاغته في لسان العربية
بداً من الاغتفار والتجاوز ، ثم يصير إلى ما يعرض من الآفات لأصناف
الناسخين ؛ وذلك أن نسخته لا يعدمها الخطأ ، ثم ينسخ له من تلك النسخة

(١) في ط : « كالحيط المنثور » وقد كتبت بدله ما في ل .

(٢) في الأصل : « وأبو قرّة » .

مَنْ يَزِيدُ مِنَ الْخَطَا الَّذِي يَجِدُهُ فِي النِّسْخَةِ ، ثُمَّ لَا يَنْقُصُ مِنْهُ ، ثُمَّ يِعَارِضُ
بِذَلِكَ مَنْ يَبْرُكُ ذَلِكَ الْمَقْدَارُ مِنَ الْخَطَا عَلَى حَالِهِ ، إِذَا كَانَ لَيْسَ مِنْ طَاقَتِهِ
إِصْلَاحُ السَّقَطِ الَّذِي لَا يَجِدُهُ فِي نِسْخَتِهِ .

(مَشَقَّةُ تَصْحِيحِ الْكُتُبِ)

وَلَرَبَّمَا أَرَادَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ أَنْ يَصْلِحَ تَصْحِيفًا ، أَوْ كَلِمَةً سَاقِطَةً ،
فَيَكُونُ إِنْشَاءً عَشْرَ وَرَقَاتٍ ^(١) مِنْ حَرِّ اللَّفْظِ وَشَرِيفِ الْمَعْنَى ؛ أَيْسَرَ عَلَيْهِ
مِنْ إِتْمَامِ ذَلِكَ النِّقْصِ ، حَتَّى يَرُدَّهُ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنْ اتِّصَالِ الْكَلَامِ ؛
فَكَيْفَ يُطَبِّقُ ذَلِكَ الْمَعَارِضُ الْمُسْتَأْجِرُ . وَالْحَكِيمُ نَفْسُهُ قَدْ أَعْجَزَهُ هَذَا
الْبَابُ ! وَأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يَأْخُذُ بِأَمْرَيْنِ : قَدْ أَصْلَحَ الْفَاسِدَ وَزَادَ الصَّالِحَ
صَلَاحًا . ثُمَّ يَصِيرُ هَذَا الْكِتَابُ بَعْدَ ذَلِكَ نِسْخَةً لِإِنْسَانٍ آخَرَ ، فَيَسِيرُ فِيهِ
الْمُورَّاقُ الثَّانِي سِيرَةَ الْوَرَّاقِ الْأَوَّلِ ؛ وَلَا يَزَالُ الْكِتَابُ تَتَدَاوَلُهُ الْأَيْدَى
الْجَانِيَّةُ ، وَالْأَعْرَاضُ الْمَفْسِدَةُ ^(٢) . حَتَّى يَصِيرَ غَلَطًا صِرْفًا ، وَكَذِبًا مَصْمُومًا ،
فَمَا ظَنُّكُمْ بِكِتَابٍ تَتَعَاقَبُهُ الْمُرْجَمُونَ بِالْإِفْسَادِ ، وَتَتَعَاوَرُهُ الْخَطَّاطُ بَشَرًا مِنْ
ذَلِكَ أَوْ بِمِثْلِهِ ، كِتَابٍ مُتَقَادِمِ الْمِيلَادِ ، ذُهِرِيَ الصَّنْعَةُ !

(بَيْنَ أَنْصَارِ الْكُتُبِ وَأَنْصَارِ الشُّعْرِ)

قَالُوا : فَكَيْفَ تَكُونُ هَذِهِ الْكُتُبُ أَنْفَعَ لِأَهْلِهَا مِنَ الشُّعْرِ الْمَقْفِيِّ ؟
قَالَ الْآخَرُ : إِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَلَّمْتُمْ ، وَالشَّأْنُ عَلَى مَا نَزَلْتُمْ ، أَلَيْسَ

(١) فِي ط : « أَنْشَأَ عَشْرَ وَرَقَاتٍ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل .

(٢) فِي ط : « الْأَعْرَاضُ الْمَفْسِدَةُ » وَتَوْجِيهِهِ مِنْ ل .

معلوماً أنّ شيئاً هذه بقيته وفضلته وسوره وصباته ، وهذا مظهر حاله على
شدة الضيم ، وثبات قوته على ذلك الفساد وتداول النقص ، حرمة
بالتعظيم ، وحقيق بالفضل على البيان^(١) ، والتقديم على شعر إن هو
حول تهافت ، ونفعه مقصور على أهله ، وهو يعد من الأدب المقصور ،
وليس بالمبسوط ؛ ومن المنافع الاصطلاحية وليست بحقيقة بيّنة^(٢) ؛ وكل
شيء في العالم من الصناعات والأرفاق والآلات ، فهي موجودات^(٣) في هذه
الكتب دون الأشعار ، وهما كتب هي بيننا وبينكم ، مثل كتاب
أقليدس ، ومثل كتاب جالينوس ، ومثل المحسطي^(٤) ، مما تولاه الحجاج^(٥) ،
وكتب كثيرة لا تحصى فيها بلاغ للناس ، وإن كانت مختلفة ومنقوصة
مظلومة ومغيرة^(٦) ، فالباقي كافٍ شافٍ ، والغائب منها كان تكميلاً لتسلط
الطبائع الكاملة .

فأما فضيلة الشعر فعلى ما حكينا ، ومنتهى نفعه إلى حيث انتهى
بنا القول^(٧) .

(١) في ط : « على البيان » وإنما هو « البيان » كما يفهم من سياق الكلام وكما في ل .

(٢) في ط : « وليست بحقيقته بيّنة » وصوابه في ل .

(٣) في ط : « فهي جودات » وأصلحت تشويه العبارة من ل .

(٤) في ط : « المحسطي » بالشين ، وإنما هو « المحسطي » كتاب بطليموس ، وقد قام بترجمته
كثير من النقلة قالوا : وصح المأمون كثيراً من حسابه وأقيسته لمحيط الأرض
والدرجة الأرضية ، فكان أرساد علمائه أول أرساد في الإسلام ، وسما مجموع
أرسادهم « الرصد المأموني » .

(٥) هو الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفي ، كما في إخبار العلماء للقفطي ٤٦ - ٤٧ .

(٦) في الأصل : « ومفسرة » .

(٧) في ط « بناء القول » وصحته في ل .

وحسبك ما في أيدي الناس من كتب الحساب ، والطب ، والمنطق ،
والهندسة ، ومعرفة اللُّحون ، والفِلاحة ، والتَّجارة ، وأبواب الأصباغ ،
والعِطر ، والأطعمة ، والآلات . وهم أتوكم بالحكمة ، وبالمنفعة التي في
الحَمَّامات وفي الأصطرلابات ، والقمرِسطونات (١) وآلات معرفة الساعات ،
وصنعة الزجاج والنُسيْفِساء (٢) ، والأسرنج (٣) والزنجفور (٤) واللازورد (٥)
والأشربة ، والأنبجَات (٦) ، والأيارجات (٧) ولكم المينا ، والنشادر

(١) هذا اللفظ وجدته في رسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان في مناقب الترك (هامش
الكامل ١ : ٢٦٢) قال : « وصاغوا من المنافع كالقمرِسطونات والقبانات . . . الخ
ووجدته في كتاب الترييح والتدوير له أيضا ص ١٣٨ طبع السامى قال : « وخبرني
عن القمرِسطون كيف أخرج أحد رأسيه ثلاثمائة رطل زاد ذلك أم نقص ووزن
جميعه ثلاثون رطلا زاد ذلك أو نقص » ويفهم من قرنه بكلمة (القبان) وهي الميزان
ومن وصفه في العبارة الثانية ، أنه ضرب من الموازين ، وهو الذي يسميه العامة عندنا
في مصر (القبانى) . وانظر النزهة المبهجة لداود ١ : ١٥ .

(٢) الفسيفساء : ألوان من الخرز تتركب في حيطان البيوت من داخل .

(٣) قال الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١٤٩ : الأسرنج : أسرب يحرق ، ويشب عليه النار
حتى يحمر .

(٤) رسمت هذه الكلمة في القاموس وفي مفاتيح العلوم برسم « الزنجفر » جاء في الأول :
صنغ معروف . . وجاء في الثاني : أنه يتخذ من الزئبق والكبريت ، يجمعان في
قوارير ، ويوقد عليها ، فيصير زنجفرا . . قال الخوارزمي : والوزن أن تأخذ واحدا
من زئبق ، وواحدا من كبريت .

(٥) الخوارزمي ١٤٨ : هو حجر فيه عيون براقه يتخذ منها خرز .

(٦) الأنبجَات : جمع أنبج ، قال الخليل : حمل شجرة بالهند ، يربب بالعسل على خلقة الخوخ ،
محرف الرأس ، في جوفه نواة كنواة الخوخ . وقال الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١٠٤ : فن
هنا تسمى الانبجَات ، وهي التي ربيت بالعسل من الأترج والإهليلج ، ونحو ذلك . اهـ
وهي في ط « الأنبجَات » بالشاء وهو تصحيف .

(٧) في الأصل « الافشارجات » وإنما هي « الأيارجات » قال في القاموس : والأيارجة
بالكسر وفتح الراء ، معجون مسهل معروف ، جمعه أيارج معرب إيابه ، وتفسيره الدواء
الإلهي . وانظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ١٠٤ س ٤ .

والشبهه^(١) وتعليق الحيطان والأساطين ، وردُّ ما مال منها إلى التقويم . ولهم صبُّ الزردج ، واستخراج النشاستج^(٢) ، وتعليق الخيش ، واتخاذ الجمّازات^(٣) ، وعمل الحراقات^(٤) ، واستخراج شراب الداذي^(٥) وعمل الدبابات^(٦) .

(ما ابتدعه الحجاج من السفن والمحامل)

وكان الحجاجُ أوَّلَ مَنْ أُجْرِيَ فِي الْبَحْرِ السَّفْنُ الْمَقِيَّرَةُ الْمَسْمُورَةُ غَيْرَ الْمَحْرُزَةِ ، وَالْمَدَهُوتَةُ وَالْمَسْطُحَةُ ، وَغَيْرَ ذَوَاتِ الْجَوْجُو ؛ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَمِلَ الْمَحَامِلَ ، وَلِذَا قَالَ بَعْضُ رُجَّازِ الْأَكْرِيَاءِ^(٧) :

أَوَّلَ خَلَقِ عَمَلِ الْمَحَامِلِ أَخْزَاهُ رَبِّي عَاجِلًا وَآجِلًا

وقال آخر :

شَيْبَ أَصْدَاغِي فَهِنَّ بَيْضُ مَحَامِلٍ لِقَدِّهَا نَقِيضُ^(٨)

وقال آخر^(٩) :

(١) في ط : « الشب » وتصحيحه من ل . والشبه والشبهان محركتين : النحاس الأصفر . هذا قول الفيروزبادي . وانظر التفسير الآتي .

(٢) في ط : « النستاستج » وهو تحريف ما في ل . قال في القاموس « والنشا وقد يمد : النشاستج معرب حذف شطره » والنشا معروف .

(٣) سيفرها الجاحظ قريبا .

(٤) الحراقات : سفن فيها مراى نيران ، يرمى بها العدو .

(٥) قال الفيروزبادي ، الداذي : شراب للفساق .

(٦) في ل « الزرياب » وهو الذهب أو ماؤد معرب . وأما الدبابات فجمع دبابه ، قالوا إنها آلة تتخذ للحرب ، فتدفع في أصل الحصن فينقبونه وهم في جوفها .

(٧) مثل هذا الكلام في البيان ٢ : ٣٠٣ .

(٨) الرجز وسابقه في البيان ٢ : ٣٠٤ .

(٩) هو رجل من فقيم ، كما في اللسان (فرض) .

شَيْبٌ أَصْدَاغِي فَهَنْ بِيَّضٌ مَحَامِلٌ فِيهَا رِجَالٌ قَبَّضُ

لو يتسكون سنة لم يغرضوا

وقال القوم : لولا ما عرفوكم من أبواب الحملانات (١) لم تعرفوا صنعة الشبّه ، ولولا غضارُ الصين على وجه الأرض لم تعرفوا الغضار . على أنّ الذي عمّلتُم (٢) ظاهرٌ فيه التوليد ، منقوصُ المنفعة عن تمام الصّينيّ . وعلى أنّ الشبّه لم تستخرجوه . وإِنّما ذلك من الأمور التي وقعت اتّفاقاً ، لسقوط الناطف (٣) من يد الأجير في الصّفّر الذائب ، فخفتم إفساده ، فلمّا رأيتم ما أعطاه من اللون عمّلتُم (٤) في الزيادة والنقصان ، وكذلك جميع ما تهبّأ لكم ، ولستم تخرجون في ذلك من أحدٍ أمرين : إمّا أن تسكونوا استعملتم الاشتقاق من علمٍ ما أورثوكم ، وإمّا أن يكون ذلك تهبّأ لكم من طريق الاتّفاق !!

(الجمازات)

وقد علمتم أنّ أوّل شأن الجمّازاتِ ، أنّ أمّ جعفر أمرت الرّحّالين أن يزيدوا في سير النجبية (٥) التي كانت عليها ، وخافت فوت الرّشيد ، ٢ . فلما حرّكت مشّت ضرورياً من المشى ، وصنّوفاً من السير (٦) ، فجَمَزت في

(١) في القاموس : الحملان في اصطلاح الصّافّة : ما يحمل على الدرهم من الغش .

(٢) في ط : « علمتم » وهو تحريف .

(٣) الناطف : ضرب من الحلوى . انظر حواشي ٣ : ٣٧٦ .

(٤) في ط : « علمتم » .

(٥) في ل : « البختية » .

(٦) في ل : « ضرورياً من المرفوع » .

خلال ذلك ، ووافقت امرأةً تحسن الاختيار ، وتفهم الأمور ، فوجدت لذلك الجمزِ راحةً ، ومع الراحة لذةً ، فأمرتهم أن يسيروا بها في تلك السيرة ، فما زالوا يقربون ويبعدون ، ويخطئون ويصيبون ، وهي في كل ذلك تصوبهم وتخطئهم على قدر ما عرفت ، حتى شدوا من معرفة ذلك ما شدوا ، ثم إنهم فرغتهم لإتمام ذلك حتى تم واستوى . وكذلك لا يخلو جميع أمرهم ، من أن يكون اتفاقاً ، أو اتباع أثر .

(الترغيب في اصطناع الكتاب)

ثم رجع بنا القول إلى الترغيب في اصطناع الكتاب ، والاحتجاج على مَنْ زَرَى^(١) على واضع الكتب ، فأقول : إن من شكر النعمة في معرفة مغاوى الناس ومرآشدهم ، ومضارهم ومنافعهم ، أن يُحْتَمَلَ ثِقَلُ مَثُونَتِهِمْ فِي تَقْوِيمِهِمْ ، وَأَنْ يُتَوَخَّى إِرْشَادُهُمْ وَإِنْ جَهِلُوا فَضَلَ مَا يُسَدَّى إِلَيْهِمْ ؛ فَلَنْ يُصَانَ الْعِلْمُ بِمَثَلِ بَذَلِهِ ، وَلَنْ تُسْتَبَقِيَ النِّعْمَةُ فِيهِ بِمَثَلِ نَشْرِهِ . على أَنَّ قِرَاءَةَ الْكُتُبِ أْبْلَغُ فِي إِرْشَادِهِمْ مِنْ تَلَاقِيهِمْ ؛ إِذْ كَانَ مَعَ التَّلَاقِ يَشْتَدُّ التَّصَنُّعُ ، وَيَكْثُرُ التَّظَالُمُ ، وَتُفْرَطُ الْعَصِيَّةُ ، وَتَقْوَى الْحَمِيَّةُ ؛ وَعِنْدَ الْمَوَاجَهَةِ وَالْمُقَابَلَةِ ، يَشْتَدُّ حُبُّ الْعَلْبَةِ ، وَشَهْوَةُ الْمَبَاهَاةِ وَالرِّيَاسَةِ ، مَعَ الْاسْتِحْيَاءِ مِنَ الرَّجْوَعِ ، وَالْأَنْفَةِ مِنَ الْخُضُوعِ ؛ وَعَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ تَحْدُثُ الضَّغَائِنُ ، وَيُظْهِرُ التَّبَايِنُ . وَإِذَا كَانَتْ الْقُلُوبُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ وَعَلَى هَذِهِ

(١) أثبت ما في ل ، وهي في ط : « ذرى » مصحفة . . وزرى عليه كأزرى : عابه ، والأول أكثر .

الهيئة ، امتنعتُ من التعرفُ ، وعميت عن مواضع الدلالة ، وليست في الكتبِ عِلَّةٌ تمنع من درك البُغية ، وإصابة الحجَّة ؛ لأنَّ المتوحدِ يدرِّسها^(١) ، والمنفرد بفهم معانيها ، لا يباهي نفسه ولا يغالب عقله ، وقد عدِمَ مَنْ له يُباهي وَمِنْ أَجْلِه يغالب .

(الكتابُ قد يفصل صاحبه)

والكتابُ قد يفصل صاحبه ، ويتقدَّم مؤلِّفه ، ويرجح قلمه على لسانه بأمر : منها أن الكتابَ يُقرأ بكلِّ مكان ، ويظهر ما فيه على كلِّ لسان ، ويُوجد مع كلِّ زمان ، على تفاوتِ ما بين الأعصار ، وتباعدِ ما بين الأمصار ؛ وذلك أمرٌ يستحيل في واضع الكتاب ، والمنازع^(٢) في المسألة والجواب . ومناقلةُ اللسان وهدايته لا تجوزان^(٣) مجلس صاحبه ، ومبلغُ صوته . وقد يذهب الحكيمُ وتبقى كتبه ، ويذهب العقلُ ويبقى أثره . ولولا ما أودعت لنا الأوائلُ في كتبها ، وخلدت من عجيبِ حكمتها ، ودونت من أنواعِ سيرِها ، حتَّى شاهدنا بها ما غاب عنَّا ، وفتحنا بها كلُّ مستغلق كان علينا ، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم ، وأدركنا ما لم نكن ندركه إلا بهم ، لقد حسَّ^(٤) حظُّنا من الحكمة ، ولضعف سببنا إلى المعرفة . ولو لجأنا إلى قدر قوتنا ، ومبلغ خواطرننا ، ومنتهى تجاربتنا

(١) في ط : « يدرسها » و « يفهم » والوجه ما كتبت من ل .

(٢) في ط : « والمتنازع » .

(٣) في ط : « لا يجوزان » .

(٤) في ط : « لما حسن » والعبارتان صحيحتان ، ولعل أفضلهما ما أثبتته من ل .

لما تدركه حواسنا ، وتشاهده نفوسنا ، لقلّت المعرفة ، وسقطت الهمة ،
وارتفعت العزيمة ، وعاد الرأي عقياً ، والخاطر فاسداً ؛ ولكلّ الحدّ
وتبلّد العقل .

(أفضل الكتب)

وأكثرُ مِنْ كِتَابٍ نَفْعاً ، وأشرفُ مِنْهَا خَطَرًا ، وأحسنُ مَوْقِعًا ، كُتِبُ
أَللّهُ تَعَالَى ، فِيهَا الْهُدَى وَالرَّحْمَةُ ، وَالْإِنْخِبَارُ عَنْ كُلِّ حِكْمَةٍ ، وَتَعْرِيفُ كُلِّ سَيِّئَةٍ
وَحَسَنَةٍ . وَمَا زَالَتْ كُتِبُ أَللّهُ تَعَالَى فِي الْأَلْوَابِ وَالصُّحُفِ ، وَالْمَهَارِقِ (١)
وَالْمَصَاحِفِ . وَقَالَ أَللّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ الْمَ ذِكَّ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ .
وَقَالَ ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . وَيُقَالُ لِأَهْلِ التُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ :
أَهْلُ الْكِتَابِ .

(مواصلة السير في خدمة العلم)

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ سَبِيلُنَا لِمَنْ بَعَدَنَا ، كَسَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فِينَا . عَلَى
أَنَّا وَقَدْ وَجَدْنَا مِنَ الْعِبْرَةِ أَكْثَرَ مِمَّا وَجَدُوا ، كَمَا أَنَّ مَنْ بَعَدَنَا يَجِدُ مِنَ الْعِبْرَةِ
أَكْثَرَ مِمَّا وَجَدْنَا . فَمَا يَنْتَظِرُ الْعَالَمُ بِإِظْهَارِ مَا عِنْدَهُ ، وَمَا يَمْنَعُ النَّاصِرَ لِلْحَقِّ
مِنَ الْقِيَامِ بِمَا يَلْزُمُهُ ، وَقَدْ أَمَكَّنَ الْقَوْلُ وَصَلَحَ الدَّهْرُ وَخَوَى نَجْمُ التَّقِيَّةِ (٢) ،

(١) في ط : « المحار » وهو تحريف صوابه في ل .

(٢) في ل : « حوى نجم التقيّة » وفي ط « حوى نجم للتقيّد » وقد أصلحت للعبارتين بما ترى .
وخوى النجم : اختفى وذهب ، وأصله من خوت الدار : تهست . والتقيّة : الخذر
والخوف .

وَهَبَّتْ رِيحُ الْعُلَمَاءِ ، وَكَسَدَ الْعَيْشُ وَالْجَهْلُ ، وَقَامَتْ سَوْقُ الْبَيَانِ وَالْعِلْمِ ؟ !
وليس يجدُ الإنسانُ في كلِّ حينٍ إنساناً يدرِّبه ، ومقومًا يثقفه .
والصبرُ على إفهام الرِيضِ شديد ، وصرفُ النفسِ عن مغالبة العالمِ أشدُّ
منه ، والمتعلِّمُ يجدُ في كلِّ مكانٍ الكتابَ عتيداً ، وبما يحتاج إليه قائماً
وما أكثرَ مَنْ فرَّطَ في التعليمِ أَيَّامَ خُمُولِ ذِكْرِهِ ، وَأَيَّامَ حَدَاثَةِ سَنَتِهِ !
ولولا جِيَادُ السُّكْتَبِ وَحَسَنُهَا ، وَمُبَيَّنُهَا وَمُخْتَصِرُهَا ، لَمَا تَحَرَّكَتْ هُمُ هَوْلَاءِ
لطلب العلمِ ، ونزعت إلى حبِّ الأدبِ ، وأنفتحت من حالِ الجهلِ ، وأن
تكون في غمار الحشو ، ولدخل على هؤلاء من الخللِ والمضرة ، ومن الجهلِ
وسوء الحالِ ، ما عسى ألا يمكن الإخبارُ عن مقداره ، إلا بالكلامِ الكثيرِ ،
ولذلك قال عمرُ رضي الله تعالى عنه : « تفقَّهوا قبلَ أن تسودوا » .

(كتب أبي حنيفة)

وقد تجدُّ الرجلَ يطلبُ الآثارَ وتأويلَ القرآنِ ، ويجالسُ الفقهاءَ خمسين
عاماً ، وهو لا يُعدُّ فقيهاً ، ولا يُجعلُ قاضياً ، فما هو إلا أن ينظرَ في كتبِ
أبي حنيفة ، وأشباه أبي حنيفة ، ويحفظَ كتبَ الشروطِ في مقدارِ سنةٍ
أو سنتين ، حتى تمرَّ ببابه فتظنُّ أنه من بعضِ العُمَّالِ (١) ، وبالْحَرَا (٢) ٤٤
ألا يمرَّ عليه من الأيَّامِ إلا اليسيرُ ، حتَّى يصيرَ حاكماً على مصرٍ من الأهصارِ ،
أو بلدٍ من البلادانِ .

(١) في ل : « باب بعض العمال » والعبارتان سليمان .

(٢) وسمت هذه الكلمة بالياء المشددة في المطبوعة وهو خطأ . . وإنما هي « الحرا »
بالألِف . قال صاحب القاموس « والحرا : الخليل . ومنه بالحرا أن يكون ذاك ، وإنه جرى
بكذا وجرى كغنى وحر ، والأولى لاثني ولا تجمع » .

(وجوب العناية بتنقيح المؤلفات)

وينبغي لمن كتب كتاباً ألا يكتبه إلا على أن الناس كلهم له أعداء ، وكلهم عالمٌ بالأمور ، وكلهم متفرغٌ له ؛ ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلاً ، ولا يرضى بالرأى الفطير ؛ فإنَّ لابتداء الكتابِ فتنةً وعُجباً ، فإذا سكنت الطبيعةُ وهدأت الحركة ، وتراجعتِ الأخلاطُ ، وعادت النفسُ وافرةً ، أعاد النظرَ فيه ، فيتوقفُ عند فصوله توقُّفَ من يكونُ وزنُ طمعه^(١) في السلامة أنقصَ من وزنِ خوفه من العيب ، ويتفهمُ معنى قولِ الشاعر^(٢) :

إِنَّ الْحَدِيثَ تَغَرُّ الْقَوْمِ خَلُوتُهُ حَتَّى يَلِجَ بِهِمْ عَيٌّْ وَإِكْتَارُ
ويقفُ عند قولهم في المثل : « كلُّ مُجْرٍ في الخلاءِ يُسرُّ^(٣) » فيخاف أن يعتريه ما اعترى مَنْ أجرى فرسه وحده ، أو خلا بعلمه عند فقدِ خصومه ، وأهل المنزلةِ من أهل صناعته .

(تداعى المعانى فى التأليف)

وليعلم أن صاحبَ القلمِ يعتريه ما يعترى المؤدِّبَ عند ضربه وعقابه ،

(١) فى الأصل : « طبعه » .

(٢) هو ابن هرمة كما فى رسالة الوكلاء للجاحظ ١٧١ ساسى والبيت كذلك فى البيان ١ :

٢٠٣ وأدب الكتاب للصوى ١٥٧ . وقد رواه الصوى برواية أخرى فانظره .

(٣) جاء فى البيان ١ : ٢٠٣ « وفى المثل المضروب كل مجر فى الخلاء مسر ، ولم يقولوا

مسرور . وكل صواب » . والوجه فى المثل « يسر » كما هو هنا وكما فى الميدان ٢ : ٧٣

وانظر أصل المثل فيه .

فأكثر من يعزِم على خمسة أسواط فيضرب مائة؟ ! لأنه ابتداء الضرب وهو ساكنُ الطباع ، فأراه السكون أن الصواب في الإقلال ، فلما ضرب تحرك دمه ، فأشاع فيه الحرارة فزاد في غضبه ، فأراه الغضب أن الرأي في الإكثار . وكذلك صاحب القلم ؛ فما أكثر من يبتدىء الكتاب وهو يُريد مقدارَ سطرين ، فيكتب عشرة ! والحفظ مع الإقلال أمكن ، وهو مع الإكثار أبعد .

(مقايسة بين الولد والكتاب)

واعلم أن العاقل إن لم يكن بالمتبّع ، فكثيراً ما يعتريه ما يعتريه من ولده ، أن يحسن في عينه منه المقبّح في عين غيره ، فليعلم أن لفظه أقرب نسباً منه من ابنه ، وحركته أمسُّ به رِحماً من ولده ؛ لأنَّ حركته شيء أحدثه من نفسه وبداته ، ومن عين جوهره فصلت^(١) ، ومن نفسه كانت ؛ وإنما الولد كالمخطئة يتمخّطها ، والنخامة يقذفها ، ولا سواء إخراجك من جزئك شيئاً لم يكن منك ، وإظهارك حركة لم تكن حتى كانت منك . ولذلك تجد فتنة الرجل بشعره ، وفتنة بكلامه وكتبه ، فوق فتنة بجميع نعمته .

(ما ينبغي أن تكون عليه لغة الكتب)

وليس الكتابُ إلى شيءٍ أحوَج منه إلى إيفهام معانيه ، حتى لا يحتاج

(١) في ط : « وبداته من عين جوهره فصلت » . وإصلاح العبارة وإتمامها من ل .

٤٥ السامع لما فيه من الروية ، ويحتاجُ من اللفظ إلى مقدارٍ يرتفع به عن ألفاظ السَّفلة والحشو^(١) ، ويحطُّه من غريب الأعراب ووخشي الكلام ، وليس له أن يهذبه جداً ، وينقحه ويصنِّيه ويروقه ، حتى لا ينطقَ إلا بلبِّ اللبِّ ، وباللفظ الذي قد حذف فضولُه ، وأسقطَ زوائده^(٢) ، حتى عاد خالصاً لاشوب فيه ؛ فإنه إن فعل ذلك ، لم يفهم عنه إلا بأن يجدد لهم إفهاماً مراراً وتكراراً ، لأنَّ النَّاسَ كلَّهم قد تعودوا المبسوط من الكلام ، وصارت أفهامهم لاتزيد على عاداتهم إلا بأن يعكس عليها ويؤخذ بها . ألا ترى أن كتاب المنطق الذي قد وُسم بهذا الاسم ، لو قرأته على جميع خطباء الأمصار وبلغاء الأعراب ، لما فهموا أكثره ، وفي كتاب أقليدس كلامٌ يدور ، وهو عربيٌّ وقد صنَّي ، ولو سمعه بعضُ الخطباء لما فهمه ، ولا يمكن أن يفهمه من يريد تعليمه ، لأنه يحتاج إلى أن يكون قد عرف جهة الأمر ، وتعود اللفظ المنطقي^(٣) الذي استخرج من جميع الكلام .

(قول صحار العبدي في الإيجاز ، ونقده)

قال معاوية بن أبي سفيان ، رضي الله تعالى عنهما ، لصحار العبدي^(٤) :

(١) في ط : « الحشوة » وكلاهما صحيح ومعناها : صفار الناس وأسقاطهم .

(٢) في ل : « وتعرف زوائده » .

(٣) في ط : « وتعود للفظ المنطقي » وهو تحريف .

(٤) هو صحار بن عياش - وقيل ابن عباس - بن شراحيل بن منقذ العبدي من بني عبد القيس .

خطيب مفوه كان من شيعة عثمان ، له صحبة وأخبار حسنة ، وكان نسابه ، توفي

نحو سنة ٤٠ هـ . الإصابة ٤٠٣٦ والاشتقاق ٢٠١ .

ما الإيجاز؟ قال : أن تجيبَ فلا تبطئ ، وتقولَ فلا تخطئ . قال معاوية :
أو كذلك تقول !! قال صحار : أقلني يا أمير المؤمنين ! لا تخطئ ولا تبطئ .
فلو أن سائلاً سألك عن الإيجاز ، فقلت : لا تخطئ ولا تبطئ ،
وبحضرتك خالد بن صفوان^(١) ، لما عرّف بالبدئية وعند أول وهلة ،
أن قولك « لا تخطئ » متضمنٌ بالقول ، وقولك « لا تبطئ » متضمنٌ
بالجواب . وهذا حديثٌ كما ترى آثروه ورَضُّوه ، ولو أن قائلًا قال لبعضنا :
ما الإيجاز؟ لظننتُ أنه يقول : الاختصار .

(حقيقة الإيجاز)

والإيجاز ليس يُعنى به قلّة عددِ الحروفِ وألفظِ ، وقد يكونُ البابُ من
الكلامِ مَنْ أتى عليه فيما يسع بطن طومار^(٢) فقد أوجز ، وكذلك الإطالة ،
وإنّما ينبغى له أن يحذف بقدرِ مالا يكون سبباً لإغلاقه ، ولا يردّد وهو
يكتفى في الإفهام بشطره^(٣) ، فما فضل عن المقدار فهو الخطل .

(استغلاق كتب أبي الحسن الأخفش)

وقلتُ لأبي الحسن الأخفش : أنت أعلمُ الناسِ بالنحو ، فلم لا تجعلُ

(١) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهم التيمي المنقري ، كان يجالس
عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، نشأ بالبصرة ، وكان أكثر أهلها مالا ،
ولم يتزوج ، توفي نحو سنة ١١٥ هـ .

(٢) الطومار والطامور : الصحيفة ، جمعه طوامير .

(٣) في ط : « ولا لترداده وهو يكتفى من الإفهام بشطره » وعدلت القول من ل .

كتبك مفهومة كلها ، وما بالناس نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ، وما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم ؟ ! قال : أنا رجل لم أضع كتي هذه لله ، وليست هي من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع ^(١) الذي تدعوني إليه ، قلت حاجاتهم إلى فيها ، وإنما كانت غايتي المنايعة ، فأنا أضع بعضها هذا الوضع ^(١) المفهوم ، لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا ، وإنما قد كسبت في هذا التدبير ، إذ كنت إلى الشكيب ذهبت ، ولكن ما بال إبراهيم النظام ، وفلان وفلان ، يكتبون الكتب لله بزعمهم ، ثم يأخذها مثلي في موافقته ^(٢) ، وحسن نظره ، وشدة عنايته ، ولا يفهم أكثرها ؟ !

وأقول : لو أن يوسف السمتي ، كتب هذه الشروط ، أيام جلس سلمان ابن ربيعة ^(٣) شهرين للقضاء ، فلم يتقدم إليه رجلان ، والقلوب سليمة والحقوق على أهلها موفرة ، لكان ذلك خطأ ولغوًا ؛ ولو كتب في دهره شروط سلمان ، لكان ذلك غرارة ونقصا ، وجهلاً بالسياسة ، وبما يصلح في كل دهر .

(مواضع الإسهاب)

ووجدنا الناس إذا خطبوا في صلح بين العشائر أطلوا ، وإذا أنشدوا

(١) بدلها في ط : « الموضع » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) في ط : « موافقته » والوجه ما في ل . والمواقفة : الخصومة والجدال .

(٣) هو سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلي الصحابي ، من القادة القضاة ، استقضاه عمر على الكوفة ، ثم ولي غزو أرمينية في زمن عثمان ، وقتل فيها سنة ٣٠ هـ .

الشعر بين السَّماطين في مديح الملوك أطالوا . وللإطالة موضع وليس ذلك
بمُحْتَطَل ، وللإقلال موضعٌ وليس ذلك من عَجَز .

ولولا أنني أتسكل على أنك لا تملُّ بابَ القولِ في البعير حتى تخرجَ إلى
الفيل ، وفي الذَّرَّة^(١) حتى تخرجَ إلى البعوضة ، وفي العقربِ حتى تخرجَ
إلى الحيَّة ، وفي الرجلِ حتى تخرجَ إلى المرأة ، وفي الذِّبان والنحل^(٢) حتى
تخرجَ إلى الغرْبان والعقبان ، وفي السكلبِ حتى تخرجَ إلى الديك ، وفي
الذئبِ حتى تخرجَ إلى السبع ، وفي الظلْفِ حتى تخرجَ إلى الحافر ، وفي الحافرِ
حتى تخرجَ إلى الخُفِّ ، وفي الخفِّ حتى تخرجَ إلى البرُّثنِ ، وفي البرُّثنِ حتى
تخرجَ إلى المِخلَبِ ، وكذلك القول في الطيرِ وعامةِ الأصناف ، لرأيتُ أن
جملة الكتاب^(٣) ، وإنْ كثر عددُ ورقه ، أن ذلك ليس مما يُمِلُّ ، ويُعتدُّ
عليَّ فيه بالإطالة ، لأنَّه وإن كان كتاباً واحداً فإنه كتبُ كثيرة ، وكلُّ
مُصحَفٍ منها فهو أمُّ على حِدَةٍ ، فإن أرادَ قراءةَ الجميع لم يَطُلْ عليه الباب
الأوَّلُ حتى يهجمَ على الثاني ، ولا الثاني حتى يهجمَ على الثالث ؛ فهو
أبدأً مستفيدٌ ومستطرفٌ ، وبعضه يكون جأماً لبعض ، ولا يزالُ نشاطه
زائداً . ومتى خرجَ من آي القرآن صارَ إلى الأثر ، ومتى خرجَ من أثر
صارَ إلى خبر ، ثم يخرجُ من الخبرِ إلى شعر ، ومن الشعرِ إلى نوادر ، ومن
النوادر إلى حكمٍ عقليَّة ، ومقاييسِ سِدَاد^(٤) ، ثم لا يترك هذا الباب ؛ ولعلَّه

(١) في ط : « الدرة » بالبدال وإنما هي « الذرة » بالذال كما في ل . والذر : ضرب من
التمل صغار .

(٢) كذا في ل . . وفي ط : « وفي الذباب » فقط .

(٣) في ط : « فرأيت أن جملة الكتاب » .

(٤) في الأصل : « شداد » والمقياس ينعت بالسداد لا بالشدة .

أن يكون أثقلَ ، والملالُ إليه أسرع ، حتَّى يفضِيَ به إلى مزحٍ وفكاهة ،
وإلى سُخْفٍ وخُرَافَةٍ ، ولستُ أراه سُخْفًا ، إذ كنتُ إنما استعملتُ
سيرة الحكماء ، وآداب العلماء .

(مخاطبة العرب وبنى إسرائيل في القرآن الكريم)

ورأينا الله تبارك وتعالى ، إذا خاطب العربَ والأعرابَ ، أخرجَ
الكلامَ مُخْرَجَ الإِشَارَةِ والوحي والحذف ، وإذا خاطبَ بنى إسرائيلَ
أو حكى عنهم ، جعله مبسوطًا ، وزاد في الكلام . فأصوبُ العمل اتِّباعُ
آثار العلماء ، والاحتذاء على مثال القدماء ، والأخذ بما عليه الجماعة .

(أقوال لبعض الشعراء في الكتب)

قال ابن يسير^(١) في صفة الكتب ، في كلمة له :
أقبلتُ أهْرَبُ لا آلو مُبَاعِدَةً في الأرض منهم فلم يُحصِي الهْرَبُ
بقصر أوسٍ فما والت خنادِقُه ولا النواويسُ فالماخورُ فالخرب^(٢)
فأيمًا موئلٍ منها اعتصمتُ به فمن ورائي حثيثًا منهم الطلبُ
لما رأيتُ بأني لستُ معجزهم فوتًا ولا هربًا ، قرَّبتُ أحتجبُ

(١) تقدمت ترجمته ص ٥٩ .

(٢) يبتدئ البيت في ط بكلمة : « فقصر » وينتهي بكلمة « فالخرب » وقد أبدلتها
بما في ل . وقصر أوس ، كان بالبصرة ، منسوب إلى أوس بن ثعلبة ، أحد
الولاة الأمويين .

فصرتُ في البيتِ مسروراً بهم جَدِلاً
فرداً يحدّثني الموتى وتنطقُ لي
هم مؤنسون وألأف غنيتُ بهم
لله من جُلساءٍ لا جليسهم
لا بادراتِ الأذى يخشى رفيقهم
أبقوا لنا حكماً تبقى منافعها
فأيما آدبٍ منهم مددتُ يدي
إن شئتُ من مُحكم الآثارِ يرفعها
أو شئتُ من عربٍ علماً بأولهم
أو شئتُ من سِيرِ الأملاكِ من عجمٍ
حتى كأنني قد شاهدتُ عصرهم
يا قائللاً قصرتُ في العلمِ نهيتَهُ (٦)
إنَّ الأوائلَ قد بانوا بعلمهم

جَارَ البراءة لا شكوى ولا شغبُ (١)
عن علمٍ ما غاب عني منهمُ الكتُبُ
فليس لي في أنيسٍ غيرهم أربُ
ولا عشيرهمُ للسوءِ مرتقبُ
ولا يُلاقيه منهمُ منطِقُ ذربُ (٢)
أخرى اللَّيالي على الأيامِ وانشعبا (٣)
إليه فهو قريبُ من يدي كُتِبُ (٤)
إلى النبيِّ ثقاتٌ خيرةٌ نجبُ
في الجاهليَّةِ أنبتني به العربُ (٥)
تُنذِي وتُخبرُ كيف الرأى والأدبُ
وقد مضتْ دونهم من دهرهم حقبُ
أمسى إلى الجهلِ فيما قال ينتسبُ
خلافَ قولك قد بانوا وقد ذهبوا (٧)

(١) في الأصول « به جدلاً » والصواب « بهم ». وابن يسير هنا قد جعل للكتب ضمير جماعة العقلاء كما في الأبيات الأولى . وأما « جار البراءة » فهي ماصح لي من مقارنة مافي الأصول فهي في ط : « جار البوأة » وفي س « جار البوأة » وفي ل « حاز البراءة » .

(٢) منطِق ذرب : كلام حاد مزعج .

(٣) في ط « والشعب » وصوابه في ل .

(٤) في ط « كتب » وهو تصحيف مافي ل . وكتب : قريب .

(٥) في ط : « بها العرب » والضمير عائذ إلى العلم .

(٦) النبية والنهي : العقل . وقد تستعمل النهي جمعاً للنهية .

(٧) كذا في ل . وفي ط :

إنَّ الأوائلَ قد بانوا بعلمهم خلاف قولك ما بانوا وما ذهبوا
وهذا البيت مقول القول في البيت السابق ، والبيت الآتي رد على قول هذا القائل .

مامات منا امرؤ أبقى لنا أديباً نكونُ منه إذا ما مات نكتسبُ^(١)
وقال أبو وجزة^(٢) وهو يصف صحيفةً كُتِبَ له فيها بستينَ وسقاً :

راحتُ بستينَ وسقاً في حقيبتها ما حُمِلَتْ حِمْلَهَا الأَدْنَى ولا السَّدَا
ما إنْ رأيتُ قلوصلاً قبلها حَمَلْتُ ستينَ وسقاً وما جابت به بلدًا^(٣)

وقال الراجز :

٤٨ تَعَلَّمَنْ أَنَّ الدَّوَاةَ والقَلَمَ تَبِي وَيُفْنِي حَادِثُ الدَّهْرِ الغَنَمِ^(٤)
يقول : كتابك الذي تكتبه عليّ يبقِي فتأخذني به ، وتذهب غنمي
فيما يذهب .

(نشر الأخبار في العراق)

ومما يدلُّ على نفع الكتاب ، أنه لولا الكتابُ لم يُجزَّ أن يعلمَ أهل
الرَّقَّةِ والموصِلِ وبغدادَ ووَاسِطَ ، ما كان بالبصرة ، وما يحدث بالكوفةِ

(١) في ط : « مامات مثل امرئ » والوجه ما في ل .
(٢) في ط : « أبو وجرة » بالراء وإنما هو بالزاي ، واسمه يزيد بن عبيد ، من بني
سعد بن بكر بن هوازن ، أظآر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان شاعرا مجيدا ،
وهو أول من شيب بعجوز . كذا قال ابن قتيبة في ترجمته في الشعراء ٦٨٤ . توفي
أبو وجزة بالمدينة سنة ١٣٠ هـ .

(٣) في ط : « جاءت » وصواب الرواية ما أثبتته من ل ، س ومن الكامل ١٠٧
ليبسك ، وقد زاد المبرد بيتاً قبل الأول ، وآخر بعد الثاني . قال المبرد في شرح البيت
الأول : « إنما أراد ما يوجب ستين وسقا ، لأن الناقة حملت ستين وسقا » . وحديث
الشعر في الكامل ، ويفهم منه أن أبا وجزة امتدح آل الزبير ، فكتبوا إليه بستين
وسقا من تمر وقالوا : هي لك عندنا في كل سنة .
(٤) في ط : « تعلمي أن » وصوابه في ل .

في بياض يوم ، حتى تكون الحادثة بالكوفة غدوة ، فتعلمُ بها أهلُ البصرة قبلَ المساء .

[وذلك مشهورٌ في الحمام الهدى ، إذا جعلت بُرداً^(١) ، قال الله جلَّ وعزَّ - وذكر سليمانَ وملكه الذي لم يؤتِ أحداً مثله - فقال ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ ﴾ إلى قوله ﴿ أَوْ لَا ذَبْحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ فلم يلبث أن قال الهدهدُ ﴿ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ، وَأَوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ قال سليمان ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾ وقد كان عنده من يبلغُ الرسالةَ على تمامها ، من عِفْرِيْتِ ، ومن بعض من عنده علمٌ من الكتاب ، فرأى أن الكتابَ أبهى وأنبأ ، وأكرمُ وأفخمُ من الرسالة عن ظهر لسان ، وإن أحاطَ بجميعِ مافي الكتاب . وقالت ماسكةُ سبأ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّْ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ . فهذا مما يدلُّ على قدر اختيار الكتب .

(استخدام الكتابة في أمور الدين والدنيا)

وقد يريد بعضُ الجِلَّةِ السكبارِ ، وبعضُ الأدباءِ والحكماءِ ، أن يدعو بعضَ من يجرى سَجْرَاهُ في سلطانٍ أو أدبٍ ، إلى مَأْدُبَةٍ أو نِدَامٍ^(٢) ، أو خُرُوجٍ إلى منزله ، أو بعض ما يشبه ذلك ، فلو شاء أن يبلغهُ الرسولُ

(١) جمع بريد . والكلام من مبدأ هذه الفقرة إلى ص ١٠٦ ساقط من جميع النسخ ، وأثبتته من ل .

(٢) مصدر نادمه ، بمعنى جالسه على الشراب . والتدَامُ أيضاً ، جمع للتدِيمِ . ولكنه ليس مراداً هنا .

إرادته ومعناه ، لأَصَابَ مَنْ يُحْسِنُ الْأَدَاءَ ، وَيَصْدُقُ فِي الْإِبْلَاحِ ، فَيُرَى
أَنَّ الْكِتَابَ فِي ذَلِكَ أُسْرَى وَأُنْبَهَ وَأُبْلَغَ .

ولو شاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَلَّا يَكْتَبَ الْكِتَابَ إِلَى كَسْرَى ،
وَقِيَصَرَ ، وَالنَّجَاشِيَّ ، وَالْمَقْرُقِسَّ ، وَإِلَى ابْنِي الْجُلَيْنَدِيِّ (١) ، وَإِلَى الْعِبَاهِلَةِ مِنْ
حَمِيرَ ، وَإِلَى هُوذَةَ بْنِ عَلِيٍّ ، وَإِلَى الْمُلُوكِ وَالْعِظْمَاءِ ، وَالسَّادَةِ النَّجْبَاءِ ، لَفَعَلَ ،
وَلَوْ جَدَّ الْمُبْلَغُ الْمَعْصُومَ مِنَ الْخَطَا وَالتَّبْدِيلِ ، وَاسْكَنَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ ،
عَلِمَ أَنَّ الْكِتَابَ أَشْبَهُ بِتِلْكَ الْحَالِ ، وَأَلِيقَ بِتِلْكَ الْمَرَاتِبِ ، وَأُبْلَغَ فِي تَعْظِيمِ
مَا حَوَاهِ الْكِتَابَ .

ولو شاءَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ الْبَشَارَاتِ عَلَى الْأَسْنَةِ بِالْمُرْسَلِينَ ، وَلَمْ يُوَدِّعْهَا الْكِتَابَ
لَفَعَلَ ، وَاسْكَنَهُ تَعَالَى وَعِزٌّ ، عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ أَمٌّ وَأَكْمَلُ ، وَأَجْمَعُ وَأَنْبَلُ .
وَقَدْ يَكْتَبُ بَعْضُ مَنْ لَهُ مَرْتَبَةٌ فِي سُلْطَانٍ أَوْ دِيَانَةٍ ، إِلَى بَعْضِ مَنْ
يَشَاكِلُهُ ، أَوْ يَجْرِي مَجْرَاهُ ، فَلَا يَرْضَى بِالْكِتَابِ حَتَّى يَخْزِمَهُ وَيَخْتَمَهُ ،
وَرَبَّمَا لَمْ يَرْضَ بِذَلِكَ حَتَّى يُعْنُونَهِ وَيَعْظُمَهُ . قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ أَمْ لَمْ
يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى . وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ فَذَكَرَ صُحُفَ مُوسَى
الْمَوْجُودَةَ ، وَصُحُفَ إِبْرَاهِيمَ الْبَائِدَةَ الْمَعْدُومَةَ ، لِيَعْرِفَ النَّاسُ مَقْدَارَ النِّفْعِ ،
وَالْمَصْلَحَةِ فِي الْكِتَابِ .

(نظام التوريت عند فلاسفة اليونانية)

قالوا : وكانت فلاسفة اليونانية . تورث البنات العيين ، وتورث البنين
للدين : وكانت تصل العجز بالكفاية ، والمثونة بالكلفة . وكانت تقول :

(١) الجلندي : اسم ملك عمان . وفي الأصل « بني الجلندي » والصواب ما أثبتته عن
الإصابة ١٣٠٥ والسيرة ٩٧١ . وابنا الجلندي هما جينر - بوزن جعفر -
وعياذ (أو عباد) .

لا تورثوا الابنَ من المال ، إلا ما يكونُ عوناً له على طلب المال ، واغذوه بحلاوة العلم ، واطبعوه على تعظيم الحكمة ، ليصير جمع العلم أغلبَ عليه من جمع المال ، وليرى أنه العُدَّة والعَتاد ، وأنه أكرم مستفاد .

وكانوا يقولون : لا تورثوا الابنَ من المال إلا ما يسد الخلة ، ويكون له عوناً على درك الفضول ، إن كان لأبدٍ من الفضول ؛ فإنه إن كان فاسداً زادت تلك الفضول في فساده ، وإن كان صالحاً كان فيما أورثتموه من العلم وبقِيَّتْ له من الكفاية ، ما يكسبه الحال ، فإن الحال أفضل من المال ، ولأنَّ المالَ لم يزلْ تابعاً للحال ، وقد لا يتبع الحال المال . وصاحب الفضول بعرض فساد ، وعلى شفا إضاعة ، مع تمام الحنكة ، واجتماع القوة ، فما ظنكم بها مع غرارة^(١) الحداثة ، وسوء الاعتبار ، وقلة التجربة .

وكانوا يقولون : خير ميراثٍ ما أكسبك الأركان الأربعة ، وأحاط بأصول المنفعة ، وعجل لك حلاوة المحبة ، وبقِيَ لك الأحدوثة الحسنة ، وأعطاك عاجل الخير وآجله ، وظاهره وباطنه .

وليس يجمع ذلك إلا كرامُ الكتب النفيسة ، المشتملة على ينابيع العلم ، والجامعة لكنوز الأدب ، ومعرفة الصناعات ، وفوائد الأرفاق ، وحجج الدين الذي بصحته ، وعند وضوح برهانه ، تسكن النفوس ، وتثلج الصدور ، ويعود القلب معموراً ، والعزُّ راسخاً ، والأصل فسيحاً^(٢) .

وهذه الكتب هي التي تزيد في العقل وتشجذه ، وتداويه وتصلحه ، وتهذبه ، وتنفي الحَبَث عنه ، وتفيدك العلم ، وتصادق بينك وبين الحجَّة ، وتعودك الأخذ بالثقة ، وتجلب الحال ، وتكسب المال .

(١) الفرارة : الغفلة وقلة التجريب . وفي الأصل الفرارة وهو تحريف .

(٢) كذا .

(وراثۃ الکتب)

وراثۃ الکتب الشریفۃ، والأبواب الرفیعۃ ، منبہ للمورث ، وکنز عند الوارث ، إلا أنه کنز لا تجب فیہ الزکاة ، ولا حقُّ السلطان . وإذا كانت الکنوز جامدة ، ینقصها ما أخذ منها ، كان ذلك الکنز مائعا یزیده ما أخذ منه ، ولا یزال بها المورث مذكوراً فی الحکماء ومنوَّها باسمه فی الأسماء ، وإماماً متبوعاً وعلماً منصوباً ، فلا یزال الوارث محفوظاً ، ومن أجله محبوباً ممنوعاً ، ولا تزال تلك المحبَّة نامیةً ، ما كانت تلك الفوائد قائمةً ؛ ولن تزال فوائدها موجودةً ما كانت الدار دار حاجة ، ولن يزال من تعظیمها فی القلوب أثر ، ما كان من فوائدها علی الناس أثر .

وقالوا : من (١) ورثته کتاباً ، وأودعته علماً ، فقد ورثته ما یُغَلِّ ولا یَسْتَغِلُّ ، وقد ورثته الضیعة التي لا تحتاج إلى إثارة (٢) ، ولا إلى سقى ، ولا إلى إسجال بإیغار (٣) ، ولا إلى شرط ، ولا تحتاج إلى أکثار (٤) ، ولا إلى أن تُثار (٥) ، وليس علیها عشر ، ولا للسلطان علیا خرَّج . وسواء أفدته علماً أو ورثته آلة علم ، وسواء دفعك إلیه الکفاية ، أو ما یجلب الکفاية . وإنما تجرى الأمور وتتصرف الأفعال علی قدر الإمكان ، فمن لم یقدر إلا علی دفع السبب ، لم یجب علیه إحضار المسبَّب . فکتب الآباء ، تحییب للأحیاء ، ومحی لذكر الموتی .

(١) فی الأصل : « متی » والوجه ما أثبت .

(٢) الإثارة هنا بمعنى الحرث .

(٣) أسجل له الأمر : أطلقه . وأوغر الملك الرجل الأرض : جعلها له من غیر خراج .

(٤) الأکار هنا بمعنى الخبیر من المخابرة (والمخابرة أن یزرع الرجل أرض غیره ، علی أن یكون له النصف ونحوه بما تغل الأرض) .

(٥) قد سبق قوله « لا تحتاج إلى إثارة » فهو تکرار ، أو فی الكلام تحریف .

وقالوا : ومتى كان الأديب^(١) جامعاً بارعاً . وكانت موارثته كتباً بارعة وآداباً جامعة ، كان الولد أجدر أن يرى التعلُّم خطأ ، وأجدر أن يسرع التعلُّم إليه ، ويرى تركه خطأ ، وأجدر أن يجرى من الأدب على طريق قد أهدج له ، ومنهاج قد وطئ له ، وأجدر أن يسرى إليه عرقٌ من نَجَلِه ، وسقى من غرسه ، وأجدر أن يجعل بدل الطلب للكسب^(٢) ، النظر في السكتب ، فلا يأتي عليه من الأيام مقدارُ الشغل بجمع السكتب ، والاختلاف في سماع العلم ، إلا وقد بلغ بالكفاية وغاية الحاجة . وإِنَّمَا تُفسد الكفاية من [له]^(٣) تمت آلاته^(٤) ، وتوافت إليه أسبابه . فأما الحدّث الغرير ، والمنقوص الفقير ، فخير موارثته الكفاية إلى أن يبلغ التمام ، ويكمل للطلب . فخير ميراثٍ ورث كتبٌ وعلم . وخير المورثين من أورث ما يجمع ولا يفرِّق ، ويبصر ولا يُعنى ، ويُعطى ولا يأخذ ، ويجود بالكلِّ دون البعض ، ويدع لك الكنز الذي ليس للسلطان فيه حقٌّ ، والركاز^(٥) الذي ليس للفقراء فيه نصيب ، والنعمّة التي ليس للحاسد فيها حيلة ، ولا للصُّوم فيها رغبة ، وليس للخصم عليك فيه حجّة ، ولا على الجار فيه مئونة .

(قول ديمقراط في تأليف كتب العلم)

وأما ديمقراط فإنه قال : ينبغي أن يعرف أنه لا بدّ من أن يكون لكلِّ كتابٍ علمٌ وضعه أحدٌ من الحكماء ، ثمانية أوجه : منها الهمة ، والمنفعة ، والنسبة ، والصحة ، والصنّف ، والتأليف ، والإستاد ، والتدبير ، فأولها أن

(١) في الأصل : « الأدب » .

(٢) في الأصل : « السكتب » .

(٣) زيدت هذه الكلمة في الأصل بخط مخالف .

(٤) في الأصل « آدابه » وإنما هي « آلاته » بمعنى أسبابه .

(٥) الركاز بمعنى الكنز .

تسكون لصاحبه همة ، وأن يكون فيما وضع منفعة ، وأن يكون له نسبة يُنسب إليها ، وأن يكون صحيحاً ، وأن يكون على صنف من أصناف الكتب معروفابه ، وأن يكون مؤتلفاً من أجزاء خمسة ، وأن يكون مسندا إلى وجه من وجوه الحكمة ، وأن يكون له تدبير موصوف .

فذكر أن أبقراط قد جمع هذه الثمانية الأوجه في هذا الكتاب ، وهو كتابه الذي يسمى (أفوريسموا) ، تفسيره كتاب الفصول .

(مقالة في شأن الكلب)

وقولك : وما بلغ من قدر الكلب مع لؤم أصله ، وخبث طبعه ، وسقوط قدره ، ومهانة نفسه ، ومع قلة خيره وكثرة شره ، واجتماع الأمم كلها على استسقاطه ، واستسفاله ، ومع ضربهم المثل في ذلك كله به ، ومع حاله التي يعرف بها ، من العجز عن سهولة السباع واقتدارها ، وعن (١) تمنعها وتشرؤها ، وتوحشها وقلة إسماعها ، وعن مسالة البهائم وموادعتها ، والتمكين من إقامة مصلحتها والانتفاع بها ، إذ لم يكن في طبعها دفع السباع عن أنفسها ، ولا الاحتيال لمعاشها ، ولا المعرفة بالمواضع الحريزة من المواضع المخوفة ، ولأن الكلب ليس بسبع تام ، ولا بهيمة تامة ، حتى كأنه من الخلق المركب والطباع الملققة ، والأخلاق المحتلبة ، كالبغل المتلون في أخلاقه ، الكثير العيوب المتولدة عن مزاجه .

وشر الطباع ما تجاذبته الأعراق المتضادة ، والأخلاق المتفاوتة (٢) ، والعناصر المتباعدة ، كالراعي من الحمام ، الذي ذهب عنه هداية الحمام ،

(١) في الأصل : « ومن » .

(٢) في الأصل : « المتفاوتة » .

وشكل هديره وسرعة طيرانه ، وبطل عنه عمر الورشان ، وقوة جناحه
وشدة عصبه ، وحسن صوته ، وشحو^(١) حلقه ، وشكل لحنه ، وشدة
إطرابه ، واحتماله لوقع البنادق وجرح المخالب . وفي الراعي أنه مُسْرُولٌ
مُنْقَلٌ ، وحدث له عِظَمٌ بدن ، وثقل وزن لم يكن لأبيه ولا لأمه .

وكذلك البغل ، خرج من بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما ، ويعيش
نتائجهما ويبقى بقاءهما ، وهو لا يعيش له ولد وليس بعقيم ، ولا يبقى للبغلة
ولد وليست بعاقرة ، فلو كان البغل عقيماً ، والبغلة عاقراً ، لكان ذلك أزيد
في قوتها ، وأتمّ لشدهما ؛ فمع البغل من الشَّبَقِ والنَّعْظِ ما ليس مع أبيه ،
ومع البغلة من السَّوسِ^(٢) ، وطلب السفاد ، ما ليس مع أمها . وذلك كله قُدْحٌ
في القوَّة ، ونقص في البنية^(٣) . وخرج غرموله أعظم من غراميل أعمامه
وأخواله ، فترك شبههما ، ونزع إلى شيء ليس له في الأرض أصل ، وخرج
أطول عمراً من أبويه ، وأصبر على الأثقال من أبويه .

أو كابن المذكورة من النساء ، والمؤنث من الرجال ، فإنه يكون أخبث
نتاجاً من البغل ، وأفسد أعراقاً من السَّمْعِ ، وأكثر عيوباً من العسبار ،
ومن كل خلقٍ خلقٍ إذا تركب من ضِدِّه ، ومن كل شجرة مُطْعَمَةٌ بخلاف .
وليس يعتري مثل ذلك الخِلاسيّ من الدجاج ، ولا الورداني^(٤)
من الحمام .

(١) الشحو : الاتساع . وفي الأصل « وشجى » وليس له وجه .

(٢) يقال سوست الدابة سوساً ، بمعنى اغتلمت ، كما في كتاب البغال للجاحظ ص ٣٢٠ .

وفي الأصل : « الشوس » تصحيف .

(٣) في الأصل « في البنية » .

(٤) الدميري : طائر متولد بين الورشان والحمام ، وله غرابة لون .

وكلُّ ضعف دخل على الحلقة ، وكل رقة عرضت للحيوان : فعلى قدر جنسه . وعلى وزن مقداره وتمكنه ، يظهر العجز والعيب .
وزعم الأصمعيُّ ، أنه لم يسبق الحلبة فرسٌ أهضم قط .
وقال محمد بن سلام : لم يسبق الحلبة أبلق قط ولا بقاء^(١) .
والهداية في الحمام ، والقوة على بعد الغاية^(٢) ، إنما هي للمصممة من الخضر^(٣) .

(الشيات في الحيوان ضعف ونقص)

وزعموا أنَّ الشيات كلها ضعف ونقص - والشية : كلُّ لون دخل على لون - وقال الله جلَّ وعزَّ ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾ .

(ابن المذكرة من المؤنث)

وزعم عثمان بن الحكم^(٤) أنَّ ابن المذكرة من المؤنث ، يأخذ أسوأ خصال أبيه ، وأردأ خصال أمه ، فتجتمع فيه عظام الدواهي ، وأعيان المساوي ، وأنه إذا خرج كذلك ، لم ينجع فيه أدب ، ولا يَطْمَعُ في علاجه طيب ، وأنه رأى في دور ثقيف ، فتى اجتمعت فيه هذه الخصال ، فما كان في الأرض يومٌ ، إلَّا وهم يتحدثون عنه بشيءٍ ، يصغر في جنبه أكبرُ ذنبٍ كان يُنسب إليه !

(١) انظر الحيوان ٥ : ١٦٦ .

(٢) الغاية : المدى الذي يرسل إليه حمام الزاجل .

(٣) المصممة : التي لا يخالط لونها لون آخر .

(٤) هو عثمان بن الحكم بن صخر الثقفي ، له خبران في الأغاني (٩ : ٢٣ ، ١٧ : ١٧)

وزَعَمْتَ أَنَّ السُّكْبَ فِي ذَلِكَ كَالخُنْثَى ، الَّذِي هُوَ لَا ذَكَرَ وَلَا أُنْثَى ،
أَوْ كَالخِصْيِ الَّذِي لَمَّا قُطِعَ مِنْهُ مَا صَارَ بِهِ الذَّكَرُ فَحَلَا ، خَرَجَ مِنْ حَدِّ كَمَالِ
الذَّكَرِ بِفَقْدَانِ الذَّكَرِ ، وَلَمْ يَكْمُلْ لِأَن يَصِيرَ أُنْثَى ، لِلغَرِيزَةِ الْأَصْلِيَّةِ ،
وَبَقِيَّةِ الْجَوْهَرِيَّةِ .

وزَعَمْتَ أَنَّهُ يَصِيرُ كَالنَّبِيدِ الَّذِي يَفْسُدُهُ إِفْرَاطُ الْحَرِّ ، فَيُخْرِجُهُ مِنْ حَدِّ
الْخَلِّ ، وَلَا يَدْخُلُهُ فِي حَدِّ النَّبِيدِ .

وقال مرداس بن خذام (١) :

سَقَيْنَا عِقَالًا بِالثَّوِيَّةِ (٢) شَرِبَةً فَمَالَتْ بُلْبُ السَّكَاهِلِيِّ عِقَالِ
فَقُلْتُ اصْطَبِحِهَا يَا عِقَالُ فَإِنَّمَا هِيَ الْخَمْرُ خَيْلُنَا لَهَا بِخَيَالِ
رَمَيْتُ بِأُمَّ الْخَلِّ حَبَّةَ قَلْبِهِ فَلَمْ يَنْتَعِشْ مِنْهَا ثَلَاثَ لَيَالِ
فَجَعَلَ الْخَمْرُ أُمَّ الْخَلِّ قَدْ يَتَوْلَدُ عَنْهَا . وَقَدْ يَتَوْلَدُ عَنِ الْخَلِّ - إِذْ كَانَ خَمْرًا
مَرَّةً - الْخَمْرُ .

وقال سعيد بن وهب (٣) :

هَلَّا وَأَنْتِ بِمَاءِ وَجْهِكَ تُشْتَهَى رَوَدَ الشَّبَابِ قَلِيلَ شَعْرِ الْعَارِضِ !
فَالآنَ حِينَ بَدَتْ بِخَدِّكَ لِحْيَةٌ ذَهَبَتْ بِمَلْحِكِ مِثْلِ كَفِّ الْقَابِضِ
مِثْلَ السَّلَافَةِ عَادَ خَمْرُ عَصِيرِهَا بَعْدَ اللَّذَازَةِ خَلَّ خَمْرٍ حَامِضِ
وَيَصِيرُ أَيْضًا كَالشَّعْرِ الْوَسْطِ ، وَالغِنَاءِ الْوَسْطِ ، وَالنَّادِرَةِ الْفَآرَةِ ، الَّتِي لَمْ

(١) فِي الْأَغَانِي (١٠ : ٨٧) جِذَام . وَفِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٢٠٧ : « جِزَام » وَانظُرْ قِصَّةَ الشَّعْرِ
فِي الْخُصَصِ ١٣ : ١٨٩ وَالْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ ١٠٩ وَمَعْجَمِ الْمَرْزُبَانِيِّ ٣٧٠ .

(٢) الثَّوِيَّةُ: مَوْضِعٌ بِالسُّكُوفَةِ أَوْ قَرِيبَ مِنْهَا . وَانظُرْ نِسْبَةَ الْبَيْتِ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ .

(٣) سَعِيدُ بْنُ وَهْبٍ ، هُوَ أَبُو عَثْمَانَ مَوْلَى بَنِي سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ ، شَاعِرٌ مَطْبُوعٌ ، أَكْثَرَ شَعْرِهِ
فِي الْغَزْلِ وَالتَّشْبِيهِ بِالْمَذْكَرِ ، وَكَانَ مِنْ كِتَابِ الْبِرَامِكَةِ ، مُتَقَدِّمًا عِنْدَهُمْ ، قَالُوا :
وَكَانَ ذَا فَجُورٍ وَجُجُونَ ، ثُمَّ تَابَ وَأَقْلَعَ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ . انظُرْ الْأَغَانِي

٢١ : ٦٩ - ٧٢ وَفَهْرَسُ ابْنِ النَّدِيمِ ١٧٨ ، ٢٣٦ مِصْرَ .

تخرج من الحر إلى البرد فتضحك السن ، ولم تخرج من البرد إلى الحر
فتضحك السن (١) .

باب

ذكر ما يعترى الإنسان بعد الخصاص

وكيف ما كان قبل الخصاص

قالوا : كلُّ ذى ریح مُتِنِّةٍ ، وكلُّ ذى ذَفْرٍ وصُنَانٍ كَرِيهٍ المَشْمَةِ (٢) .
كالنَّسر وما أشبهه ، فَإِنَّهُ مَتَى خُصِيَ نَقَصَ نَتْنُهُ وَذَهَبَ صُنَانُهُ ، غَيْرَ
الإنسان ، فَإِنَّ الخُصْيَّ يَكُونُ أُنْتَنًا ، وَصُنَانُهُ أَحَدٌ ، وَيَعْمُ أَيضًا خَبْثُ العَرَقِ
سَائِرَ جَسَدِهِ ، حَتَّى لَتُوجَدَ لأجسادهم رَائِحَةٌ لَا تَكُونُ لغيرهم . فهذا هذا .
وكلُّ شَيْءٍ مِنَ الحيوانِ يُخْصَى فَإِنَّ عَظْمَهُ يَدِقُّ ، فَإِذَا دَقَّ عَظْمُهُ
اسْتَرَخِيَ لَحْمُهُ ، وَتَبَرَّأَ مِنْ عَظْمِهِ ، وَعَادَ رَخِصًا رَطْبًا ، بَعْدَ أَنْ كَانَ عَصِلاً (٣)
صُلْبًا ، وَالإنسانَ إِذَا خُصِيَ طَالَ عَظْمُهُ وَعَرُضَ ، فَخَالَفَ أَيضًا جَمِيعَ
الحيوانِ مِنْ هَذَا الوَجْهِ .

وتعرض للخصيان أيضا طول أقدامٍ : واعوجاج في أصابع اليد .
والتواء في أصابع الرِّجْلِ ، وذلك من أوَّلِ طَعْنِهِمْ فِي السِّنِّ . وتعرض لهم
سرعة التغيُّر والتبدُّل ، وانقلاب من حدِّ الرطوبة (٤) والبضاضة وملاسة
الجلد ، وصفاء اللون ورقته ، وكثرة الماء وبريقه ، إلى التسكرش والكمود .

(١) هذه نهاية السقط الذي ابتداء من ص ٩٧ .

(٢) في ط : « وقيل ذى ذفر وصنان وكريه المشمة » وهو كلام محرف .

(٣) في ل : « عصلا » والوجه ما كتبت من ط .

(٤) في ل : « والانقلاب من حد للرطوبة » .

وإلى التقبُّض والتخدُّد^(١) ، وإلى الهزال ، وسوء الحال ، فهذا الباب يعرض
للخصيان ، ويعرض أيضاً لمعالجة النبات من الأكرة^(٢) من أهل الزرع
والنخل ، لأنك ترى الحصىَّ وكأنَّ السيوفَ تلمع في لونه^(٣) ، وكأنه مرآةٌ
صينيةٌ ، وكأنه وذيلةٌ مجلوةٌ ، وكأنه جُمَّارةٌ رطبةٌ ، وكأنه قضيبٌ فضةٌ قد
مسَّه ذهبٌ ، وكأن في وجناته الورد ، ثم لا يلبثُ كذلك إلا نُسَيْثاتٍ^(٤)
يسيرةٌ ، حتى يذهبَ ذلك ذهاباً لا يعود ، وإن كان ذا خصبٍ ، وفي عيش
رغدٍ ، وفي فراغٍ بالٍ ، وقلَّةٍ نصَّب .

(من طرائف عبد الأعلى القاص)

وكان من طرائف ما يأتي به عبد الأعلى القاصُّ ، قوله في الحصى ،
وكان لغلبة السلامة عليه يُتوهم عليه الغفلة ، وهو الذي ذكر الفقيرَ مرة
في قصصه فقال : الفقير مرقتة سُلْفَة ، ورداؤه عِلْمَة ، وجردقته فِلْقَة ،
وسمكته شلْقَة^(٥) ، [وإزاره خرقة] .
قالوا : ثمَّ ذكر الحصىَّ فقال : إذا قَطِعتْ خُصِيته ، قَوِيَتْ شَهْوَتُهُ
وسخُنَتْ مَعِدَتُهُ ، ولانَتْ جِلْدَتُهُ ، وانجردتْ شَعْرَتُهُ ، واتَّسَعَتْ فَمَّقْحَتُهُ ، ٤٩
وكثرَتْ دَمَعَتُهُ ! !

(١) في الأصل : « التحدد » وإنما هو « التخدد » بمعنى التقبُّض .
(٢) في ط : « ويعرض أيضاً لبنات الأكرة » وتصحيحه من ل .
(٣) في مفاخرة الجوارى والغلمان : « تلمع في وجهه » .
(٤) النسأة بالضم والنسيئة بمعنى النظرة - بكسر الظاء - وتصغر النسأة وتجمع ، فتكون
نسيئات ، والمراد بها الوقت القليل .
(٥) (السلفة) : ما يتعلل به قبل الغداء . ويسميا العامة اليوم « تصبيرة » . . وأما
(العلقَة) فهو قميص بلا كمين ، أو ثوب يجاب ولا يخاط جانباه ، تلبسه الجارية وهو إلى
الحجزة . . وأما (الفلقة) فبمعنى النصف . والجرذقة : الرغيف ، معرب كرده .
وأما (الشلقة) بالكسر أو بفتح الأول وكسر الثاني فهي واحدة الشلق : ضرب
من صغار السمك .

وقالوا : الخصى لا يصلح كما لا تصلح المرأة ، وإذا قطع العضو الذي كان به فحلاً تاماً ، أخرجه ذلك من أكثر معاني الفحول وصفاتهم ، وإذا أخرجه من ذلك الكمال ، صيره كالبعول الذي ليس هو حماراً ولا فرساً ، وتصير طباعه مقسومة على طباع الذكر والأنثى ، وربما لم يخلص له الخلق ولم يصف ، حتى يصير كالخلق من أخلاق الرجال ، أو يلحق بمثله من أخلاق النساء ، ولو كنه يقع ممزوجاً مركباً ، فيخرج إلى أن يكون مذنباً ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . وربما خرجت النتيجة وما يولده التركيب ، عن مقدار معاني الأبوين ، كما يجوز عمر البعل عمر أبويه ، وكذلك ما عددنا في صدر هذا الكلام^(١) .

(طلب الذسل)

وقالوا^(٢) : والإنسان قوى معروفة المقدار ، وشهوات مصروفة في وجوه حاجات النفوس ، مقسومة عليها ، لا يجوز تعطيلها وترك استعمالها ، ما كانت النفوس قائمة بطبائعها ومزاجاتها وحاجاتها . وباب المنكح من أكبرها ، وأقواها ، وأعظمها .

ويدخل في باب المنكح ما في طبائعهم من طلب الولد ، وهو باب من أبوابهم عظيم ؛ فمنهم من يطلبه للكثرة والنصرة ، وللحاجة إلى العدد والقوة ، ولذلك استلظت العرب الرجال ، وأغضت^(٣) على نسب المولود

(١) في ط : « الكتاب » وهو تحريف .

(٢) في ط : « قال » والوجه ما في ل .

(٣) أغضى على الشيء : سكت . وفي ط : « وأغضبت » والوجه ما كتبه من ل .

على فراش [أبيه]^(١) ، وقد أحاط علمه بأنه من الزوج الأول . قال الأشهب
ابن رُمَيْلة^(٢) :

قال الأقرابُ لا تغرُركَ كثرُتنا وأغنَ نفسَكَ عنَّا أيها الرجلُ
علَّ بَنِيَّ يشدُّ اللهُ كثرَهم والنَّبَعُ يَنْبُتُ قُضْبَانًا فيكتهل^(٣)

وقال الآخر^(٤) :

إِنَّ بَنِيَّ صِيبِيَّةٌ صَيْفِيُونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُونَ

يشكو كما ترى صِغَرَ البنين ، وضعف الأسر^(٥) .

وما أكثر ما يطلب الرجل الولد نفاسةً بماله على بنى عمه ، ولإشفاقه من
أن تليه القضاة وترتع فيه الأماناء ، فيصير ملكاً للأولياء ، ويقضى به القاضى
الذمام ويصطنع به الرجال .

وربما همَّ الرجلُ بطلب الولد لبقاء الذكر ، وللرغبة فى العقب ،
أو على جهة طلبِ الثواب^(٦) فى مباحاة المشركين ، والزيادة فى عدد المسلمين ،
أو للكسب والكفاية ، وللمدافعة والنصرة ، وللامتناع ، وبقاء نوع الإنسان ،
ولما طبع الله تعالى بنى آدم عليه ، من حبِّ الذرية وكثرة النسل ، كما طبع ٥٠

(١) فى الأصل : « على فراشه » وبذلك لا يكون للضمير فى كلمة (علمه) الآتية مرجع .

وعلى الأصل أيضا لانجد للضمير (فراشه) مرجعا مناسبا .

(٢) وقيل الشعر لنهشل بن حرى كما فى البيان ، والبيتان فيه ٣ : ٩٦ .

(٣) فى البيان : « أعظمهم » بدل « كثرتهم » . وفى ط « النبع » بالغين ، والصواب ما أثبت
من ل والبيان . والنبع : شجر تمل منه القسي والسهام .

(٤) هو أكرم بن صيفى ، كما فى نوادر أبى زيد ٨٧ قال أبو زيد « يقال أصاف الرجل
إذا ترك النساء شابا لم يتزوج ، ثم تزوج بعد ما أسن ، ويقال لولده صيفيون . . .

والربيعيون : الذين ولدوا وآبأؤهم شباب فهم رجال » . و « إن » هى فى ط « عمى »
وتصحىحه من ل : والنوادر .

(٥) فى ط : « السن » .

(٦) فى ط : « الصواب » وهو تحريف ظاهر .

الله تعالى الحمام والسنانير على ذلك . وإن كان إذا جاءه الولد زاد في همه ونصبه . وفي جبينه وبخله . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الولد مجبنة مبخله مجهلة » فيحتمل في الولد المبرن المعروفة . والهموم الموجودة لغير شيء قصد له . وليس في ذلك أكثر من طلب الطباع . ونزوع النفس إلى ذلك . وذكر أبو الأخرز الحماfi غير العانة^(١) بخلاف ما عليه أصحاب الزواج من الحيوان . فمقال عند ذكر سفاذه :

لا مُبتغى الذرء ولا بالعازل^(٢)

لأن الإنسان من بين الحيوان المزاوج . إذا كره الولد عزل . والمزاوج من أصناف الحيوانات إنما غايتها طلب الذرء^(٣) والولد . لذلك سُخرت ، وله هيئت ، لما أراد الله تعالى من إتمام حوائج الإنسان . والحمار لا يطلب الولد . فيكون إفراغه في الأنان لذلك . ولا إذا كان لا يريد الولد عزل كما يعزل الإنسان . غير أن غايتها قضاء الشهوة فقط ، ليس يحظر^(٤) على باله أن ذلك الماء يُخلق منه شيء .

[وروى ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال « ليس في البهائم شيء يعمل عمل قوم لوط إلا الحمار »] .

وعادة اكتساب الرجال وإنفاقهم . وهههم وتصنعهم . وتحسينهم لما يملكون . إنما هو مصروف إلى النساء والأسباب المتعلقة بالنساء . ولو لم يكن إلا التخصص^(٥) والتطيب والتطوس^(٦) [والتعرس^(٧)] والتخصب .

(١) في ط : « وذكر أبو الأخرز الحمام غير العانة » وهو مثل من أمثلة التحريف الشنيع .

(٢) في ط : « لا مبتغى الذرء ولا بالعازل . وفي ل : « الذرء ولا العازل » والوجه ما أثبت .

(٣) في ط : « الذرء » .

(٤) في الأصل : « يذكر » .

(٥) التخصص : نشف الشعر . والتخصص : التزين بذلك الأسلوب .

(٦) التطوس : التزين . . . وبدل « التطوس » في ط : « التطرز » وليس بشيء .

(٧) التعرس : التحجب .

والذى يُعَدُّ لها من الطيب والصَّبغ ، وَالْحَلِي . وَالكِسَاء ، وَالْفُرْش ،
وَالآنِيَة ، لِكَانَ فِي ذَلِكَ مَا كَفَى . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا الْإِهْتِمَامُ بِحِفْظِهَا وَحِرَاسَتِهَا .
وِخَوْفُ الْعَارِ مِنْ جَنَائِبِهَا وَالْجَنَازِيَة عَلَيْهَا . لِكَانَ فِي ذَلِكَ الْمُوْنَةُ الْعَظِيْمَةُ .
وَالْمَشَقَّةُ الشَّدِيْدَةُ .

(قول في الغرائز وبيان سبب شره الخصى)

فَإِذَا بَطَلَ الْعَضُوُّ الَّذِي . مِنْ أَجْلِهِ يَكُونُ اشْتِغَالُ النَّفْسِ بِالْأَصْنَافِ
الكثيرة ، مِنْ اللَّذَّةِ وَالْأَلْمِ ، فَبِاضْطِرَارٍ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ تِلْكَ الْقُوَى لَمْ تَبْطُلْ
مِنَ الْبَرَكِيْبِ ، وَلَمْ تَعْدَمْهَا الْخَلْقَةُ . وَإِنَّمَا سُدَّ دُونَهَا بَسَدٌ ، وَأَدْخَلَ عَلَيْهَا
حِجَابٌ ، فَلَا بُدَّ لَهَا إِذَا كَانَتْ مَوْجُودَةً مِنْ عَمَلٍ ، لِأَنَّ عَمَلَ كُلِّ جَوْهَرٍ
لَا يُعْدَمُ إِلَّا بِعَدَمِ ذَاتِهِ ، فَإِذَا صُرِفَتْ مِنْ وَجْهِ فَاضَتْ^(١) مِنْ وَجْهِ .
وَلَا سِيْمًا إِذَا جَمَّتْ وَنَازَعَتْ ، وَلَا بُدَّ إِذَا زَحَرَتْ وَغَزُرَتْ . وَطَغَتْ^(٢)
وَطَمَّتْ ، مِنْ أَنْ تَفِيضَ أَوْ تَفْتَحَ لِنَفْسِهَا بَابًا ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْمُنْكَحِ بَابٌ لَهُ
مَوْقِعٌ كَمَوْقِعِ الْمَطْعَمِ ، فَاجْتَمَعَتْ تِلْكَ الْقُوَى الَّتِي كَانَتْ لِلْمُنْكَحِ وَمَا يَشْتَمَلُ
عَلَيْهِ بَابُ الْمُنْكَحِ ، إِلَى الْقُوَّةِ الَّتِي عِنْدَهُ لِلْمَطْعَمِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَتْ الْقُوَّتَانِ فِي
بَابٍ وَاحِدٍ كَانَ أَبْلَغَ فِي حِكْمِهِ ، وَأَبْعَدَ غَايَةً فِي سَبِيلِهِ ، وَلِذَلِكَ صَارَ الْخَصِيُّ
آكَلٌ مِنْ أُخِيهِ لِأَمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَعَلَى قَدْرِ الْإِسْتِمْرَاءِ يَكُونُ هُضْمُهُ ، وَعَلَى
قَدْرِ حَاجَةِ طَبْعِهِ [وَحَرَكَةِ نَفْسِهِ وَ]^(٣) الْحَرَازَةِ الْمَتَوْلِدَةِ عَنِ الْحَرَكَةِ يَكُونُ ٥١

(١) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ط . . . وَفِي ل : « فَاضَتْ » .

(٢) فِي ط : « طَغَتْ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل .

(٣) فِي ط : « عَلَى قَدْرِ حَاجَةِ طَبْعِهِ وَحَاجَةِ الْحَرَارَةِ الْمَتَوْلِدَةِ عَنِ الْحَرَكَةِ » وَأَصْلَحَتْ

الْكَلَامُ مِنْ ل .

الاستمراء ، لأن الشهوة من أمتن^(١) أبواب الاستمراء ، والحركة من أعظم
[أبواب] الحرارة .

(تفوق رغبة الإناث على الذكور في الطعام)

ودوام الأكل في الإناث أعمُّ منه في الذكور ، وكذلك الحجرُ دون
الفرس ، وكذلك الرمكة دون البرذون ، وكذلك النعجة^(٢) دون السكبش ،
وكذلك النساء في البيوت دون الرجال . وما أشكُّ أن الرجل يأكل في
المجلس الواحد ما لا تأكل المرأة ، ولكنها تستوفي ذلك المقدار وتُرْبِي
عليه مقطّعاً غير منظوم ، وهي بدوام ذلك منها ، يكون حاصل طعامها
أكثر . وهنَّ يُناسِبُن الصبيان في هذا الوجه ، لأنَّ طبع الصبيّ سريعُ
الهضم ، سريعُ الكلب ، قصيرُ مدّة الأكل ، قليلُ مقدار الطعم ،
فللمرأة كثرة معاودتها ، ثمَّ تَبِينُ بكثرة مقدار المأكول . فيصير للخصى
نصييان : نصيبه من شبه النساء ، ثم اجتماع قوى شهوته في باب واحد ،
أعنى شهوة المنكح التي تحولت ، وشهوة المطعم .

قال ، وقيل لبعض الأعراب : أي شيء آكلُ ؟ قال : برذونة
رَغوث^(٣) .

ولشدة نهم الإناث ، صارت اللبوة أشدَّ عرّاماً وأنزق ، إذا طلبت
الإنسان لتأكله ، وكذلك^(٤) صارت إناثُ الأجناس الصائدة [أُصَيَدَ] ،

(١) في الأصل : « أمتن » وهو تحريف ما كتبت .

(٢) في ط : « الرمكة » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) رغوث : مرضعة . والخبر في البيان ٣ : ٢١٢ .

(٤) في الأصل : « ولذلك » .

كالإناثِ من الكلاب [والبزاة] وما أشبه ذلك ، وأحرص ما تكون
عند ارتضاع جرائها [من أطباها] ، حتى صار ذلك منها سبباً للحرص والنهم
في ذلك .

(صوت الخصى)

ويعرض له عند قطع ذلك العضو تغيرُ الصوت ، حتى لا يخفى على من
سمعه من غير أن يرى صاحبه أنه خصيٌ ، وإن كان الذي يخاطبه ويناقله
الكلام أخاه أو ابن عمه ، أو بعض أترابه من فحولة جنسه ، وهذا المعنى
يعرض لحصيان الصقالبة أكثر مما يعرض للخراسانية ، وللسودان من
السند والحبشان . وما أقل من تجده ناقصاً عن هذا المقدار ، إلا وله بيضة
أو عرق ، فليس يحتاج في صحته تمييز ذلك ، ولا في دقة (١) الحس فيه ، إلى
حدق بقیافة ، بل تجد ذلك شائعاً في طباع السفلة والغثراء (٢) ، وفي أجناس
الصبيان والنساء .

(شعر الخصى)

ومتى خصي قبل الإنبات لم يُنبِت ، وإذا خصي بعد استحكام نبات
الشعر في مواضعه ، تساقط كله إلا شعر العانة ، فإنه وإن نقص من غلظه
ومقدار عدده فإن الباقي كثير . ولا يعرض ذلك لشعر الرأس ، فإن شعر

(١) في ط : « رقة » وما كتبت من ل أشبه بكلام الجاحظ .
(٢) كذا في ط ، وهو الصواب . وفي ل : « العتر » . وفي القاموس : « الفثرة محرّكة ، والغثراء ،
والغثر بالضم ، والغثرة : سفلة الناس » .

الرأس والحاجبين وأشفار العينين يكون مع الولادة ، وإنما يعرض لما يتولد من فضول البدن .

وفد زعم ناسٌ أنَّ حكمَ شعرِ الرأسِ خلافُ حكمِ أشفار العينين ، وقد ذكرنا ذلك في موضعه من باب القول في الشعر ، وهذه الخصال من أماكن شعر النساء : والحصيان والفحولة فيه سواء ، وإنما يعرض لسوى ذلك من الشعر الحادثِ الأصول : الزائد في النبات . ألا ترى أن المرأة لاتصلعُ ، فناسبها [الخصىُّ] من هذا الوجه ، فإنَّ عرضَ له عارضٌ فإتما هو من القرع ، لا من جهة النَّزَعِ والجَلْحِ ، [والجَلْه] والصلعُ (١) وكذلك النساء في جميع ذلك .

والمرأة ربَّما كان في قُصَّاصٍ مقاديم شعرِ رأسها ارتفاع : وليس ذلك بنزاعٍ ولا جَلْحٍ ، إذ لم يكن ذلك حادثاً بحدثة الطعن في السن . وتسكون مقاطعُ شعر رأسه ومنتهى حدود قُصَّاصه ، كمقاطع شعر المرأة ومنتهى قُصَّاصها ، وليس شعرها كلما دنا من موضع الملاسة والانجراد يكون أرقَّ حتى يقلَّ ويضمحلُّ ، واسكنه ينبت في مقدار ذلك الجلد على نبات واحد ، ثم ينقطع عند منتهاه انقطاعاً واحداً . والمرأة ربَّما كانت سبلاءً ، وتسكون لها شعراتٌ رقيقة زَغَبِيَّةٌ كالعذار موصولا بأصداغها ، ولا يعرض ذلك للخصى إلا من علة في الخصاء ، ولا يرى أبداً بعد مقطع من صدغيه شئٌ من الشعر ، لا من رقيقه ولا من كثيفه .

(١) النزاع : انحصار الشعر من جانبي الجمجمة . والجَلْحُ : انحصار عن جانبي الرأس . والجَلْه والصلع : انحصار شعر مقدم الرأس .

(ذوات اللحي والشوارب)

وقد توجد المرأة ذات لحية . وقد رأيت ذلك ، وأكثر ما رأيت
في عجائز الدهاقين ، وكذلك الغيب والشارب ، وقد رأيت ذلك أيضاً . وهي
ليست في رأى العين بـحُشْي ، بل [نَجِدْهَا] أنثى تامة ، إلا أن تكون لم
تضرب في ذلك بالسبب الذى يقوى ، حتى يظهر في غير ذلك المسكان . [ولا
تعرض اللحي للنساء ، إلا عند ارتفاع الحيض] ، وليس يعرض ذلك للخصى .
وقد ذكر أهل بغداد ، أنه كان لابنة من بنات محمد بن راشد
الخنّاق ، لحية واهرة ، وأنها دخلت مع نساء منتقبات إلى بعض الأعراس
لترى العرس وجلوة العروس ، ففطنت لها امرأة فصاحت : رجلٌ والله !
وأحال^(١) الخدم والنساء عليها بالضرب ، فلم تكن لها حيلة إلا الكشف
عن فرجها ، فزَعَن عنها^(٢) وقد كادت تموت .
ويفضل أيضاً الخصى المرأة في الأنجراد والزعر ، بأن تجد المرأة زبَاء
الذراعين والساقين ، وتجد رَكَب^(٣) المرأة في الشعر كأنه عانة الرجل ،
ويعرض لها الشعر في إبطها وغير ذلك .
ولا يعرض للخصى ما يعرض للديك إذا خصى : أن يذبل عُصروفُ
عُرْفِه ولحيته .
والخصاء ينقص من شدة الأسر ، وينقص^(٤) مُبْرَمَ القوى ، ويُرخي
معاقد العصب ، ويقرب من الهرم والبلى .

(١) ق ل : ه فاقبل .

(٢) ق ل : « فكففن » .

(٣) الركب بالتحريك : العانة أو منبتها أو الفرج أو ظاهره .

(٤) ق ط : « وينقص » بالصاد . وصوابه ق ل .

(مشى الخصى)

ويعرض للخصي أن يشتد وقع رجله على أرض السطح ، حتى لو تفقدت وقع قدمه وقدم أخيه الفحل [الذي هو أعبل^(١) منه] لوجدت لوقعه ووطنه شيئاً لا تجده لصاحبه . وكأن العضو الذي كان يشد توتير النساء^(٢) ، ومعاقد الوركين^(٣) ومعاليق العصب : كما بطل وذهب الذي كان يمسكه ويرفعه ، فيخفف لذلك وقع رجله : صار كالذي لا يتأسك ولا يحمل بعضه بعضاً .

(أثر الخصاء في الذكاء)

ويعرض له أن أخوين صقلبيين من أم وأب ، لو كان أحدهما توأم أخيه ، أنه متى خصي أحدهما خرج الخصى منهما أجود خدمة ، وأفطن لأبواب المعاطاة والمناولة . وهو لها أتقن وبها أليق ، وتجده أيضاً أذكي عقلاً عند المخاطبة ، فيخص بذلك كله ، ويبقى أخوه على غثارة^(٤) فطرته ، وعلى غباوة غريزته ، وعلى بلاهة^(٥) الصقلبية ، وعلى سوء فهم العجمية .

ويد الإنسان لا تكون [أبداً] إلا خرقاء ، ولا تصير صناعاً ما لم تكن

(١) أعبل منه : أضخم منه .

(٢) في ط : « وكان العضو الذي به يشتد يشد توتير النساء » وفي ل : « وكان العضو الذي كان يشد توتير عرق النساء » وقد أصلحت العبارة بما ترى . ولا يقال عرق « النساء » وإنما هو « النساء » بدون إضافة . قال الزجاج : لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه .

(٣) في ط : « ومعاليق الوركين » وليس بشيء .

(٤) في ط و « غشاوة » وفي ل : « عثارة » بالعين ولعل صوابهما ما أثبت . والأغثر : الأحمق الجليل .

(٥) في ط : « بلاهته » وأبدلتها بما في ل : ليم تساوq الكلام .

المعرفة ثقافاً لها . واللسان لا يكون أبرأ ، ذاهباً في طريق البيان ، متصرفاً في الألفاظ ، إلا بعد أن تكون المعرفة متخلّلةً به ، منقلبة له ، واضعةً له في مواضع حقوقه ، وعلى أماكن حظوظه ، وهو علّة له في الأماكن العميقة ، ومصرفة له في المواضع المختلفة .

فأول ما صنع الحِصاء بالصِّقْلِيّ تزيكاً عقله ، وإرهاقاً حدّه ، وشخذ طبعه ، وتحريك نفسه . فلما عرف كانت حركته تابعة لمعرفته ، وقوّته على قدر ما هيجه (١) .

فأمّا نساء الصقالية وصبيانهم ، فليس إلى تحويل طبائعهم ، ونقل خلقهم إلى الفطنة الثاقبة ، وإلى الحركة الموزونة ، وإلى الخدمة الثابتة الواقعة بالموافقة ، سبيلٌ . وعلى حسب الجهل يكون الخرق ، وعلى حسب المعرفة يكون الخدق . وهذا جملة القول في نسائهم ، وعلى أنّهم لا حظوظ لهم عند الخلوة ، ولا نفاذ لهم في صناعة ؛ إذ كنّ قد مُنِعن فهم المعاطاة ومعرفة المناولة .

والحِصِيانُ مع جودة آلاتهم ووفارة طبائعهم في معرفة أبواب الخدمة ، وفي استواء حالهم في باب المعاطاة ، لم تر أحداً منهم قطُّ نفذ في صناعة تُنسب إلى بعض المشقّة ، وتضاف إلى شيء من الحكمة ، ممّا يُعرف ببعد الرّويّة ، والغوص بإدامة الفكرة ، إلا ما ذكروا من نفاذ ثقّف (٢) في التحريك للأوتار ، فإنّه كان في ذلك مقدّماً ، وبه مذكورا .

(١) في ط : « ما به » وأثبت ما في ل .

(٢) كذا في ل وفي ط : « دامة » وفي س : « ثقّف » .

إِلَّا أَنْ الْخَصِيَّ مِنْ صِبَاهٍ . يُحْسِنُ صِنْعَةَ الدَّبُوقِ (١) ، وَيُجِيدُ دَعَاءَ الْحَمَامِ
الطُّورِيِّ (٢) . وَمَا شَتَّتَ مِنْ صِنَارِ الصَّنَاعَاتِ .
وَقَدْ زَعَمَ الْبَصْرِيُّونَ أَنَّ حَدِيحًا (٣) الْخَصِيَّ . خَادِمَ مُثَنَّى بْنِ زُهَيْرٍ .
كَانَ يُجَارِي (٤) مُثَنَّى فِي الْبَصْرِ بِالْحَمَامِ . وَفِي صِحَّةِ الْفِرَاسَةِ . وَإِتْقَانِ الْمَعْرِفَةِ .
وَجُودَةِ الرِّيَاضَةِ . وَسَنَدُ كُرِّ حَالِهِ فِي بَابِ الْقَوْلِ فِي الْحَمَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
هَذَا قَوْلُهُمْ فِيمَنْ خُصِيَ مِنَ الصَّمَالَةِ . وَمَلُوكُنَا لِعُقُولِ خِصْيَانِ
خُرَّاسَانَ أَحْمَدَ . وَهُمْ قَلِيلٌ ، وَلِذَلِكَ لَمْ نَأْتِ مِنْ أَمْرِهِمْ بِشَيْءٍ مَشْهُورٍ ،
وَأَمْرٌ مَذْكُورٌ .

٥٤

(خِصْيَانِ السَّنَدِ)

وَأَمَّا السَّنَدُ . فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَيْضًا مِنْ الْخِصْيَانِ إِلَّا النَّفْرُ الَّذِينَ كَانَ
خِصْيَانَهُمْ مُوسَى بْنُ كَعْبٍ . وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَا بَعْضَهُمْ . وَزَعَمَ لِي أَنَّهُ خَصِيَ أَرْبَعَةً
هُوَ أَحَدُهُمْ ، وَرَأَيْتُ الْخِصْيَانَ . قَدْ جَذَبَهُ إِلَيَّ حَبُّ الْحَمَامِ ، وَعَمِلَ التَّكْكَ (٥) .
وَالْمُهْرَاشَ بِالْدَبُوقِ . وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يُجْرَ مِنْهُ عَلَى عِرْقٍ . وَإِنَّمَا قَادَهُ إِلَيْهِ قَطْعُ
ذَلِكَ الْعَضْوِ .

(١) الدبوق ، هنا : جمع دبق بالكسر ، وهو الدابرق والدابوقاء : غراء يصاد به الطير .
والدبوق كتور قال في القاموس : لعبة معروفة . . وليست مرادة في هذا الكلام .
(٢) في ط : « الضواري » وفي ل : « الصوار » وصوابهما « الطوري » وهو الوحشي .
(٣) في ط : « خديجا » بالخاء . وقد كتبت ما في ل و س .
(٤) في ط : « يجرى » .
(٥) التكة : رباط المراويل والجمع تكك . ويبتلى أنها معربة : كما صرح بذلك
الخفاجي في شفاء الغليل ، ولم يتعرض صاحب القاموس لذلك .

(خصيان الحبشة والنوبة وأصناف السودان)

فأما الخصيان من الحبشان والنوبة وأصناف السودان . فإن الخصاص يأخذ منهم ولا يعطيهم . وينقصهم ولا يزيدهم . ويحطهم عن مقادير إخوانهم ، كما يزيد الصقالبة عن مقادير إخوانهم . لأن الحبشي متى خصي سقطت نفسه ، وثقلت حركته ، وذهب نشاطه ، ولا بد أن يعرض له فساد ، لأنه متى استقصى جبابه لم يتاسك بوله^(١) ، وسلس مخرجه ، واسترخى المسك له ، فإن هم لم يستقصوا جبابه ، فإنما يدخل الرجل منزله من له نصف ذلك العضو^(٢) . وعلى أنك لا تجد منهم خصياً أبداً ، إلا وبسرته بجرّة ، ونفخة^(٣) شنيعة ، وذلك عيب شديد ، وهو ضرب من الفتق ، مع قبحه في العين ، وشنئته في الذكّر . وكل ما قبح في العين فهو مؤلم . وكل ما شنع في النفس فهو مؤذٍ . وما أكثر ما تجد فيهم الألطع^(٤) . وذلك فاش في باطن شفاههم . ومتى كانت الشفاه هُدلاً ، وكانت المشافر منقلبة . كانت أظهر للطع ، وهو ضرب من البرص . والبياض الذي يعرض لغراميل الخليل وخصاها^(٥) . ضرب أيضاً من البرص ، وربما عرض مثل ذلك لحشفة قضيب المختون ، إمّا لطبع الحديد ، وإمّا لقرب^(٦) عهده بالإحداد وسقى الماء ، إلا أن ذلك لا يعدو مكانه .

- (١) في ط : « ولم يتاسك بوله » والوجه حذف الواو كما في ل .
(٢) في الكلام نقص وتحريف ولعل صواب العبارة : « فأما من لم يستقص جبابه فقلما يدخل الرجل منزله منهم ... الخ » .
(٣) في ط : « وبحة » وليس بشئ . وقد أبدلتها بما في ل . والبحرة : العقدة في البطن والوجه والعنق .
(٤) اللطع : بياض في باطن الشفة . وأكثر ما يعترى ذلك السودان .
(٥) في ط : « وخصاؤها » وليست مرادة . وما هنا جمع خصية .
(٦) في ط و س : « لقمع » وهو خطأ صوابه في ل . ويؤيده ما كتبه الجاحظ في الحيوان ٧ : ٢٦ . « ومن أن تكون الموسى حديثة العهد بالإحداد » . وطبع الحديد :

وكأما عظمت الحشفة انبسط ذلك البياض على قدر الزيادة فيها ،
وإنما ذلك كالبياض الذى يعرض من حرق النار وتشيطها (١) . وكذلك
يعرض لانسقالية من التعالج بالكى . وربما اشتد بياضه حتى يفحش
ويرديه (٢) . إلا أنه لا يفشو ولا ينتشر . إلا بقدر ما ينسط مكانه . ويتحول
صاحبه رجلاً . بعد أن كان صبياً (٣) . وليس كالذى يعرض من البلغم ومن
المرة . وبعض البرص يذهب حتى كأنه لم يكن . وبعضه لا يذهب
ولا يقف . بل لا يزال يتفشى ويتسع حتى ربما سلخه . ولا يذهب إلا بأن
يذهب به نبي (٤) . فيكون ذلك علامة له . ومن البق الأبيض ما يكاد يلحق
بالبرص (٥) . واسكن الذى هو أمره الذى ترون من كثرة برص الناس منه .
ثم الحصاء يكون على ضرب . ويكون فى ضرب . فمن ذلك
ما يعرض بعد الكبر للأحرار . كما يعرض للعبد . وللعرب كما يعرض
للعجم . كما خصى بعض عباهلة اليمن (٦) عاقمة بن سهل الخصى .

٥٥

(عاقمة الفحل وعاقمة الخصى)

وإنما قيل لعاقمة بن عبدة الفحل . حين وقع على هذا اسم الخصى .

- (١) فى ط : « وتشيطه » .
- (٢) هو تسهيل « يردته » أى يجعله رديئاً ويفسده .
- (٣) كذا . ولعل صوابه « رجلا » بكسر الجيم من الرجلة بضم الراء : بياض فى إحدى رجلى الدابة . أما « صبياً » فلعلها « مصمتا » . والمصمت : الذى لا يخالط لونه لون آخر .
- (٤) فى ط : « شئ » وقد أبدلته بما فى ل . . وكان عيسى عليه السلام يبرى الأكمة والأبرص بإذن الله .
- (٥) فى ط : « ما يكون ملحقاً بالبرص » .
- (٦) عباهلة اليمن : أقيلم .

وكان عبداً صالحاً . وهو كان جَنَبَ الجَدِيلِ^(١) وداعراً ، الفحلين
الكريمين ، إلى عمان ، وكان من نازليها . وهو كان أحدَ الشهودِ على قُدامة
ابنِ مَظعونٍ في شربِ الخمر ، وهو الذي قال لعمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنه : أَتَقْبَلُ شَهَادَةَ الْحَصِيِّ ؟ قال : أما شهادتك فأقبلُ

وهو علقمةُ بن سهلٍ بن عمارة . فلما سمّوه الحصيّ ، قالوا لعلقمة بن
عبدة : الفحل . وعلقمةُ الحصيّ الذي يقول :

فلن يَعدَمَ الباؤونَ قَبراً لِحَتِّي^(٢) ولن يَعدَمَ الميراثَ مِنِّي المواليا
حِراصٌ على ما كنتُ أجمعُ قَبْلَهُمْ هَنِيئاً لَهُمْ جَمْعِي وما كنتُ واليا
وَدُلِّيتُ في زوراءِ نُثْمَتِ أعنقوا لَشأنِهِمْ قَدْ أَفْرَدُونِي وشانِيا
فأصبحَ مالى من طريفٍ وتالِدٍ لغيري ، وكانَ المألُ بالأمسَ ماليا
وكما عَرَضَ للدَّلَالِ ونومَةَ الضُّحى ، من خصاءِ عُثمانَ بن حيانَ [المرسي]
والى المدينة لهما ، بكتابِ هشامِ بن عبد الملك^(٣) .

(أثر تحريف كتاب هشام بن عبد الملك)

فمن بنى مروان من يدعى أن عامل المدينة صحف ، لأنه رأى في
الكتاب : « أَحْصِرْ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمُحَنِّينَ » فقرأها : « اخْصِرْ مَنْ قَبْلَكَ مِنْ

(١) في ط : « الجزيل » وصوابه « الجدِيل » كما في ل والقاموس ، قال : فحل للنعمان
ابن المنذر . . وأما داعر فهو فعل منجب . وجنب البعير : قاده إلى جنبه .

(٢) تختلف الروايات اختلافا كثيرا في هذا الشطر . انظر الخزانة ٢ : ١٧٦ - ١٨٠
وذيل أمالي القالي ١٣٥ والعقد ٣ : ٣٥٧ حيث توجد قصيدة هذه الأبيات ، منسوبة
إلى مالك بن الربيع .

(٣) عند الجهشياري ؛ ه أنه كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم .

المُحَنِّينَ . وذكر الهيثمُ عن السكاتب الذي تولى قراءة ذلك الكتاب ،
أَنَّهُ قال : وكيف يقولون ذلك ولقد كانت الحاء معجمةً بنقطةٍ ، كأنها
سُهَيْل [أو تمرُّةٌ صيحانية (١)] ؟ ! فقال البيهقي (٢) : ما وجهُ كتابِ هشامٍ
في إحصاءِ عددِ المُحَنِّينِ ؟ وهذا لا معنى له ، وما كان الكتابُ إلا بالحاء
المعجمة دون الحاء المهملة . وذُكِرَ عن مشايخ من أهل المدينة أنهم حكوا
عنهما أنهما قالا : الآن صِرْنَا نساءً بالحقِّ ! ! كأنَّ الأمرَ لو كان إليهما لاختارَا
أن يكونا امرأتين ! قال : وذُكِرَ أنهما خرجا بالحصلتين من الخصاء والتخنيث ،
من فتورِ الكلامِ ولينِ المفاصلِ والعظامِ ، ومن التفكُّكِ والتثنيِّ ، إلى مقدار
لم يروا أحداً بلغه . لا من محنثات النساء ، ولا من مؤنثي الرجال .

(أبو هام السنوط)

وكما عرَضَ لأبي هام السنوط (٣) من امتلاخِ اللُّحْمِ مذاكِرَه
وخصيَّه (٤) ، أصابه ذلك في البحرِ في بعضِ المغازي (٥) ، فسقطت لحيته ،
ولقَّبَ بالسنُّوط ، وخرَجَ لذلك نَهْمًا وشَرِّهاً .

(١) الصيحاني : ضرب من التمر أسود صلب المضغفة . وسمى صيحانيا لأن صيحان اسم كبش
كان ربط إلى نخلة بالمدينة فأثمرت تمرا فنسب إلى صيحان . وفي قطعة الأمبروزيانا .
« كأنها تمرَّة » فقط .

(٢) في ط ، ل ، س ، والأمبروزيانا « البيهقي » بالباء : وقد كتب بالياء في مواضع متعددة
من الحيوان والبيان .

(٣) ذكره الجاحظ في البخلاء ١٧٦ وجاء محرفا بالمسوط . والسنوط بالفتح والتخفيف :
من لا لحية له أصلا ، أو الخفيف العارضين .

(٤) في ط : « من امتلاخ لحم مذاكيره وخصييه » وهو تحريف صوابه في ل . وجاء
في القاموس : اللحم بالضم : سمك بحري . وقد ضبط في معجم المعلوف ص ٢٢٥
بالفتح سهوا ، قال : وهو يعرف بالقرش في سواحل البحر الآخر .

(٥) في ل : « أصابه ذلك في البحر سمكة في بعض المغازي » .

وقال ذات يوم : لو كان النخلُ بعضُهُ لا يحملُ إلا الرُّطْبَ ، وبعضُهُ لا يحملُ إلا التمرَ ، وبعضُهُ لا يحملُ إلا المَجْزَعُ^(١) ، وبعضُهُ لا يحملُ إلا البُسْرَ . ٥٦
وبعضُهُ لا يحملُ إلا الخلالَ ، وكُنَّا مَتَى تناولنا من الشَّمْرَاحِ بُسْرَةً ، خلقَ اللهُ مكانها بُسْرَتَيْنِ . لَمَّا كانَ بذلكَ بأسٌ ! ثم قال : أَسْتَغْفِرُ اللهُ ! لو كنتُ تَمَنَّيتُ أن يكونَ بدلَ نواةِ التمرِ زُبْدَةٌ كانَ أصوَبٌ !!
ومنه ما يعرض من جهة الأوجاع التي تعرض للمذاكير والحصيتين ، حتى ربما امتلخهما طيبٌ ، وربما قطع إحداهما . وربما سقطتا جميعاً من تلقاء أنفسهما .

(نسل منزوع البيضة اليسرى)

والعوامُّ يزعمون أنَّ الولدَ إتماً يكونُ من البيضة اليسرى^(٢) . وقد زعمَ ناسٌ من أهل سليمان بن عليٍّ ومواليهم ، أنَّ ولدَ داود بن جعفر الخطيب المعتزلي ، إتماً وُلِدَ له بعد أن تُزِعَت بيضته اليسرى ، لأمر كان عرض له .

والحصيُّ الطيَّانُ . الذي كان في مسجد ابن رغبان^(٣) ، وُلِدَ له غلامٌ ، وكان ليس له إلا البيضة اليمنى ، فجاء أشبه به من الذباب بالذباب والغراب بالغراب ، ولو أبصره أجهلُ خلقِ الله تعالى بفراسته ، وأبعدهم من قيافةٍ ، ومن مخالطة النخاسين ، أو من مجالسة الأعراب ، لعلم أنه سلالة

(١) في ط ، ص : « المَجْزَع » و ل : « المنصف » وصواب الأول « المَجْزَع » وهو البسر أرطب إلى نصفه .

(٢) لهذا كلام في البيان ١ : ٣٣٠ .

(٣) في ط : « ابن رغبان » بالزاي وأبدلته بما في ل ، وما في معجم البلدان ، وقال ابن قتيبة في المعارف ٣٦٦ : « ابن رغبان الذي ينسب إليه المسجد ببغداد ، هو مولى حبيب ابن مسلمة . . وكان حبيب عظيم القدر ، يلى الولايات زمن عثمان ومعاوية . »

وخلصته ، لا يحتاج فيه إلى مجزّز المُدْجِي^(١) ، ولا إلى ابن كرز^(٢) الخزاعي .

(خصاء الروم)

ومن أهل الملل من يَخْصِي ابنه ويقفه على بيت العبادة . ويجعاه سادناً كصنيع الروم ، إلا أنهم لا يُحدثون في القضيبي حدثاً ، ولا يتعرضون إلا للأثيين ، كأنهم إنما كرهوا لأولادهم إحيال نساءهم ورواهبهم^(٣) فقط !! فأما قضاء الوطر وبلوغ اللذة ، فقد زعموا أنهم يبلغون من ذلك مبلغاً لا يبلغه الفحل ، كأنهم يزعمون أنه يستقصى جميع ما عندها ويستجلبه ، لقرط قوّته على المطاولة .

(الروم أول من ابتدع الخصاء)

وكلُّ خصاء في الدنيا فإنما أصله من قبيل الروم ، ومن العجب أنهم نصارى ، وهم يدعون من الرأفة والرحمة ، ورقة القلب والكبد ، ما لا يدعيه أحد من جميع الأصناف ، وحسبك بالخصاء مثلاً ! وحسبك بصنيع الخاصي قسوة ! ولا جرم أنهم بعثوا على أنفسهم من الخصيان ، من طلب الطوائل وتذكّر الأحقاد ، ما لم يظنّوه عندهم ، ولا خافوه من قبيلهم ،

(١) في ط : « محرز » وإنما هو « مجرز » كما في ل ، والقاموس والإصابة . وهو صحابي له ذكر في الصحيحين . . وكان الرجل قائفا .

(٢) في ل : « كرز » .

(٣) في ط : « ورواهبهم » وتصحيحه من ل . والرواهب : جمع راهبة .

فلا هم ينزِعون ، ولا الخِصِيانُ يَنكَلون ، لأنَّ الرِّمَايةَ فيهم فاشية ، وإن كان الخِصِيُّ أسواراً بلغَ منهم (١) ، وإن كان جمعَ الرمايةِ الثَّروة ، واتَّخذ بطرَسُوس ، وأذَنَّة ، الضِّباعَ واصطنَعَ الرجال ، واتَّخذَ العُقَدَ المِغْلَةَ (٢) فمِضْرَةَ كُلِّ واحدٍ منهم عليهم ، تَفِي بِمِضْرَةَ قَائِدِ ضِخْمٍ . ولم تَرَ عَدَاوَةَ قَطُّ تَجُوزُ مقدارَ عداوتهم لهم ، وهذا يدلُّ على مقدارِ فرطِ الرغبةِ في النساءِ ، وعلى شهوةٍ شديدةٍ للمباضعةِ ، وعلى أنهم قد عرفوا مقدارَ ما فقدوا ، وهذه ٥٧ خِصْلَةٌ كريمةٌ مع طلبِ المثوبةِ ، وحسنِ الأحذوثِ .

(خِصَاءُ الصَّابِئَةِ)

فأما الصَّابِئُونَ ، فَإِنَّ العابِدَ مِنْهُمْ رَبَّما خَصَى نَفْسَهُ ، فهو في هذا الموضعِ قد تقدّمَ الرومِيُّ ، فيما أظهرَ من حُسْنِ النِّيَّةِ ، وانتحلَ من اللِّدْيَانَةِ والعبادةِ ، بِخِصَاءِ الوَلدِ التَّامِّ (٣) ، وبإدخاله النقصَ على النَّسْلِ ، كما فَعَلَ ذلكَ أبو المِبارِكِ الصَّابِي . وما زال خِلفاؤُنَا ومُلوكُنَا يبعثونَ إليه ، ويسمعونَ منه ، ويسمَرُ عندهم ، لِلَّذِي يَجِدُونَهُ عنده من الفِهمِ والإفهامِ ، وطُرْفِ الأَخْبَارِ ، ونوادرِ السِّكِّتِ ، وكان قد أربى على المائةِ ، ولم أسمعَ قَطُّ بأغزَلٍ منه ، وإن كان يصدِّقُ عن نفسه فما في الأرضِ أزنى منه .

(١) ط : « وإن كان الخِصِيُّ أسوداً بلغَ منهم » وتصحيحه من ل . والأسوار بالضم وبالکسر : قائد الفرس والجيد الرمي بالسهم .

(٢) في ط : « واتَّخذَ العُقَدَ والعبيد المِغْلَةَ » . والعقد : جمع عقدة ، وهي الضيعة .

(٣) في ط : « بِخِصْلَةِ الوَلدِ التَّامِّ » .

(حديث أبي المبارك الصابي)

حدَّثني محمد بن عباد قال : سمعته يقول - وجرى ذكرُ النساءِ ومحلَّهن من قنوب الرجال . حتَّى زعموا أنَّ الرجلَ كلما كانَ عاينَ أحْرصَ كانَ ذلكَ أدلَّ على تمامِ الفُحولةِ فيه . وكانَ أذهبَ له في الناحية التي هي من خلقتِه ومعنَادُ وطبعِه . إذ كانَ قد جُعِلَ رجلاً ولم يُجْعَلْ امرأةً - قال ابنُ عبَّاد . فقال لنا : أَلستمُ تعلمونَ أنَّي قد أربَّيتُ على المائة . فينبغي لمن كانَ كذلكَ أن يكونَ وهنُ الكِبَرِ . ونفادُ الذُّكْرِ (١) . وموتُ الشهوةِ ، وانقطاعُ ينبُوعِ النطفةِ . قد أَماتَ حنينه إلى النساءِ وتفكيرَه في الغزالِ؟! قال : قلنا : صدقتَ . قال : وينبغي أن يكونَ من عوَدَ نفسه تركهنَّ مُدداً ، وتخلَّى عنهنَّ سنينَ ودَهراً (٢) . أن تكونَ العادةُ وتمرينُ الطبيعةُ . وتوطنُ النفسُ . قد حطَّ من ثقلِ منازعةِ الشهوةِ . ودواعيِ الباءةِ . وقد علمتُ أنَّ العادةَ [التي] هي الطبيعةُ الثانيةُ . قد تستحكِمُ ببعضِ عمدِ هَجْرٍ للملاسةِ النساءِ (٣) . قال : قلنا : صدقتَ . قال : وينبغي أن يكونَ من لم يذُقْ طعمَ الحُلوةِ بهنَّ ولم يجالسهنَّ متبدلاتٍ . ولم يسمعْ حديثهنَّ وخِلاَبتهنَّ لَمَلُوبٍ . واستماتهنَّ للأهواءِ . ولم يَرَهُنَّ من كَشَفَاتِ عارياتٍ . إذا تقدَّم لهُ ذلكَ معَ طولِ التَّركِ . ألا يكونَ بقيَ معه من دواعيهنَّ شيءٌ؟! قال : قلنا : صدقتَ . قال : وينبغي أن يكونَ لِمَن قد علمَ أنه محبوبٌ . وأنَّ سببه إلى خِلاطهنَّ محسومٌ . أن يكونَ اليأسُ من أمتنِ أسبابه إلى الزهدِ

(١) الذِّكْرُ هنا في معنى التذكُّرِ .

(٢) في ل : « زهداً » بدل « مدداً » وفي ط « منهن » موضع « عنهن » .

(٣) في ل : « عر » موضع « عمد » و « هجراني » موضع « هجر » .

والسلوة . وإلى موت الخواطر . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون من دعاهُ الزُّهْدُ في الدنيا ، وفيما يحتويه النساءُ مع جاهلنَّ وفتنةِ الأنسالكِ بهنَّ ، واتخاذِ الأنبياءِ لهنَّ . إلى أن خَصَى نفسه ، ولم يُكرِّهه عليه أبٌ ولا عدوٌّ ، ولا سبَّاه سببٌ : أن يكون مقدارُ ذلك الزهدِ هو المقدار الذي يُميت الذُّكْرَ هنَّ ، ويُسرِّي عنه ألم فقد وُجودِهِنَّ^(١) ، وينبغي لمن ٥٨ كان في إمكانه أن ينشئ العزم^(٢) ويختارَ الإرادة التي يصير بها^(٣) إلى قطع ذلك العضو الجامع لكبار اللذات ، وإلى ما فيه من الألم ، ومع ما فيه من الخطر . وإلى ما فيه من المثلة والنقص الداخل على الخلق ، أن تكون للوساوس في هذا الباب لا تعرفوه . والدواعي لا تعرفوه^(٤) . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي لمن سَخَتْ نفسه عن السكْن وعن الولد ، وعن أن يكون مذكوراً بالعقب الصالح ، أن يكون قد نسيَ هذا الباب ، إن كان قد مرَّ منه على ذُكْر . هذا وأنتم تعلمون أنني سَمَلْتُ عيني يومَ خصَّيت نفسي ، فقد نسيتُ كيفية الصُّورِ وكيف ترُوع ، وجهات المراد منها ، وكيف تُراد ، أفما كان^(٥) [مَنْ كان كذلك] حَرِيْبًا أن تكون نفسه ساهيةً لاهيةً مشغولةً بالباب الذي أحتمل له هذه المكاره ؟ قال : قلنا : صدقت . قال : أو لو لم أكن هَرِمًا^(٦) ، ولم يكن ها هنا طولُ اجتنابٍ ، وكانت الآلةُ قائمةً أليس في^(٧) أنني لم أذُق حيواناً منذُ ثمانين

(١) في ل : « ويستوى عناءهن ففعلن ووجدهن » .

(٢) في ط : « وينبغي لمن كان في مكانه ألا ينشئ العزم » .

(٣) في ط : « يصيب بها » .

(٤) قرأه يقروه : قصده وفي الأصل « تطروه » .

(٥) في ط : « فما كان ذلك » وتصحيحه من ل .

(٦) في الأصل : « أوليس لو أكن هَرِمًا » .

(٧) في الأصل : « ألا » .

سنة ولم تمتلِ عُرُوقِي^(١) من الشرابِ مخافةَ الزيادةِ في الشهوةِ ، والنقصانِ من العزم - أليسَ^(٢) في ذلك ما يقطع الدواعي ، ويُسكِن الحركة إن هاجت ؟ ! قال : قننا : صدقت . قال : فإنِّي بعدَ جميعِ ما وصفتُ لكم : لأسمعُ نعمةَ المرأةِ فأظنُّ مرَّةً أنَّ كَبِدِي قد ذابت ، وأظنُّ مرَّةً أنَّها قد انصدعت ، وأظنُّ مرَّةً أنَّ عقلي قد اختلِس . وربَّما اضطربَ فؤادي عندَ ضحكِ إحداهنَّ ، حتَّى أظنُّ أنَّه قد خرجَ من فمي ، فكيف ألوِّمُ عليهنَّ غيري ؟ !

فإن كان - حفظك الله تعالى - قد صدقَ على نفسه في تلك الحال ، بعد أن اجتمعت فيه هذه الخصال . فما ظنُّك بهذا قبل هذا الوقت بنحو ستين سنة أو سبعين سنة ؟ ! وما ظنُّك به قبلَ الخِصاءِ بساعة ؟ ! وليس في الاستطاعةِ ولا في صفةِ الإمكانِ ، أن يحتجَّ عن إرادةِ النساءِ ، ومعه من الحاجةِ إليهنَّ والشهوةِ هنَّ هذا المقدارُ ! الله تعالى أرحمُ بخلقِهِ ، وأعدلُ على عباده ، من أن يكلفَهُم هِجرانَ شيءٍ ، قد وصلَهُ بتلوُّبِهِم هذا الوصلَ ، وأكَّده هذا التأكيدَ .

وقد خصى نفسه من الصابئين رجالاً ، قد عرفناهم بأسمائهم وأنسابهم ، وصفاتهم وأحاديثهم . وفي الذي ذكرنا كفايةً إن شاء الله تعالى .

(استئذان عثمان بن مظعون في الخِصاءِ)

وقد ذُكرَ أنَّ عثمانَ بنَ مظعونٍ : استأذَنَ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم في السياحةِ فقال : « سِيَاحَةُ أُمَّتِي الْجَمَاعَةِ » . واستأذَنَهُ في الخِصاءِ فقال :

(١) في ط : « تمتل » وما أثبتته من ل .

(٢) في الأصل : « لكان » .

« خِصَاءُ أُمَّتِي الصُّومِ ، وَالصُّومُ وَجَاءَ » . فِهَذَا خِصَاءُ الدِّيَانَةِ .

(خِصَاءُ الْجَلْبِ وَقِسْوَتُهُ)

فَأَمَّا مَنْ خَصِيَ الْجَلْبَ (١) عَلَى جِهَةِ التِّجَارَةِ ، فَإِنَّهُ يَجِبُ الْقَضِيبُ ،
وَيَمْتَلَخُ الْأَنْثِينَ ، إِلَّا إِنْ تَقَلَّصَتْ إِحْدَاهُمَا مِنْ فَرْطِ الْفَرْعِ (٢) ، فَتَصِيرُ إِلَى
مَوْضِعٍ لَا يُمْكِنُ رُدُّهَا إِلَّا بِعِلَاجٍ طَوِيلٍ ، فَلِلْخَاصِيِّ عِنْدَ ذَلِكَ ظُلْمٌ لَا يَنْبَغِي بِهِ
ظُلْمٌ ، وَظُلْمٌ يُرْبِي عَلَى كُلِّ ظُلْمٍ (٣) ، لِأَنَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ لَا يَحْفَلُ بِفُوتِ الْمُتَقَلِّصِ (٤) ،
وَيَقْطَعُ مَا ظَهَرَ لَهُ ؛ فَإِنْ بَرِيَ مُجْبُوبَ الْقَضِيبِ أَوْ ذَا بَيْضَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَقَدْ تَرَكَهُ
لَا امْرَأَةً وَلَا رَجُلًا وَلَا خَصِيًّا ، وَهُوَ حِينَئِذٍ مِمَّنْ تَخْرُجُ لِحِيَّتُهُ ، وَمِمَّنْ لَا يَدْعُهُ
النَّاسُ فِي دُورِهِمْ وَمَوَاضِعِ الْخُصُوصِ مِنْ بَيْوتِهِمْ ، فَلَا يَكُونُ مَعَ الْخَصِيَّانِ
مَقْرَبًا وَمَكْرَمًا ، وَخَصِيبَ الْعَيْشِ مَنْعَمًا ، وَلَا هُوَ إِذَا رُمِيَ بِهِ فِي الْفَحْوَلِ ،
كَانَ لَهُ مَا لِلْفَحْوَلِ مِنْ لَذَّةِ غِشْيَانِ النِّسَاءِ ، وَمِنْ لَذَّةِ النَّسْلِ وَالْمَتْعِ بِشَمِّ
الْأَوْلَادِ ؛ فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَ الْفَحْوَلِ مُسْتَضْعَفًا مُحْتَقَرًا ، وَعِنْدَ الْخَصِيَّانِ مَجْرَحًا
مَطْرَحًا (٥) ، فَهُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ السَّدَمِ الْمَعْنَى (٦) فَلَا أَعْلَمُ قَتْلَهُ - إِذَا كَانَ

(١) الجلب : ما جلب من خيل وغيرها .

(٢) ط : « القرع » والصواب ما في ل .

(٣) ل : « وظلم يربي على الظلم الأول وعلى كل ظلم » .

(٤) ط : « يموت المقلص » وصوابه في ل .

(٥) ل : « محرجا مطردا » .

(٦) اللسان : السدم : الذي يرغب عن فعله ، فيحال بينه وبين ألفه ، ويقيد إذا هاج ،

فيرعى حوالى الدار ، وإن صال جعل له حجام يمنعه عن فتحه . قال الوليد بن عقبة :

قطعت الدهر كالسدم المعنى تهدر في دمشق وما تريم

القتلُ قِتْلَةً صَرِيحَةً (١) مُرِيحَةً - إِلَّا أَصْغَرَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَسْهَلَ عَلَى هَذَا الْمَظْلُومِ مِنْ طَوْلِ التَّعْذِيبِ . وَاللَّهُ تَعَالَى بِالْمِرْصَادِ .

(خِصَاءُ الْبِهَائِمِ)

وَأَمَّا خِصَاءُ الْبِهَائِمِ ، فَهُنَا الْوَجَاءُ ، وَهُوَ أَنْ يَشُدَّ عَصَبُ مَجَامِعِ الْخِصْيَةِ مِنْ أَصْلِ الْقَضِيبِ ، حَتَّى إِذَا نَدَرَتِ الْبَيْضَةُ ، وَجَحَظَتِ الْخِصْيَةُ ، وَجَأَهَا حَتَّى يَرْضَهَا ، فَهِيَ عِنْدَ ذَلِكَ تَذُبُّلٌ وَتَنْخَسْفٌ ، وَتَنْدَوِيٌّ وَتَسْتَدِيقٌ ، حَتَّى تَذْهَبَ قُوَاهَا ، وَتَنْسَدَّ الْمَجَارِي إِلَيْهَا ، وَيَسْرَى ذَلِكَ الْفَسَادُ إِلَى مَوْضِعِ تَرْبِيَةِ النُّطْفَةِ ، فَيَمْنَعُهَا مِنْ أَنْ تَكْثُرَ أَوْ تَعْذِبَ أَوْ تَحْتُرَ .

وَمِنْهَا مَا يَكُونُ بِالشَّدِّ وَالْعَصَبِ ، وَشِدَّةِ التَّحْزِيقِ ، وَالْعَقْدِ بِالْخَيْطِ الشَّدِيدِ الْوَتِيرِ الشَّدِيدِ الْفَتْلِ ، فَإِذَا تَرَكَهُ عَلَى ذَلِكَ عَمِلَ فِيهِ وَحْزٌ ، أَوْ أَكَلٌ وَمَنْعَةٌ مِنْ أَنْ يَجْرَى إِلَيْهِ الْغَدَاءُ ، فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْقَطِعَ وَيَسْقُطَ .
وَمِنْهُ الْإِمْتَلَاخُ ، وَهُوَ إِمْتَلَاخُ الْبَيْضَتَيْنِ .

(خِصَاءُ النَّاسِ)

فَأَمَّا خِصَاءُ النَّاسِ ، فَإِنَّ لِلْخَاصِي حَدِيدَةً مَرْهَفَةً مُحْمَاةً ، وَهِيَ الْحَاسِمَةُ ، وَهِيَ الْقَاطِعَةُ . قَالَ أَبُو زَيْدٍ : [يُقَالُ] خِصَيْتِ الدَّابَّةَ أَخْصَيْتَهَا خِصَاءً ، وَوَجَأَتْهَا أَجْوَأَهَا وَجَاءً . وَيُقَالُ : بَرِئْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْخِصَاءِ أَوْ الْوَجَاءِ ، وَلَا يُقَالُ ذَلِكَ إِلَّا لِمَا كَانَ قَرِيبَ الْعَهْدِ لَمْ يَبْرَأْ مِنْهُ ، فَإِذَا بَرِئَ لَمْ يُقَلِّ لَهُ (٢) .

(١) ل : « سَرِيحَةٌ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « لَمْ يَقُلْ » وَهُوَ خَطَأٌ فِي الرَّسْمِ أَوْجِبَهُ تَكَرُّرُ اللَّامِ ، وَالْوَجْهَ مَا كَتَبْتُ .

وأما الخِصَاءُ فهو أن يسْلَّ الخِصِيَّتَيْنِ ، والوجاء أن توجأ العروقُ والخِصِيَّتَانِ على حالهما . والمعصوب من الثيوس الذي تُعصَبُ خِصِيَّتَاهُ حتى تسقطا . والواحد من الخِصِيَّانِ خِصِيٌّ ومَخِصِيٌّ . ويقال ملست الخِصِيَّتَيْنِ أَمْلَسَهُمَا مَلْسًا ، وامتنتهُمَا أمتنهما مَتْنًا ، وذلك أن تشقَّ عنهما الصَّفْنِ فَتَسْلَهُمَا بِعُرُوقِهِمَا . والصَّفْنِ : جلدة الخِصِيَّتَيْنِ .

(خِصَاءُ الْبِهَائِمِ وَالذِّيَكَةِ)

والخِصَاءُ فِي أَحْدَاثِ الْبِهَائِمِ ، وَفِي الْغَنَمِ خَاصَةً ، يَدْعُ اللَّحْمَ رَخِصًا وَنَدِيًّا عَذْبًا ؛ فَإِنْ خَصَّاهُ بَعْدَ الْكِبَرِ ، لَمْ يَقْوِ خِصَاؤُهُ - بَعْدَ اسْتِحْكَامِ الْقُوَّةِ - عَلَى قَلْبِ طَبَاعِهِ . وَأَجُودُ الْخِصَاءِ مَا كَانَ فِي الصَّغَرِ ، وَهُوَ يُسَمَّى بِالْفَارَسِيَّةِ ثَرَبِحَتْ^(١) يُعْنَى بِذَلِكَ أَنَّهُ خِصِيٌّ رَطْبًا . وَالْخِصِيُّ مِنْ فِحُولَهَا أَحْمَلُ لِلشَّحْمِ ، لِعَدَمِ الْمُهْجِ وَالنَّعْظِ ، وَخُرُوجِ قَوَاهِ مَعَ مَاءِ الْفِحْلَةِ^(٢) . وَكَثْرَةُ السَّفَادِ تَوْرَثُ الضَّعْفَ وَالْهَزَالَ فِي جَمِيعِ الْخِيَوَانِ . وَقَدْ ذَكَرَ مُعَاوِيَةَ كَثْرَةَ الْجَمَاعِ فَقَالَ : مَا اسْتَهْتِرَ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا رَأَيْتَ ذَلِكَ فِي مُنْتَهَى^(٣) .

والذِيكُ يُخْصِي لِيَرْتَبِ لِحْمَهُ وَيَطِيبُ وَيَحْمِلُ الشَّحْمَ .

(خِصَاءُ الْعَرَبِ لِفِحْوَلَةِ الْإِبِلِ)

وَكَانَتْ الْعَرَبُ تُخْصِي فُحْوَلَةَ الْإِبِلِ لَثَلًا يَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَتَسْتَبِقُ مَا كَانَ أَجُودَ ضِرَابًا ، وَأَكْثَرَ نَسْلًا ، وَكُلَّ مَا كَانَ مَثَانًا^(٤)

(١) ط : « بربحت » .

(٢) ط : « عما يجامع الفحلة » وهو تحريف .

(٣) ط : « منته » . والمنته : القوة . والخبر في البيان ٢ : ٨١ وكتاب البغال ٣٠٤ .

(٤) ط : « ماسا » وهو تحريف صوابه في ل .

وكان شاباً ولم يكن مذكّاراً ، وهم يسمّون الإذكار المحقّ الخفيّ^(١) . وما كان منها عيائاً طباقاً ، فمنها ما يجعل السدّم المعنى . وإذا كان الفحل لا يتخذ للضراب ، شدّوا ثيله شدّاً شديداً . وتركوه يهدر ويقتبب في الهجمة ، ولا يصل إليهنّ وإن أردنه . فإذا طلبنّ الفحلَ جيءَ لهنّ بفحلٍ قعسرى^(٢) ويقولون : « لَقَوَّةٌ لَأَقْتُ قَبِيسَا ! » . والقبيس من الجمال : السريع الإلقاح ، واللقوة : السريعة القبول لماء الفحل .

وشكت امرأة زوجها . وأخبرت عن جهله بإتيان النساء ، وعيّه وعجزه ، وأنه إذا سقط عليها أطبق صدره - والنساء يكرهنّ وقوع صدور الرجال على صدورهنّ - فقالت : زوّجني عيائاً طباقاً ، وكلّ داءٍ له داءٌ !! وقال الشاعر :

طباقاء لم يشهدْ خُصوماً ولم يقُدْ رِكاباً إلى أكوارِها حينَ تعكف^(٣)

(خصاء العرب للخيل)

وكانوا يخصّون الخيل لشبيه بذلك^(٤) . ولعلّة^(٥) صهيلها ليلة البيات ، وإذا أكمّوا الكمّاء أو كانوا هراًبا .

(١) ط : « وهم يسمون المذكار المحق الخفي » وهو تحريف ما في ل .

(٢) القعسرى : الضخم الشديد . وفي الأمبروزيانا : « نحى وجىء ، فن بفحل قبيس » .

(٣) ط : « لم يكن » و « حين تعلق » وفي ل والامبروزيانا « لم ينخ » و « حين تعكف » وأصلحت البيت كما ترى من ل والبيان ١ : ١١٠ .

(٤) ط : « للتشبه بذلك » .

(٥) ل : « ولقلة » .

(القول في كلمة خنذيد)

ويزعم من لاعلم له ، أن الخنذيد^(١) في الخليل هو الخصى . وكيف يكون ذلك كما قال ، مع قول خفاف بن ندبة :
وخناذيد خصية وفحولاً^(٢)

وقال بشر بن أبي خازم :

وخنذيد ترى الغرمول منه كطى البرد يطويه التجار^(٣)

وليس هذا أراد بشر ، وإنما أراد زمان الغزو ، والحال التي يعترى الخليل فيها هذا المعنى ، كما قال جد الأحيمر^(٤) :

لا لا أعق ولا أحو ب ولا أغير على مضر

٦١ لكنا غزوى إذا ضح المطى من الدبر
وإنما فخر بالغزو في ذلك الزمان .

وأما الخنذيد فهو الكريم التام ، وربما وصفوا به الرجل . وقال كثير :

على كل خنذيد الضحى متمطر وخيفانة قد هدب الجرى آلهما^(٥)

وقال القطامي :

(١) يتكرر في ط رسم هذه الكلمة ومشابهاتها برسم « خنزير » و « خنازير » وهو تصحيف أصلحته من ل ، ومن اللسان ، ومن البيان ٢ : ١١ - ١٢ وأدب الكاتب ١٦٣ والاقطصاب ٣٦٢ وصحاح الجوهرى .

(٢) البيت منسوب في البيان ٢ : ١١ إلى البرجمي ، وهو في اللسان خفاف بن عبد قيس من البراجم ، وفي الصحاح خفاف بن قيس ، فيكون غير خفاف بن ندبة ، إذ أن ابن ندبة من بنى الشريد ، وهو ابن عم الخنساء ، وليس بنو الشريد من البراجم . وصدر البيت المذكور هو كما في اللسان : وبراذين كابييات وأتنا .

(٣) البيت في البيان ٢ : ١١ .

(٤) في الأصل « جد الأحيمز » وتصحيحه من بيان الجاحظ ٣ : ٢٠٠ والأحيمر السعدى شاعر كان من لصوص العرب مثل عبيد بن أيوب العنبري . وله ترجمة في الشعراء لابن قتيبة . وأما جده فهو الحارث بن يزيد كما في البيان .

(٥) المتمطر : السريع . وهى في الأصل « متمطرا » وليس بشيء . وآله : شخصها .

[على] كلُّ خنذيدِ السَّراةِ مُقلِّصٍ تَحَنَّتْ مِنْهُ لَحْمُهُ الْمُتَكَاوِسُ^(١)
ومن الدليل على أنهم ربما جعلوا الرجلَ إذا ما مدحوه خنذيذاً ، قولي
بعضِ القيسيين^(٢) ، من قيسِ بنِ ثعلبةِ :
دعوتُ بني سعدٍ إلىَّ فشمَّرتُ خنذيذُ من سعدٍ طِوالُ السَّواعِدِ

(عبد الله بن الحارث وعبد الملك بن مروان)

وقال عبدُ الله بن الحارث ، وكتب بها إلى عبدِ الملكِ بن مروان ،
حين فارقَ مُصعباً :

بأيِّ بلاءٍ أم بآيةٍ علَّيةٍ يُقدِّمُ قبلي مُسَلِّمٌ والمهلبُ
ويُدعى ابنُ منجوفٍ أُمى كأنَّه خَصِيٌّ دنا للماءِ من غيرِ مَشْرَبِ^(٣)
فقلت ليونس : أقوى ! فقال : الإقواءُ أحسنُ من هذا ! قال : فلمَّا
أخذته قيسٌ نصبوه ، فجعلوا يرمونه بالنبل ويقولون : أذاتَ مغازلٍ^(٤) ترى؟!
[يريدون بيت ابن الحرِّ^(٥)] :

ألم تر قيساً-قيسَ عيلانٍ- برقت لحاها وباعت نبلها بالمغازل
فلما أتى مُصعبُ برأسه ، قال لسويد : يَا أَبَا الْمِنهالِ ! كيف ترى ؟ قال :
أيتها الأمير ! هو والله الذي أتى الماءَ من غيرِ مَشْرَبِ .

(١) الزيادة من ل .

(٢) ط : « القيسيين » وهو تحريف . والبيت في البيان ٢ : ١٢ منسوباً إلى العبيس ،
فصوابه القيسى .

(٣) ط : « ويدعى ابن منجوت » والصواب « ابن منجوف » واسمه سويد ، وله أخبار
في البيان والأغانى .

(٤) ط : « منازل » بالتون .

(٥) هو عبيد الله بن الحر الجعفي ، قائد من قواد العرب ، كان من أصحاب عثمان ، وبعد
مقتله انحاز إلى معاوية ، وشهد صفين . وكان له منازعات مع مصعب بن الزبير ، ولما
خاف من الأسر ، أتى بنفسه في الفرات ، فأت غريقاً سنة ٦٨ .

وقال أعشى همدان :

وأبو بُرَيْدَةَ الذي حَدَّثَهُ فينا أذلُّ من الخصىِّ الدِّيزجِ (١)
وتعرض للخصىِّ سرعةُ الدِّمعة ، وذلك من عادةِ طبائع الصبيان
ثم النساء ، فإنه ليس بعد الصبيان أغزر دمعةً من النساء ، وكفأك
بالشيوخ الهرمين .

(أخلاق الخصى)

ويعرض للخصىِّ العبثُ واللَّعبُ بالطير ، وما أشبه ذلك من أخلاق
النساء ، وهو من أخلاق الصبيان أيضاً .
ويعرض له الشره عند الطعام ، والبخلُ عليه ، والشحُّ العامُّ في كلِّ
شيء ، وذلك من أخلاق الصبيان [ثم النساء (٢)] .

وقال الشاعر :

كأنَّ أبا رومان قيساً إذا غداً خصىُّ براذين يُقَاد رَهِيصُ
له معدةٌ لا يشتكى الدهرَ ضعفتها وخنجرةٌ بالدورقين قفوصُ

ويعرض للخصىِّ سرعةُ الغضبِ والرضا ، وذلك من أخلاق الصبيان ٦٢
والنساء . ويعرض له حبُّ النيمة ، وضيقُ الصدر بما أودع من السرِّ ،
وذلك من أخلاق الصبيان والنساء . ويعرض له دون أخيه لأُمَّه وأبيه ،
ودون ابنِ عمِّه وجميعِ رهطه ، البصرُ بالرفِّع والوضع ، والسكنسِ
والرشِّ ، والطَّرحِ والبسطِ ، والصبرُ على الخدمة ، وذلك يعرض للنساء .

(١) ط : « الريذج » والصواب ما أثبت من ل . والديزج : قال ابن قتيبة في أدب الكاتب
: ١٠٥ : « الأخضر هو في كلام المعجم الديزج » . وقال الإسكافي في مبادئ اللغة ١٢٣ :
« والأخضر الأطلخم المسمى بالفارسية الديزج » .
(٢) النكلمة من نسخة الأميروزيانا .

ويعرض له الصبرُ على الرُّكوب ، والقوَّة على كثرةِ الرُّكُص حتى يجاوز
في ذلك رجالَ الأتراكِ وفرسانَ الخوارج . ومتى دَفَع إليه مَولاه دابَّتَه ودخل
إلى الصلاة ، أو ليغتسل في الحمام ، أو ليعودَ مريضاً ، لم يتركْ أن يُجرىَ
تلك الدابَّةَ ذاهباً وجائياً ، إلى رجوعِ مَولاه إليه .

ويعرض له حبُّ الرمي بالنشَّاب ، للَّذي يدور في نفسه من حبِّ غزو الرُّوم .
ويعرض له حبُّ أن تملكه الملوك ، على ألاَّ تقيمَ له إلاَّ القوتَ ، ويكونُ
ذلك أحبَّ إليه من أن تملكه السُّوقَةُ ، وإن ألحقته بعيشِ الملوك !!

ومن العجب أنهم مع خروجهم من شَطْر طبائع الرجال ، إلى طبائع
النساء ، لا يعرض لهم التخنيث . وقد رأيت غيرَ واحدٍ من الأعرابِ
مُخَنَّثاً متفكِّكاً ، وموثناً يَسِيلُ سَيْلاً ، ورأيتُ عدَّةَ مجانينَ مُخَنَّثين ،
ورأيتُ ذلك في الزَّنجِ الأقحاح . وقد خبَّرني من رأى كُردِيّاً مُخَنَّثاً ، ولم
أرَ خصيًّا قط مُخَنَّثاً^(١) ، ولا سمعتُ به ؛ ولا أدري كيف ذلك ولا أعرف
المانعَ منه . ولو كان الأمرُ في ذلك إلى ظاهرِ الرأى ، لَقَد كان ينبغي لهم أن
يكونَ ذلك فيهم عاماً^(٢) !

ومما يزيدني في التعجُّب من هذا الباب ، كثرةُ ما يعرض لهم من
الحُلاق^(٣) ، مع قلَّةِ ما يعرض لهم من التخنيث ، مع مفارقتهم لشطرِ معاني
الرجال إلى شبه النساء .

ويزعم كثير من الشيوخ المعمرين ؛ وأهلِ التجربة المميزين ، أنهم
اختبروا أعمارَ ضُروبِ الناس ، فوجدوا طُولَ^(٤) الأعمارِ في الحصيانِ أعمَّ

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) في الأصل : « ولكن كان الأمر . . . ولقد . . . الخ » وقد قومت العبارة بما ترى .

(٣) الحلاق ، كغراب : أن يفسد متاعه ، فينمكس ميله الجنسي .

(٤) ط : « أطول » وتصحيحه من ل . وانظر مفاخرة الجوارى والغلمان ١٢٤ .

منه في مثل أعدادهم^(١) من جميع أجناس الرجال، وأنهم تفقدوا أعمارهم وأعمار إخوتهم وبنى أعمامهم الذين لم يُخصَّوا، فوجدوا طول العُمُر في الحِصيان أعمَّ ؛ ولم يجدوا في عمومِ طوال العمر فيهم واحداً نادراً ؛ كفلان وفلان من الفحول . وزعموا أنهم لم يجدوا لطول أعمارهم علةً إلاَّ عدمَ النِّكاح ، وقلة استفراغِ النَّطْفِ لقوى أصلابهم .

قالوا : وكذلك لم نجد فيما يعايشُ للناسَ في دُورهم ، من الخيل والإبل ، والحمير ، والبقر ، والغنم ، والكلاب ، والدجاج ، والحمام ، والديسكة ، والعصافير ؛ أطول أعماراً من البغال .

٦١٧

وكذلك قالوا : وجدنا أقلها أعماراً العصافير . وليس ذلك إلاَّ لكثرة سفادِ العصافير وقلةِ سفادِ البغال .

وجعل هؤلاء القومُ زيادةَ عمر البغلِ على عمرِ أبويه دليلاً على أن قول الناسِ : لا يعيشُ أحدٌ فوق عمر أبويه خطأ . وأولئك إنما عنوا الناسَ دونَ جميعِ الحيوان .

(النتاج المركب)

وقالوا : قد وجدنا غُرمولَ البغلِ أطولَ من غُرمولِ الحمار والفرس والبرذون ؛ وهؤلاء أعمامه وأخواله ؛ فقد وجدنا بعضَ النتاجِ المركبِ ، وبعضَ الفروعِ المستخرجة ، أعظمَ من الأصل ؛ ووجدنا الحمامَ الرَّاعبي^(٢) أعظمَ من الورشان الذي هو أبوه ، ومن الحمامة التي هي أمه ؛ ولم نجدَه أخذَ من عمر الورشان شيئاً ؛ وخرج صوته من تقدير أصواتهما ؛ كما خرج شحيج البغلِ من نهيق الحمار وصهيل الفرس . وخرج الرَّاعبيُّ مُسرولاً ؛

(١) الأعداد : جمع عد بمعنى الند وزنته ، فالأعداد : الأنداد .

(٢) ط : « الزاغبي » ، والصواب مافي ل . قال في الجمل : الحمامة الراعية : ترعب في صوتها ترعيباً ، وذلك قوة صوتها . تاج العروس .

ولم يكن ذلك في أبويه ؛ وخرج مُثَقَلًا سَبِيَّ الهداية . وللورشان هداية ، وإن كان دون الحمام ؛ وجاء أعظم جثة من أبويه ؛ ومقدار النفس من ابتداء هديله إلى منقطعه ؛ أضعاف مقدار هديل أبويه .

وفوالج البُخْتِ إذا ضربت في إناث البُخْتِ ؛ لم يخرج الحوَارُ إلا أدن^(١) قصير العنق ؛ لا ينال كلاً ولا ماءً إلا بأن يُرْفَعَا إليه ؛ فيصير - لمكان نقصان خلقه - جزور لحم ؛ ولا يكون من اليعملات ولا من السابقة ؛ ولو عألوه وكفوه مؤنة تكلف^(٢) المأكول والمشروب ، ثم بلغ إلى أن يصير جملاً يمكنه الضراب . وكذلك [الأنثى التي هي] الحائل إلى أن تصير ناقة ؛ فلو ألقحها الفحلُ لجاء ولدُها أقصر عنقا من الفيل ، الذي لو لم يجعل الله تعالى له خرطومًا يتناول به طعامه وشرابه ، لمات جوعاً وهزلاً ؛ وليس كذلك العراب . وإذا ضربت الفوالج في العراب جاءت هذه الجوامز^(٣) والبُخْتِ السكريمة التي تجمع عامة خصال العراب وخصال البُخْتِ ؛ فيكون ما يُخْرِجُ التركيب من هذين الجنسَيْنِ أكرم وأفخمة وأنفس وأثمن . ومتى ضربت فحول العراب في إناث البُخْتِ جاءت هذا الإبل البَهُونِيَّة^(٤) [والصَّرْصَرَانِيَّة^(٥)] فتخرج أقبح منظرًا من أبويها وأشدَّ أسراً من أبويها . [وقال الراجز : ولا بهوني من الأباعر]

(١) ط : « أتانا » وهو تصحيف عجيب ، أبدلته بما في ل . والدن ، بحركة : انح في الظهر ، ودنو وتطامن في الصدر والعنق . وهو أدن ، وهي دناء .

(٢) ط : « تكليف » . (٣) ط : « الجواميز » .

(٤) ط : « اليهوتية » . ل : « اليهونية » وكلاهما تحريف ، وقد جاء في القاموس « واليهونية من الإبل ما بين الكرمانية والدرية » . وجاء في المخصص ٧ : ١٣٥ والاسم « والبهنوي - بتقديم النون - من الإبل : ما بين الكرمانية والعربية ، وهو دخي في العربية » .

(٥) في القاموس والمخصص : « الصرصرانيات : بين البيخاق والعراب ؛ أو الفوالج وفي الأصل : « وهي الصرصرانية » ، وإنما هما ضربان .

وبعد ؛ فإنّ هذه الشُّهريَّة الحُرَّاسانية ؛ يخرج لها أبدانٌ فوقَ أبدانِ
أمهاتها وآبائها من الخيل والبراذين ؛ وتأخذ من عتق الخيل ، ومن وثاجة^(١)
البراذين ؛ وليس نتاجها كنتاج البرذون خالصاً والفرس خالصاً .

وما أشبه قرابة الحمارِ بالرَّمكة والحجرِ ؛ من قرابةِ الجملِ الفالج ٦٤
البُختيُّ بقرابةِ القنوصِ الأعرابيَّة .

(الحمر الوحشية)

ويقال إن الحمرَ الوحشيَّة ؛ وبخاصَّة الأندريَّة ؛ أطولُ الحُمير أعماراً
وإنما هي من نتاج الأندَر ؛ فرس كان لأردشير بن بابك صار وحشياً^(٢)
فحمى عدَّة عاناتٍ فضرب فيها ، فجاء أولادُه منها أعظمَ من مسائر الحمر وأحسنَ ،
وخرجت أعمارُها عن أعمارِ الخيلِ ومسائرِ الحُمُر - أعني حمر اللوحش - فإنَّ
أعمارَها تزيد على الأهليَّة مراراً عدَّة .

(عير أبي سيارة)

ولا يعرفون حماراً وحشياً عاشَ أكثرَ وعُمِّر أطولَ من عيرِ أبي سيارة
عميلة بن أعزل^(٣) ؛ فإنهم لا يشكُّون أنه دَفَع عليه بأهلِ الموسمِ أربعين عاماً !!
قال الأصمعيُّ : لم يكن عيراً وإنما كان أنانا .

(١) ط : « وشاجة » وإنما هي « وثاجة » كما في ل . والوثاجة : الاكتناز .

(٢) ط : « صار حماراً وحشياً » والصواب ما أبدلت من ل و س .

(٣) ط : « غيلة بن أعزل » وإنما هو « عميلة » بالعين كما في ل والبيان ١ : ٣٠٧

وفيه قال عيسى بن حاضر : لو أراد أبو سيارة عميلة بن أعزل أن يدفع بالموسم =

(لهج ملوك فارس بالصييد)

وزعموا - وكذلك هو في كتبهم - أن ملوك فارس ؛ كانت لهجة بالصييد ؛ إلا أن بهرام [جور] هو المشهور بذلك في العوام .
وهم يزعمون أن فيروز بن قباذ^(١) الملك الفارسي ؛ ألح في طلب حمار أخدرى ؛ وقد ذُكر له ووُصف ؛ فطاوَله عند طلبه والتماسه ؛ وجدَّ في ذلك فُلجَّ به عند طلبه الاغترام ؛ وأخرجته الحفيظةُ إلى أن آلى ألا يأخذه إلا أسراً ؛ ولا يطاردَه إلا فرداً ؛ فحمل فرسه عليه^(٢) ؛ فحطَّه في خَبَّار^(٣) فجمع جَراميزه وهو على فرسه ووثب ؛ فإذا هو على ظهره ؛ فقمص به ، فضم فخذه فحطَّم بعض أضلاعه ؛ ثم أقبل به إلى معظم الناس ؛ وهم وقوف ينظرون إليه وهو راكبه .

قالوا : وكان الملك منهم إذا أخذ عيراً أخدرياً وغير ذلك ؛ فإذا وجدَه فتياً^(٤) وسمه باسمه^(٥) وأرَّخ في وسمه يوم صيده وخلَّى سبيله ؛ وكان كثيراً إذا ما صاده الملكُ الذي يقوم به بعده ؛ سار فيه مثله تلك السيرة وخلَّى سبيله ؛ فعرف آخرهم صنيع أوَّهم ؛ وعرفوا مقدار مقادير أعمارها .

= على فرس عربي أو حمل مهري لفعل ، ولكنه ركب عيرا أربعين عاما ، لأنه كان يتأله اه . وقد أفاض الثعالبي في ثمار القلوب في الحديث عنه ص ٢٩٥ .

- (١) ط : « فيروز بن قبار » وتصويبه من ل .
- (٢) ط : « إلا فردا (اقتداراً لخيار الأرض الرخوة) فحمل عليه » بإقحام الجملة الموضوعية بين قوسين كبيرين ، ووضح أنها تعليق لأحد الكتاب ، حيث فسر الخبار بأنه الأرض الرخوة ، وصحفها آخر فجعلها « خيار » .
- (٣) ط : « خيار » وصوابه في ل .
- (٤) ط : « متينا » .
- (٥) ط : « وسمه باسم » .

(الحكمة في تخالف الزراعات والميول)

ولولا أن ناساً من كلِّ جيلٍ ، وخصائصَ من كلِّ أُمَّةٍ ، يلهجون
ويكلفون بتعرُّفِ معاني آخريْن لدرستْ ، ولعلَّ كثيراً من هؤلاء يُزرى على
أولئك ، ويعجَّب الناسَ من تفرُّغهم لما لا يجدي ، وتركهم التَّشاغَلَ بما يُجدي ،
فالذي حبَّب لهذا أن يرصدَ عمرَ حمارٍ أو ورشانٍ أو حيَّةٍ أو ضبٍّ ، هو الذي
حبَّب إلى الآخر أن يكون صيَّاداً للأفاعى والحيات ، يتتبعها ويطلبها في كلِّ
وادٍ وموضعٍ وجبَلٍ للترياقات . وسخرَ هذا ليكون سائسَ الأسدِ والفهودِ
والثُمُورِ والبيور^(١) ، وترك من تلقاء نفسه أن يكون راعيَ غنمٍ ! !

والذي فرَّق هذه الأقسامَ ، وسخرَ هذه النفوسَ ، وصرف هذه العقولَ
لاستخراجِ هذه العلومِ من مدافنها ، وهذه المعاني من مخايبها ، هو الذي سخرَ
٦٥ بطليموسَ مع ملكه^(٢) ، وفلاناً وفلاناً للتفرُّغِ للأُمُورِ السماويَّةِ ، ولرعايةِ
النجومِ واختلافِ مسيرِ الكواكبِ . وكلُّ ميسرٍ لما خُلِقَ له ، لتتمَّ النعمة^(٣)
ولتكمُلَ المعرفةُ ، وإِنما تأبى التيسيرَ للمعاصي^(٤) .

فأمَّا الصناعاتُ فقد تقصُرُ الأسبابُ بعضَ الناسِ على أن يصيرَ حائِكاً ،
وتقصُرُ بعضهم على أن يكونَ صيرَفيًّا ، فهي وإن قصرتَه على الحياكةِ ، فلم
تقصُرْه على خُلْفِ المواعيدِ وعلى إبدالِ الغُزُولِ ؛ وعلى تشقيقِ العملِ دونَ الإحكامِ
والصدقِ وأداءِ الأمانةِ ؛ ولم تقصُرِ الصيرفيَّ على التطفيفِ^(٥) في الوزنِ والتغليطِ

(١) في الأصل : « البيور » وإِنما هي « البيور » جمع بئر ، وللفريق المعلوم كلام جيد
في التعريف بهذا الحيوان ص ٢٤٨ من معجمه .

(٢) يرى الجاحظ - كما يرى بعض المؤرخين - أن بطليموس كان ملكاً من ملوك البطالسة
اليونانيين ، وللقفطي تحقيق دقيق في هذا الزعم في كتابه ص ٦٨ .

(٣) ط : « لتتمَّ النعمة » .

(٤) ل : « وإِنما تأبى التيسيرَ للمعاصي » . والمعترلة يربثون به تعالى عن نسبة الشر أصلاً

(٥) ل : « التطفيف » .

في الحساب ؛ وعلى دس المموه ؛ تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً .

(خضوع النتائج المركب للطبيعة)

ولو كان أمر النتائج وما يحدث بالتركيب ويخرج من الزاويج ؛ إلى تقدير الرأي وما هو أقرب إلى الظن ؛ لسكانت الأظلاف^(١) تجرى تجرى الخوافر والأخفاف . ألا ترى أن قرابة الضأن من الماعز ؛ كقرابة البُخت من العراب ؛ والحيل من الحمير !!

وسبيل نتائج الظلف على خلاف ذلك ؛ لأن التيس - على شدة غلمته - لا يعرض للنعجة [إلا بالقليل الذي لا يُذكر . وكذلك ما يحدث بينهما من الولد كذلك : إما ألا يتم خلقه ، وإما ألا يعيش^(٢)] ؛ وكذلك السكش والنعز فضلاً عن أن يكون بينهما نتاج^(٣) لأنه قد يضرب الجنس في الجنس الذي لا يُلقحه ؛ ولا يكون اللقاح إلا بعد ضراب .

وطلب التيس للنعجة قليل^(٤) وأقل من القليل ؛ وكذلك السكش للنعز ؛ وأقل من ذلك أن تتلاقح^(٥) ولا يبقى ذلك الولد ألبته^(٦) .
وتد تجاسر ناس على توليد أبواب من هذا الشكل ؛ فادعوا أموراً ؛ ولم يحفلوا بالتقريع والشكذيب عند مسألة البرهان !!

(زعم في الزرافة)

زعموا أن الزرافة خلق مركب من بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية

(١) ط : « الأخفاف » .

(٢) التكلة من الأمبروزيانا .

(٣) ط : « فيما نتائج » .

(٤) ماعدا الأمبروزيانا : « ويطلب التيس للنعجة قليلاً » .

(٥) في معظم النسخ : « ألا تتلاقح » صوابه من الأمبروزيانا .

(٦) الكلام من « وطلب » الخ ساقط من ل . ماعدا الأمبروزيانا : « ولا يمنع ذلك » تحريفه

وبين الذئخ وهو ذكر الضباع ؛ وذلك أنهم لما رأوا أن اسمها ^(١) بالفارسية (أشتركاو بلنك ^(٢)) ؛ وتأويل « أشتر » بعير ، وتأويل « كاو » بقرة ، وتأويل « بلنك » ^(٣) الضبع ؛ لأن الضباع عُرج ؛ كذلك الذكر والأنثى يكون بهما خُماع ؛ كما عرض للذئب القزَل - وكلُّ ذئبٍ أقزَل - وكما أن كلَّ غرابٍ يحجل كما يحجل المقيّد من الناس ؛ وكما أن العصفور لا يمشی ؛ ومشيه أن يجمع رجله أبدأً معاً في كلِّ حركةٍ وسكون . وقولهم للزرافة أشتركاو بلنك ^(٢) اسم فارسيٌّ ؛ والفرس تسمّى الأشياء بالاشتقاقات ؛ كما تقول للنعامة : اشتر مرغ ؛ وكأنهم في التقدير قالوا : هو طائر وجمل ؛ فلم نجد هذا الاسم أوجبَ أن تكون النعامة نتاجَ ما بين الإبل والطير ؛ ولكن القوم لما شبهوها بشيئين متقاربين ؛ سمّوها بذئب الشينين . وهم يسمون الشيء المرَّ الحلو « ترش شيرين » وهو في التفسير حلوٌ حامض . فجسّر القوم فوضعوا لتفسير اسم الزرافة حديثاً ^(٤) ؛ وجعلوا الخلقَةَ ضرباً من التراكيب ؛ فقالوا : قد يعرض الذئخ في تلك البلاد نناقاة الوحشية فيسفدها ، فتلقح بولدٍ يجيء خلقه ما بين خلق الناقاة والضبع ؛ فإن كان أنثى فقد يعرض ^(٥) لها الثور الوحشي فيضربها ؛ فيصير الولد زرافة ؛ وإن كان ولد الناقاة ذكراً عرض للمهاة فألقحها فتلد زرافة . فمنهم من حجّر البتّة أن تكون الزرافة الأنثى تلقح من الزرافة الذكر ؛ وزعموا أن كلَّ زرافةٍ في الأرض ، فإنما ^(٦) هي

(١) ط : « أسماءها » وهو تحريف ظاهر .

(٢) ط : « اشتركاو ويلنك » .

(٣) ط : « ينك » .

(٤) ط : « فوضعوا التفسير اسماً للزرافة حديثاً » .

(٥) ط : « فيعرض لها » .

(٦) ط : « إنما » .

من النَّتاج الذي رَكَّبوا ؛ وزعموا أَنَّ ذلك مشهورٌ في بلاد الحبشة ؛ وأقاصى
اليمين . وقال آخرون : ليس كلُّ خلقٍ مرَّكَّبٍ لا ينسِلُ ولا يبقى نجله ولا
يتلاقح نسله ؛ على ما حكينا من شأن الورشان والرَّاعي^(١) . وهؤلاء
وما أشبههم يُفسدون العلم ، ويتَّهمون الكتَّاب ، وتغرُّهم كثرةُ أتباعهم ممَّن
تجدُّه مستهتراً بسماع الغريب ، ومُغرماً بالطرائف والبدائع . ولو أعطوا مع
هذا الاستهتار^(٢) نصيباً من التثبُّتِ ، وحظاً من التوقى ؛ لسَلِمَتِ الكتَّابُ
من كثير من الفساد .

(النتاج المركب في الطيور)

وأنا رأيتُ طائراً له صوتٌ غير حسن ؛ فقال لى صاحب الطيور : إنَّه
من نتاج ما بين القمريِّ^(٣) والفاخنة^(٤) .
وقنَّاص الطيرِ ، ومن يأتي كلَّ أوقه^(٥) وغيضةٍ في التماس الصيد ؛
يزعمون أنَّ أجناساً من الطير الأوابد والقواطعِ ، تلتقى على المياه فتتسافد ؛
وأنَّهم لا يزالون يرون أشكالا لم يروها قطُّ ؛ فيقدِّرون أنَّها من تلاقح
تلك المختلفة .

(١) ط ، ل : « الورداني والزراغبي » وهو تحريف صوابه ما كتبت كما في ص ١٣٧ من
هذا الجزء .

(٢) ط : « ولو أعطوا بدلا من هذا الاستهتار » .

(٣) ابن سيده : « القمري : طائر صغير من الحمام » .

(٤) الديميري : « الفاخنة : واحدة الفواخت من ذوات الأطواق » . ابن سيده : « ضرب من
الحمام المطوق ، واشتقاق الفاخنة من الفخت وهو القمر أول ما يبدو للونها » .

(٥) ط : « أودية » وهو تحريف صوابه في ل . والأوقه بالضم : محضن الطير على
رموس الجبال .

(زعم بمض الأعراب في الحرباء)

وقال أبو زيد النحوي ، وذكر عمن لقي من الأعراب أنهم زعموا
أن ذكر أم حُبَيْن هو الحرباء . قال : وسمعت أعرابياً من قيس يقول لأم
حُبَيْن حُبَيْنة ، والحُبَيْنة هو اسمها . قال : وقيس تسمى ذكر العظاءة العَضْر فوط .
وقال يحيى الأغر : سمعت أعرابياً يقول : لا خيرَ في العظاءة ، وإن
كان ضباً مَكُوناً . قال : فإذا سأمُ أبرص ، والورل ، والوحر ، والضبُّ
والحلكاء ، كلها عنده عظاءة .

(ولد الثعلب من الهرة الوحشية)

وزعم يحيى بن نُجَيْم^(١) أن الثعلب يسفد الهرة الوحشية ، فيخرج
بينهما ولدٌ . وأنشد قول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

٦٦ أبوك أبوك وأنتَ أبنُه فبئسَ البنيُّ وبئسَ الأبُ
وأملكَ سوداءُ نوبيَّةُ كأنَّ أناملها العنظب^(٢)
بيتُ أبوكَ بها مُغْدفاً^(٣) كما ساورَ الهرةَ الثعلبُ

(١) ط و س : « علم » .

(٢) العنظب : الذكر من الجراد . ويروى « الحنظب » كما في الديميرى ٢ : ٣٩٦
والديوان ٦١ . والحنظب : الذكر من الجراد ، أو الخنفساء ، أو ضرب آخر من الخلق
المركب . وفي الأصول « سوداء ما دونه » وتصحيحه من الديميرى والديوان .

(٣) ج : « مغدقا » وفي الديميرى : « سافدا » وصواب أولاهما بالفاء كما أثبت فتكون
بذلك مساوية للثانية في المعنى . وفي ط : « معرسا » كما في الديوان ، أى سافدا .

وأشده أبو عبيدة قولَ عبد الرحمن بن الحكم :

ألا أبلغُ معاويةَ بنَ حربٍ مُغالَلةً عن الرجلِ اليماني
أتغضبُ أن يُقالَ أبوك عَفٌّ وترضى أن يُقالَ أبوك زَانِي
فأشهد أن رَحِمَكَ مِن قُرَيْشٍ كَرِحَمِ الْفِيلِ مِن وَلَدِ الْأَثَانِ (١)

قال كيسان : ولأى شئ قال :

كرحم الفيل من ولد الأثان

إنما كان ينبغي أن يقول : كرحم الفيل من الخنزير . قال أبو عبيدة :
أراد هو التباعد بعينه ، وأنت تريد ما هو أقرب .

(زعم بعض المفسرين والأخباريين في حيوان سفينة نوح)

وزعم بعض المفسرين وأصحاب الأخبار ، أن أهل سفينة نوح كانوا
تأذوا بالفأر ، فعطس الأسد عطسة فرمى من منخره بزوج سنانير ؛
فلذلك السنور أشبه شئ بالأسد . وسأل الفيل زوج خنازير ؛ فلذلك
الخنزير أشبه شئ بالفيل . قال كيسان : فينبغي أن يكون ذلك السنور
آدم السنانير ، وتلك السنورة حواءها . [قال أبو عبيدة لكيسان : أولم تعلم
أنت أن لكل جنس من الحيوان آدم وحواء ؟ !] وضحك [فضحك] القوم .

(١) في ط « فأشهد أن آلك » و « آلك » محرف « إلك » ، والرواية المشهورة : « من زياد »
وأثبت ما في ل ... والأبيات في الحيوان ٧ : ٧٣ والخزانة ٢ : ٥١٨ بولاق منسوبة
كذلك إلى عبد الرحمن بن الحكم أخى مروان بن الحكم . وهى في الشعراء لابن قتيبة
٧٩ والموشح ٢٧٣ منسوبة إلى يزيد بن مفرغ . وفي الأغاني ١٢ : ٧١ : « والناس
ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه لزياد . وذلك غلط » .

(شره سعد القرقرة)

ولما رأى أبو قردودة سعد القرقرة ، أكل عند النعمان مسلوخاً
بعظامه قال :

بين النعام وبين الكلب منبته وفي الذئب له ظئر وأحوال^(١)
يقول : إن سعداً ضرب في أعراقه نجر النعام^(٢) الذي يلتهم الجمر ، ويلتقم الحجارة ،
فيطفيء الجمر ويميع الصخر^(٣) ، وضرب في أعراقه [نجر^(٤)] الكلب الذي
يرض كل عظم ، ولا يقبض عليه بكفه إلا هو واثق بفتته ، ولا يسيغه
إلا وهو على ثقة من استمرائه^(٥) . فأما الذئب فإنه لا يروم بفكيه شيئاً
إلا ابتلعه بغير معاناة ، عظماً كان أو غيره ، مصمتاً كان أو أجوف .
ولذلك قال الراجز^(٦) :

أطلس يخفي شخصه غبارُه في فيه شفرته وناره
فأبو قردودة لم يرد أن الذئب والكلب خالاه ، وأن النعام نجده ، وإنما
قال ذلك على المثل والتشبيه . ولم يرد أن له ظئراً من الكلاب ، وخالا من
الذئب . وشبيه ذلك^(٧) قول أمير المؤمنين المأثور لبعض الناس : يا نطفَ ٦٨

-
- (١) ط : « وفي الذئب ظئرات وأحوال » .
(٢) في الأصول : « نجل » باللام ، وإنما هو « نجر » بالراء بمعنى الطبع .
(٣) ط : « يميع » وإنما هي « يميع » بمعنى يسيل كما في ل .
(٤) زيادة يفتقر إليها الكلام .
(٥) في ل زيادة بعد هذا الكلام لم أر إثباتها في الصلب لانهامها وهي : « ما كان
يمكنه أن يأكل في مقعد ما أكل » .
(٦) البيتانه في البيان ١ : ١١٤ مضافاً إليهما بيتان آخران هما :
هو الحبيث عينه فراره بهم بنى محارب مزداره
وقد تكلم كثير من العلماء في هذا الشعر . انظر الأملى (٣ : ١٢٩) والسكامل ٢٠٨
والعمدة (١ : ١٦٨) وديوان المعاني (٢ : ١٣٤) .
(٧) في الأصل : « وليس ذلك على » وهو تحريف .

الخمّارين^(١) ، ونزاع الطّؤورة ، وأشباه الخؤولة .
وعلى شبيهه بذلك قال سلم بن قتيبة^(٢) لبعض من ذكره ، وهو عند
سليمان بن عليّ : أيها الأمير : إنّ آل فلان أعلاجُ خلقِ الله وأوباشه ، لثامٌ غدِر ،
شرّ ابون بأنقع^(٣) . ثمّ هذا بعدُ في نفسه ، نُطفةُ خمّار في رَحِمِ صِنّاجة .

(زواج الأجناس المتباينة من الناس)

وقال لي أبو إسحاق : قال لي أبو العباس - وأبو العباس هذا كان خنّ
إبراهيمَ على أخته . وكان رجلاً يدين بالنجوم . ولا يقرُّ بشيءٍ من الحوادث
إلاّ بما يجرى على الطباع . قال أبو إسحاق : وقال لي مرّة : أتعرفُ موضعَ
الحظوةِ من خلوةِ النساءِ ؟ . قلتُ : لا واللهِ لا أعرفه . قال : بل أعلمُ أن لا يكونُ
الحظُّ إلاّ في نِتاجِ شيكابين متباينين . فالتتاؤهما هو الإكسير المؤدّي إلى
الخلاص : وهو أن تُزوّج بينَ هنديةٍ وخراسانيٍّ . فإنها لا تلد إلاّ الذهبَ
الإبريز . ولكن احرس ولدها : إن كان الولدُ أنثى فاحذر عليها من
شدّة لواطِ رجالِ خراسانَ وزنائه نساءِ الهند . واعلمُ أن شهوتها للرجال على
قدرِ حظوتها عندهم . واعلمُ أنّها ستسحق النساءَ على أعراقِ الخراسانيّة .
وتزني بالرجال على أعراقِ الهند ، واعلمُ أنّه ممّا يزيد في زناها ومساحتها
معرفةُها بالحظوةِ عند الزناة ، وبالحظِّ عند السحاقيات^(٤) .

(١) في الأصول « الخمار » والوجه الجمع .

(٢) ط : « سلام بن قتيبة » وإنما هو « سلم » كما في ل . . وله أخبار في الأغاني .

(٣) ط : « شرابون ما نقع لهم » والصواب ما في ل . والكلام مثل . والنقع بالفتح

الماء المستنقع ، جمعه أنتع ، فيقال في المثل : إنه لشراب بأنقع . يضرب لمن جرب

الأمور أو للدهي المنكر ، لأنّ الدليل إذا عرف القلوات حذق سلوك الطروق

إلى الأنتع .

(٤) ل : « عند النساء . . »

(مما زعموا في الخلق المركب)

وقالوا في الخلق المركب ضروباً^(١) من الحق والباطل ، ومن الصدق والكذب . فمن الباطل زعمهم أن الشبوط ولد الزجر^(٢) من البني ، وأن الشبوط لا يخلق من الشبوط ، وأنه كالبلغل^(٣) في تركيبه وإنساله . ورووا ذلك عن أبي وائلة إياس بن معاوية [بن قرّة] .

وزعموا أن أم جعفر بنت جعفر بن المنصور ، حصرت^(٤) في حوض لها ضخمة أو بركة كبيرة عدداً كثيراً من الزجر والبني ، وأنها لم تخلط بهما غيرهما ، فمات أكثره وبقيت بقية كانت الصميم في القوة ، وفي احتمال تغير المكان فلم تحمل البيض حياً ، ثم إنهم^(٥) حملت بالشبايط .

(مطر الضفادع والشبايط)

وزعم حريث أنه كان بأيدج^(٦) ، فإذا سحابة [دهماء] طخياء^(٧) تكاد تمس الأرض ، وتكاد تمس قم رؤوسهم ، وأنهم سمعوا فيها كأصوات الجانيق^(٨) ، وكهدير الفحول في الأشوال ؛ ثم إنهم دفعت بأشد مطر رومي أو سُمع به ، حتى استسلموا للغرق ؛ ثم آندفعت بالضفادع العظام^(٩) ، ثم

(١) الأبروزيانا : « بضروب » .

(٢) ط : « الزجر » بالحاء وإنما هو الزجر كما في ل . قال الفيروزبادي : سمك عظام .

(٣) ما عدا الأبروزيانا : « وتركيبه » .

(٤) ط : « حضرت » .

(٥) ط : « فلم تحمل البيض خائماً وإنما » وتصحيحه من ل .

(٦) في القاموس « أيدج كأحد بلدة من كور الأهواز ، وقرية بسمرقند » .

(٧) ط : « ضحياء » وصوابه ما في ل . والطحياء : الشديدة السواد .

(٨) ل : « الجانيق » وهي جمع مجش أو مجشة ، وهي الرحي .

(٩) انظر الاستدراكات .

أندفعت بالشبايط السَّمان الحِدال^(١) فطبخوا واشتَووا ، ومَذحوا وادَّخروا .

(غرور أبي وائلة والخليل بن أحمد)

وروا عن أبي وائلة أنه زعم أن من الدليل على أن الشَّبوط كالبلغل ،
أنَّ الناسَ لم يجدوا في طولِ ما أكلوا الشبايطَ في جوفِها بيضاً قطُّ . فإن كان ٦٩
هذا الخبرُ عن هذا الرجلِ المذكورِ بشدَّةِ العقلِ : المنعوتِ بثُقوبِ الفِراسةِ
ودِقَّةِ الفِطنةِ صحيحاً ، فما أعظَمَ المصيبةَ علينا فيه ، وما أخلقَ الخبرَ أن
يكونَ صحيحاً ؛ وذلكَ أنِّي سمعتُ له كلاماً كثيراً من تصنيفِ الحيوانِ
وأقسامِ الأجناسِ ، يدلُّ على أنَّ الرجلَ حينَ أحسنَ في أشياءٍ وهمه العُجبُ
بنفسِهِ أنه لا يروم شيئاً فيمتنعُ عليه ، وغرَّه من نفسه الذي غرَّ الخليل
ابنَ أحمدَ ، حينَ أحسنَ في النحرِ والعروضِ ، فظنَّ أنَّه يُحسنُ الكلامَ
وتأليفَ اللُّحونِ ، فسكتبَ فيهما كتابينِ لا يُشيرُ بهما ولا يُبدلُ عليهما إلا
المِرَّةَ المحترِقةَ ، ولا يودِّي إلى مثلِ ذلكِ إلا خِذلانٌ من الله تعالى ؛ فإنَّ
اللهَ عزَّ وجلَّ لا يُعجزه شيءٌ .

(بيض الشبوط وتناسله)

والشَّبوطُ — حفظك الله تعالى — جنسٌ كثيرُ الذكورِ قليلُ الإناثِ ، فلا
يكونُ إناثه أيضاً يجمعُ البيضَ ، وإذا جمعنَ فلو جمعتَ بيضَ عشرٍ منهنَّ

(١) ط : « الخزال » والصواب « الحِدال » كما في ل . والحِدال : جمع خدلة ، وهي
المتلكة الأضواء لها في رقة عظام .

لَمَّا كَانَ كَشَطْرَ بَيْضِ بُنْيَةٍ وَاحِدَةٍ . وَقَدْ رَأَيْتُ بَيْضَ (١) الشَّبُوطِ وَذَقْتُهُ
لِلتَّعَرُّفِ فَوَجَدْتُهُ غَيْرَ طَائِلٍ ، وَلَا مُعْجَبٍ . وَكُلُّ صَيَّادٍ تَسْأَلُهُ فَهُوَ يُذَبِّكُ
أَنْ لَهُ بَيْضًا ، وَاسْكَنَهُ إِذَا كَانَ يَكُونُ ضَيْلًا قَلِيلًا ، لِأَنَّ الشَّبَابِيظَ فِي أَصْلِ
الْعَدَدِ مِنْ أَقْلٍ السَّمَكِ ، وَكَذَلِكَ الْجِنْسُ مِنْهُ إِذَا كَانَتْ الْأُنْثَى مِنْهُ مِذْكَارًا .

(موطن الشبوط)

عَلَى أَنَّهُ رُبَّ نَهْرٍ يَكُونُ أَكْثَرُ سَمَكِهِ الشَّبُوطِ ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ ، كَنَهْرِ
رَامَهْرَمَزٍ . وَالشَّبُوطُ لَا يَتَرَبَّى فِي الْبَحَارِ ، وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا فِي الْأَوْدِيَةِ
وَالْأَنْهَارِ ، وَيَكْرَهُ الْمَاءَ الْمَلْحَ وَيَطْلُبُ الْأَعْدَبَ فَالْأَعْدَبُ ؛ وَيَكُونُ فِي الْمَاءِ
الْجَارِي ، وَلَا يَكُونُ فِي السَّاكِنِ . وَسَنَذَكُرُ شَأْنَهُ فِي مَرَضِعِهِ مِنْ هَذَا
الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(رد على ما زعموا في الزرافة)

وَلَمْ يَصِبْ أَبُو وَائِلَةَ ، وَكَذَبُوا عَلَى أُمِّ جَعْفَرٍ . فَيَاذَا (٢) قَالُوا فِي الزَّرَافَةِ
مَا قَالُوا (٣) فَلَا تَأْمَنُّهُمْ عَلَى مَا هُوَ دُونَهُ . وَإِنْ كَانَ مَنْ كَذَبَ عَلَى الْمَوْتَى
وَأَسْتَشْهَدَ الْغَيْبَ أَحَدًا ، فَصَاحِبُ الزَّرَافَةِ قَدْ اسْتَعْمَلَ بَعْضَ هَذِهِ الْحِيلَةِ .
وَصَاحِبُ الشَّبُوطِ يَكْذِبُ عَلَى الْأَحْيَاءِ ، وَيَسْتَشْهَدُ الْحُضُورَ . وَإِنْ كَانَ
الَّذِي دَعَا إِلَى الْقَوْلِ فِي الزَّرَافَةِ أَنَّهُمْ جَعَلُوا تَرْكِيبَ اسْمِهِ دَلِيلًا عَلَى تَرْكِيبِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَقَدْ » وَالْوَجْهُ مَا ثَبَتَ . مَا عَدَلَ « بَعْضٌ » .

(٢) ل : « وَإِذَا » .

(٣) انظر ص ١٤٢ .

أخلق . فالجاموس بالفارسية كاوماش . وتأويله ضأني بقري ؛ لأنهم وجدوا فيه مشابهة الكبش وكثيراً من مشابهة الثور ؛ وليس أن الكباش ضربت في البقر فجاءت بالجواميس .

(رأى للفرس في تقسيم الحيوان)

وزعم الفرس أن الحيوان كله الذي يلد حيواناً مثله مما يمشى على ٧٠ أربع قوائم ، لا تخلو أجناسها من المعز والضأن ، والجواميس عندهم ضأن البقر ، والبُخْت عندهم ضأن الإبل ، والبراذين عندهم ضأن الخيل .

(زعم في الإبل)

والناس يقولون في الإبل أقاويلٌ عجيبةٌ : فمنهم من يزعم أن فيها عرقاً من سِفاد الجن ، وذهبوا إلى الحديث : أنهم إنما كرهوا الصلاة في أعطان الإبل لأنها خُلقت من أعنان الشياطين^(١) فجعلوا المثلَ والمجاز على غير جهته . وقال ابن ميادة :

فلما أتاني ما تقول مُحاربٌ تغنّت شياطين وجنّ جنونها

(١) ط : « أعناق » وهو تحريف صوابه في ل واللسان وابن الأثير . ذكر ابن منظور أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الإبل فقال : « أعنان الشياطين لا تقبل إلا مولية ولا تدبر إلا مولية » . قال ابن منظور : فإنه أراد أنها على أخلاق الشياطين ، وحقيقة الأعنان النواحي . قال ابن الأثير : كأنه قال كأنها لكثرة آفاتها من نواحي الشيطان في أخلاقها وطبائعها . وفي حديث آخر : « لاتصلوا في أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين » .

قال الأصمعي : المأثور من السيوف الذي يقال : إنَّ الجنَّ عملته .
وهم يسمُّون الكِبر والحُنزُوانةَ والنَّعرة التي تضاف إلى أنف المتكبر
شيطاناً ، قال عمر : حتى أنزعَ شيطانَه ، كما قال : حتى أنزع النَّعرة التي في
أنفه^(١) . ويسمُّون الحيةَ إذا كانت داهية منها شيطاناً ، وهو قولهم : شيطان
الحمَّاطة^(٢) . قال الشاعر :

تعالج مثنى حَضْرَمِيٍّ كأنه تَعَمُّجُ شَيْطَانٍ بَدَى خِرْوَعٍ قَفَرٍ^(٣)
شبه الزَّمَامَ بالحية . وعلى مثل ذلك قال الشاعر :

شناحية فيها شناع كأنها حباب بكف الشاؤ من أسطع حشر^(٤)
والحباب : الحية الذكر ، وكذلك الأيم^(٥) . وقد نهي عن الصلاة عند
غيوبة الشمس ، وعند طلوع القرص إلى أن يتتام ذلك . وفي الحديث :
« إنها تطلع بين قرني شيطان » .

(ضرورة حذف اللغة للعالم والمتكلم)

فللعرب أمثالٌ واشتقاقاتٌ وأبنيةٌ ، وموضعٌ كلامٌ يدلُّ عندهم على

(١) ابن الأثير : النعرة بالتحريك : ذباب أزرق له إبرة يلسع بها ويتولع بالبعير ويدخل
أنفه فيركب رأسه . سميت بذلك لنعيرها . ثم استعيرت للنخوة والكبر . وصاحب
القاموس يضبط الكلمة إذا كانت بمعنى الكبر كهمزة وبالتحريك ، وإذا كانت
بمعنى الذباب كهمزة فقط .

(٢) الحمَّاطة : شجر شبيه بالتين أحب شجر إلى الحيات ، أو التين الجبلي أو الأسود الصغير
أو الجديز . عن القاموس .

(٣) ط : « تعالج متنا » والصواب ما أثبت من ل ومن المخصص ولسان العرب (شطن) .
ونسبه الجاحظ في ٤ : ١٣٣ إلى طرفة .

(٤) الشناحية : الطويلة . وفي ل : « أسطح جمر » ولعل في البيت تحريفها .

(٥) الأيم ككيس والإيم بالكسر : الحية الأبيض اللطيف ، أو عام ، جمه أيوم . وانظر
معجم المعلوف ٢٦٩ .

معانيهم وإرادتهم ، ولتلك الألفاظ مواضعٌ أُخِرُ ، ولها حينئذٍ دلالاتٌ أُخِرُ ؛
فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة ، والشاهد والمثل ؛ فإذا نظر في
الكلام وفي ضروب من العلم ، وليس هو من أهل هذا الشأن ،
هلك وأهلك .

(الإبل الوحشية)

وزعم ناسٌ أن من الإبل وحشيًّا وكذلك الخيل ، وقاسوا ذلك على
الحمير والسنانير والحمام وغير ذلك^(١) ، فزعموا أن تلك الإبل تسكن أرض
وبَارٍ ؛ لأنها غير مسكونة ، ولأن الحيوان كلما اشتدت وحشيتته كان
للخلاء أطلب . قالوا : وربما خرج الجمل منها لبعض ما يعرض ، فيضرب
في أدنى هجمة من الإبل الأهلية . قالوا : فالمهريّة من ذلك النتاج .

وقال آخرون : هذه الإبل الوحشيّة هي الحُوش ، وهي التي من بقايا إبل
وبَارٍ ، فلما أهلكهم الله تعالى كما أهلك الأمم مثل عادٍ وثمودَ والعمالقَةَ وطَسَمِ
وجَدِيسَ وجاسم ، بقيت إبلهم في أماكنهم التي لا يَطُورها إنسي^(٢) فإن
سقط إلى تلك الجزيرة بعض الخلاء^(٣) ، أو بعض من أضلَّ الطريق حثت^(٤)

(١) ط : « وقاسوا ذلك على الحمير والسنانير وما سوى ذلك من الحمير والسنانير والحمام
وغير ذلك » . وفي ل : « وقاسوا ذلك على الحمير ، والسنانير وغير ذلك » . وقد
سردت القول كما ترى .

(٢) كذا في ل . وطار المكان يطوره طوراً وطوراناً : حام حوله . وفي ط :
« لا يطردها أحد » . قال في القاموس : « وطردهم : أتيتهم وجزتهم » فالعبارتان
سليمتان .

(٣) ط : « الجزيرة » موضع « الجزيرة » و « الخلاء » موضع « الخلاء » . وما في ط :
تصحيف . والجزيرة : الناحية .

(٤) ط : « حثا » .

الجنُّ في وجهه ؛ فَإِنَّ أَلْحَّ خَبَلْتَهُ ؛ فَضَرَبَتْ هَذِهِ الْحَوْشُ (١) فِي الْعُمَانِيَّةِ ؛
فَجَاءَتْ هَذِهِ الْمَهْرِيَّةُ ؛ وَهَذِهِ الْعَسْجِدِيَّةُ الَّتِي تَسْمَى الذَّهْبِيَّةَ .

وَأُنْشَدَنِي سَعْدَانُ الْمَكْفُوفُ (٢) عَنْ أَبِي الْعَمِيثِلِ قَوْلَ الرَّاجِزِ (٣) :

مَا ذَمَّ إِبْلِيَّ عَجَمٌ وَلَا عَرَبٌ جُلُودُهَا مِثْلُ طَوَاوَيْسِ الذَّهَبِ
وَقَالَ الْآخِرُ (٤) :

إِذَا اصْطَبَكْتُ بِضِيقِ حَجْرَتَاهَا تَلَاقَى الْعَسْجِدِيَّةُ وَاللَّطِيمُ
وَالْعَسْجِدُ مِنْ أَسْمَاءِ الذَّهَبِ .

قَالُوا : وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ صَاحِبَةُ يَزِيدِ بْنِ الطَّائِرِيَّةِ حُوشِيَّةً عَلَى هَذَا الْمَعْنَى (٥)

وَقَالَ رُوْبِيَّةُ :

جَرَتْ رِحَانًا مِنْ بِلَادِ الْحَوْشِ (٦)

(١) ط : « الوحوش » .

(٢) ط : « وَأُنْشَدَ ابْنَ سَعْدَانَ الْمَكْفُوفَ » وَكُتِبَتْ مَائِي ل و س . . . وَسَعْدَانُ هَذَا هُوَ ابْنُ الْمُبَارَكِ أَبُو عَثْمَانَ الضَّرِيرِ النَّحْوِيُّ . لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي الْبَغِيَّةِ لِلْسَيُوطِيِّ ٤ : ٢ وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ٤٧٨١ ، وَنَزْهَةُ الْأَلْبَاءِ ٢٠٦ ، وَهَمْ يَذَكُرُونَهُ فِي رِوَاةِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَيَقُولُونَ : إِنَّهُ رَوَى عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ . وَأَمَّا ابْنُ سَعْدَانَ ، فَهُوَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدَانَ الضَّرِيرِ النَّحْوِيُّ ، كَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْقُرَّاءِ وَلَهُ كِتَابٌ مَعْصُفٌ فِي النَّحْوِ ، وَتَوُوُّو سَنَةَ ٤٣١ ، وَلَهُ تَرْجُمَةٌ فِي الْبَغِيَّةِ ٤٥ ، وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ٢٨٤٦ ، وَالنَّزْهَةُ ٢١٢ وَرِوَايَةُ الْجَاهِظِ عَنْ كُلِّ مِنْهُمَا مَحْتَمَلَةٌ .

(٣) ل : « عَنْ أَبِي الْعَمِيثِلِ الرَّاجِزِ » وَلَمْ يَنْعَتَهُ وَاحِدٌ مِنْ تَرْجُمَاتِهِ لِهَذَا الْوَصْفِ أَنْظَرَ فَهْرَسُ ابْنِ النَّدِيمِ ٤٨ لَيْبَسُكَ وَ ٧٢ مِصْرُ وَابْنُ خَلِّكَانَ ١ : ٢٦٢ وَمَعْجَمُ الزَّرْكَانِيِّ ٢ : ٥٥٥ . وَأَبُو الْعَمِيثِلِ هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ خَلِيدِ الْأَعْرَابِيِّ الشَّاعِرِ ، وَتَوُوُّو سَنَةَ ٢٤٠ .

(٤) هُوَ عَاهَدَانُ بْنُ كَعْبٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَعْدَانَ كَمَا فِي اللِّسَانِ (لَطَمٌ) قَالَ : الْعَسْجِدِيَّةُ إِذَا مَنَسُوبَةٌ إِلَى سُوْقٍ يَكُونُ فِيهَا الْعَسْجِدُ ، وَقَالَ ابْنُ بَرِيٍّ : الْعَسْجِدِيَّةُ الَّتِي تَحْمِلُ الذَّهَبَ وَقَالَ : اللَّطِيمُ جَمْعُ لَطِيمَةٍ وَهِيَ الْعَيْرُ الَّتِي تَحْمِلُ الْمَسْكَ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « عَلَى الْمَعْنَى هَذَا » .

(٦) كَذَا فِي س و ل وَهُوَ الصَّوَابُ . وَالرَّحَى : جَمَاعَةُ الْإِبِلِ . وَفِي ط وَالنَّحْوِ ٢ : ٢٠٥ « رَجَالًا » . وَرِوَايَةُ اللِّسَانِ : إِلَيْكَ سَارَتْ مِنْ بِلَادِ الْحَوْشِ

(رد على ما زعموا من مطر الضفادع والشبائيط)

وأما الذى زعم أنهم مُطِرُوا الشَّبُوطَ ، فإنه لما ظنَّ أنَّ الضفادعَ التى تُصَابُ بِعَقَبِ المَطَرِ ؛ بحيثُ لا ماءٌ ولا وحلٌّ ولا عينٌ ولا شريعةٌ - فإنهم ربَّما رأوها وسطَ الدَّوِّ والدَّهْناءِ والصَّمَانِ^(١) - ولم يشكَّ أنَّها كانت فى السحابِ وعلم أنَّها تكونُ فى الأنهارِ ومنابعِ المياهِ ، وليس ذلك من الذكرِ والآثى ؛ قاسَ على ذلك الظنَّ السمكُ ؛ ثم جسرَ فجعلَ السمكَ شَبُوطاً . وتلك الضفادعُ إنما هى شىءٌ يُخلَقُ تلك الساعةُ ، من طباعِ الماءِ والهواءِ والزمانِ وتلك التُّربةُ ؛ على مقاديرَ ومقابلاتِ ، وعلى ما أجرى الله تعالى عليه نشأةَ الخلقِ .

(امتناع التلاقح بين بعض الأجناس المتقاربة)

وقد تُعرف القِرابَةُ التى تكونُ فى رأى العينِ بين الشكليينِ من الحيوانِ فلا يكونُ بينهما تسافُدٌ ولا تلاقُحٌ ؛ كالضأنِ والمعزِ ، وكالفأرِ والجُرذَانِ ، فليس بالعجَبِ فى البقرِ والجواميسِ أن تكونَ كذلك . وقد رأينا الخِلاسىَّ من الدجاجِ والدِّيكةِ ؛ وهو الذى تخلَّقُ من بين المولِّداتِ والهنديَّاتِ ؛ وهى تحملُ اللحمَ والشحمَ .

وزعم لى مسعود بن عثمان : أنه أهدى إلى عمرو بن مسعدة ؛ دجاجةً ووَزَنَ فيها سبعةَ عشرَ رطلاً بعد طرحِ الأسقاطِ وإخراجِ الحشوةِ .

(١) ط : « اللور » موضع « الدو » « السنان » موضع « الصمان » والصواب ما كتبت من ل . والنور : الفلاة . والدهناء : النلاة أيضا . والصمان : كل أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل .

(أثر زواج الأجناس المتباينة من الناس)

ورأينا الخلاسى من الناس ، وهو الذى يتخلق بين الحبشى والبيضاء ،
والعادة من هذا التركيب أنه يخرج أعظم من أبويه وأقوى من أصليه ومثمره .
ورأينا البيسرى^(١) من الناس ، وهو الذى يُخلق من بين البيض والهند ؛
لا يخرج ذلك النتاج على مقدار ضخم الأبوين وقوتهما ، ولكنه يجىء أحسن
وأملح . وهم يسمون^(٢) الماء إذا خالطته الملوحة بيسراً^(٣) قياساً على هذا ٧٢
التركيب الذى حكينا عن البيض والهنديّات . ورأينا الخلاسى من الكلاب ؛
وهو الذى يُخلق بين السلوقى و كلب الراعى ؛ ولا يكون ذلك من الزئنى
والقلطى^(٤) ، ومن كلاب الدّور والحراس . وسنقول فى السّمع^(٥) والعسبار ؛
وفى غيرهما من الخلق المركّب إن شاء الله تعالى .

(أطول الناس أعماراً)

وذكروا أنّهم وجدوا أطول أعمار الناس فى ثلاثة مواضع : أولها
سرّوحمير ، ثم فرغانة ، ثم اليمامة ، وإنّ فى الأعراب لأعماراً أطول ، على أنّ
لهم فى ذلك كذباً كثيراً ، والهند تُزرى^(٦) عليهم فى هذا المعنى . هكذا يقول
علماء العرب .

(١) البياسرة : جيل بالسند تستأجرهم النواخذة لمحاربة العدو ، والواحد بيسرى .

(٢) ط : « يسمونه » .

(٣) كذا فى ل ، ولعل صوابه « بيسريا » وفى ط : « يسرا » .

(٤) للزئنى : القصير القوائم ، وقد تحدث عنه الجاحظ فى الحيوان ٢ : ١٧٩ . والقلطى :
القصير جداً .

(٥) ط : « السملع » وهو تحريف ما فى ل .

(٦) ط : « تزرى » .

(أثر النبيذ في عمر الإنسان)

وكان عَمَانُ ماشٍ ويزال وجدعان^(١) ، يذكرون أنهم عدُّوا أربعين فتىً من فتیانِ قريشٍ وثقيفٍ أعمارَ عامٍ واحدٍ فأحصوا عشرينَ من قريشٍ ، وعشرينَ من ثقيفٍ ، وتوخَّوا المتجاوزين في المحلَّةِ والمتقاربين في الدُّورِ من الموقِّرين على النبيذِ ، والمقصورين على التناؤمِ ، وأنهم أحصوا مثلَ ذلك العددِ وأشباهَ أولئك في السنِّ ممن لا يذوق النبيذَ ولا يعرفُ شراباً إلا الماءَ ، فذكروا أنَّهم وجدوا بعدَ مرورِ دهرٍ عامَّةٍ من كان يشربُ النبيذَ حياً ، ومن لا يشربه قد مات عامتهم ، وكانوا قد بلغوا في السنِّ . أما عَمَانُ ويزال^(٢) فكانا من المعمرين ، وقد رأيتهما جميعاً ولم أسمع هذا منهما ، وسنأتى على هذا البابِ في موضعه من ذكرِ المعمرين ، ونمِّز الصدقَ فيه من الكذبِ ، وما يجوز وما لا يجوز إن شاء الله تعالى .

(بعض ما يعرض للخصيان)

وما أكثر ما يعرض للخصيان البولُ في الفراش وغير ذلك ، ولا سيما إذا بات أحدُهم ممتلئاً من النبيذِ .

ويعرض لهم أيضاً حبُّ الشرابِ والإفراط في شهوته وشدة النَّهمِ . ويعرض لهم أيضاً إيثارُ المخفِّسِ^(٣) وحبُّ الصِّرفِ ، وذلك أيضاً

(١) ل : « وبذال وجدعان » .

(٢) ل : « وبذال » .

(٣) ط : « المحبس » وليس بشيء . وفي ل : « الخفِّس » وهما تحريف ما كتبت . والمخفِّس : الشراب السريع الإسكار .

تَمَا يَعْرِضُ لِلنِّسَاءِ ، وَالْإِفْرَاطِ فِي شَهَوَاتِهِنَّ وَشِدَّةِ الْهَمَّةِ كَهُنَّ وَالغَيْرَةِ عَلَيْهِنَّ .
وَيَحْتَلِمُونَ ، وَيَجْتَبُونَ وَيَغْتَسِلُونَ ، وَيُرُونَ الْمَاءَ غَيْرَ الرَّائِقِ وَلَا الْغَلِيظِ ، الَّذِي
لَهُ رِيحٌ طَلَعِ الْفُحَّالِ (١) .

ويعرض للخصى شدة الاستخفاف بمن لم يكن ذا سلطان عظيم
أو مال كثير أو جاه عريض ، حتى ربما كان عند مولاه بعض من عسى
أن يتقدم هؤلاء المذكورين الذين يكون الخصى كلفاً بهم وبتعظيمهم ،
ومغرمًا بخدمتهم ، في الأدب والحسب ، وفي بُعد الهمة وكرم الشيمة ،
٧٣ فيعمد عند دخول ذلك الرجل الذي له السلطان والجاه والمال إلى متسكياً
هذا الأديب الكريم ، والحسيب الشريف ، فيزعه من تحت مرفقه ،
غير محتفل بذلك ولا مكترث لما فيه ، ويضعه له من غير أن يكون موضع
المراقب بعيداً ، أو (٢) كان ذلك مما يفوت بعض الفوت ، ويفعل ذلك
وإن كان يعاشر هذا الأديب الكريم مولاه وهو على يقين أنه لا يرى ذلك
الموسر وصاحب الجاه أبداً (٣) .

(أقوال في منع خصاء الخليل وإباحته)

وقد حرّم بعضهم خصاء الخليل خاصّة ، وبعضهم زاد على ذلك حتى
حرّم خصاء البهائم . وقلّ بعضهم : إذا كان الخصاء إنما اجتلبه فاعله
أو تكلفه صاحبه على جهة التماس المنفعة ، أو على طريق التجارة ،

(١) ط : « النخل » .

(٢) ط : « إذا » .

(٣) ط : « وهو على يقين أنه ليس من حكم الخصاء أن يرى . . . الخ » وهذبت القول

فذلك جائز ، وسيله سبيل الميسم ، فإن الميسم نار ، وأله يجوز كل ألم .
وقد رأينا إبل الصدقة موسومة ، ووسمت العرب الخيل وجميع أصناف النعم
في الإسلام ، على مثل صنيعها في الجاهلية . وقد كانت القمصاء ناقة النبي
صلى الله عليه وسلم موسومة ، وكذلك العضباء .

(أقوال في وسم الحيوان)

وقال آخرون : الخصاء غير شبيه بالميسم ؛ لأن في الخصاء من شدة
الألم ، ومن المثلة ، ومن قطع النسل ، ومن إدخال النقص على الأعضاء ،
والنقص لمواد القوى ، ما ليس في الميسم وغيره ، وهو بقطع الألية أشبه ،
والسمة إنما هي لذعة ، والخصاء مجاوز لكل شديدة (١) .

قال القوم : ولا بأس بقطع الألية إذا منعت بثقلها أو عظمها الشاة
من اللحاق بالقطيع وخيف عليها من الذئب . وقطع الألية في جواز
العقول (٢) أشبه من الميسم ؛ لأن الميسم ليس للبعير فيه حظ ، وإنما الحظ
فيه لرب المال ، وقطع الألية من شكل الختان ، ومن شكل البط (٣)
والنمصد ، ومن جنس الوجور والبيطرة ، ومن جنس اللدود (٤) والحجامة ،
ومن جنس السكي عند الحاجة ، وقطع الجارحة إذا خيف عليها الأكلة .

(١) ط : « شلة » .

(٢) ط : « القول » .

(٣) البط : الجرح . والمبطة : المضع .

(٤) اللدود كصبور : ما يصب بالمسقط من اللوا في أحد شق الفم .

(وسم الأبل)

قال الأولون : بل (١) لعمرى إنَّ للابل في السمات لأعظم المنافع ؛
لأنها قد تشرب بِسماتها ولا تُذاد عن الحوض إكراماً لأربابها ؛ وقد تفضلُ
فتؤوى ؛ وتُصاب في الهواشات (٢) قترد .

قالوا : فإننا لانسألكم إلا عن سمات الخيل والبغال والحمير والغنم .
وبعد فكيف نستجيز أن نعمها بالإحراق بالنار ؛ لأمر عسى ألا يحتاج
إليه من ألفٍ بعيرٍ بعيرٍ واحد ؛ ثم عسى ألا يحتاج [من جميع] ذلك
في جميع عمره [إلا] إلى شربةٍ واحدة .

وقال القوم : إنَّما المياسم في النعم السائمة كالرقوم في ثياب البراز ؛
ومتى ارتفعت الرقوم ومُنعت المياسم ، اختلطت الأموال ، وإذا اختلطت
أمكن فيها الظلم ، والمظلوم باذلٌ نفسه دون المعيشة (٣) والهضيمة .

وقالوا : ليس قطعُ الألية كالمجثمة وكالشيء المصبور ، وقد مُهينا عن إحراق
الهوام ، وقيل لنا : لاتعدبوا بعذاب الله تعالى ، والميسم نار ، وقطعُ الألية
من شكل قطع العروق ، وصاحبُ المجثمة يقدر أن يرمى - إن كان به
تعلُّ الرماية - شيئاً لا يألم ولم يُنه عن تعذيبه ، فَمَا (٤) يردُّ الشيء المصبور
من العذاب مرّداً بوجه من الوجوه .

(١) ط : « قل » وهو تحريف ما في ل .

(٢) الهواشات بالضم : الجماعات من الناس والإبل .

(٣) كذا ولعلها « النكيثة » بمعنى الخطة الصعبة .

(٤) في الأصل : « فيما » .

(القول في نقص بعض أجزاء الحيوان أو نقضها أو إيلاها)

وقال آخرون : ليس لك أن تُحدِث في جميع الحيوانِ حدثاً من نقضٍ أو نقصٍ أو إيلامٍ ، لأنك لا تملك الذشأة^(١) ، ولا يمكنك التعويضُ له ؛ فإذا أذن لك مالك العين ، بل مخترعه ومنشئُ ذاته والقادر على تعويضه ، وهو الله عزَّ وجلَّ ، حلَّ لك من ذلك ما كان لا يحلُّ . وليس لك في حُجَّة العقل أن تصنعَ بها إلا ما كان به مصلحةٌ ، كعلاج الدَّبر^(٢) وكالبيطرة .

وقال آخرون : لنا أن نصنعَ كلَّ ما كان يُصنع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده ، ممَّا لم يكن مدفوعاً^(٣) عند بعضهم ، إلا أن يكون نهيُّ ذلك البعض من جماعتهم^(٤) ، في طريق الخلافِ والردِّ والمفارقة ولا يكون عندهم قولاً من الأقاويل ؛ فإنَّ ذلك في سبيل العلاج بعد أن كان المتكلفُ يَعْرِفُ وجهَ الملام . والمذهب في ذلك معروف^(٥) ، وإن كان خارجاً من ذلك الحدِّ ، فقد علمنا أنَّه أبيض من طريق التعبدِ والمحنة ، كما جعل الله تعالى لنا ما أحلَّ ذبحه من البهائم ، وكما جعل لنا أن نقتل القملَ والبراغيثَ والبعوضَ ، وإن لم يكن منها إلا مقدارُ الأذى فقط . والقتل لا يكون قصاصاً من الأذى ، ولكن لما أباح لنا خالقُ الشيء

(١) ل : « الشيء » .

(٢) ط : « كصلاح الدين » وهو تحريف عجيب صوابه في ل .

(٣) ط : « مدفوعاً » وتصحيحه من ل .

(٤) في الأصل : « عن جماعتهم » .

(٥) ل : « يعرف وجه العلاج فالمذهب ... الخ » .

والمقادرُ على تعويضه قتله ، كان قتله أسوغَ في العقل مع الأذى ، من ذبح
المهيمة مع السلامة من الأذى .

قال : وليس كل مؤذٍ ولا كل [ذى] أذى^(١) حكم الله تعالى فيه
بإباحة القتل ، والله عزَّ وجلَّ ، بمقادير الأمورِ وبحكم المختلفِ والمتَّفِقِ ،
والقليلِ من ذلك والكثير ، أحكم وأعلم .

وقد أمرَ الله تعالى إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام ، بذبح إسحاق
أو إسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، فأطاع الوالدُ وطوع الولد .

والجواب الماضي إنما هو^(٢) قول من قال بالتعويض ، [و] هو قول
المنظَّم . وأكثرُ المتكلمين يعترضون عليه فيه .

(منع خصاء الإنسان وإباحته)

ولا يزال - يرحمك الله تعالى - بعضُ الملحدِّين من المعاندين ، أو بعضُ
الموحدِّين من الأغبياء المنقوصين ، قد طعنَ في ملكِ الخصى وبيعه ٧٥
وابتباعه ، ويذكرون الخصى^(٣) الذى كان المقوقس عظيم القبط أهداه إلى
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، مع مارية القبطية أمَّ إبراهيم عليه السلام .
قالوا : فقد ملك عليه الصلاة والسلام خصياً بعد أن عرفه وأحاط علمه
بأنه خصى ، وأنتم تزعمون أن الحِصاءَ حرام ، وأن من اشترى من الخاصى
خصياً ثم زاد على قيمته وهو فحل ، فقد أعان على الحِصاءِ وحثَّ عليه ،
ورغَّب فيه ، وأنه من أفحش الظلم وأشدَّ القسوة ، وزعمتم أن من فعل ذلك

(١) ط : « وليس كل ضرر ولاكل أذى » .

(٢) ط : « على » موضع « إنما هو » .

(٣) ذكر في كتاب البغال ٣٥٦ أنه أخو مارية القبطية .

فهو شريكُ الخاصى فى الإثم ، وأنَّ حاله كحال المعروفين بالابتىاع من اللصوص . وقلتم : وكذلك من شهد القمار^(١) وهراش الكلاب ، ونطاح الكباش وقتال الديوك ، وأصحاب المآرحات^(٢) وجرب الفئتين الضالّتين . وقلتم : لأنَّ هذه المواضع لو لم تحضرها النظارَةُ لما عملوا تلك الأعمال ، ولو فعلوها ما بلغوا مقدار الشّطر ، لغلبة الرياء والسُّمعة على قلوبِ الناس ، فكذلك الخاصى ، والمشتري ، والمبتاع من المشتري ، شركاء متعاونون ، وخُلطاء مترادفون . وإذا كان المبتاع يزيد فى السلعة هذه العلة ، والبائع يزيد فى السّوم لهذا السبب ، وقد أقرتم بأنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قد قبِل له من المقوقس ، كما قبِل مارية ، واستخدمه ، وجرى عليه ملكه وأمره ، فافهم - فهّمك الله تعالى - ما أنا مجيبٌ به فى هذه المسألة . والله الموفق ، وعلى الله قصدُ السبيل .

أقول : قبل كلِّ شيء لا يخلو هذا الحديث الذى رويتموه من أن يكون مرضىَّ الإسناد ، صحيحَ المخرج ، أو يكون مسخوط الإسناد ، فاسدَ المخرج . فإن كان مسخوطاً ، فقد بطلت المسألة ، وإن كان مرضياً ، فقد علمنا أنّه ليس فى الحديث أنّه قبِله منه بعد أن علم أنّه خصىٌّ ، وعلى أن قبول الهدية خلافُ الابتىاع ؛ لأنَّ بائعَ الخصىِّ إنّما يحرم عليه التماسُ الزيادة ، وكذلك المبتاعُ إنّما يحرم عليه دفعُ الزيادة إذا كان لو سلم إليه بذلك الثمن فحلاً أجملَ منه وأشبَّ وأخدمَ منه لم يزدّه ، والبائع أيضاً لا يستام بالفحل سومه بالخصى . وقبول الهدية ، وقبول الهبة ، وسبيلُ البىع والابتىاع

(١) ل : « السعابين » .

(٢) ط : « المآرحات » .

لا بأس به إذا كان على ما وصفنا ؛ وإنما هديّة الخصى كهدية الثوب
والعطر ، والدابة والفاكهة . ولأنّ الخصى لا يحرم ملكه ولا استخدامه ،
بل لا يحلُّ طرده ونفيه ، وعتقه جائز ، وجواز العتق يوجب الملك . ولو باعه
المالك على غير طلب الزيادة ، أو لو تاب من الخصاص أو استحله مما أتى ٧٦
إليه ، كما حرم على الخاصي نفسه استخدامه . والخصيُّ مالٌ ومالك ،
واستخدامه حسنٌ جميل ؛ ولأنّ خصاءه إيّاه لا يعتقه عليه ، ولا يُزِيلُ
عنه ملكه إلا بمثل ما وجب به ملكه (١) .

وأخرى : أنّ في قبول هديّة ذلك الملك ، وتلقّي كرامته بالإكرام
تدبيراً وحكمة . فقد بطلت المسألة ، والحمد لله كما هو أهله .

وقد روي مع ذلك أيضا : أنّ زنباعاً الجذامي ، خصي عبداً له ، وأنّ
النبي صلى الله عليه وسلم أعتقه عليه فيما بلغنا . والله أعلم .

وربّما سألوا عن الشيء وليس القول فيه يقع في نسق القول
في الخصى ، وفي الخلق المركّب ، ولكن إذ قد أجبتنا في مسألة كلاميّة من
مسائل الطعن في النبوة ، فلا بأس أن نُضيف إليها أخرى ، ولا سيما إذا
لم تطل فتزيد في طول الكتاب .

وقد لا يزال الطاعن يقول : قد علمنا أنّ العرب لم يسموا حروب أيام
الفجار بالفجور (٢) وقريش خاصّة ، إلا أنّ القتال في البلد الحرام ، في الشهر
الحرام كان عندهم فجورا ، وتلك حروبٌ قد شهدها النبيُّ صلى الله عليه وسلم

(١) ل : « إلا مثل ما يوجب له به ملكه » .

(٢) ط : « بالعجور » .

وعلى آله ، وهو ابن أربع عشرة سنة ، وابن أربع عشرة سنة يكون بالغاً ،
وقال : « شَهِدْتُ الْفِجَارَ فَكُنْتُ أَنْبُلُ عَلَى عَمَمِي » .

وجوابنا في ذلك : أنَّ نبي عامر بن صعصعة ، طالبوا أهلَ الحَرَمِ من
قريشٍ وكنانة ، بجزيرة البرأض بن قيس ، في قتله عروة الرِّحَالِ ، وقد
علموا أنَّهم يُطالِبون مَنْ لم يجزِ ومن لم يعاون ، وأنَّ البرأض بن قيس
كان قبلَ ذلك خليعاً مطروداً ، فأتوهم إلى حَرَمهم يُلزموهم ذنبَ غيرهم ،
فدافعوا عن أنفسهم ، وعن أموالهم ، وعن ذراريهم ، والتاجر لا يكون
المسعىِّ عليه ، ولذلك أشهد الله تبارك وتعالى نبيّه عليه الصلاة والسلام ذلك
الموقف ، وبه نُصروا كما نُصرت العربُ على فارسَ يومَ ذي قارٍ ، به عليه
الصلاة والسلام وبمخرجه . وهذان جوابان واضحان قريبان ، والله الموفق
للسواب ، وإليه المرجع والمآب .

(محاسن الخصى ومساويه)

ثم رجَع بنا القولُ إلى ذكرِ محاسنِ الخصىِّ ومساويه^(١)
الخصيُّ يَنْكِحُ وَيَتَّخِذُ الْجَوْرَايَ وَيَشْتَدُّ شَغْفَهُ بِالنِّسَاءِ ، وَشَغْفُهُنَّ بِهِ .
وهو وإن كان محبوبَ العضو فإنه قد بقي له ما عسى أن يكون فيه من ذلك
ما هو أعجبُ إليهنَّ . وقد يحتلم ويخرجُ منه عند الوطء ماءً ، ولكنه قليلٌ ،
متغيرُ الريح ، رقيقٌ ضعيفٌ . وهو يباشرُ بمشقةً : ثم لا يمنعُه من المعاودة الماءُ
الذي يخرج منه إذ كان قليل المقدار^(٢) لا يخرجُه من القوَّة إلى الضعف ،

(١) انظر المحاسن والمساوي للبيهقي ٢ : ٢٠٧ - ٢١٣ .

(٢) في الأصول : « إذا كان قليل المقدار » .

مثل الذي يعترى من يخرج منه شيء يكون من إنسان، وهو أخثر، وأكثر، وأحد ريجا، وأصبح جوهراً .

والخصيُّ يجتمع فيه أمنيَّةُ المرأة، وذلك أنَّها تبغض كلَّ سريعِ الإراقة، بطيء الإفاقة، كما تكره كلَّ ثقيلِ الصدر، وخفيف العجز، والخصيُّ هو السريع الإفاقة، البطيء الإراقة، المأمون الإلقاح، فتقيمُ المرأةُ معه، وهي آمنة العار الأكبر، فهذا أشدُّ لتوفير لذتها وشهوتها . وإذا ابتذلن الحِصيان، وحقرن العبيد، وذهبت الهيبةُ من قلوبهنَّ، وتعظيمُ البعول، والتصنعُ لذوى الأقدار باجتلاب الحياء وتكلفِ الحجل، ظهر كلُّ شيءٍ في قوى طبائعهنَّ وشهواتهنَّ، فأمكنها النَّخير^(١) والصَّيَّاح، وأن تكون مرَّةً من فوق، ومرَّةً من أسفل، وسمحت النفسُ بمكنونها، وأظهرت أقصى ما عندها .

وقد تجد في النساء مَنْ تؤثرُ النساءُ، وتجدُ فيهنَّ من تؤثرُ الرجالُ، وتجدُ فيهنَّ مَنْ تؤثرُ الحِصيانُ، وتجدُ فيهنَّ من تجمعُ ولا تفرِّقُ، وتعمُّ ولا تخصُّ، وكذلك شأنُ الرجال في الرجال، وفي النساء والحِصيان . فالمرأةُ تنازع إلى الخصيِّ لأنَّ أمره أسترُّ وعاقبته أسلم، وتحرصُ عليه لأنَّه ممنوعٌ منها، ولأنَّ ذلك حرامٌ عليها، فلها جاذبان : جاذبُ حرصٍ كما يُحرصُ على الممنوع، وجاذبُ أمنٍ كما يُرغبُ في السلامة . وقال الأصمعيُّ : قال يونس ابن عبيد^(٢) : لو أخذنا بالجزعِ لصَبَرنا^(٣) . قال الشاعر :

(١) ط : « الشخير » .

(٢) يونس بن عبيد من أصحاب ابن سيرين ، وكان بينهما مداعبة . روى في عيون الأخبار ٣ : ٤١ أن يونس بن عبيد قال : أتيت ابن سيرين فدعوت الجارية فسمعتة يقول : قولوا له إنِّي نائمٌ - يريد سأنام - فقلت : معي خبيص . فقال : مكانك حتى أخرج إليك ! .

(٣) انظر البيان ٣ : ١٣١ وعيون الأخبار ٢ : ٢ .

وزادها كَلْفًا بِالْحَبِّ أَنْ مَنَعَتْ وَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَأْمِنًا^(١)
والحرصُ على الممنوعِ بابٌ لا يَقْدِرُ على الاحتجازِ منه ، والاحتراسِ من
خُدَعِهِ ، إِلَّا كَبْلٌ مَبْرُزٌ فِي الْفِطْنَةِ وَمَتْمَهِّلٌ [فِي] الْعَزِيمَةِ ، طَوِيلِ التَّجَارِبِ ،
فَاضِلِ الْعَقْلِ عَلَى قُوَى الشَّهْوَاتِ . وَبِئْسَ الشَّيْءُ الْقَرِينُ السُّوءِ . وَقَالُوا :
صَاحِبِ السُّوءِ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ .

وبابٌ من هذا الشكل ، فَبِكُمْ أَعْظَمُ حَاجَةٌ إِلَى أَنْ تَعْرِفُوهُ وَتَقِفُوا
عِنْدَهُ ، وَهُوَ مَا يَصْنَعُ^(٢) الْخَبْرُ السَّابِقُ إِلَى السَّمْعِ ، وَلَا سِيَّامًا إِذَا صَادَفَ مِنَ
السَّامِعِ قَلَّةَ تَجْرِبَةٍ ، فَإِنْ قَرَنَ بَيْنَ قَلَّةِ التَّجْرِبَةِ وَقَلَّةِ التَّحْفُظِ ، دَخَلَ ذَلِكَ
الْخَبْرَ السَّابِقُ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ دُخُولًا سَهْلًا ، وَصَادَفَ مَوْضِعًا وَطِيئًا . وَطَبِيعَةٌ
قَابِلَةٌ ، وَنَفْسًا سَاكِنَةٌ ، وَمَتَى صَادَفَ التَّلَبَّ كَذَلِكَ ، رَسَخَ رَسوخًا لَاحِظَةً
فِي إِزَالَتِهِ . وَمَتَى أُلْقِيَ إِلَى الْفِتْيَانِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الْفِتْيَانِ ، فِي وَقْتِ
الْغَرَارَةِ ، وَعِنْدَ غَلَبَةِ الطَّبِيعَةِ ، وَشِبَابِ الشَّهْوَةِ ، وَقَلَّةِ التَّشَاغُلِ ، وَكَذَلِكَ
مَتَى أُلْقِيَ إِلَى الْفِتْيَانِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِهِنَّ وَأُمُورِ الْغِلْمَانِ ، وَمَعْنَاكَ سُسُكْرُ
الشَّبَابِ ، فَكَذَلِكَ تَكُونُ حَالِمٌ . وَإِنَّ الشُّطَّارَ لَيَبْخُلُو أَحَدَهُمْ بِالْغِلَامِ الْغَرِيرِ
فَيَقُولُ لَهُ : لَا يَكُونُ الْغِلَامُ فَتَى أَبَدًا حَتَّى يَصَادِقَ فَتَى [وَإِلَّا فَهُوَ تَسْكَشٌ ،
والتسكش عندهم الذي لم يُؤدِّبه فتى ولم يُخرِّجه] ، فَمَا الْمَاءُ الْعَذْبُ الْبَارِدُ ،
بِأَسْرَعٍ فِي طَبَاعِ الْعَطْشَانِ ، مِنْ كَلِمَتِهِ ، إِذَا كَانَ لِلْغِلَامِ أَدْنَى هَوَى فِي

(١) ط : « أحب » . ومشهور الرواية وما في ل هو ما أثبت . وفي عيون الأخبار

٣ : ٢ : « وزاده » موضع « وزادها » وصواب الرواية « وزادني » ؛ فإن البيت

للأحوص كما في الأغاني ١١ : ٢٢ . وقبله :

كم من دني لها قد صرت أتبعه ولو صحما القلب عنها كان لي تبعا

(٢) ط : « يضع » .

الفتوة^(١) ، وأدنى داعية إلى المنالة^(٢) . وكذلك إذا خلت العجوز

المدربة^(٣) بالجارية الحديثة [كيف تحلبها . وأنشدنا :

فأنتها طَبَّةٌ عالمةٌ تخط الجِدَّ بأصنافِ اللعبِ
ترفعُ الصوتَ إذا لانت لها وتناهى عند سوراتِ الغضبِ]

وقال الشاعر^(٤) فيما يشبه وقوع الخبر السابق إلى القلب :

نقلُ فؤادك حيثُ سُنتَ من الهوى ما الحبُّ إلاَّ للحبيبِ الأوَّلِ
كم منزلٍ في الأرضِ يألُفه الفتي وحينئذٍ أبداً الأوَّلِ منزلٍ

وقال مجنون بني عاسر :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكناً

(أثر التكرار في خالق الإنسان)

وباب آخر مما يدعو إلى الفساد ، وهو طول وقوع البصر على الإنسان الذي في طبعه أدنى قابل ، وأدنى حركة عند مثله . وطول التدانى ، وكثرة الرؤية هما أصلُ البلاء ، كما قيل لابنة الحُسِّ : لم زانيتِ بعبدك ولم تزنى بجر^(٥) ، وما أغراك به؟ قالت : طولُ السَّوادِ ، وقربُ الوَسادِ .
ولو أن أقبحَ الناسِ وجهاً ، وأنتنهم ريحاً ، وأظهرهم فقراً ، وأسقطهم

(١) ط : « الفتنة » .

(٢) ط : « الشطارة » .

(٣) ط : « المدرية » .

(٤) هو أبو تمام كما في الأغاني ١٧ : ١٤٦ . والبيتان في ديوانه ٤٥٧ .

(٥) في الأصل « ولم تزنى بجر » والوجه ما كتبه . . وابنة الحس هي هند . ولها أخبار كثيرة في البيان .

نفساً ، وأوضعهم حسباً ، قال لامرأةٍ قد تمكَّنَ من كلامِها ، ومكنته من سمعِها :
وَاللَّهِ يَا مَوْلَانِي وَسَيِّدَتِي ، لَقَدْ أَسْهَرْتَ لَيْلِي ، وَأَرْقَتِ عَيْنِي ، وَشَغَلْتَنِي عَنْ
مُهِّمِّ أَمْرِي ، فَمَا أَعْقِلُ أَهْلًا ، وَلَا مَالًا ، وَلَا وَلَدًا ؛ لِنَقْضِ طِبَاعِهَا ، وَلِنَفْسِ
عَقْدِهَا ، وَلَوْ كَانَتْ أْبْرَعَ الْخَلْقِ جَمَالًا ، وَأَكْمَلَهُمْ كَمَالًا ، وَأَمْلَحَهُمْ مِلْحًا .
فَإِنْ تَهَيَّأَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ هَذَا الْمَتَعَشِّقِ ، أَنْ تَدْمَعَ عَيْنُهُ ، احتاجت هذه المرأةُ
أَنْ يَكُونَ مَعَهَا وَرَعٌ أَمْ الدَّرْدَاءُ ، وَمُعَاذَةُ الْعَدْوِيَّةِ ، وَرَابِعَةُ الْقَيْسِيَّةِ ،
وَالشَّجَاءُ (١) الْخَارِجِيَّةُ .

(زهد الناس فيما يملكونه ورغبتهم فيما ليس يملكونه)

وَإِنَّمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : « اضْرِبُوهن
بِالْعُرَى » لِأَنَّ الثِّيَابَ هِيَ الْمُدْعَاةُ إِلَى الْخُرُوجِ فِي الْأَعْرَاسِ ، وَالْقِيَامِ فِي
الْمَنَاحَاتِ ، وَالظُّهُورِ فِي الْأَعْيَادِ ، وَمَتَى كَثُرَ خُرُوجُهَا لَمْ يَعْدَ مَا أَنْ تَرَى .
هُوَ مِنْ شَكْلِ طَبْعِهَا . وَلَوْ كَانَ بَعْلُهَا أْتَمَّ حَسَنًا ، وَالَّذِي رَأَتْ أَنْقَصَ حَسَنًا
لَكَانَ مَالًا تَمْلِكُهُ ، أَطْرَفَ تَمَّا تَمْلِكُهُ ، وَلِكَانَ مَا مِ تَمْلِكُهُ ، وَلَمْ تَسْتَكِ
مِنْهُ ، أَشَدَّ لَهَا اِشْتِغَالًا وَأَشَدَّ لَهَا اجْتِنَابًا . وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ :

٧٩ وَلِلْعَيْنِ مَلَهَى بِالتَّلَادِ وَلَمْ يَقْدُ هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ كَاقْتِيَادِ الطَّرَائِفِ)
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مَسْلَمٍ : لِأَنَّ (٣) يَرَى حَرَمَتِي أَلْفُ رَجُلٍ عَلَى حَالٍ تَكْشِفُ

(١) ل : « الشجاء » وصوابه « الشجاء » كما في ط . ولها حديث مع زياد في الأم

٣ : ١٧٤ .

(٢) ط : « ولم يفد » بدل « لم يقد » و « كافتياذ » موضع « كافتياذ » .

(٣) ط : « لئن » .

منها وهي لا تراهم ، أحبُّ إلىَّ من أن ترى خُرْمِي رجلاً واحداً
غيرَ منكشفٍ .

وقال الأوَّل : لا يضرُّك حُسْنُ من لم تعرف ؛ لأنَّك إذا أتبعتهَا بصرُك .
وقد نقضت طبعك ، فعلمتَ أنَّك لا تصل إليها بنفسك ولا بكتابك
ولا برسولك ، كان الذي رأيت منها كالحلم ، وكما يتصور للمتمنى ، فإذا
انقضى ما هو فيه مِنَ المني^(١) ، ورجعت نفسه إلى مكانها الأوَّل ، لم يكن
عليه من [فقدتها إلاّ مثلُ] فقد ما رآه في النوم ، أو مثله له الأمانى^(٢) .

(عقيل بن علفة وبناته)

وقيل لعقيل بن علفة^(٣) : لو زوّجتَ بناتِكَ ! فإنَّ الذمَاءَ لحمٌ على
وَضْمٍ إذا لم يكن غانبات !! قال : كلا ، إنِّي أجيئهنَّ فلا يَأْشُرْنَ ،
وأُعْرِيهنَّ فلا يظْهَرْنَ^(٤) !! فوافقت إحدى كلمتيه قولَ النبي صلى الله عليه
وسلّم [ووافقت الأخرى قول عمر بن الخطاب ؛ لأن النبي صلى الله عليه
وسلّم قال] : « الصَّوْمُ وَجَاء » . وقال عمر : استعِينُوا عليهنَّ بِالْعُرَى .
وقد جاء [في الحديث] : « وقرّوا أشعارهن فإنَّ [ترك الشعر مجفّرة^(٥) .

(١) ط : « . . . كالحلّة إذ كان ذلك يقضى مافيه من المني » وهو تحريف .

(٢) ط : « الأمانى مؤنسة » .

(٣) ط : « علقمة » وهي على الصواب في ل . ولعقيل أخبار طريفة في الأغاني ١١ :

٨١ - ٨٩ .

(٤) ط : « يَأْثُرْنَ » موضع « يَأْشُرْنَ » و « يظْهَرْنَ » بدل « يظْهَرْنَ » وما
فيها تحريف .

(٥) مجفّرة : قال أبو عبيد : يعني مقطعة للنكاح ونقصا الماء . وانظر اللسان (جفر)

وقد أتينا على هذا الباب في الموضع الذي ذكرنا فيه شأن الغيرة ، وأوّل الفساد ، وكيف يتبّت ، وكيف يُحصّد .

(بعض ميول الخصيان)

وتقد رأيتُ غيرَ خصيٍّ يتلوّط ، ويطلب الغلمان [في المواضع ، ويخلو بهم ويأخذهم] على جهة الصداقة ، ويحمل في ذلك الحديد ، ويقاتل دون السخول^(١) ، ويتمشى مع الشطار .

وقد كان في قطيعة الربيع خصيٌّ أثيرٌ عند مولاه ، عظيم المنزلة عنده ؛ وكان يثق به في ملكٍ يمينه ، وفي حُرْمه من بنتٍ وزوجةٍ وأختٍ ، لا يخلص شيئاً دون شيء . فأشرف ذات يومٍ على مرْبِدٍ له ، وفي المرْبِد غمٌّ صفايا ، وقد شدَّ يدي شاةٍ وركبها من مؤخرها يكومها ، فلما أبصره برِقَ وبعِل^(٢) وسقطَ في يديه ، وهجم عليه أمرٌ لو يكون رآه من خصيٍّ لعاموُّ له^(٣) لَمَّا فارقَ ذلك الهولُ أبداً قلبه ، فكيف وإيّا عاينَ الذي عاينَ فيمن كان يخلفه في نسائه من حُرْمه ومملكِ يمينه . فيينا الرجلُ وهو واجم [حزين^(٤)] ، وهو ينظر^(٥) إليه [وقد تحرّق عليه غيظاً] إذ رَفَعَ الخصى رأسه . فلَمَّا أثبتَ مولاهُ مرّاً مُسرِعاً نحوَ باب الدار ليركبَ رأسه ، وكان المولى أقربَ إلى الباب منه ، فسبّقه إليه ، وكان الموضعُ الذي رآه منه

(١) ط : «السجون» .

(٢) كذا في ل . وفي ط « بعد » ولا وجه له . . وأما (بعل) فهي بمعنى دهش وفرق فلم يدر ما يصنع .

(٣) ط : « اعدوه » .

(٤) موضع هذه الكلمة في ط : « قد برق » .

(٥) ط : « ينتظر » وهو تحريف .

موضوعاً لا يُصعد [إليه] ، فحدثَ لشقائه أمرٌ لم يجد مولاة [معه] (١) بُدأ من
صُعوده ، فلبثَ الحصى ساعةً ينتفض من حمى . كِبتَه ثم فَاظ ، ولم يُمسِ
إلاً وهو في القبر .

ولفرط إرادتهم النساء ، وبالחסرة التي نالتهم ، وبالأسف الذي
دخلهم ، أبغضوا الفحول بأشد من تباعض الأعداء فيما بينهم ، حتى ليس
بين الحاسدِ الباغى وبين أصحابِ النعمِ المتظاهرة ، ولا بين المناشى المعنى وبين
راكبِ الهملاجِ الفاره ، ولا بين ملوكِ صاروا سُوقَةً ، وبين سُوقَةٍ صاروا
ملوكا ، ولا بين بنى الأعمام مع وقوع التنافس ، أو وقوع الحرب ، ولا بين
الجيرانِ والمتشاكلين في الصناعات ، من الشنف والبغضاء ، بقدر ما يلتحف
عليه الحصبان للفحول (٢) .

وبُغض الحصى للفحل من شكل بُغض الحاسدِ لذى النعمة ، وليس
من شكل ما يولده التنافس وتلحقه الجنايات .

(نسك طوائف من الناس)

ولرجالٍ كلٌّ فنٌّ وضربٌ من الناس ، ضربٌ من النسك ، إذ لا بد
لأحدٍهم من النزوع ، ومن تركِ طريقتِه الأولى : فنسك الحصى غزو الروم .
لما أن كانوا هم الذين خصَّوهم ، ولزومُ أذنة الرِّباطُ بطرسوسَ
وأشباهاها . فظنَّ عند ذلك أهلُ الفِراسة أن سببَ ذلك إنما كان لأنَّ
الرومَ لما كانوا هم الذين خصَّوهم ، كانوا مغناظين عليهم (٣) ، وكانت

(١) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٢) ط : « المتشاكسين » موضع « والمتشاكلين » و « التنفير » موضع « الشنف »
و « يلتحق » موضع « يلتحف » وما فيها محرف .

(٣) ط : « متغايظين عليهم » .

متطلبَةً إلى التشفَى منهم : فأخرج لهم حبُّ التشفَى شدَّةَ الاعتزامِ على قتلهم ،
وعلى الإنفاقِ في كلِّ شيءٍ يَبْلُغُ منهم . ونُسكُ الخراسانيُّ أن يُحجَّ : ونسكُ
البنويِّ (١) أن يدَعَ الديوان . ونسكُ المغنِّي : أن يُكثرَ التسبيحَ وهو يشربُ
النيبذ ، والصلاةَ على النبي صلى الله عليه وسلم ، والصلاةَ في جماعة . ونسكُ
الرافضيِّ : إظهارُ تركِ النيبذ . ونسكُ السَّواديِّ تركُ شربِ المطبوخِ فقط .
ونسكُ اليهوديِّ : إقامة السبت . ونسكُ المتكلمِّ : التسرُّعُ إلى إكفارِ أهلِ
المعاصي ، وأن يرمي الناسَ بالجبر ، أو بالتعطيلِ ، أو بالزندقة ، يريد أن
يوهم أموراً :

منها أن ذلك ليس إلا من تعظيمه للدين ، والإغراق فيه ، ومنها أن
يقال : لو كان نطفًا ، أو مرتابًا ، أو محتجحا على بليَّة (٢) ، لما رمى الناس ،
ولرضى منهم بالسلامة ، وما كان ليرميهم إلا للعزِّ الذي في قلبه ، ولو كان
هناك من ذلِّ الريبة شيء لقطعه ذلك [عن] (٣) التعرُّض لهم ، أو التنبيه على
ما عسى إن حرَّكهم له أن يتحرَّكوا . ولم نجد في المتكلمين أنطفَ ولا أكثرَ
عيوبًا ، ممن يرمي خصومه بالكفر .

(أبو عبد الله الجمار وجارية آل جعفر)

وكان أبو عبد الله الجمار ، وهو محمد بن عمرو (٤) ، يتعشق جاريةً

(١) في القاموس : « الأبناء قوم من العجم سكنوا اليمن والنسبة أبناوى وبنوى شتركة »

وفي رسائل الجاحظ ١٥ ساسي ما يقيده أنهم من خراسان . . وهي في ط :

« الجندي » تحريف . وانظر حواشي البيان ٣ : ١١٤ وفيها تفصيل .

(٢) « النطف » : الرجل المريب . . وفي ل : « محتجنا » بدل « محتجحا » . .

(٣) زيادة يفتضحها الكلام .

(٤) من أهل البصرة شاعر أديب ، كان ماجنا خبيث اللسان ، دخل بغداد أيام الرشيد

لآلِ جعفر يقال لها طُغَيان ، وكان لهم خَصِيٌّ بِحَفْظِهَا إِذَا أَرَادَتْ بِيَوْتِ الْمَغْنَمِينَ ،
وكان الخصىُّ أَشَدَّ عَشْقاً لها من الجَمَّازِ ، وكان قد حال بينه وبين كلامها ،
والدنوّ منها ، فقال الجمّاز [وكان اسم الخادم سنانا] :

ما للمَقِيْتِ سِنانٍ ولِلطَّبَّاءِ المِلاحِ

لِبِئْسَ رَآنٍ خَصِيٌّ غازٍ بغيرِ سلاحٍ (١)

وقال أيضاً فيه وفيها :

نَفْسِي الفداء لظبيِ يَحْبُنِي وَأُحِبُّهُ

من أَجْلِ ذاكِ سِنانٍ إِذا رآني يَسُبُّهُ

هَبْهُ أَجابَ سِناناً يَنيكُهُ أين زُبُّهُ

وقال أيضاً فيهما :

ظبيُّ سِنانٍ شريكِي فيه فبئسَ الشَّرِيقُ

فلا يَنيكُ سِناناً ولا يَدَعُنَا نَنيكُ

(ما قيل من الشعر في الخصاء)

وقال البأخرزي (٢) يذكرُ محاسِنَ خِصالِ الخِصيانِ :

ونساءٍ لمطمئنٌ مُقيمٍ ورجالٍ إن كانت الأسفارُ

= وفي أيام المتوكل . وأعجب به المتوكل وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأخذها

وانحدر فات فرحا بها . تاريخ بغداد ١١٤٣ .

(١) ط : « ليس خصي بزأن » وفي ل : « أليس زان خصي » ورأيت الصواب فيما كتبت

وانظر المحاسن والمساوي ٢ : ٢٠٩ .

(٢) معادل والأمهروزيانا : « الماخوري » .

[وقال حميد بن ثور يهجو امرأته :

جُلْبَانَةٌ ورهاء تخصي حمارها بفي من بغي خيراً إليها الجلامد^(١)]

وقال مزرد بن ضرار :

[فجاءت كخاصي العير لم تحل عاجة ولا حاجة منها تلوح على وشم^(٢)

وقال عمرو الخاركي^(٣)] :

إذا لام على المرد نصيح زادني حرصا

ولا والله ما أقليم ما عمّرت أو أخصي

وقال آخر^(٤) :

رماك الله من أير بأفعي ولا عافاك من جهد البلاء

جزاك الله شراً من رفيق إذا بلغت بي ركب النساء

أجبناً في الكريمة حين نلقى وما تنفك تُنعظ في الحلاء

فلا والله ما أمسى رفيقي ولولا البول عُوجل بالخصاء

(١) الجلبانة : الصخابة السيئة الخلق . والورهاء : الحمقاء .

(٢) في اللسان : « أبو زيد : الجاجة الخرزة التي لا قيمة لها . غيره : مارأيت عليه عاجة

ولا جاجة . وأنشد لأبي خراش الهذلي يذكر امرأته وأنه عاتبها فاستحيت وجاءت

إليه مستحية » . وأنشد البيت ثم قال : « يقال جاء فلان كخاصي العير : إذا جاء

مستحياً وخائباً أيضاً . والعاجة : الوقف من العاج تجعله المرأة في يدها » . والبيت

في ديوان الهذليين ٢ : ١٢٩ . وجاء في الأصل هكذا :

فجاءت كخاصي العير لم تحل حاجة ولا حاجة منها تلوح على وشم

وتصحيفه من اللسان في مادتي (جوج) و (عوج) ومن الصحاح (جوج) ،

ومن أمثال الميداني (١ : ١٥٠) مع نسبه إلى أبي خراش الهذلي ، كما في اللسان .

(٣) ياقوت في (خارك) : « منهم الخاركي الشاعر في أيام المأمون أو مايقاربها » . والشعر

في معجم المرزباني ٢١٩ برواية محرفة .

(٤) الأبيات في المحاسن للجاحظ ١٧٥ .

وقال بعض عبد القيس :

ما كان قَحْذَمَ ابْنُ واهِصَةَ الْخُصِي يَرجو المَناكِحَ في بَنِي الجارودِ (١)
وَمِنَ انْتِكَاسِ الدَّهْرِ أَنْ زُوِّجَتْهَا وَلِكُلِّ دَهرٍ عَشرَةٌ بِجُدودِ (٢)
لو كان منذرٌ إذ خطبت إليهم حياً لكان خَصَّاك بالمغمود ٨٢

وقال أبو عبيدة : حدَّثني أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أحذبُ
فسقط في بئرٍ فذهبت حدبته وصار (٣) آدرَ فليل له : كيف تجِدك (٤) ؟
[فقال] : أَلذِي جاءَ شرُّهُ منَ الَّذِي ذهبَ !

وأبو الحسن عن بعض رجاله (٥) قال : خرج معاويةُ ذاتَ يومٍ يمشي
ومعه خَصِيٌّ له ، إذ دخلَ على ميسونَ ابنةِ بحدل (٦) وهي أمُّ يزيد ،
فاستترت منه فقال : أتستترين منه ، وإنَّما هو مثلُ المرأةِ ؟ قالت :
أُتَرى أنَّ المثلثةَ به تُحِلُّ ما حرَّم اللهُ تعالى ؟ !

ذَكَرَ ما جاءَ في خِصاءِ الدوابِّ

ذَكَرَ آدمُ بنُ سليمانَ عن الشعبيِّ قال : قرأتُ كتابَ عمرِ رَضِيَ اللهُ

(١) ط : « مخدم » وهما تحريف ما أثبت من ل . و « واهصة » تصحيح ما في ل ، وهو « وابصة » . وجاءت هذه الكلمة في ط : « راضخة » والوهص والرضخ بمعنى . وهو الدق . وانظر اللسان (وهص) .

(٢) ل : « وجدود » ط : « بهجود » والصواب ما أثبت . والجد : الحظ .

(٣) ط : « صاد » وصوابه من ل .

(٤) ط : « نجدك » وهو تحريف ما في ل .

(٥) ط : « رجال الأدب » .

(٦) ط : « بجدل » وإنَّما هو « بجدل » بالخاء كما في ل والأغاني والخزانة (٣) :

٥٩٣ بولاق) .

تعالى عنه إلى سعد ، يَنْهَى عن حَذْفِ أذْنَابِ الخَيْلِ وأَعْرَافِهَا ، وعن خِصَائِهَا ، ويَأْمُرُهُ أَنْ يُجْرِيََ مِنْ رَأْسِ المَائِتِينَ . وهو أَرْبَعَةُ فَرَاسِخٍ .

وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو (١) أَنَّ عَمْرًا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ كَانَ يَنْهَى عَنِ خِصَاءِ البَهَائِمِ وَيَقُولُ : هَلِ الإِنْمَاءُ إِلَّا فِي الذِّكُورِ .

وَشَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ المَهَاجِرِ ، عَنْ إِبرَاهِيمِ النَّخَعِيِّ أَنَّ عَمْرًا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ نَهَى عَنِ خِصَاءِ الخَيْلِ .

وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ إِبرَاهِيمِ بْنِ المَهَاجِرِ قَالَ : كَتَبَ عَمْرٌ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لِبَعْضِ عَمَالِهِ : لَا تُجْرِينَ فَرَسًا إِلَّا مِنَ المَائِتِينَ ، وَلَا تُخْصِينَ فَرَسًا .

قَالَ : وَسَمِعْتُ نَافِعًا يَقُولُ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو يَكْرَهُ خِصَاءَ الذِّكُورِ مِنَ الإِبِلِ ، وَالبَقَرِ ، وَالغَنَمِ .

وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو عَنْ نَافِعٍ : أَنَّ أَبْنَ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا كَانَ يَكْرَهُ الخِصَاءَ وَيَقُولُ : لَا تَقْطَعُوا نَاصِيَةَ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَعَبْدُ اللَّهِ وَأَبُو بَكْرُ أَبْنَا نَافِعٍ عَنْ نَافِعٍ قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنْ تُخْصَى ذِكُورُ الخَيْلِ ، وَالإِبِلِ ، وَالبَقَرِ ، وَالغَنَمِ ، وَيَقُولُ : فِيهَا نَشَأَةُ الخَلْقِ ، وَلَا تَصْلُحُ الإِنَاثُ إِلَّا بِالذِّكُورِ .

(١) في ل : « عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم ، عن سالم بن عبد الله ، عن عبد الله ابن عمر » . وعاصم الذي يروي عنه الثوري هو عاصم بن سليمان الأحول البصري المتوفى سنة اثنتين - أو ثلاث - وأربعين ومائة . كما في تاريخ بغداد ٩ : ١٥٢ ، ١١ : ٢٤٣ . في الإسناد نظر .

ومحمد بن أبي ذئب^(١) قال : سألت الزُّهريَّ : هل بِخِصَاءِ الْبِهَائِمِ بَأْسٌ ؟
قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ، نهى عن صَبْرِ الرُّوحِ . قَالَ
الزُّهريُّ : وَالْخِصَاءُ صَبْرٌ شَدِيدٌ .

وأبو جعفر الرّازيُّ قال : حدّثنا الرّبيعُ بن أنس ، عن أنس بن مالك
في قوله تعالى : ﴿ وَلَا مَرَمٌ لَهُمْ فَلْيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال : هو الخِصَاءُ .
وأبو جرير عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس نحوه .

أبو بكر الهذليُّ قال : سألتُ الحسنَ عن خِصَاءِ الدَّوَابِّ فقال :
تسألني عن هذا ؟ لعن الله من خصّى الرجال

أبو بكر الهذليُّ عن عكرمة في قوله تعالى : ﴿ وَلَا مَرَمٌ لَهُمْ فَلْيُغَيِّرُنَّ
خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال : خِصَاءُ الدَّوَابِّ . قال : وقال سعيد بن جبیر : أخطأ
[عكرمة] ، هو دين الله .

نصر بن طريف قال : حدّثنا قتادة عن عكرمة في قوله تعالى :
﴿ فَلْيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال : خِصَاءُ الْبِهَائِمِ . فباع مجاهدًا فقال : كَذَبَ
هو دين الله .

فمن العجب أن الذي قال عكرمة هو الصواب ، ولو كان هو الخطأ
لما جاز لأحد أن يقول [له] : كذبت . والناس لا يضعون هذه الكلمة

(١) ط : « ذئيب » موضع « ذئب » ، وهو تحريف مأثبت من ل . ومحمد هو
ابن عبد الرحمن بن أبي ذئب . وأبو ذئب هو هشام بن شعبة . وترجمة محمد في
تاريخ بغداد ٢ : ٢٩٦ - ٣٠٥ والمعارف لابن قتيبة ٢١٣ . وانظر تأويل
مختلف الحديث ص ١١ .

في موضع خطأ الرأي مَن يُظَنُّ به الاجتهاد ، وكان مَن له أن يقول [.
ولو أن إنساناً سمع قولَ الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال :
إنما يعنى الحِصاء ، لم يقبل ذلك منه ؛ لأنَّ اللفظ ليست فيه دلالةٌ على
شيءٍ دون شيء ، وإذا كان اللفظُ عامًّا لم يكن لأحدٍ أن يقصد به إلى
شيءٍ بعينه^(١) إلا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك مع تلاوةِ
الآية ، أو يكون جبريلُ عليه السلام قال ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ؛
لأنَّ الله تبارك وتعالى لا يضمّر^(٢) ولا ينوى ، ولا يخصُّ ولا يعمُّ بالقصد ؛
وإنما الدلالةُ [في] بنية الكلام نفسه ، فصورة^(٣) الكلام هو الإرادة
وهو القصد ، وليس بينه وبين الله تعالى عملٌ آخر كالذى يكون من
الناس ، تعالى الله عن قول المشبهة علوًّا كبيراً .

أبو جرير^(٤) عن عمار بن أبي عمار^(٥) أنَّ ابنَ عباسٍ قالَ في قوله
تعالى : ﴿ وَلَا مَرَمٍ لَهُمْ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قالَ : هو الحِصاء .

وأبو جرير عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباسٍ مثله .

أبو داود النَّخَعِيُّ ، عن محمد بن سعيدٍ عن عبادة بن نسيٍّ ، عن
إبراهيم بن محيرز قال : كان أحبَّ الخيلِ إلى سلفِ المسلمين ، في عهد عمر ،
وعثمان ، ومعاوية ، رضى الله تعالى عنهم ، الحِصَيان ؛ فَإِنَّهَا أَخْفَى لِلْكَمِينِ
وَالطَّلَاعِ ، وَأَبْقَى عَلَى الْجُهْدِ .

(١) ط : « بعيد » والوجه ما في ل .

(٢) ط : « لا يصر » .

(٣) ط : « فصار » .

(٤) ط : « جزء » في كل موضع يذكر فيه « جرير » .

(٥) ل : « عن عمار بن عمار » .

أبو جرير قال : أخبرني ابن جريج عن عطاء أنه لم يرَ بأساً
بخصاء الدواب .

وأبو جرير عن أيّوبَ عن ابن سيرين ، أنه لم يكن يرى بأساً بالخصاء ،
ويقول : لو تُرِكَت الفحولةُ لأكل بعضها بعضاً .

وعمر ويونس عن الحسن : أنه لم يكن يرى بأساً بخصاء الدواب .

سفيان بن عيينة عن ابن طاوس عن أبيه : أنه خصى بعيراً .

[وسفيان بن عيينة عن مالك بن مغول عن عطاء ، أنه سئل عن خصاء
البغل فقال : إذا خفت عِضاضه] .

٨٤

(أقوال في النتاج للمركب)

وَلْتَنْصِلْ هَذَا الْكَلَامَ بِالْكَلامِ الَّذِي قَبْلَ هَذَا فِي الْخَلْقِ الْمَرْكَبِ [وفي
تلاقح الأجناس المختلفة . زعموا أن العسبارَ ولد الضبيع من الذئب ، وجمعه
عسبارو] . قال الكميت :

وَتَجَمَّعَ الْمُتَفَرِّقُونَ نَ مِنْ الْفَرَاعِلِ وَالْعَسَابِرِ^(١)
رَمِيهِمْ بِأَنَّهُمْ أَخْلَاطٌ وَمُعْلَهَجُونَ .

(السمع ولد الذئب من الضبيع)

وزعموا أن السَّمْعَ ولد الذئب من الضبيع ، ويزعمون أن السَّمْعَ

(١) روى صاحب اللسان هذا البيت وقال : « فقد يكون - يعني العسبار - جمع العسبر
(كتنفذ) وقد يكون جمع عسبار وحذفت الياء للضرورة . والفرعل : ولد الضبيع
من الضبيعان » يعني الذكر من الضبياع .

كالحية لا تعرف العِلل ، ولا تموتُ حتْفَ أنفِها ، ولا تموتُ إلا بِعَرَضٍ
يَعْرِضُ لها . وَيَزْعَمُونَ أَنَّهُ لَا يَعْدُو شَيْءٌ كَعْدُو السَّمْعِ ، وَأَنَّهُ أَسْرَعُ
مِنَ الرِّيحِ وَالطَّيْرِ .

وقال سهم بن حنظلة يصف فرسه :

فاعصر العواذل وارم الليل في عرض

بذي شيب يقاسي ليله خبياً

كالسمع لم ينقب البيطار سرته ولم يدجه ولم يعجز له عصبا^(١)

وقال ابن كناسة^(٢) يصف فرسا :

كالعقاب الطلوب يضر بها الطل ل وقد صوبت على عسبار^(٣)

وقال سؤر الذئب^(٤) :

هو سمع إذا تمطر شيئاً وعقاب يحثها عسبار

يقول : إذا اشتد هرب المطلب الهارب من الطالب الجاد ، فهو أحث
للتالب ؛ وإذا صار كذلك صار المطلب حينئذ في معنى من يحث الطالب ،
إذ صار إفراط سرعته سبباً لإفراط طلب العقاب .

وقال تأبط شراً^(٥) ، [أو أبو محرز خلف بن حيّان الأحمر] :

(١) ط : « ولم يرجه » موضع « ولم يدجه » والودج : قطع الودج : عرق في العنق .

وانظر معجم المرزباني ٣٤١ .

(٢) ط : « أبو كناسة » وصوابه في ل . وله ترجمة في فهرست ابن النديم ٧١ ليسك ،

١٠٥ مصر . توفي سنة ٢٠٧ .

(٣) ط : « والعقاب » .

(٤) البيت ساقط من ل .

(٥) ط : « ابن أخت تأبط شرا » . . والقصيدة في حاسة أبي تمام (١ : ٣٤١ - ٣٤٧) .

مُسْبِلٌ بِلْحَى أَحْوَى وَفَلٌ وَإِذَا يَغْدُو فَيَسْمَعُ أَزْلٌ
وَلَمَّا قَالَ أَزَلٌ وَجَعَلَهُ عَادِيًا وَوَصَفَهُ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ ابْنُ الذَّنْبِ .
وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :

بَدِيرٌ عَيْنِي لِمِظَّةٍ عَسْبَارَةٍ (١)

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ :

كَأَنَّ مِنْهَا طَرَفَهُ اسْتِعَارَهُ (٢)

وَقَالَ آخَرَ :

تَلَقَى (٣) بِهَا السَّمْعَ الْأَزْلَ الْأَطْلَسَا

(الدَيْسَمُ وَوَلَدَ الذَّنْبِ مِنَ الْكَلْبَةِ)

وَزَعَمُوا أَنَّ وَوَلَدَ الذَّنْبِ مِنَ الْكَلْبَةِ الدَّيْسَمُ ، وَرَوَوْا لِبِشَّارِ بْنِ بُرْدٍ
فِي دَيْسَمِ الْعَنْزِيِّ أَنَّهُ قَالَ :

أَدَيْسَمٌ يَا ابْنَ الذَّنْبِ مِنْ نَسْلِ زَارِعٍ

أَتَرَوِي هِجَائِي سَادِرًا غَيْرَ مُقْصِرٍ

وَزَارِعٌ : أَسْمُ الْكَلْبِ ، يُقَالُ لِلْكَلابِ أَوْلَادُ زَارِعٍ .

(زَعَمَ لِأَرَسَطُو فِي التَّنَاجِ الْمَرْكَبِ)

وَزَعَمَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ أَنَّ أَصْنَافًا أُخْرَى مِنَ السَّبَاعِ الْمَتَزَاوِجَاتِ

(١) ط : « لاطة » موضع « لمظة » ولعل صوابهما « لظة » بمعنى ملحمة ، كما يظهر
أن هناك كلاما سابقا بئد « قال الأصمعي » ، تقديره « يقال عسبار وعسبارة . وأنشد »
وأن عبارة « وقال في موضع آخر » مقحمة على الكتاب .

(٢) ل : « شباة » موضع « منها » .

(٣) ط : « يلقى » .

٨٥ المتلافحات مع اختلاف الجنس والصورة ، معروفة النتاج مثل الذئاب التي تسفد الكلاب في أرض رومية . قال : وتتولد أيضا كلابٌ سلوقيةٌ من ثعالبٍ وكلاب . قال : وبين الحيوان الذي يسمّى باليونانية طاغريس^(١) وبين الكلب ، تحدث هذه الكلابُ الهندية . قال : وليس يكون ذلك من الولادة الأولى .

[قال أبو عثمان : عن بعض البصريين عن أصحابه قال : وزعموا]
أنّ نتاج الأولى يخرج صعباً وحشياً لا يلقن^(٢) ولا يؤلف .

(تلافح السبع والكلبة)

وزعم [لى بعضهم عن رجلٍ من أهل السكوفة من بني تميم] أنّ الكلبة تعرض لهذا السبع حتى تلقح ، ثم تعرض لمثله مراراً حتى يكون جرو البطن الثالث قليل الصعوبة يقبلُ التلقين ، وأنّهم يأخذون إناث الكلاب ، ويربطونها في تلك البرارى ، فتجئ هذه السباع وتسفدها ، وليس في الأرض أنثى يجتمع على حبّ سفادها ، ولا ذكرٌ يجتمع له من النزوع إلى سفاد الأجناس المختلفة ، أكثر في ذلك من الكلب والكلبة . قال : وإذا ربطوا هذه الكلاب الإناث في تلك البرارى ، فإن كانت هذه السباع هائجةً سفدتها ، وإن لم يكن السبع هائجاً فالكلبة مأكولة . وقال أبو عدنان^(٣) :

(١) كذا في نهاية الأرب ٩ : ٢٥٦ و ل . وفي ط : « طاغويس » .
(٢) كذا في ل ونهاية الأرب . وفي ط « يالف » .
(٣) قال الجاحظ في شأنه : « وما كان عندنا بالبصرة رجلاً أدري بصنوف العلم : ولا أحسن بيانا من أبي الوزير ، وأبي عدنان المعلمين ، وحاملهما من أول ما أذكر =

أيا باكي الأطلالِ في رَسْمِ دمنةٍ
 ترؤدُ بها عينُ المَهَا والجآذرُ
 وعاناتُ جَوَالٍ وهَيْقُ سَفَنَجٍ وسنداوةٍ فضفاضةٍ وحَضَاجِرُ^(١)
 وسَمْعٌ خَفِيُّ الرِّزِّ ثَلْبٌ ودَوْبَلٌ
 وثرَمَلَةٌ تعادها وعَسَابِرُ^(٢)

وقد سمعنا ما قال صاحبُ المنطق من قبل ، وما نظنُّ بمثله أن يخلد على نفسه في الكتبِ شهاداتٍ لا يحقُّقها الامتحان ، ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء ، وما عندنا في معرفة ما ادَّعى إلا هذا القول .

وأما الذين ذكروا في أشعارهم السَّمْعَ والعِيسَارَ ، فليس في ظاهر كلامهم دليلٌ على ما ادَّعى عليهم الناسُ من هذا التركيب المختلف ، فأدِّينا الذي قالوا وأمسكنا عن الشهادة ، إذ لم نجد عليها برهاناً .

(أولاد السعلاة)

وللناس في هذا الضربِ ضروبٌ من الدعوى ، وعلماءُ السوء يُظهرون تجويزها وتحقيقها ، كالذي يدَّعون من أولاد السَّعَالِي من الناس ، كما ذكروا عن عمرو بن يربوع ، وكما يروى أبو زيدٍ النحويُّ عن السَّعلاة

= من أيام الصبا « البيان ١ : ٢٥٢ ، وقد عده ابن النديم من صنف في غريب الحديث . الفهرست ٨٧ ليسك ، ١٢٩ مصر .

(١) السنداوة : الذئبة ، كما في الديمري . والفضفاضة : الحيمة الجسيمة . وبدلها في ط : « تصبى به » . وحضاجر : اسم للضبغ أو لولدها ، معرفة لا ينصرف لأنه اسم لواحد على بنية الجمع .

(٢) ط : « ثبت » مكان « ثلب » . وفي القاموس : الثلب بالكسر وككتف : المغيب .

التي أقامت في بني تميم حتى وكدت فيهم ، فلما رأت برقاً يلَمَعُ من شقِّ بلاد السَّعالي ، حنَّت وطارَت إليهم ، فقال شاعرهم (١) :

رأى بَرَقاً فأَوْضَعَ فَوْقَ بَسْكَرٍ فَلَا بَكَ مَا أَسَالَ وَمَا أَغَامَا (٢)

وأنشدني أن الجنَّ طرَقوا بعضهم فقال (٣) :

أَتُوا نَارِي فَقُلْتُ مَنْونَ أَنْتُمْ فَمَقَالُوا الْجِنُّ قُلْتُ عِمُوا ظَلَامَا

فَقُلْتُ إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ زَعِيمٌ نَخَسُدُ الْإِنْسَانَ الطَّعَامَا

ولم أعِب الرواية ، وإنما عبِتُ الإيمانَ بها ، والتوكيدَ لمعانيها . فما أكثرَ

من يروى . هذا الضربَ على التعجُّبِ منه ، وعلى أن يجعلَ الرواية [له]

سبباً لتعريفِ النَّاسِ حقَّ ذلك من باطلِهِ ، وأبو زيدٍ وأشباهه مأمونون

على النَّاسِ ؛ إلا أن كلَّ من لم يكن متكلفاً حاذقاً ، وكان عند العلماء

قدوةً وإماماً . فما أقربَ إفساده لهم من إفسادِ المتعمِّدِ لإفسادهم !

وأنشدوا في تثبيتِ أولادِ السَّعلاةِ :

تَقُولُ جَمْعٌ مِنْ بُؤَانٍ وَوَتِدٌ وَحَسَنٌ أَنْ كَلَّفْتَنِي مَا أُجِدُّ (٤)

وَلَمْ تَقُلْ جِيءَ بِأَبَانٍ أَوْ أُحْدُ (٥) أَوْ وَلِدِ السَّعَلَةِ أَوْ جِرِ الْأَسَدِ

أَوْ مَلِكِ الْأَعْجَامِ مَأْسُوراً بِقَدِّ (٦)

(١) هو عمرو بن يربوع بن حنظلة ، كما في نوادر أبي زيد ١٠٦ .

(٢) ط : « فلأيا » موضع « فلا بك » وما أثبتته من ل ومن النوادر .

(٣) الشعر لشمير (أو سمير) بن الحارث الضببي كما في النوادر ١٢٣ وخزانة الأدب

٣ : ٣ بولاق . وانظر الخزانة ٣ : ٦ .

(٤) ط : « أقول » مكان « تقول » وفي ل : « وحسن كلفتنى . . . » ، وفي

كلتيهما « ما لم أجِد » وهو تحريف .

(٥) ط : « ما لم تقل » موضع « ولم تقل » .

(٦) ل : « الأعجم » . ابن منظور : رجل أعجم وقوم أعجم ، قال :

سلوم لو أصبحت وسط الأعجم في الروم أو في فارس أو في الديلم

إذا لردناك ولو بسلم

وقال آخر^(١) :

يَا قَاتِلَ اللَّهِ بَنِي السَّعْلَةِ عَمْرًا وَقَابوسًا شِرَارَ النَّاتِ

(ما زعموا في جرهم)

وذكروا أَنَّ جُرْهُمًا كَانَ مِنْ نِتَاجِ مَا بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَبَنَاتِ آدَمَ ، وَكَانَ الْمَلِكُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِذَا عَصَى رَبَّهُ فِي السَّمَاءِ أَهْبَطَهُ إِلَى الْأَرْضِ فِي صُورَةِ رَجُلٍ ، وَفِي طَبِيعَتِهِ ، كَمَا صَنَعَ بَهَارُوتُ وَمَارُوتُ حِينَ كَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا وَشَأْنِ الزُّهْرَةِ ، وَهِيَ أَنَاهِيدُ^(٢) مَا كَانَ ، فَلَمَّا عَصَى اللَّهُ تَعَالَى بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ وَأَهْبَطَهُ إِلَى الْأَرْضِ فِي صُورَةِ رَجُلٍ ، تَزَوَّجَ أُمَّ جُرْهُمٍ فَوَلَدَتْ لَهُ جُرْهُمًا ، وَلِذَلِكَ قَالَ شَاعِرُهُمْ^(٣) :

لَا هُمْ إِنْ جُرْهُمَا عِبَادُكَ النَّاسِ طِرْفٌ وَهُمْ تِلَادُكَ^(٤)

(ما زعموا في بلقيس وذي القرنين)

ومن هذا النسل ومن هذا التركيب والنجل^(٥) كانت بلقيس ملكة

(١) هو علباء بن أرقم كما في النوادر ١٠٤ . والبيت الثاني يروى بسدله في الأملاني ٢ : ٦٨ :

عمرو بن يربوع شرار النات

(٢) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من ل . وقد ذكر الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١٢٢ أسماء الكواكب بالفارسية ، فقال : « كيوان ، هرمز ، بهرام ، خور ، ناهيد ، تير ، ماه » ، بمعنى زحل ، المشتري ، المريخ ، الشمس ، الزهرة ، عطارد ، القمر .

(٣) هو عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي ، كما في شرح الأنباري للقصائد السبع ص ٢٥٥ .

(٤) ماعدان والأمبروزيانا : « طارف » .

(٥) ط : « النحل » وصوابه « النجل » كما في ل .

سبأ ، وكذلك كان ذو القرنين كانت أمه فيرى آدمية وأبوه عبري (١) من الملائكة . ولذلك (٢) لما سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلاً ينادى : يا ذا القرنين ، فقال : أفرغتم من أسماء الأنبياء فارتفعتم إلى أسماء الملائكة ؟ .

وروى المختار (٣) بن أبي عبيد أن علياً كان إذا ذكر ذا القرنين .
٨٧ قال : ذلك الملك الأمرط .

(ما زعموا في تلاقح الجن والإنس)

وزعموا أن التناكح والتلاقح قد يقع بين الجن والإنس ، لقوله تعالى : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ . وذلك أن الجنيات إنما تعرض لصرع رجال الإنس على جهة التعشق وطلب السفاد (٤) ، وكذلك رجال الجن لنساء بنى آدم ، ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال ، والنساء للنساء ، ونسأؤهم للرجال والنساء .

ومن زعم أن الصرع من المرة ، ردّ قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ وقال تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ . فلو كان الجان لا يفتض

(١) في ل : « قبرى » بدل « فيرى » وهى فى رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى « قبرى » .

و « عبرى » بدلها فى الرسائل : « عبرى » .

(٢) ط والأمبروزيانا « وكذلك » .

(٣) هو المختار الثقفى من زعماء الثأرين على بنى أمية ، وكان يقال له كيسان ، وإليه

تنسب الطائفة الكيسانية . توفى سنة ٦٧ .

(٤) ل : « الفساد » وليس بشيء .

الآدميات ، ولم يكن ذلك قط ، وليس ذلك في تركيبه ، لما قال الله تعالى .
هذا القول .

(ما زعموا في النسناس وغيره)

وزعموا أن النسناس تركيب ما بين الشق والإنسان . ويزعمون أن خلقاً
من وراء السدّ تركيب من النسناس ، والناس ، والشق ، وبأجوج ومأجوج .
وذكروا عن الواق واق والدوال باي^(١) أنهم نتاج ما بين بعض الثبات والحيوان .
وذكروا أن أمة كانت في الأرض ، فأمر الله تعالى الملائكة فأجلوهم ،
وإياهم عنوا بقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . ولذلك قال الله عز وجل لآدم وحواء :
﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . فهذا يدل على أن ظالماً
وظالماً قد كان في الأرض .

قال الأصمعي - أو خلف - في أرجوزة مشهورة ، ذكر فيها طرل
عمر الحية :

أَرْقَشُ إِنْ أَسْبَطَ أَوْ تَشَنَّى حَسِبْتَ وَرَسَا خَالِطَ الْبِرْنَآ (٢)
خَالِطُهُ مِنْ هَاهُنَا وَهَنَّا إِذَا تَرَاءَاهُ الْحَيَاةُ أَسْتَنَّا (٣)

قال : وكان يقال لتلك الأمة مهنا^(٤) .

(١) ط : « الدوال » ل : « الدوال بأي » وانظر حواشي البغال ص ٣٧٤ .

(٢) الورس : نبت أصفر يزرع باليمن ويصنع به . وقيل : صنف من السكرم . كذا
في المصباح . والبرنا : الحناء .

(٣) ط : « إذا أتى إدا الحداة استنا » . واستن : أسرع .

(٤) ط : « مهنا » ، وفي رسائل الجاحظ ٩٩ « بهيا » .

(قول المجوس في بناء الخلق)

وزعم المجوس أن الناس من ولد مهنة ومهينة ، وأئهما تولدا فيما بين أرحام الأرضين ، ونظفتين ابتدرتا^(١) من عيني ابن هرْمُز حين قتله هرْمُز . وحقاقت أصحاب الاثنين كثيرة في هذا الباب . ولولا أنني أحببت أن تسمع نوعا من الكلام ، ومبلغ الرأي ، لتحدثت لله تعالى شكراً على السلامة ، لما ذكرت كثيراً من هذا الجنس .

(عبد الله بن هلال صديق إبليس وختنه)

وزعم ابن هيثم أنه رأى بالسكونة فتى من ولد عبد الله بن هلال الحميري^(٢) ، صديق إبليس وختنه ، وأئهم كانوا لا يشكون أن إبليس جدّه من قبل أمّهاته . وسنقول في ذلك بالذي يجب إن شاء الله تعالى . وصلة هذا الكلام تجيء بعد هذا إن شاء الله تعالى .

(حوار في الكلب والديك)

٨٨ وقلت : ولو تمّ للكلب معنى السبع وطباعه ، لما ألف الإنسان ، واستوحش من السبع ، وكره الغياض ، وألف الدُّور ، واستوحش من البراري وجانب القفار ، وألف المجالس والديار . ولو تمّ له معنى البهيمة

(١) ط : « انتلرتا » .

(٢) كان في زمن الحجاج ، وكان صاحب شعبة ونيرنجات ، يدعى أن إبليس يتراى له ويصادقه ويكاتبه ويطلعه على أسراره . ثمار القلوب ٥٧ .

في الطبع والخلق والغذاء : لما أكل الحيوان ، وكلب على الناس . نعم حتى رُبَّما كلب ووثب على صاحبه وكلب على أهله . وقد ذكر ذلك طرفة فقال :

كُنْتُ لَنَا وَالذُّهْرَ آوِنَةٌ تَقْتُلُ حَالَ النَّعِيمِ بِالْبُؤْسِ
كَكَلْبِ طَسْمٍ وَقَدْ تَرَبَّبَهُ (١) يَعْلُهُ بِالْحَلِيبِ فِي الْغَلَسِ
ظَلَّ عَلَيْهِ يَوْمًا يُفْرِفِرُهُ إِلَّا يَلْغُ فِي الدَّمَاءِ يَنْتَهِسُ

وقال حاجب بن دينار (٢) المازني في مثل ذلك :

وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَدْ أَعْنَمَ عَلَيْكُمْ بِمَالٍ وَسَاطَانٍ إِذَا سَلِمَ الْحَبْلُ
كَذِي الْكَلْبِ لَمَّا أَسْمَنَ الْكَلْبَ رَابَهُ
بِإِحْدَى الدَّوَاهِي حِينَ فَارَقَهُ الْجَهْلُ

وقال عرف بن الأحوص (٣) :

فَأَنَّى وَقِيْسًا كَالْمَسْمَنِ كَلْبَهُ مُخَدِّثُهُ أَنْيَابُهُ وَأُظَافِرُهُ

وأشده ابن الأعرابي لبعضهم (٤) :

وَهُمْ سَمَّنُوا كَلْبًا لِيَأْكُلَ بَعْضُهُمْ وَلَوْ ظَفِرُوا بِالْحَزْمِ مَا سَمَّنَ الْكَلْبُ
وَفِي الْمَثَلِ (٥) : « سَمَّنَ كَلْبَكَ يَأْكُلُكَ » .

(١) ط : « يريه » . والأبيات ليست في ديوان طرفة . والبيت الثاني والثالث في ثمار القلوب

٣١٤ وفيه حديث عن كلب طسم . وانظر أيضا السهيلي ٢ : ٦٣ .

(٢) ط : « ذبيان » وإنما هو « دينار » كما في ل والبيان ٢ : ١٨٣ .

(٣) انظر يوم الفروق في مجمع الأمثال ٢ : ٥٧ . وقيس المذكور في البيت ذو

قيس بن زهير . والرواية في مجمع الأمثال ، وفي ثمار القلوب ٣١٥ « فخذشه

أنيابه وأظافره »

(٤) هو مالك بن أسماء . كما في الآثار ٣١٥ .

(٥) ط : « الأثر » .

وكان رجلٌ من أهل الشام مع الحجاج بن يوسف ، وكان يخضِر
بِعامه ، فكتب إلى أهله يخبرهم بما هو فيه من الخصب ، وأنه قد سمن
فكتبت إليه امرأته (١) :

أتهدي في التمير طاس وألحيز حاجتي وأنتَ على باب الأميرِ بطينُ
إذا غبت لم تذكُرْ صديقاً وإن تقمُ فأنتَ على ما في يدكِ ضنينُ
فأنت ككلبِ السوءِ في جوعِ أهله فيهنزلُ أهلُ الكلبِ وهو سمينُ

وفي المثل : « سمن كلب في جوع أهله » ، وذلك أنه عند السواف (٢)

يصيب المال ، والإخداج (٣) يعرض للثوق ، [يأكل الجيف فيسمن (٤)] .

وعلى أنه حارسٌ مُحترَسٌ منه ، ومؤنسٌ شديد الإحاش من نفسه ، وأليفٌ

كثير الحيانة على إلفه . وإنما اقتنوه على أن ينذرهم بموضع السارق .

٨٩ وتركوا طرده لينبهم (٥) على مكان المبيت . [وهو أسرقٌ من كل سارق ،

وأدومٌ جنايةً من ذلك المبيت] . ويدلُّ على أنه سروقٌ عندهم ،

قولُ الشاعر :

أني أن سرى كلبٌ فيبت جلةً وجبجبةً للوطب ليلى تطلق (٦)

(١) الخبر والأبيات في أمالي القالي ٢ : ١٣٦ مع اختلاف في الرواية .

(٢) ط : « السواف » وإنما هو « السواف » كما في ل . والسواف كغراب :
الموتان في الإبل .

(٣) أخذجت الناقة : أتت بولد ناقص .

(٤) زدتها ليم الكلام ، اعتماداً على ما في نوادر أبي زيد ٢٤٨ ، وأمثال الميداني (٢ : ٢٦٣) .

(٥) في الأصل : « لينبهم » ولم يعهد تعدية هذا الفعل بعلى . وأثبت ما في نهاية الأرب ٩ : ٢٥٧ .

(٦) ط : « أخى » بدل « أنى » ، و « حلة » مكان « جلة » . وتصحيح البيت

من ل واللسان (جيب) . وفيه « سلمى » موضع « ليل » . والجللة ، بالضم :

وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر ويكنز . والجبجبة ، بفتح الجيمين أو ضمهما :

الكرش يجعل فيه اللحم المقطع يتزود به في الأسفار . وقال ابن الأعرابي : هو جلد جنب

البعير يقور ويجعل فيه اللحم الذي يدعى الوشيقة . والوشيقة : لحم يغلى بإغلاء ثم يقدد ،

فهو أبق ما يكون .

فهو سرّاق ، وصاحب بيّات ، وهو نبّاشٌ ، وآكلٌ لحومِ النَّاسِ . ألا إنّه يجمعُ سرقة الليل مع سرقة النهار ، ثم لا تجده أبداً يمشى في خزانةٍ ، أو مطبخٍ ، أو عَرَصَةِ دارٍ ، أو في طريقٍ ، أو في برارىٍّ ، أو في ظهرِ جبلٍ ، أو في بطنِ وادٍ ، إلّا وخطمه في الأرض يتشمّم ويستروح ، وإن كانت الأرضُ بيضاءَ حصّاءً^(١) ودويّةً ملساءً ، أو صخرةً خلقاءً ؛ حرصاً وجشعاً ، وشرها وطمعاً . نعم حتّى لا تجده أيضاً يرى كلباً إلّا اشمّ استه ، ولا يتشمّم غيرها منه ، ولا تراه يُرمى بحجرٍ أيضاً أبداً إلّا رجّع إليه فعضّ عليه ؛ لأنّه لما كان لا يكاد يأكلُ إلّا شيئاً رمّوا به [إليه] صار ينسى لفرطِ شرهه وغلبةِ الجشعِ على طبعه ، أنّ الرامى إنّما أراد عقره أو قتله ، فيظنّ لذلك أنّه إنّما أراد إطعامه والإحسانَ إليه . كذلك يخيلُ إليه فرطُ النهمِ وتوهمه غلبةُ الشرِّه ، ولكنّه رمى بنفسه على الناسِ عجزاً ولؤماً ، وفسولةً ونقصاً ، وخافَ السباعَ واستوحش من الصّحارى .

ولمّا سمعوا بعضَ المفسرين يقول في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾^(٢) إنّ المحروم هو الكلب ؛ وسمعوا في المثل : « اصنعوا المعروفَ ولو إلى الكلب » عطفوا عليه واتخذوه في الدُّور . وعلى أنّ ذلك لا يكون إلّا من سفلتهم وأغبيائهم ، ومن قلّ تقزُّزه^(٢) وكثُر جهله ، وردّ الآثارَ إمّا جهلاً وإمّا معاندةً .

وأما ألدّيك فمن بهائم الطير وبغائتها ، ومن كلولها والعِيال على

(١) ط : « وحصياء » والوجه ما أثبت من ل ، كما في نهاية الأرب ٩ : ٢٥٧ نقلًا عن الحيوان . والحصاء : الجرداء .

(٢) ط : « تقزده » .

أربابها ، وليس من أحرارها ولا من عتاقها وجوارحها ، ولا ممّا (١) يطرب بصوته ويُسجى بلحنه ، كالقمارى والدبّاسى والشفانين (٢) والوراشين والبلابل والفواخت ، ولا ممّا يُونق بمنظره ويمتّع الأبصارَ حسنه ، كالطواويس والتّدارج ، ولا ممّا يعجب بهدايته ويُعقّد الذمام بالّفه ونزاعه ، وشدّة أنسه وحنينه ، وتُرّيده بإرادته لك ، وتعطّف عليه لحبّه إياك ، كالحمام ، ولا هو أيضاً من ذوات (٣) الطيران منها ، فهو طائرٌ لا يطير ، وبهيمهٌ لا يصيد ، ولا هو أيضاً ممّا يكون صيداً فيمتّع من هذه الجهة ويُراد لهذه اللّذة .

والمُخفّاش أمرط ، وهو جيّد الطيران ، والدّيك كاسٍ وهو لا يطير .
وأىُّ شىءٍ أعجبٌ من ذى ريشٍ أرضى ، ومن ذى جلدٍ هوأى .

وأجمعُ الخلق لحصال الخير الإنسان ، وليس الزّواجُ إلاّ فى الإنسان وفى الطير ، فلو كان الديك من غير الطير ثمّ كان ممن لا يزواج ، لقد كان قد مُنِع هذه الفضيلة وعدم هذه المشاكلة الغريبة ، وحُرّم هذا السّبب الكريم والشّبّه المحمود . فكيف وهو لا يزواج ، وهو من الطير الذى ليس الزّواجُ والإلفُ وثباتُ العهد ، وطلبُ الذرء وحبُّ النّسل ، والرجوعُ إلى السكن والحنين إلى الوطن - إلاّ له وللإنسان . وكلُّ شىءٍ لا يزواج فإنّما دخله النقصُ وخسر هذه الفضيلة من جهةٍ واحدة ، وقد دخل الديك النقص

(١) ط : « من » وكذلك يتكرر هذا الخطأ فى كل موضع أتت فيه « ممّا » . وقد جاء على الصواب الذى أثبتته ، فى ل .

(٢) ط : « الشفانين » وصوابه بالفاء كما فى ل . وهو جمع شفنين بالكسر ، وقد تحدّث عنه الجاحظ فى ٣ : ١٤٦ ، ٥١٦ و ٧ : ٦٩ ، ١٨٧ من الحيوان وكذلك الدميرى .

(٣) فى الأصل : « ذوى » ولا يكون ذلك إلاّ للعاقلين ، والوجه ما أثبت .

من جهتين . ووصف أبو الأخرز الحمانى الحمارا وغير العانة خاصة (١) ، فإنه أمثل في باب المعرفة من الأهل ، فذكر كيف يضرب في الأثن ، ووصف استبهامه عن طلب الولد ، وجهله بموضع الذرء ، وأن الولد لم يجى منه عن طلب له ، ولكن النطفة البريئة من الأسقام ، إذا لاقت الأرحام البريئة من الأسقام حدث النتاج على الحلقة ، وعلى ما سويت عليه البنية (٢) . وذكر أن نزوه على الأتان ، من شكل نزوه على العير ، وإنما ذلك على قدر ما يحضره من الشبق ، ثم لا يلتفت إلى دبر من قبل ، وإلى ما يلقح [من مثله مما لا يلقح] فقال :

* لا مُبتَغى الضنن ولا بالعازل (٣) *

يقول : هو لا يريد الولد ولا يعزل .
والأشياء التي تألف الناس ولا تريد سواهم ، ولا تحن إلى غيرهم ،
كالعصفور والخطاف والكلب والسنور . والدب لا يألف منزله ولا ربه
ولا ينازع (٤) إلى دجاجته ولا طروقته ، ولا يحن إلى ولده ، بل لم يدر
قط أن له ولداً ؛ ولو درى لكان على درأيته دليل ، فإذا وجدناه
لبيضه (٥) وفرارجه الكائنة منه ، كما نجد له لما لم يلد له ولم ليس من شكله
ولا يرجع إلى نسبه ، فكيف تُعرف الأمور إلا بهذا وشبهه . وهو مع ذلك

(١) ط : « وغير العانة خاصة » وصوابه في ل . وانظر ص ٥٠ .

(٢) ط : « عن » بدل « على » .

(٣) ط : « لضنن » .

(٤) كذا في ل . وفي ط : « يحن » فتضعف العبارة بالتكرار .

(٥) ط : « فإذا وجدناه لبيضه » والوجه ما في ل .

أبله لا يعرف أهل داره ، ومبهوت لا يُثبِتُ وجهَ صاحبه . وهو لم يُخلَقْ إلاَّ عنده وفي ظلِّه ، وفي طعامه وشرابه ، وتمتَّحتَ جناحه .

والكلبُ على ما فيه يعرف صاحبه ، وهو والسَّنور يعرفان أسماءهما ، وبألفان موضعهما ، وإن طُردا رجعا ، وإن أجيعا صَبْرًا ، وإن أهينا احتمالًا .

والديك يكون في الدار من لدن كان فرُّوجاً صغيراً إلى أن صار ديكاً كبيراً ، وهو إن خرَّج من باب الدار ، أو سقط على حائط من حيطان الجيران ، أو على موضعٍ من المواضع ، لم يعرف كيف الرجوعُ ، وإن كان يُرى منزله قريباً ، وسهل (١) المطلبِ يسيراً ، ولا يندكر ولا يتدكر ، ولا يهتدى ولا يتصور له كيف يكون الإهداء ، ولو حنَّ لطلبَ ، ولو احتاج لالتمس . ولو كان هذا الخبْرُ في طباعه لظَهَرَ ، ولسكنها طبيعةً بلهاءً مستبهمةً . طامحة (٢) وذاهلة ، ثمَّ يسفدُ الدجاجةَ ولا يعرفها ، هذا مع شدة حاجته إليهنَّ وحرصه على السَّفاد . والحاجةُ تفتقُ الحيلةَ ، وتدُلُّ على المعرفة . إلاَّ ما عليه ألدك ؛ فإنه مع حرصه على السَّفاد ، لا يعرفُ التي يسفد . ولا يقصد إلى ولدٍ ، ولا يخضن بيضاً ولا يعطفه رَحِمٌ . فهو من هاهنا أحمق من الخباري وأعقُّ من الضبِّ .

وقال عثمان بن عفَّان رضي الله تعالى عنه : « كلُّ شيءٍ يحبُّ ولده حتى الخباري » . فضرَبَ (٣) بها المثلَ كما ترى في الموق والغفلة . وفي الجهل والبله . وتقول العرب : « أعقُّ من الضبِّ » . لأنَّه يأكلُ حُسُولَه .

(١) ط : « رسييل » .

(٢) لعلها لا جائحة .

(٣) الأمبروزيانا : « يضرب » .

(أكل الهرة أولادها)

وكرمَ عند العربَ حظَّ الهِرَّةِ ، لقولهم : « أَبْرَثُ مِنْ هِرَّةٍ ، وَأَعْقُ مِنْ ضَبٍّ » فَوَجَّهُوا أَكَلَ الهِرَّةِ أولادها على شِدَّةِ الحُبِّ لها ، وَوَجَّهُوا أَكَلَ الضَّبِّ لها على شِدَّةِ البَغْضِ لها . وليس ينجو مِنْهُ شَيْءٌ مِنْهَا إِلَّا بِشِغْلِهِ بِأَكْلِ إخوته عنه . وليس يخرسُها مِمَّا يأكلها إِلَّا لِأَكْلِهَا . ولذلك قال العَمَلَسُ ابن عَقِيلٍ . لأبيه (١) عَقِيلُ بن عُلْفَةَ :

أَكَلْتُ بَدِيكَ أَكَلَ الضَّبُّ حَتَّى وَجَدتَ مَرارةَ النِكَلِ الوَبِيلِ
فلو أَنَّ الألى كانوا شهوداً مَنَعْتَ فِئاءَ بَيْنِكَ مِنْ بَجِيلِ
وقال أيضاً (٢) :

أَكَلْتُ بَدِيكَ أَكَلَ الضَّبُّ حَتَّى تَرَكَتَ بَدِيكَ لَيْسَ لَهمْ عَدِيدُ
وَشَبَّهَ السَّيِّدُ بن مُحَمَّدٍ الحَمِيرِيُّ . عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا فِي نَصَبِهَا
الحَرْبَ يَوْمَ الجَمَلِ لِقِتالِ بَنِيها ، باخِرَةَ حِينَ تَأْكُلُ أولادها ، فقال :
جاءتُ مَعَ الأَشَقينَ فِي هَوْدَجٍ تُزجِي إلى البَصْرَةِ أَجنادها
كأَنَّها فِي فِعْلِها هِرَّةٌ تُريدُ أَنْ تَأْكَلَ أولادها

(رعاية الذئبة لولد الضبع)

وتقول العرب أيضاً : « أَحْمَقُ مِنْ جَهِيْزَةٍ » ، وهى عِرْسُ الأذئبِ ؛ لِأَنَّها تَدْعُ وَلدَها وتَرْضَعُ وَلدَ الضَّبِّ .

قال : وهذا معنى قول ابن جِذَلِ الطَّعانِ (٣) .

كَمُرْضِعَةٍ أولادَ أُخْرَى وَضَيَّعَتْ بَدِيها فلم تَرَقِعْ بِذلك مَرَقَعاً

(١) ل : « لابنسه » والصواب ما في ط . وفي الأغاني ١١ : ٨٩ أن الشعر لأرطاة ابن سبية .

(٢) هذه الجملة واثبت بعدها ، ليسا في ل . وانظر العقد ٦ : ٤٩ .

(٣) ط : « ابن جزل الطعان » وتصحيحه من ل . والبيت في الثمار ٣١٣ والرواية فيه : « فلم تحسن بما فعلت صنعا » . وانظر حاسة البحرى ١٧٠ .

(رعاية الذئب لولد الضبع)

ويقولون : إِنَّ الضَّبَعَ إِذَا صِيدَتْ أَوْ قُتِلَتْ ، فَإِنَّ الذَّبَّ يَأْتِي أَوْلَادَهَا
بِاللَّحْمِ . وَأَنْشُدَ الكُمَيْتُ :

كَمَا خَامَرَتْ فِي حِضْنِهَا أُمَّ عَامِرٍ لِدِي الحَبْلِ حَتَّى عَالَ أَوْسٌ عِيَالَهَا (١)
وَأَوْسٌ هُوَ الذَّبُّ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ ذُؤَالِهِ ضِغْتُ يَزِيدُ عَلَيَّ إِبَالَهُ
فَلَأَحْشَانُكَ مَشْقَصًا أَوْسًا أَوْيسٌ مِنْ الهَبَالِهِ (٢)

الأوس : الإِعْطَاءُ ، وَأَوْيسٌ هُوَ الذَّبُّ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ الهَذَلِيُّ (٣) :

يَا لَيْتَ شَعْرِي عَنْكَ وَالْأَمْرُ أَمَمٌ مَا فَعَلَ الْيَوْمَ أَوْيسٌ فِي الغَنَمِ
وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

وَأَبُو الْيَتَامَى كَانَ يُحْسِنُ أَوْسَهُمْ وَيَحُوطُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ جَامِدٍ (٤)

(حمق النعامة)

ويقولون : « أَحْمَقُ مِنْ نَعَامَةٍ » كَمَا يَقُولُونَ : « أَشْرَدُ مِنْ نَعَامَةٍ » قَالُوا
ذَلِكَ لِأَنَّهَا تَدْعُ الحِضْنَ عَلَيَّ بِيضِهَا سَاعَةَ الحَاجَةِ إِلَى الطَّعْمِ ، فَإِنَّ هِيَ

(١) ل : « لدى الحبل » وهي رواية ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢ : ٧٩ . وبرواية
ابن منظور للبيت في مادة (أوس) « غال أوس » ، وتفسيرها بقوله : « أكل جراهها »
بذلك لا يصح الاستشهاد لما استشهد له الجاحظ .

(٢) ط : « فلأحشونك » والصواب ما في ل . انظر أدب السكاك ٥٧ والاقضاب .
وحشاه : رماه . والمشقص : سهم طويل أو عريض . والبيتان لأسماء بن خارجة
كما في اللسان (أبلى) .

(٣) الشعر في اللسان (رخم) منسوب إلى عمرو ذي الكلب . وهو هذلي كما في الأغاني .

(٤) ط : « جاحد » . والعام الجامد : عام الجذب والقحط وامتناع الغيث .

في خروجها ذلك رأت بيضَ أخرى قد خرجت للطعم ، حضنت بيضها ونسيت
بيضَ نفسها ، ولعلَّ تلك أن تُصادَ فلا ترجعُ إلى بيضها بالعراء حتى تهلك .
قالوا : ولذلك قال ابن هرمة (١) :

فإني وتركي ندى الأكرمين وقدحى بكفى زندا شحاحا
كتاركةٍ بيضها بالعراء وملبسةٍ بيضَ أخرى جناحا

وقد تحضن الحمامُ على بيض الدجاج ، وتحضن الدجاجةُ بيض الطاوس ،
فأما أن يدعَ بيضه ويحضن بيض الدجاجة ، أو تدعَ الدجاجةُ بيضها وتحضن
بيض الطاوس فلا . فأما فرُّوجُ الدجاجة إذا خرج من تحت الحمامة ؛ فإنه
يكون أكيس . وأما الطاوس الذي يخرج من تحت الدجاجة فيكون أقلَّ
حسناً وأبغضَ صوتاً .

(الفرخ والفروج)

وكلُّ بيضةٍ في الأرض فإنَّ اسمَ الذي فيها والذي يخرج منها فرخ ،
إلا بيضَ الدجاج فإنه يسمى فرُّوجاً ، ولا يسمى فرخاً ، إلا أن الشعراء
يجعلون الفرُّوجَ فرخاً على التوسُّع في الكلام ، ويجوزون في الشعر أشياء
لا يجوزونها في غير الشعر ، قال الشاعر :

لعمري لأصوات المكاكي بالضحى وسودُّ تداعى بالعشى نواعبه (٢) ٩٣
أحبُّ إلينا من فراخ دجاجةٍ ومن ديك أنباط تنوس غباغه (٣)

(١) تكلم في هذا الشعر الثعالبي في الثمار ٣٥٣ والدميري ٢ : ٥٠٢ . ولابن طباطبا
كلام جيد فيه انظر له الموشح ٢٣٧ .

(٢) السود ، بالفتح : سفح مستو كثير الحجارة السود . وفي ط : « وسوء » وتصحيحه من ل .

(٣) ل وكذا في المخصص ١٦٧ : « صغار ومن ديك تنوس غباغه » .

وقال الشَّامِخُ بنُ ضِرَارٍ (١) :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ خَاقَانَ عَنِّي تَأَمَّلْ حِينَ يَضْرِبُكَ الشَّتَاءُ

فَتَجْعَلُ فِي جَنَابِكَ مِنْ صَغِيرٍ (٢) وَمِنْ شَيْخٍ أَضْرَبُ بِهِ الْفَنَاءُ

فِرَاحٍ دَجَاجَةٍ يَتَبَعَنَّ دِيكَأً يَلْدُنَّ بِهِ إِذَا حَمِسَ الْوَعَاءُ

[فَإِنْ] قَلْتُ : وَأَيُّ شَيْءٍ بَلَغَ مِنْ قَدْرِ الْكَلْبِ وَفَضِيلَةِ الدِّيكِ ،

حَتَّى يَتَفَرَّغَ لَذِكْرِ مَحَاسِنِهِمَا وَمَسَاوِيهِمَا ، وَالْمُوازَنَةِ بَيْنَهُمَا وَالتَّنْوِيهِ بِذِكْرِهِمَا ،

شَيْخَانِ مِنْ عَلِيَّةِ الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَمِنْ الْجِلَّةِ (٣) الْمُتَقَدِّمِينَ . وَعَلَى أَنَّهُمَا مَتَى

أَبْرَمَا هَذَا (٤) الْحُكْمَ وَأَفْصَحَا بِهِذِهِ الْقَضِيَّةِ ، صَارَ بِهَذَا التَّدْبِيرِ بَيْنَهُمَا حِطٌّ

وَحِكْمَةٌ وَفَضِيلَةٌ وَدِيَانَةٌ ، وَقَلَدَهُمَا كُلُّ مَنْ هُوَ دُونَهُمَا ؛ وَسَيَعُودُ ذَلِكَ عِذْرًا

لَهُمَا إِذَا رَأَيْتَهُمَا يُوَازِيَانِ بَيْنَ الذُّبَابِ (٥) وَبَنَاتِ وَرْدَانَ ، وَبَيْنَ الْخَنَافِسِ

وَالْجُعْلَانَ ، وَبَيْنَ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الْهَمَجِ وَأَصْنَافِ الْحَشْرَاتِ ، وَالْحَشَاشِ ،

حَتَّى الْبَعُوضِ وَالْفَرَاشِ وَالِدِيدَانَ وَالْقِرْدَانَ (٦) فَإِنْ جَازَ هَذَا فِي الرَّأْيِ وَتَمَّ

عَلَيْهِ الْعَمَلُ ، صَارَ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّظَرِ عِوَضًا مِنَ النَّظَرِ فِي التَّوْحِيدِ ،

وَصَارَ هَذَا الشَّكْلُ مِنَ التَّمْيِيزِ خَلْفًا مِنَ التَّعْدِيلِ وَالتَّجْوِيرِ ، وَسَقَطَ الْقَوْلُ

فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَنُسِيَ الْقِيَاسُ وَالْحُكْمُ فِي الْأَسْمِ ، وَبَطَلَ الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ

الْمَلَلِ ، وَالْمُوازَنَةُ بَيْنَ جَمِيعِ النَّحْلِ ، وَالنَّظَرُ فِي مَرَاشِدِ النَّاسِ وَمُصَالِحِهِمْ ،

وَفِي مَنَافِعِهِمْ وَمَرَافِقِهِمْ ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ لَا تَدْسَعُ لِلْجَمِيعِ ، وَأَلْسِنَتُهُمْ لَا تَنْطَلِقُ

بِازْتِكَلٍّ . وَإِنَّمَا الرَّأْيُ أَنْ تَبْدَأَ مِنَ الْفَتْقِ بِالْأَعْظَمِ ، وَالْأَخُوفِ

فَالْأَخُوفِ .

(١) فِي (٧ : ٨٥) أَنَّهُ شَاهِخُ بِنِ أَبِي شَدَادِ .

(٢) ل : « حِبَالِكَ » مَوْضِعُ « جَنَابِكَ » .

(٣) ل : « جِلَّةٌ » .

(٤) ط : « مَدْعَا » .

(٥) ل : « رَأَيْنَاهُمْ يُوَازِنُونَ .. الْبَخ » . ط : « الذُّبَابِ » مَوْضِعُ « الذُّبَابِ » .

(٦) الْقِرْدَانُ : جَمْعُ قِرَادٍ ، وَهُوَ دَوِيْبَةٌ تَنْتَشِرُ فِي أَعْطَانِ الْإِبِلِ .

وقلتَ : [و] هذا بابٌ من أبواب الفراغ وشكل من أشكال التطرُّف^(١) وطريق من طرق المزاح ، وسبيلٌ من سبيل المضاحك . ورجالُ الجِدِّ غير رجالِ الهزل ، وقد يحسُن الشيءُ بالشَّبَابِ ويقبُحُ مثله من الشيوخ ولولا التحصيلُ والموازنة ، والإبقاء على الأدب ، والدِّيانة بشدَّة المحاسبة ، لما قالوا : لكلِّ مقامٍ مقالٌ ، ولكلِّ زمانٍ رجالٌ ، ولكلِّ ساقطةٍ لاقطة ، ولكلِّ طعامٍ أكلة^(٢) .

(تنوع الملكات وقوتها وضرورة ظهورها)

قد زعم أناسٌ أنَّ كلَّ إنسانٍ فيه آلةٌ لِـرَفِيقٍ من المرافق ، وأداةٌ لمنفعةٍ^(٣) من المتافع ، ولا بدَّ لتلك الطبيعة من حركةٍ وإنَّ أبطأت ، ولا بدَّ لتلك الكامنِ من ظهورٍ ؛ فإنَّ أمكنه ذلك بعثه ، وإلَّا سرى إليه كما يسرى السمُّ في البدن ، و [نَمَى] كما ينمى العرق ؛ كما أنَّ البزور البريَّة ، والحبَّة الوحشيَّة الكامنة في أرحام الأَرْضِين ، لا بدَّ لها من حركةٍ عندَ زمانِ الحركة ، ومن التفتُّق والانتشار في إيَّانِ الانتشار . وإذا صارت الأمطارُ لتلك الأرحامِ كالنَّظْمَةِ ، وكان بعضُ الأرضِ كالأمِّ الغاذية^(٤) فلا بدَّ لكلِّ ثديٍ قويٍّ أن يُظهر قُوَّتَه ، كما قال الأوَّلُ :

* ولا بدَّ للمصدورِ يوماً من النَّفْثِ^(٤) *

(١) ط : « التطرق » .

(٢) ل : « آكل » .

(٣) ط : « آلة المرفق من المرافق وأداة المنفعة » وهو تحريف ما في ل .

(٤) ل : « ولا بد للمصدر من النفث » .

[وقال (١)] :

* ولا بدّ من شكوى إذا لم يكن صبر *

ولذلك صار طلب الحساب أخفّ على بعضهم، وطلب الطبّ أحبّ إلى بعضهم. وكذلك النزاع إلى الهندسة، وشغف أهل النجوم بالنجوم. وكذلك أيضاً ربّما تحرك له بعد الكبرّة، وصرف (٢) رغبته إليه بعد الكهولة، على قدر قوّة العرق في بدنه، وعلى قدر الشواغل له وما يعترض عليه، فتجد واحداً يلهج بطلب الغناء واللحون، وآخر يلهج بشهوة القتال، حتى يكتب مع (٣) الجند، وآخر يختار [أن يكون] وراقاً، وآخر يختار طلب الملك، وتجد حرصهم على قدر العلل الباطنة المحركة لهم، ثمّ لا تدري كيف عرض لهذا هذا بالسبب دون الآخر إلاّ بجملة من القول، ولا تجد المختار لبعض هذه الصناعات على بعض يعلم لم (٤) اختار ذلك في جملة ولا تفسير، إذ كان لم يجبر منه على عرق، ولا اختاره على إرث.

(من سار على غير طبعه)

وليس العجب من رجل في طباعه سبب يصل بينه وبين بعض الأمور ويجرّكه في بعض الجهات، ولكنّ العجب ممّن يموت مغنياً وهو لا طبع

(١) جعل هذا الشطر والكلام الذي قبله بينا واحداً، وذلك لا يستقيم. والزيادة رأيتها

ضرورية لاستقامة الكلام. والآق عجز بيت صدره كما في البيان ٣ : ٢٢٠ و٤٠ : ٦٣ :

* وما كثرة الشكوى بأمر حزامه *

(٢) ط : « وأصرف » .

(٣) ل : « يكتب » وصوابه ما أثبت من ط . واكتب : كتب نفسه

ديوان السلطان .

(٤) ط : « لما » .

له في معرفة الوزن، وليس له جِرمٌ حسنٌ^(١)، فيكون إن فاته أن يكون معلماً ومعنى خاصة أن يكون مطرباً ومُعنى عامة . وآخر قدمات على أن يُذكر بالجوذ ، وأن يسخى على الطعام ، وهو أبخلُ الخلق طبعاً ، فتراه كلفماً بالتخاذ الطيبات ومستَهترًا بالتكثير منها ، ثم هو أبداً مفتضحٌ وأبداً منتفض الطباع ، ظاهرُ الخطأ ، سيئُ الجزع عند مؤاكلة من كان هو الداعى له ، والمرسل إليه ، والعارف مقدار لقمه ونهاية أكله .

فإن زعمتم أن كل واحدٍ من هؤلاء إنما هو رهنٌ بأسبابه ، وأسيرٌ في أيدي عِلله ، عذرتهم جميع اللئام وجميع المقصّرين ، وجميع الفاسقين والضالّين . وإن كان الأمر [إلى] التمكينِ دون التسخير ، أفليس من أعجب العجب ومن أسوأ التقدير التمثيل^(٢) بين الديكة والكلاب . ١٥
قد عرفنا قولك ، وفهمنا مذهبك .

فأما قولك : « وما بلغ من خطر ألدك وقدر الكلب » فإن هذا ونحوه كلامٌ عبدٍ لم يفهم عن ربه ، ولم يعقل عن سيده ، إلا بقدر فهم العامة أو الطبقة التي تلى العامة . كأنك ، فهّمك الله تعالى ، تظن أن خلق الحية والعقرب ، والتدبير في خلق الفراش والذباب ، والحكمة في خلق الذئب والأسد وكل مبغض إليك أو محقر عندك ، أو مسخر لك أو واثب عليك ، أن التدبير فيه مختلفٌ أو ناقص ، وأن الحكمة فيه صغيرة أو ممزوجة .

(١) الجرم ، بالكسر : الصوت ، والخلق .

(٢) ط « والتمثيل » والنو هنا لاموضع لها .

(مصلحة الكون ، في امتزاج الخير بالشر)

اعلم أن المصلحة في أمر ابتداء الدنيا إلى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر ، والضار بالنافع ، والمكروه بالسار ، والضعف بالرفعة ، والكثرة بالقلّة . ولو كان الشر صرّفاً دلك الخلق ، أو كان الخير محضاً سقطت المحنة وتقطعت أسباب الفكرة ، ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة ، ومتى ذهب التخيير ذهب التمييز ، ولم يكن للعالم تثبت وتوقف وتعلم ، ولم يكن علم ، ولا يعرف باب التبين ، ولا دفع مضرّة ، ولا اجتلاب منفعة^(١) ، ولا صبر على مكروه ولا شكر على محبوب ، ولا تفاضل في بيان ، ولا تنافس في درجة . وبطلت فرحة الظفر وعز الغلبة ، ولم يكن على ظهرها محق يجد^(٢) عز الحق ، ومبطل يجد ذلّة^(٣) الباطل ، وموقن يجد^(٤) برّد اليقين ، وشاك يجد^(٢) نقص الحيرة وكرّب الوجوم ؛ ولم تكن للنفوس آمال ولم تشعبها الأطماع . ومن لم يعرف كيف الطمع لم يعرف اليأس ، ومن جهل اليأس جهل الأمن ، وعادت الحال من الملائكة الذين هم صفوة الخلق ، ومن الإنس الذين فيهم الأنبياء والأولياء ، إلى حال السبع والبهيمة ، وإلى [حال] الغباوة والبلادة ، وإلى حال النجوم في الشجرة ؛ فإنها أنقص من حال البهائم في البرّعة . ومن هذا الذي يسره أن يكون

(١) ط : « التدبير » موضع « التبين » ، و « المغفرة » موضع « مفرة » ، و « المنفعة » موضع « منفعة » .

(٢) ط : « يجد » وهو تصحيف .

(٣) ط : « يجد ذل » وهو تحريف كذلك .

(٤) ط : « وموقن يجد » وهو تحريف .

الشمسَ والقمرَ والنَّارَ والثلجَ ، أو برجا من البروج أو قطعةً من الغيم ؛
أو يكونَ المَجْرَّةَ بأُسْرَها ، أو مكيالاً من الماء أو مقداراً من الهواء؟! وكلُّ
شئٍ في العالمِ فإمَّا هو للإنسانِ ولكلِّ مَخْتَبَرٍ ومُخْتَارٍ ، ولأهلِ العقولِ
والاستطاعةِ ، ولأهلِ التَّيْنِ^(١) والرويةِ .

وأينَ تَقَعُ لَذَّةُ البهيمَةِ بالَعُلُوفَةِ ، ولذَّةُ السَّبْعِ بِلَطْعِ الدَّمِ وأكلِ اللحمِ -
من سرورِ الظَّفَرِ بالأعداءِ ؛ وَمِنْ انْفِتَاحِ بابِ العِلْمِ بعدَ إِذْمَانِ القَرَعِ ؟ وأينَ
ذلكَ من سرورِ السُّودِّدِ ومن عِزِّ الرِّياسَةِ ؟ وأينَ ذلكَ من حالِ النُّبُوَّةِ
والخِلافةِ ، وَمِنْ عِزِّهِمَا وَساطِعِ نورِهِمَا . وأينَ تَقَعُ لَذَّةُ دِرْكِ الحِوَّاسِ الَّذِي
٩٦ هو مِلاقاةُ المَطْعَمِ والمَشْرَبِ ، ومِلاقاةُ الصَّوْتِ المُسْطَرِبِ واللَّوْنِ المونِقِ ،
والملمسة^(٢) اللَّيْنَةِ - مِنَ السَّرورِ بِنَفَازِ الأَمْرِ والنَّهْيِ ، وبجِوَّازِ التَّوْقِيعِ ،
وبما يُوجِبُ الخاتَمُ مِنَ الطَّاعَةِ وَيُلْزِمُ مِنَ الحِجَّةِ ؟ ! .

ولو اسْتَوَتْ الأُمُورُ بَطَلَ التَّمييزُ ، وإِذا لَمْ تَكُنْ كَلْفَةً لَمْ تَكُنْ مَثُوبَةً ،
ولو كانَ ذلكَ لِبَطالَةِ ثَمَرَةِ التَّوَكُّلِ عَلى اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْيَقِينِ بِأَنَّهُ الوَزْرُ
والمُحافِظُ ، وَالسَّكائِيُّ والدافِعُ^(٣) ، وَأَنَّ الَّذِي يَحاسِبُكَ أَجودُ الأَجودِينِ ،
وَأَرْحَمُ الرّاحِمِينَ ، وَأَنَّهُ [الَّذِي] يَقْبَلُ البِسيرَ وَيَهَبُ الكَثيرَ ، ولا يَهْلِكُ
عَليه إِلا هالِكٌ . ولو كانَ الأَمْرُ عَلى ما يَشْتَبِهُه الغَيرُ والجاهِلُ بِعِواقِبِ
الأُمُورِ ، لِبَطالَةِ النَّظَرِ وما يَشْحِذُ عَليه^(٤) ، وما يَدْعُو إِليه ، ولتَعَطَّلَتْ

(١) ط : « التبين » .

(٢) ط : « واللبسة » .

(٣) ط : « والسكافي والرافع » .

(٤) الشحذ : السوق العنيف .

الأرواح من معانيها ، والعقول من ثمارها ، ولعديمت الأشياء
حظوظها وحقوقها .

فسبْحان من جعل منافعها نعمةً ، ومضارَّها ترجع إلى أعظم المنافع ،
وقسمها بين مُلِدِّ ومؤلم ، وبين مؤنسٍ ومُوحش ، وبين صَغِيرٍ حقيرٍ وجليلٍ
كبير ، وبين عدوٍّ يرصدك وبين عقلٍ يحرسك ، وبين مُسالمٍ يَمْنَعُكَ ،
وبين مُعينٍ يعضدك ، وجعل في الجميع تمامَ المصلحة ، وباجتماعها تمُّ
النعمة ، وفي بطلانِ واحدٍ منها بطلانُ الجميع ، قياساً قائماً وبرهاناً واضحاً .
فإنَّ الجميع (١) إنّما هو واحدٌ ضمَّ إلى واحدٍ وواحدٌ ضمَّ إليهما ، ولأنَّ
الكلَّ أبعاضٌ ، ولأنَّ كلَّ جُثَّةٍ فن أجزاء ، فإذا جوَّزْتَ رفعَ واحدٍ
والآخرُ مثله في الوزن وله مثلُ علته وحظّه ونصيبه ، فقد جوَّزْتَ رفعَ
الجميع ؛ لأنّه ليس الأوَّلُ بأحقَّ من الثاني في الوقت (٢) الذي رجوت فيه
إبطالَ الأوَّل ، والثاني كذلك والثالث والرابع ، حتّى تأتى على الكلِّ
وتستفرغ الجميع . كذلك الأمورُ المضمَّنة والأسبابُ المقيدة (٣) ؛ ألا ترى أنَّ
الجبيلَ ليس بأدلَّ على الله تعالى من الحصاة ، وليس الطاوسُ المستحسنُ
بأدلَّ على الله تعالى من الحنيزير المستقبح . والنارُ والثلج وإنَّ اختلفا في جهة
البرودة والسُّخونة ، فإنَّهما لم يختلفا في جهة البرهان والدلالة .

وأظنُّك ممن يرى أنَّ الطاوسَ أكرمُ على الله تعالى من الغراب ، وأنَّ

(١) من كلمة « قياساً » سقط الكلام في ل إلى هنا .

(٢) ط : « فالحق » وهو تحريف .

(٣) ط : « المظمنة » مكان « المضمَّنة » ، و « المقيدة » مكان « المقيدة »

وهو تحريف .

التدرُّج^(١) أعزُّ على الله تعالى من الحِدَاةِ ، وأنَّ الغزالَ أحبُّ إلى الله تعالى من الذئب . فإنَّما هذه أمور فرَّقها الله تعالى في عيون الناس ، وميَّزها في طبائع العباد ، فجعلَ بعضها بهم أقربَ شَبهاً ، وجعلَ بعضها إنسيًّا ، وجعلَ بعضها وحشيًّا ، وبعضها غاذيًّا ، وبعضها قاتلاً . وكذلك الدُّرَّةُ وَالْحَرَزَةُ والتمرَّةُ^(٢) والجمرة .

٩٧

فلا تذهبْ إلى ما تريك العينُ واذهبْ إلى ما يريك العقلُ .

(الاعتماد على العقل دون الحواس)

وللأمور حكمان : حكم ظاهرٌ للحواس ، وحكم باطنٌ للعقول . والعقل هو الحجَّة . وقد علمنا أنَّ خزانة النارِ من الملائكة ، ليسوا بدون خزانة الجنة ؛ وأنَّ ملك الموت ليس بدون ملك السَّحاب ، وإنَّ أتاناً بالغَيْثِ وجلب الحياء^(٣) ؛ وجبريلُ الذي يَنْزِلُ بالعذاب ، ليس بدون ميكائيل الذي ينزل بالرحمة ؛ وإنَّما الاختلاف في المطيع والعاصي ، وفي طبقات ذلك ومواضعه . والاختلاف بين أصحابنا أنَّهم إذا استَووا في المعاصي استَووا في العقاب ، وإذا استَووا في الطاعة استَووا في الثواب ، وإذا استَووا في عدم الطاعة والمعصية استَووا في التفضل . هذا هو أصل المقالة ، والقُطْبُ الذي تدورُ عليه الرحي .

(١) للفريق أمين المعلوف بحث طيب في التعريف بهذا الحيوان ص ١٨٧ من معجمه .

(٢) في الأصل : « التمرة » والوجه ما كتبت .

(٣) ط : « احياء » وهو تعسيف ما في ل . والحياء : الحصب والمطر ، ويمد .

(التين والزيتون)

وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ فزعم زيد بن أسلم أن التين دمشق ، والزيتون فلسطين . وللغالية في هذا تأويل أرغب بالعترة عنه (١) وذكره . وقد أخرج الله تبارك وتعالى الكلام مخرج القسم . وما تعرف دمشق إلا بدمشق ، ولا فلسطين إلا بفلسطين . فإن كنت إنما تقف من ذكر التين على مقدار طعم يابس ورطبه ، وعلى الأكتنان بورقه وأغصانه ، والوقود بعيدانه ، وأنه نافع لصاحب السؤل ، وهو غذاء قوى ويصلح في مواضع من الدواء ، وفي الأضمة ، وأنه ليس شيء حلو إلا وهو ضار بالأسنان غيره . وأنه عند أهل الكتاب الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام ، وبورقها ستر السوءة عند نزول العقوبة ، وأن صاحب البواسير يأكله ليزلق عنه الثقل ، ويسهل عليه مخرج الزبل (٢) ، وتقف من الزيتون على زيتيه والاصطباح به ، وعلى التأثم بهما والوقود بشجرهما ، وما أشبه ذلك من أمرهما - فقد أسأت ظنا بالقرآن ، وجهلت فضل التأويل . وليس لهذا المقدار عظمهما الله عز وجل ، وأقسم بهما ونوه بذكرهما .

(التأمل في جناح البعوضة)

ولو وقفت على جناح بعوضة وقوف معتبر ، وتأملت تأمل متفكر بعد

(١) ط : « أرغب عن التعبير عنه » .

(٢) ط : « الثقل » موضع « الثقل » ، و « البول » بدل « الزبل » وأثبت ما في ل .

أن تكون ثاقبَ النَّظَرِ سليمَ الآلة ، غَوَّاصاً على المعاني ، لا يعتريك من الخواطر إلا على حسب صحَّةِ عقلك ، ولا من الشواغل إلا ما زادَ في نشاطك ، للملأت ممَّا تُوجدك العِبرةُ من غرائب الطوامير الطَّوال ، والجلود الواسعة الكِبَار ، ولرأيتَ أنَّ له من كثرة التصرُّف في الأعاجيب ، ومن تقلُّبه في طبقات الحكمة ، ولرأيتَ له من الغُزْرِ والرَّيع ، ومن الحلب والدرِّ ولتَبَجَّسَ عليك^(١) من كوامنِ المعاني ودفائنها ، ومن خَفِيَّاتِ الحِكْمِ ٩٨ وينابيعِ العلم ، مالا يشتدُّ معه تعجُّبك ممَّن وقفَ على ما في الدِّيك من الخصالِ العجيبة ، وفي الكلبِ من الأمور الغريبة ، ومن أصنافِ المنافع ، وفنونِ المرافق ؛ وما فيهما^(٢) من المِحْنِ الشَّداد ، ومع ما أودعا من المعرفة ، التي متى تجأَّت لك تصاغَرَ عندك كَبِيرٌ ما تستعظم ، وقلَّ في عينك كثير ما تستكثر . كأنك تظنُّ أنَّ شيئاً وإنَّ حَسُنَ عندك في ثمنه ومنظره ، أنَّ الحكمةَ التي هي في خلقه إنَّما هي على مقدارِ ثمنه ومنظره .

(كلمات الله)

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ والكلماتُ في هذا الموضع ، ليس يُريد بها القولَ والكلامَ المؤلَّفَ من الحروف ، وإنَّما يريد النِّعمَ والأعاجيب ، والصفات^(٣) وما أشبه ذلك ، فإنَّ كلاً من هذه الفنون

(١) ط : « ولا ينحبس » .

(٢) ط : « فيها » .

(٣) ط : « الصلاة » ، وليس بشيء .

لو وقف عليه رجلٌ رقيقُ اللسان صافى الذهن ، صحيحُ الفكر تامُّ الأداة ،
لما برح أن تحسره^(١) المعاني وتغمره الحكيم .

وقد قال المتكلمون والرؤساء والجلَّةُ العُظماءُ في التمثيل بين الملائكةِ
والمؤمنين ، وفي فرقِ ما بين الجنِّ والإنس . وطباعُ الجنِّ أبعدُ من طباعِ
الإنس ، ومن طباعِ الديك : ومن طباعِ الكلب . وإتّما ذهبوا إلى
الطاعة والمعصية . ويخيَّل إلى أنك لو [كنت] سمعتَهما يمثَّلان ما بين
الدُّرُج والطاوس . لما اشتدَّ تعجُّبُك . ونحن نرى أنَّ تمثيلَ ما بينَ
خصالِ الدُّرَّةِ والحمامة ، والفيلِ والبعير ، والشَّعْبِ والذئبِ أعجب . ولسنا
نعنى أنَّ للدُّرَّةَ ما للطاوس من حسنِ ذلك الريش وتلاوينه وتعاريفه^(٢) ،
ولا أنَّ لها غناءَ الفرسِ في الحرب والدَّفْعِ عن الحرم ؛ لبيكنا إذا أردنا
مواضعَ التدبيرِ العجيبِ من الخلقِ الخسيس ، والحسنِ اللطيفِ من الشئِءِ
السخيفِ^(٣) ، والنَّظَرِ في العواقبِ من الخلقِ الخارجِ من حدودِ الإنسِ
والجنِّ والملائكةِ ، لم^(٤) نذهب إلى ضيخمِ البدنِ وعِظَمِ الحجمِ ، ولا إلى المنظرِ
الحسنِ ولا إلى كثرةِ الثمنِ . وفي القردِ أعاجيبُ وفي الدُّبِّ أعاجيبُ ،
وليس فيهما كبيرُ مَرْفِقٍ إلا بقدرِ ما تتسكَّبُ به [أصحاب^(٥)] القردة ،
وإتّما قصدنا إلى شيئينِ يَشيعُ القولُ فيهما ، ويكثرُ الاعتبارُ ممَّا
يستخرجُ العلماءُ من خفيِّ أمرهما . ولو جمعنا بينَ الديكِ وبينَ بعضِ

(١) ط : « تحسره » ، ويكون صوابها « تحشر له المعاني » . وأثبت ما في ل . يقال :
حسر البعير : ساقه حتى أعياه .

(٢) يقال ثوب معرج : أى مخطط في التواء . . وفي ل : « تقاريفه » . وانظر ٥ : ١٥٠ .

(٣) ط : « والحسن اللطيف في الشئ السخيف » ، وهى عبارة مشوذة .

(٤) فى الأصل : « ولم » .

(٥) زدتها ليستقيم الكلام .

ما ذكرت ، وبين الكلب وبين بعض ما وصفت ، لانتقطع القول قبل أن يبلغ حدَّ الموازنة والمقابلة .

وقد ذكرت أن بعض ما دعاك إلى الإنكار عليهما والتعجب من أمرهما ، سقوط قدر الكلب ونذالته ، وبده الديك وغباوته ، وأن الكلب لا بهيمة ٩٩ تامّة ولا سبع تامّ ، وما كان ليخرجه من شيء من حدود الكلاب إلى حدود الناس ، مقدار ما هو عليه من الأنس بهم ، فقد يكون في الشيء بعض الشبه من شيء ولا يكون ذلك مُخرجاً لهما من أحكامهما وحدودهما .

(تشبيه الإنسان بالقمر والشمس ونحوهما)

وقد يشبه الشعراء والعلماء والبلغاء الإنسان بالقمر والشمس ، والغيث والبحر ، وبالأسد والسيف ، وبالحيّة والنجم ، ولا يخرجونه بهذه المعاني إلى حدّ الإنسان . وإذا ذموا قالوا : هو الكلب والخنزير ، وهو القرد والحمار ، وهو الثور ، وهو التيس ، وهو الذيب ، وهو العقرب ، وهو الجعل . وهو القرنبي ؛ ثم لا يدخلون هذه الأشياء في حدود الناس ولا أسماءهم ، ولا يخرجون بذلك^(١) الإنسان إلى هذه الحدود وهذه الأسماء . وسموا الجارية غزالا ، وسموها أيضاً خشفاً ، ومهرةً ، وفاخيةً ، وحمامةً ، وزهرةً ، وقضيباً ، وخيزرانا ، على ذلك المعنى . وصنعوا مثل ذلك بالبروج والكواكب ، فذكروا الأسد والثور ، والحمل والجدى ، والعقرب والحوت ، وسموها بالقوس والسنبلة والميزان ، وغيرها . وقال في ذلك ابن عسلة الشيباني^(٢) :

(١) ط : « ذلك » .

(٢) هو عبدالمسيح ، شاعر جاهلي ، روى له صاحب المفضليات ثلاث قصائد برقم ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٣ . والبيت روايته في البيان ١ : ٢٢٩ مطابقة لهذه . والرواية في المفضليات : « لصحوت » وقبله :

فَصَحَوْتُ وَالنَّمْرِيُّ يَحْسَبُهَا عَمَّ السَّمَاءِ وَخَالَةَ النُّجْمِ (١)
 وَيُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « نِعْمَتِ الْعَمَةِ لَكُمْ
 الذَّلِيلَةُ [خُلِقَتْ مِنْ فَضْلَةِ طِينَةِ آدَمَ] » . وَهَذَا الْكَلَامُ صَحِيحٌ الْمَعْنَى ، لَا يَجِبُ
 إِلَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ مَجَازَ الْكَلَامِ . وَلَيْسَ هَذَا تَمَّ يَطْرُدُ لَنَا أَنْ نَقْيَسَهُ ،
 وَإِنَّمَا نَقْدِمُ عَلَى مَا أَقْدَمُوا ، وَنُحْجِمُ عَمَّا أَحْجَمُوا ، وَنَنْتَهِي إِلَى
 حَيْثُ انْتَهَوْا .

وَنَرَاهُمْ يَسْمُونُ الرَّجُلَ جَمَلًا وَلَا يَسْمُونَهُ بَعِيرًا ، وَلَا يَسْمُونُ الْمَرْأَةَ نَاقَةً ؛
 وَيَسْمُونُ الرَّجُلَ ثَوْرًا وَلَا يَسْمُونُ الْمَرْأَةَ بَقْرَةً ، وَيُسْمُونُ الرَّجُلَ حَمَارًا وَلَا يَسْمُونُ
 الْمَرْأَةَ أَتَانًا ؛ وَيَسْمُونُ الْمَرْأَةَ نَعْجَةً وَلَا يَسْمُونُهَا شَاةً . وَهَمْ لَا يَضْعَعُونَ نَعْجَةً اسْمًا
 مَقْطُوعًا ، وَلَا يَجْعَلُونَ [ذَلِكَ (٢)] عِلَامَةً مِثْلَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو ، وَيَسْمُونُ الْمَرْأَةَ عِزًّا .

(تَسْمِيَةُ الْإِنْسَانِ بِالْعَالَمِ الْأَصْفَرِ)

أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي خُلِقَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا
 مِنْ أَجْلِهِ (٣) كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمِمَّا فِي
 الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ . إِنَّمَا سَمَّوَهُ الْعَالَمَ الصَّغِيرَ سَلِيلَ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ ، إِنَّمَا
 وَجَدُوا فِيهِ مِنْ جَمْعِ أَشْكَالِ مِمَّا فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ ، وَوَجَدْنَا لَهُ الْخَوَاصَّ الْخَمْسَ
 وَوَجَدُوا فِيهِ الْخَمْسَاتِ الْخَمْسَ ، وَوَجَدُوهُ بِأَكْلِ النَّحِيمِ وَالْحَبِّ ، وَيَجْمَعُ

= يَا كَعْبُ إِنَّكَ لَوْ قَصَرْتَ عَلَى حَسَنِ الْبَدَامِ وَقَلَّةِ الْجَرْمِ

وَسَمَاعٍ مَدَجْنَةَ تَعَلَّنَا حَتَّى نَفَامَ تَنَارُومَ الْعَجْمِ

(١) صَوَابُهُ « لَصَحَوْتُ » كَمَا فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ ٢٧٩ .

(٢) زِيَادَةٌ يَتَطَلَّبُهَا الْكَلَامُ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَالْأَرْضُ مِنْ أَجْلِهِ وَمَا بَيْنَهُمَا » ، وَسَوِيَّتُ الْقَوْلِ كَمَا تَرَى .

بين ما تقناته البهيمة والسبع ، ووجدوا فيه صولة الجمل ووثوب الأسد ،
 وغدر الذئب ، وروغان الثعلب ، وجبن الصفر يد ، وجمع الذرة ، وصنعة ١٠٠
 للسرفة^(١) وجود الديك ، وإلف الكلب ، واهتداء الحمام . وربما وجدوا
 فيه مما في البهائم والسباع خلقين^(٢) أو ثلاثة ، ولا يبلغ أن يكون جملاً
 بأن يكون فيه اهتداؤه وغيرته ، وصولته وحقده ، وصبره على حمل الثقل ،
 ولا يلزم شبه الذئب بقدر ما يتتهيأ فيه من مثل غدره ومكره ، واسترواحه
 وتوحشه ، وشدة نكره . كما أن الرجل يصيب الرأي الغامض المرة والمرتين
 والثلاث ، ولا يبلغ ذلك المقدار أن يقال له داهية وذو نكراء أو صاحب
 بزلاء^(٣) ، وكما يخطئ الرجل فيفحش خطأؤه^(٤) في المرة والمرتين والثلاث ،
 فلا يبلغ الأمر به أن يقال له غبي وأبله ومنقوص .

وسمّوه العالم الصغير لأنهم وجدوه يصور كل شيء بيده ، ويحكي
 كل صوت يفمه^(٥) . وقالوا : ولأن أعضاءه مقسومة على البروج
 الاثني عشر والنجوم السبعة ، وفيه الصفراء وهي من نتاج النار ، وفيه السوداء
 وهي من نتاج الأرض ، وفيه اللدم وهو من نتاج الهواء ، وفيه البلغم وهو
 من نتاج الماء . وعلى طبائعه الأربع وضعت الأوتاد الأربعة^(٦) .

(١) ط : « وصفة السرفة » وصوابه في ل . ويقال في المثل : « أصنع من سرفة » .

الدميري : دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دقائق
 العيدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال الناموس ثم تدخل فيه وتموت .

(٢) في ثمار القلوب ٢٨٠ حيث نقل هذا الكلام : « خلتين » وهو الأشبه
 بكلام الجاحظ .

(٣) ط : « نكر » بدل « نكراء » وكلاهما صحيح . والنكراء ، والنكر بالضم :

الدهاء والفظنة . والبزلاء : الرأي الجيد والشدائد .

(٤) الخطاء : الخطأ . والجاحظ يميل إلى استعمال الكلمة الأولى .

(٥) ط : « يعيه » والوجه ما في ل .

(٦) ل : « وجدت الأوتار الأربعة » .

فجعلوه العالم الصغير ، إذ كان فيه جميع أجزائه وأخلاقه وطبائعه .
ألا ترى أن فيه طبائع الغضب والرضا ، وآلة اليقين والشك ، والاعتقاد
والوقف^(١) وفيه طبائع الفطنة والغباوة ، والسلامة والمكر^(٢) ، والنصيحة
والغش ، والوفاء والغدر ، والرياء والإخلاص ، والحب والبغض ، والجِدُّ
والهزل ، والبخل والجود ، والاقتصاد والسرف ، والتواضع والكبر ،
والأنس والوحشة ، والفكرة^(٣) والإمهال ، والتميز والخبث ، والجبن
والشجاعة ، والحزم والإضاعة ، [والتبذير والتقتير] ، والتبذل والتعزز^(٤) ،
والادخار والتوكل ، والقناعة والحرص ، والرغبة والزهد ، والسخط
والرضا ، والصبر والجزع ، والذكر والنسيان ، والخوف والرجاء ،
والطمع واليأس ، والتنزه والطبع ، والشك واليقين ، والحياء والقحة ،
والكتمان والإشاعة ، والإقرار والإنكار ، والعلم والجهل ، والظلم والإنصاف ،
والطلب والمهرب ، والحقد وسرعة الرضا ، والحدة وبعده الغضب ،
والسرور والهم ، واللذة والألم^(٥) والتأمل والتبني ، والإصرار والندم ،
والجماح والبذوات^(٦) ، والعى والبلاغة ، والنطق والخرس ، والتصميم
والتوقف^(٧) والتغافل والتفان ، والعمو والمكافأة ، والاستطاعة
والطبيعة^(٨) وما لا يحصى عدده^(٩) ، ولا يُعرف حدُّه .

(١) ط : « والتبني » .

(٢) ط : « والنكر » .

(٣) لعلها « الطفرة » ليصح قرنهما بالإمهال .

(٤) ط : « والتبذل والتعزز » وهو تحريف ما في ل .

(٥) ط : « والآلام » والوجه ما في ل .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « البذات » .

(٧) ل : « والتكني » .

(٨) كذا .

(٩) ط : « عدده » .

فالسكلبُ سبعٌ وإن كانَ بالناسِ أنيساً ، ولا تخرِجُهُ الحِصْلَةُ والحِصْلَتانِ ١٠١
مما قاربَ بعضَ طبائِعِ الناسِ ، إلى أن يخرِجَهُ من الكَلْبِيَّةِ . قال : وكذلك
الجميع . وقد عرَفَتْ شَبَهُ باطنِ السكلبِ^(١) بباطنِ الإنسانِ ، وشبَهَ ظاهِرِ
القردِ بظاهرِ الإنسانِ : ترى ذلك في طَرَفِهِ وتغميضِ عينِهِ ، وفي ضِحْكِهِ
وفي حكايتِهِ ، وفي كَفِّهِ وأصابعِهِ ، وفي رَفْعِها ووضعِها . وكيف يتناولُ بها :
وكيف يجهزُ الأقمَةَ إلى فيه وكيف يكسِرُ الجَوْزَ ويستخرجُ لَبَّهُ^(٢) وكيف
يَلْقَنُ كلَّ ما أُخِذَ به^(٣) وأُعِيدَ عليه ، وأنَّهُ من بينِ جميعِ الحيوانِ إذا سقطَ
في الماءِ غرِقَ مثلَ الإنسانِ ، ومع اجتماعِ أسبابِ المعرفةِ فيه يغرقُ ، إلا^(٤)
أن يكتسبَ معرفةَ السباحةِ ، وإن كانَ طبعُهُ أوفى وأكملُ فهو من هاهنا
أنقصُ وأكلُّ . وكلُّ شَيْءٍ فهو يسبَحُ من جميعِ الحيواناتِ ، ممَّا يوصفُ بالمعرفةِ
والفِطنةِ ، وممَّا يوصفُ بالغبَاوةِ والبَلادةِ ؛ وليس بصيرِ القردِ بذلك المقدارِ
من المقارَبَةِ إلى أن يخرُجَ من بعضِ حدودِ القروُدِ إلى حدودِ الإنسانِ .

(عود إلى الحوار في شأن السكلب والديك)

وزعمتَ أنَّ ممَّا يمنعُ من التمثيلِ بينِ الديكِ والسكلبِ أنَّه حارسٌ
محترسٌ منه . وكلُّ حارسٍ من الناسِ فهو حارسٌ غيرٌ مأمونٍ تَبَدُّلُهُ .
واقْدَسألُ زيادُ ليلةً من الليالي : مَنْ على شُرطتكم ؟ قالوا : بلْجِ بنُ نُسْبَةَ
الجُشَمِيِّ . فقال :

وساعٍ مع السلطانِ يسعى عليهمُ
ومحترسٍ من مثله وهو حارس

(١) ط : « باطن شبه السكلب » .

(٢) ل : « سره » وهما بمعنى .

(٣) ط : « يلقى كلما أخذ به » وهو تحريف . وفي ثمار القلوب ٣٢٤ « يتقن » .

(٤) ط : « إلى » .

ويقال : إن الشاعر^(١) قال هذا الشعرَ في الفلافس النهشلي^(٢) ، حين

وليَ شرطةَ الحارث بن عبد الله [فقال] :

أقلّي على اللوم يا ابنة مالكٍ وذمّي زماناً ساد فيه الغلافسُ
وساعٍ مع السلطان يسعى عليهمُ ومُحترسٍ من مثله وهو حارسُ

وليس يُحكّم لِصغار المضارِّ على كبارها^(٣) بل الحكمُ للغامر على
المغمور^(٤) والقاهر على المقهور . ولو قد حكينا ما ذكر هذا الشيخُ من خِصال
الكلب وذكرَ صاحبه من خِصالِ الديك ، أيقنتَ أنَّ العجلةَ من عمل
الشیطان ، وأنَّ العُجبَ بئسِ الصاحب .

وقلتَ : وما يبلغُ من قدرِ الكلبِ ومن مقدارِ الديك ، أن يتفرَّغَ
لهما شيخان من جِلَّةِ المعتزلة ، وهم أشراف^(٥) أهلِ الحكمة ؛ فأىُّ شيءٍ
بلغ ، غفر الله تعالى لك ، من قدرِ جزءٍ لا يتجزأ من رملِ عالج ، والجزءِ الأقلُّ
من أوَّلِ قطعِ الذرَّةِ للمكان السحيق ، والصحيفة التي لا عمقَ لها ، ولأىُّ
شيءٍ يُعنونَ بذلك ، وما يبلغُ من ثمنه وقدرِ حجمه ، حتَّى يتفرَّغَ للجدالِ
فيه الشيوخُ الجِلَّةُ ، والكهولُ العَلِيَّةُ ، وحتَّى يختاروا النظرَ فيه على التسييحِ
رالتهلِيلِ ، وقراءةِ القرآنِ وطولِ الانتصابِ في الصلاة ؛ وحتَّى يزعمَ أهلهُ

(١) هو عبد الله بن همام السلولى . ترجم له ابن قتيبة في الشعراء ٦٣٣ . وانظر عيون الأخبار
١ : ٥٧ والمحاسن والمساوى للبيهقي ١ : ١٢٦ .

(٢) قال ابن قتيبة : كان الفلافس هذا على شرطة الكوفة من قبل الحارث بن عبد الله
ابن أبي ربيعة المخزومي أخى عمر بن أبي ربيعة . . . وخرج الفلافس مع ابن الأشعث .
فقتله الحجاج .

(٣) ل : « على كبار المنافع » .

(٤) ل : « لاغامر على المغمور » وما أثبتته من ط أشبه .

(٥) ل : « شراف » .

أَنَّهُ فَوْقَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ ، وَفَوْقَ كُلِّ بَرٍّ وَاجْتِهَادٍ^(١) . فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ سَوَاءٌ ، طَالَتْ الْخُصُومَةُ مَعَكَ ، وَشَغَلْتُنَا [بِهِمَا] عَمَّا هُوَ أَوْلَىٰ بِنَا فِيكَ . عَلَىٰ أَنَّكَ إِذَا عَمَمْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِالذَّمِّ ، وَجَلَلْتَهُ بِالْعَيْبِ ، صَارَتْ الْمَصِيبَةُ فِيكَ أَجَلًا ، وَالْعِزَاءُ عَنْهَا أَعْسَرَ . وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ ذَلِكَ لِأَنَّهَا جَازٌ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا إِلَىٰ أَثْمَانِ الْأَعْيَانِ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَإِلَىٰ عَظَمِ الْحَجْمِ ، وَإِلَىٰ مَا يَرُوقُ الْعَيْنَ وَيَلَامُ النَّفْسَ ، وَأَنَّهَا لِأَنَّهَا ذَهَبُوا إِلَىٰ عَاقِبَةِ الْأَمْرِ فِيهِ ، وَإِلَىٰ نَتِيجَتِهِ : وَمَا يَتَوَلَّدُ عَنْهُ مِنْ عِلْمِ النَّهَائِيَّاتِ ، وَمِنْ بَابِ الْكَلْبِ وَالْبَعْضِ ، وَكَانَ وَيَكُونُ ، وَمِنْ بَابِ مَا يَحِيطُ بِهِ الْعِلْمُ أَوْ مَا يَفْضَلُ عَنْهُ ، وَمِنْ فَرْقٍ [مَا^(٢)] بَيْنَ مَذَاهِبِ الدُّهْرِيَّةِ وَمَذَاهِبِ الْمُوَحِّدِينَ . فَإِنْ كَانَ هَذَا الْعِذْرُ مَقْبُولًا ، وَهَذَا الْحُكْمُ صَحِيحًا ، فَكَذَلِكَ نَقُولُ^(٣) فِي السِّكْلِ ، لِأَنَّ السِّكْلَ لَيْسَ لَهُ خَطَرٌ ثَمِينٌ وَلَا قَدْرٌ فِي الصَّدْرِ جَلِيلٌ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ كَلْبٌ صَيْدَ فِدْيَتَهُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا ، وَإِنْ كَانَ كَلْبٌ ضَرَعَ فِدْيَتَهُ شَاةً ، وَإِنْ كَانَ كَلْبٌ دَارَ فِدْيَتَهُ زَنْبِيلٌ مِنْ تَرَابٍ ، حُقَّ عَلَى الْقَاتِلِ أَنْ يُؤَدِّيَهُ ، وَحُقَّ عَلَى صَاحِبِ الدَّارِ أَنْ يَقْبَلَهُ ، فَهَذَا مَقْدَارُ ظَاهِرِ حَالِهِ [وَمُقَدَّسِهِ] . وَكَوَامِنُ خِصَالِهِ ، وَدَفَائِنُ الْحِكْمَةِ فِيهِ . وَالْبَرَهَانَاتُ عَلَىٰ عَجِيبِ تَدْبِيرِ الرَّبِّ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِيهِ ، عَلَىٰ خِلَافِ ذَلِكَ ؛ فَلذَلِكَ اسْتَجَازُوا النَّظَرَ فِي شَأْنِهِ ، وَالتَّمثِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَظِيرِهِ .

وَتَعْلَمُ أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ أَنَّ السِّكْلَ إِذَا كَانَ فِيهِ ، مَعَ خُصُولِهِ وَسُقُوطِهِ ، مِنْ عَجِيبِ التَّدْبِيرِ وَالنُّعْمَةِ السَّابِقَةِ وَالْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ ، مِثْلُ هَذَا الْإِنْسَانِ

(١) ل : « كل أثره وإجهاد » وليس بشيء .

(٢) زيادة يقتضيهما الكلام .

(٣) ط : « يقول » وهو تحريف .

الذى له خلق الله السموات والأرض وما بينهما ، أحقُّ بأن يُفكرَ فيه .
وَيُحَمَدَ اللهُ تعالى على ما أودَعَه من الحكمة العجيبة ، والنِّعمة السابغة .
وقلت : ولو كان بدلُ النظرِ فيهما النظرَ في التوحيدِ ، وفي نفي
التشبيه ، وفي الوعد والوعيد ، وفي التعديل والتجويز ، وفي تصحيح الأخبار ،
والتفضيلِ بين علم الطبائع والاختيار ، لكان أصوبَ .

(دفاع عن المتكلمين)

والعجبُ أنَّكَ عمدتَ إلى رجالٍ لا صناعةَ لهم ولا تجارةَ إلاَّ الدعاءُ إلى
ما ذكرت ، والاحتجاجُ لما^(١) وصفت ، وإلاَّ وضعُ الكتبِ فيه والولايةُ
والعداوةُ فيه ، ولا لهم لذةٌ ولا همٌّ ولا مذهبٌ ولا مجازٌ إلاَّ عليه وإليه :
١٠٣ فحين أرادوا أن يُقسِّطوا بينَ الجميعِ بالحِصصِ ، ويعدِّلوا بينَ السكَلِ بإعطاء
كلِّ شيءٍ نصيبه ، حتَّى يقعَ التعديلُ شاملاً ، والتقسيطُ جامعاً ، ويظهرَ
بذلك الخفيُّ من الحِكمِ ، والمستورُ من التدبيرِ ، اعترضتَ بالتعنُّتِ
والتعجُّبِ ، وسطَّرتَ الكلامَ ، وأطلتَ الخطبَ ، من غير أن يكونَ
صوبَ رأيك أديبٌ ، وشايَعَكَ حكيمٌ .

(نسك طوائف من الناس)

وسأضرب لك مثلاً قد استوجبتَ أغلظَ منه ، وتعرَّضتَ لأشدَّ منه
واسكننا نستأني بك ومنتظرُ أوبتِكَ . وجدنا لجميعِ أهلِ النَّقصِ ، ولأهلِ
كلِّ صِنْفٍ منهم نُسكاً يعتمدون عليه في الجمالِ ، ويحتسبون به في الطاءِ
وطلبِ المثوبةِ ، ويفزعون إليه ، على قدرِ فسادِ الطُّباعِ ، وضعفِ الأصلِ

(١) في الأصل : « بما » .

راضطرابِ الفرع ، مع خبث المشايخ ، وقلة التثبت والتوقف ، ومع كثرة
التقلب والإقدام مع أول خاطر : فنسك المريب المرتاب من المتكلمين أن
يتحلّى برمي الناس بالرّيبة ، ويتزيّن بإضافة ما يجد في نفسه إلى خصمه .
خوفاً من أن يكون قد فطن له ، فهو يسرُّ ذلك الداء برمي الناس به .

ونسك الخارجى الذى يتحلّى به ويتزيّن بجماله ، إظهار استعظام المعاصى ،
ثم لا يلتفت إلى مجاوزة المقدار وإلى ظلم العباد ، ولا يقف على أن الله تعالى
لا يحبُّ أن يظلم أظلم الظالمين ، وأن في الحق ما وسع الجميع .

ونسك الحراسانى أن يُحجَّ وينام على قفاه ، ويعقد^(١) الرّياسة ،
ويتبيأ للشهادة ، ويبسط لسانه بالحسبة . وقد قالوا : إذا نسك الشريف
تواضع ، وإذا نسك الوضيع تكبر . وتفسيره قريب واضح .

ونسك البنوى^(٢) والجندى طرح الديوان ، والزراية على السلطان^(٣) .
ونسك دهاقين السواد ترك شرب المطبوخ^(٤) . ونسك الخصى لزوم طرسوس
وإظهار مجاهدة الروم . ونسك الرافضى ترك النبيذ . ونسك البستانى
ترك سرقة الثمر . ونسك المغنى الصلوة فى الجماعة وكثرة التسبيح ،
والصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم .

ونسك اليهودى التشدد فى السبب وإقامته .

والصوفى المظهر النسك من المسلمين ، إذا كان فسلاً يبغض العمل

(١) ط : « يفقد » وليس بشيء .

(٢) ط : « الكوفى » .

(٣) ط : « والزيارة للسلطان » ل : « والزيارة على السلطان » وقد جعلت القول
كما ترى .

(٤) فى القاموس : « الطبخ ضرب من المنصف » . وفى مادة نصف « وكعظم : الشراب
طبخ حتى ذهب نصفه » .

تطرف^(١) وأظهر تحريم المكاسب، وعاد سائلاً ، وجعل مسألتَه وسيلة إلى تعظيم الناس له .

وإذا كان النصرانيُّ فسلاً نذلاً مبعضاً للعمل ، ترهب ولبس الصوف ؛ لأنه واثق أنه متى لبس وتزيياً بذلك الزيِّ وتحلَّى بذلك اللباس ، وأظهر تلك السِّما ، أنه قد وجبَ على أهل اليسر والثروة منهم أن يعولوه ويكفوه ، ثم لا يرضى بأن ربح الكفاية باطلاً حتى استطال بالمرتبة .

١٠٤ فإذا رمى المتكلم المريب أهل البراءة ، ظنَّ أنه قد حوّل ريبته إلى خصمه ، وحوّل براءة خصمه إليه . وإذا صار كلُّ واحدٍ من هذه الأصناف إلى ما ذكرنا ، فقد بلغ الأمانة ، ووقفَ على النهاية . فاحذر أن تكونَ منهم واعلم أنك قد أشبهتهم في هذا الوجه ، وضارعتهم في هذا المذهب .

باب

نما قدّمنا ذكره ، وبينه وبين ما ذكرنا بعض الفرق .

يقال : أجرأ من الليث ، وأجبن من الصَّفرد ، وأسخى من لافظة ؛ وأصبرُ على الهون^(٢) من كلب ، وأحذر من عقَّعق ، وأزهى من غراب . وأصنع من سُرفة^(٣) وأظلم من حيَّة ، وأغدر من الذئب ، وأخبث من ذئب خمر^(٤) وأشدُّ عداوةً من عقرب ، وأروغ من ثعلب ، وأحقُّ من حُبارى . وأهدى من قطة ، وأكذب من فاختة ، وأأم من كلب على جيفة .

(١) ط : « بين » بدل « من » ، و « ببعض » موضع « يبغيض » . وفي ل :

« تصوف » موضع « تطرف » .

(٢) ل : « الهوان » وهما بمعنى .

(٣) ط : « واضع من شرفة » . وانظر الحاشية رقم (١) ص ١٠٠ .

(٤) ط : « ضمير » وهو تحريف . والضمير ، بالتحريك : ماوارك من شجر وغيره .

وأجمع من ذرّة ، وأضلّ من حمار أهلي^(١) ، وأعتق من ضبّ ، وأبرئ من هرّة ، وأنفّر من الظليم ، وأصلّ من ورل^(٢) وأضلّ من ضبّ ، وأضلّ من الحيّة .

فيعبّرون عن هذه الأشياء بعبارة كالعبارة عن الناس ، في مواضع الإحسان والإساءة ، حتّى كأنّهم من الملوّمين والمشكورين ، ثمّ يعبّرون في هذا الباب الآخر بدون هذا التعبير ، ويجعلون خبرهم^(٣) مقصوداً على مافى الحلقمة من الغريزة والقوى فيقولون : أبصر من عُقاب ، وأسمع من فرس ، وأطول ذمّاء من ضبّ ، وأصحّ من الظالم .

والثاني يشبه العبارة عن الحمد والذمّ ، والأوّل يشبه العبارة عن اللأئمة والشكر^(٤) . وإتّما قلنا ذلك ، لأنّ كلّ مشكورٍ محمود ، وليس كلّ محمودٍ مشكورا ؛ وكلّ ملومٍ مذمومٍ وليس كلّ مذمومٍ ملوما . وقد يحمّدون البلدة ويذمّون الأخرى ، وكذلك الطعام والشراب ، وليس ذلك على جهة اللوم ولا على جهة الشكر ؛ لأنّ الأجر^(٥) لا يقع إلّا على جهة التخيّر والتسكّيف ، وإلّا على مالا يُنال إلّا بالاستطاعة^(٦) والأوّل إنّما يُنال بالحلقمة وبمقدارٍ من المعرفة ، ولا يبلغ أن يسمّى عقلا ، كما أنّه ليس كلّ قوّة تسمّى استطاعة . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) ل : « أهله » .

(٢) ل : « أشرد من ورل » .

(٣) ط : « خيرهم » والصواب مافى ل . .

(٤) ط : « السلامة والشكر » والوجه مافى ل .

(٥) ط : « الأخر » وهو تصحييف .

(٦) ط : « مالا يقال التّعنى بالاستطاعة » وهى عبارة مشوّهة .

باب

ما ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب وتعداد أصناف معايها^(١) ومثالبها ، من لؤمها وجبنها^(٢) وضعفها وشرها ، وغدرها وبدائها ، وجهلها ١٠ وتسرعها ، وتدنُّها وقدرها ، وما جاء في الآثار من النهي عن اتخاذها وإمساكها ، ومن الأمر بقتلها وطردها ، ومن كثرة جنائياتها وقلة ردِّها^(٣) ومن ضرب المثل بلؤمها وندالتها ، وقبحها وقبح معاظلتها^(٤) ومن سماجة نباحها وكثرة أذاها ، وتمتدُّ المسلمين من دنوِّها^(٥) [وأنها تأكل لحوم الناس] ، وأنها كالحلق المركب والحيوان الملقق : كالبغل في الدواب وكالراعي في الحمام^(٦) ، وأنها لاسبع ولا بهيمة ، ولا إنسيَّة ولا جنِّيَّة ، وأنها من الجنِّ^(٧) دون الجنِّ ، وأنها مطايا الجنِّ ونوع من المسخ ، وأنها تنبش التبور وتأكل الموتى ، وأنها يعترها الكلب من أكل لحوم الناس .

فإذا حكينا ذلك حكينا قول من عدد محاسنها ، وصنّف منابها ، وأخذنا من ذكر أسمائها وأنسابها وأعراقها ، وتفدية الرجال إيَّها^(٨)

(١) ط : « معائبها » بالهمز وهو خطأ صوابه في ل ، إذ المعايب جمع معاب أو معايب بمعنى العيب ، فيأوه في الجمع أصيلة غير زائدة فلا يصح قلبها همزة ، مثلها في ذلك مثل معيشة ومعایش .

(٢) ط : « وخبثها » والكلب يوصف بالجبن .

(٣) الرد : النفع . ماعدال : « ودها » ، تحريف .

(٤) ط : « معاطاتها » وهو تحريف . والعطال : الملازمة في السفاد من الكلب ونحوه .

(٥) ط : « درنها » .

(٦) ط : « والزاعبي من الحمام » وهو تصحيف نهبته على صوابه فيما سبق .

(٧) ط : « الجن » وصوابه في ل .

(٨) ط : « وتفدية الرجال إيَّها » وهو تحريف .

واستهتارهم بها ، وذكر كسبها وحراستها ، ووفائها وإفهامها وجميع منافعها ، والمرافق التي فيها ، وما أودعت من المعرفة الصحيحة والفطن العجيبة والحسن اللطيف^(١) والأدب المحمود . وذلك سوى صدق الاسترواح وجودة الشم ، وذكر حفظها ونفاذها واهتمامها ، وإثباتها لصور أربابها وجيرانها ، وصبرها ، ومعرفتها بحقوق الكرام ، وإهانتها للثام ، وذكر صبرها على الجفا ، واحتمالها للجوع ، وذكر ذمامها وشدّة منعتها معاقدة الذمار منها^(٢) ، وذكر يقظتها وقلة غفلتها^(٣) وبُعْدِ أصواتها ، وكثرة نسلها وسرعة قبولها وإلقاحها وتصرف أرحامها في ذلك ، مع اختلاف طبائع ذكورها والذكور من غير جنسها ، وكثرة أعمامها وأحوالها ، وترددها في أصناف السباع ، وسلامتها من أعراق البهائم ، وذكر لقنها وحكايتها ، وجودة ثقافتها ومهنتها^(٤) وخدمتها ، وجدها ولعبها وجميع أمورها ؛ بالأشعار المشهورة والأحاديث المأثورة ، وبالكتب المنزلة والأمثال السائرة ، وعن تجربة الناس لها وفراستهم فيها ، وما عاينوا منها ؛ وكيف قال أصحاب الفأل فيها ، وبإخبار المتطيرين عنها ، وعن أسنانها^(٥) ومنتهى أعمارها وعدد جرائها ، ومدّة حملها ، وعن أسمائها وألقابها ، وسمايتها وشياتها ، وعن دوائها وأدوائها

(١) ط : « والحسن اللطيف » وليس بشيء .

(٢) ل : « منتها » موضع « منعتها » . ط : « الذمام » مكان « الذمار » . والذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته ، وأما الذمام فهو الحق .

(٣) ل : « وكثرة غفلتها » وبذلك يفسد المعنى .

(٤) ط : « ثقافتها » موضع « ثقافتها » والوجه في الثاني . إذ الثقاف : هو الجلال والخصام وماتسوى به الرماح . ولا وجه له هنا . وأما الثقافة فهي من ثقف كسكرم وفرح صار حاذقا خفيفا فطنا . . . وفي ل : « وفهمها » بدل « مهنتها » .

(٥) ط : « أسنادها » وليس بشيء .

وسياستها ، وعن اللاتي لا تلقن منها^(١) وعن أعراقها والخارجي منها^(٢) وعن أصول مواليدها ومخارج بلدانها .

وذكر صاحب الديك ما يحفظ من أكل الكلاب للحموم الناس فقال :

قال الجارود بن أبي سبرة^(٣) في ذلك :

لم تر أن الله ربِّي بحولِهِ وقوتِهِ أخزى ابنَ عمِّرةَ مالكا
فمن كانَ عنه بالمغيَّبِ سائلاً فقد صارَ في أرضِ الرُّصافةِ هالكا ١٠٦
تظُلُّ الكلابُ العادياتُ يَنُشْنَهُ إذا اجتَبَنَ مُسَوِّدًا مِنَ اللَّيْلِ حالكا^(٤)

وقال نفيح بن صفار المحاربي^(٥) من ولد محارب بن خصفة^(٦)

في حرب قيسٍ وتغلب :

أفنتُ بنِي جُشمَ بنِ بكرٍ حربنا حتى تعادَلَ مَيْلُ تغلبٍ فاستوى
أكلَ الكلابُ أنوفَهُمُ وخصاهمُ فلتبَكَ تغلبُ للأنوفِ وللخصى

وقال أبو يعقوب الخريمي ، وهو إسحاق بن حسان بن قوهي^(٧) في

قتلى حربٍ ببغداد :

-
- (١) ط : « لالتقى منها » وهو تحريف .
(٢) الجاحظ يجعل « الخارجي » مقابل « العريق » كما في البيان ١ : ٣٠ ، ٩٠ .
(٣) ط : « سمرة » وهو تحريف . قال الجاحظ في البيان ١ : ٣٢٩ . « وكان الجارود بن أبي سبرة - ويكنى أبا نوفل - من أبين الناس وأحسنهم حديثا . وكان راوية علامة شاعرا مفلقا . وكان من رجال الشيعة ولما استنطقه الخجاج قال : ماظننت أن بالعراق مثل هذا ! ! » . توفي سنة ١٢٠ كما في تقريب التهذيب ص ٢٨ .
(٤) ل : « يبنه » مكان « ينشئه » ط : « إذا اجتنب مستورا » .
(٥) ط : « نفيح بن الصفار المحاربي » وأثبت ما في ل .
(٦) ط : « خصفة » والصواب « خصفة » كما في نهاية الأرب ١ : ٣٣٤ .
(٧) ط : « ابن يعقوب الخريمي . وهو إسحاق بن حسان بن موسى » والصواب ما أثبت من ل ومن تاريخ بغداد ٣٣٦٩ . قال الخطيب : « وأصله من خراسان من بلاد السغد ، وكان متصلا بخريم بن عامر المري وآله فنسب إليه . وقيل كان اتصاله بعثمان بن خريم =

وهل رأيتَ الفتيانَ في باحةِ المَغرِكِ مَعفورةً مَنَاحِرُها (١)
كلَّ غَنَى مانعٍ حَقِيقَتَهُ يشقى به في الوَغَى مَساعِرُها
باتتَ عليه الكلابُ تنهَشُهُ مَحضوبَةٌ من دمٍ أَظافِرُها
وقال أبو الشمقمق (وهو مروان بن محمد ، مولى مروان بن محمد ،
ويكنى أبا محمد) (٢) :

يوسفُ الشاعرُ فرخٌ وجَدُوهُ بالأبْلَه
حَلَقِي قَد تُلَقَّى كامناً في جَوفِ جُلَّه (٣)
خَيَّطَها خَشِيَةَ الكَلَبِ عَلَيْهِ بِمِيسَلَه

وذكر لي عن أبي بكر الهذلي ، قال : كنا عند الحسن إذ أقبل وكيع
ابن أبي سود فجلس ، فقال يا أبا سعيد : ما تقول في دم البراغيث يُصيب
الثوب : أبيض فيهِ ؟ فقال : يا عجباً مَن يلبغ في دماء المسلمين كأنه كلب ،
ثم يسأل عن دم البراغيث !! فقام وكيع يتخلج في مشيته كتخلج الجنون ،
فقال الحسن : إن لله في كلِّ عضوٍ منه نعمةٌ فيستعين بها على المعصية ، اللهم
لا تجعلنا مَن يتقوى بنعمتك على معصيتك !!

= وأبوه خريم الموصوف بالناعم « ، ثم قال : « وله مدائح في محمد بن منصور
ابن زياد ويحيى بن خالد وغيرهما . هـ . السجستاني : الخريمي أشعر المولدين » .
وانظر لخريم الناعم قاموس الزركلي ١ : ٢٩٠ ، وأمثال الميداني ٢ : ٢٨١ . والتصيدة في
تاريخ الطبري ١٠ : ١٧٦ - ١٨٠ .

- (١) ط : « ساعة » - ولعلها « ساحة » - موضع « باحة » .
- (٢) ترجمته في تاريخ بغداد ٧١٢٨ وابن خلكان ، في تضاعيف ترجمة يزيد
ابن مزيد ، ولم يفرد له ترجمة . وأبو الشمقمق اجتمع ببشار وأبي نواس ، ودخل
بغداد في أيام الرشيد ، وهو بصرى .
- (٣) ط « حلق بلق » . وانظر شفاء الغليل للخفاجي في تفسير الخلق . والبلق لعله
منسوب إلى البلق بالتحريك بمعنى الحمق ، و« كامنا » هي في الأصل « كامن » والوجه أنصب .

(ما أضيف من الحيوان إلى خبث الراححة)

وقال صاحب الديك : أشياء من الحيوان تُضاف إلى نتن الجلود وخبث الراححة ، كريح أبدان الحيات ، وكنتن التُّيوس وصنن عرقها ، وكنتن جلد الكاب إذا أصابه مطر . وضروب من النتن في سوى ذلك ، نحن ذاكروها إن شاء الله تعالى .

وقال رُوح بن زنباع الجذامي في امرأته ، وضرب بالكلب المثل :
ريح الكرائم معروف له أريج ، وريحها ريح كلب مسه مطر
قال : وكانت امرأة رُوح بن زنباع أم جعفر بنت النُّعمان بن بشير ،
١٠٧ وكان عبدُ الملك زوجه إياها ، وقال : إنها جارية حسناء ، فاصبرُ على
بذاء لسانها .

وقال الآخر :

وريح تجروبٍ وريح جله وريح كلبٍ في غداةٍ طلة^(١)

وأنشده أبو زيد في ذلك :

كان ريحهم من خبث طعمتهم ريح الكلاب إذا ما بلها المطر^(٢)

ومما ذكر به الكلب في أكله العنبرة ، قولُ الراجز :

* أحرص من كلبٍ على عقي صبي^(٣) *

وقال مثل ذلك حنظلة بن عرادة [في ذكره] لابنه السرندي :

(١) ط : « كلة » وتصحيحه من ل .

(٢) ط : « إذا مامسها مطر » . والبيت لحسان بن ثابت في ديوانه ص ٢٢٧ .

(٣) ط : « عقي » والصواب بالقاف كما في ل . والعق بالكسر : ما يخرج من

بطن الولد حين يولد .

مَالِ السَّرْنَدَى أَطَالَ اللهُ أَيْمَتَهُ خَلَّى أَبَاهُ بِقَفْرِ الْبَيْدِ وَادَّجَا (١)
 يَجْعُ خَبِيثٌ يُعَاطِي السَّكَلْبَ طُعْمَتَهُ وَإِنْ رَأَى غَفْلَةً مِنْ جَارِهِ وَجَا (٢)
 رَبَيْتَهُ وَهُوَ مِثْلُ الْفَرَخِ أَصْرِبُهُ
 وَالسَّكَلْبُ يَلْحَسُ مِنْ تَحْتِ اسْتِهِ الرَّدَجَا (٣)

يقال للذي يخرج من بطن الصبي حين يخرج من بطن أمه عقي بكسر العين ، ويقال عقى الصبي يعقى عقياً ، فإذا شدَّ بطنه للسمن قيل قد صُربَ ليسمن (٤) . والعقى وهو العقية الغبية ، وإيَّاه عنى ابنُ عمر حين قيل له : هلاً بايعت أخاك ابن الزُّبير ؟ فقال : إنَّ أخى وضعَ يده فى عقية (٥) ودعا إلى البيعة . إننى لا أنزع يدي من جماعةٍ وأضعها فى فرقة (٦) .

وفى الحديث المرفوع : « الراجع فى هبته كالراجع فى قيئه » . وهذا المثل فى السكلب .

ويقالُ : « أبخلُّ من كلبٍ على جيفة » . وقال بعضهم فى السكلب : الجيفة أحبُّ إليه من اللحم الغريض ، ويأكل العذرة ويرجع فى قيئه ، ويشغُر ببوله فيصير فى جوف فيه وأنفه ، ويحذفه تلقاءً (٧) خيشومه .

(١) ط : « بغير البيد » .

(٢) ط : « ربح خبيث » وهو تحريف . والمجع بالكسر : الأحمق ، إذا جلس لم يكده يبرح من مكانه ، والجاهل ، وفيها « جارة » وهو تصحيف .

(٣) ط : « أعظمه » موضع « أصربه » وفى ل « أطعمه » وأثبت ما يقتضيه كلام الجاحظ الآتى .

(٤) فى الأصل « اشتد » موضع « شد » ، وهو تحريف . وفى ط : « ضرب » مكان « قد صرب » وتصحيحه من ل .

(٥) ط : « قيئة » وبذلك يفوت الاستشهاد . والصواب فى ل .

(٦) ط : « واضعا فى فرقة » .

(٧) ل : « ويسدده » .

وقال صاحب الكلب : إن كنتم إنما تستسقطون الكلب^(١) وتستسفلونه بهذا وأشباهه ، فالجيفة أنثى من العذرة ، والعذرة شرٌّ من اللقيء ، والجيفة أحبُّ إلى أشراف السباع ورؤسائها من اللحم العبيط الغريص الغضّ .

(ما كل السبع)

والأسد سيّد السباع ، وهو يأكل الجيفة ، ولا يعرض لشرائع الوحش وافتراس البهائم ، ولا للسابلة من الناس ، ما وجد في فريسته فضلة . ويبدأ بعد شرب الدم فيبقر بطنه ويأكل ما فيه من الغثية والثفل^(٢) والحشوة والزبل ، وهو يرجع في قيئه ، وعنه^(٣) ورث السنور ذلك .

(ما قيل في السبع من الأمثال)

وهو المضروبُ به المثلُ في النجدة والبسالة ، وفي شدة الإقدام^(٤) ١٠٨ والصولة ، فيقال : « ما هو إلاّ الأسد على برائنه » و « هو أشدُّ من الأسد » و « هو أجراً من الليث العادي » و « فلان أسدُ البلاد » و « هو الأسد الأسود^(٥) » . وقيل لحمزة بن عبد المطلب أسدُ الله . فكفّاك من نُبيل الأسد أنه اشتقَّ لحمزة بن عبد المطلب من اسمه . ويقال للملك أصيد إذا أرادوا

(١) ط : « تستسقطون » وهو تصحيف .

(٢) ط : « القيثية » والثفل « وهو تحريف ما في ل .

(٣) ط : « وعند » وتصحيحه من ل .

(٤) ط : « وهو في شدة الإقدام » وكلمة « هو » متحمة .

(٥) ط : « الأسود » ولعله « وهو أسد الأسود » .

أن يصفوه بالكِبْر وبقلّة الالتفات ، وبأن أنفه فيه أسلوب^(١) ولأنّ الأسد يلتفت معاً لأنّ عنقه من عظم واحد . وقال حاتم^(٢) :

هَلَّا إِذَا مَطَرَ السَّمَاءُ عَلَيْكُمْ^(٣) وَرَفَعْتَ رَأْسَكَ مِثْلَ رَأْسِ الْأَصِيدِ
وقال الآخر :

يَذُودُونَ كَلْبًا بِالرِّيحِ وَطَيْئًا وَتَغْلِبَ وَالصَّيْدَ النَّوَظِرَ مِنْ بَكْرٍ
وقال الآخر :

وكم لي بها من أبٍ أُصِيدٍ نَمَاهُ أَبٌ مَاجِدٌ أُصِيدٌ^(٤)
وبعدُ فإنّ الذي يأكل الجيفة لم يبعد من طبع كثير من الناس ؛ لأنّ
من الناس من يشتهي اللحم الغابّ ، ومنهم من يشتهي النّمكسود^(٥) .
وليسَ بَيْنَ النّمكسودِ وبين المصلوب اليابس كبيرُ فرق ، وإنّما يذبجون
المدّيكة والبَطَّ والدجاج والدراج من أوّل الليل ، ليسترخي لحمها ،
وذلك أول التّجيف^(٦) .

فالأسد أجمع لهذه الحصال من الكلب ، فهلاًّ ذكرتم بذلك الأسد
وهو أنبه ذكراً وأبعد صيتاً .

وأما ما ذكرتم من نزن الجلد ومن استنشاق البول ، فإنّ للتيس في
ذلك ما ليس للكلب ، وقد شاركه في الحذف ببوله تلقاء أنفه ، وبأينه
بشدة الصّنان ؛ فإنّ الأمثال له أكثرُ ذكراً . وفي العنز أيضاً عيوب .

(١) ل : « وبأن أنفه أسلوب » ط : « . . . في أسلوب » وسويت العبارة كما ترى .
والأسلوب : الشموخ في الأنف .

(٢) في الأصل « أبو حاتم » وإنما هو حاتم الطائي ، والبيت من أبيات ستة لها خبر
في آخر ديوانه بخمسة دواوين العرب ١٢٨ .

(٣) ط : « مطرت سماءكم بها » ، وفي الديوان :

* ها إنما مطرت سماءكم دما *

(٤) ط : « نماه مجد أب أصيد » .

(٥) انظر للنمكسود ماورد في تذكرة داود .

(٦) ماعدال والأمبروزيانا « التجيف » .

وفي توجيه التيس بيوله إلى حاق خيشومه قال الشاعر لبعض
من يهجوهُ :

دُعِيَتْ يَزِيدَ كِي تَزِيدَ فَلَمْ تَزِدْ فَعَادَ لَكَ الْمُسْمَى فَأَسْمَاكَ بِالْقَحْرِ (١)
وما القحْرُ إِلَّا التيسُ يَعْتِكَ بَوْلُهُ عَلَيْهِ فِيمَذَى فِي لَبَانٍ وَفِي نَحْرِ (٢)

وقال آخر في مثل ذلك (٣) :

أَعْمَانُ بْنُ حَيَّانَ بْنِ لُؤْمٍ عَتُودٌ فِي مَفَارِقِهِ يَبُولُ
ولو أَنَّى أَشَافَهُه لَشَالَتْ نَعَامَتُهُ وَيَفْهَمُ مَا يَقُولُ

١٠٩ وبعد فما يُعَلِّمُ من صنيع العنز (٤) في لبنا وفي الارتضاع من خلفها
إِلَّا أَقْبَحَ .

وقال ابن أحمَرَ الباهليُّ في ذلك :

إِنَّا وَجَدْنَا بَنِي سَهْمٍ وَجَامِلِهِمْ كَالْعِزِّ تَعَطَّفُ رَوْقِهَا وَتَرْتَضِعُ (٥)
وقلتم : هَجَا ابْنُ غَادِيَةِ السُّلَمِيِّ (٦) بَعْضَ الْكِرَامِ ، حِينَ عَزَلَ عَن
نَيْعٍ ، فَقَالَ لِمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ إِتْمَا عَزَلَ لِمَكَانِهِ :

رَكِبُوكَ مُرْتَحَلًا فَظَهَرَكَ مِنْهُمْ دَبِيرُ الْحِرَاقِفِ وَالْفَقَارِ مَوْقِعُ
كَالْكَلْبِ يَتَّبِعُ خَانِقِيهِ وَيَنْتَحِي نَحْوَ الَّذِينَ بِهِمْ يَعْزُّ وَيَمْنَعُ

- (١) ط : « بالفجر » وهو تصحيف ما في ل ، والقحر أصل معناه البير المسن .
(٢) ط : « الفجر » موضع « القحر » و « يعتل » مكان « يعتك » . يقال عتك عليه يضربه
أى لم ينهه عنه شيء وفي ل : « ويمذى في اللبن وفي النحر » .
(٣) هو المرار الفقمي . انظر حواشي ٥ : ٤٦٤ .
(٤) ل : « فانعلم صنيع » .
(٥) ط : « وجاهلهم » ل : « وجاهلهم » وتصحيحه مما سيأتي في هذا الجزء ص ٣٥٤ و من هيون
الأخبار ٢ : ٧٥ . والجمال : قطع الإبل معه رعيانه وأربابه .
(٦) ط : « السلحا » وفي ل : « عادية » بالعين . وأثبت ما في س و م .

وقال ابن هرمة الفهري :

فما عادت لذي يمن رءوسا ولا ضرت بفرقتها نزارا
كعنز السوء تنطح من خلاها وترأم من يحد لها الشفارا

وما نعلم الرجوع في الجرّة ، وإعادة الفرث إلى الفم ليستقصى مضغه
إلا أسمع^(١) وأقدر من الرجوع في القيء . وقد اختار الله عز وجلّ تلك
الطبيعة للأنعام ، وجعل الناس ليسوا لشيء من اللّحمان أشدّ أكلا
ولا أشدّ عجباً به منكم^(٢) ، ولا أصلح لأبدانهم ولا أغذى لهم من لحوم
هذه الأنعام أفتائها ومسائها .

وقال صاحب الديك : ما يشبه عود المشية في الجرّة ، ورجوعها
في الفرث تطحنه وتسيغه ، الرجوع في القيء . وقد زعمتم أنّ جرّة البعير
أنتن من قيء الكلاب لطول غيوبها^(٣) في الجوف ، وانقلابها إلى طباغ
الزبل ، وأنها^(٤) أنتن من الثلث . وإنما مثل الجرّة مثل الريق الذي ذكره
ابن أحرر فقال :

هذا الثناء وأجدر أن أصحابه وقد يدوم ريق الطامع الأمل^(٥)
فإنما مثل القيء مثل العذرة : لأن الريق الذي زعمتم ، مادام في فم

(١) ط : « إلى السمع » وهو تحريف ما في ل .

(٢) وضعت كلمة (به) في ط بعد أكلا . وتصحيحه من ل .

(٣) ط : « غيوبها » والغيوب صديحة . والأشبه « غيوبها » بالباء كما مضى قريبا
وكما في ل .

(٤) في ط : « وأنه » وفي ل : « وأنهما » والوجه ما أثبت لأن الضمير راجع
إلى الجرّة .

(٥) ط : « يصاحبه » و « يداوم » وتصحيحه من ل ومن البيان ١ : ١٨٠ .

صاحبه ، ألدُّ من السلوى ، وأمتع من النسيم ، وأحسنُ موقِعاً من الماء البارد من العطشان المسهوم . والريقُ كذلك مالم يزايِل موضِعَه ، ومتى زايِل فَمَ صاحِبِه إلى بعض جِلده اشتدَّت نَتْنُه وعادَ في سبيلِ القِيءِ .

١١. فالريقُ والجِرَّةُ في سبيلِ واحد ، كما أن القِيءَ والعذِرةَ في سبيلِ واحد . ولو أن الكلبَ قلَسَ حَتَّى يمتلئُ منه فمه ، ثم رجع فيه من غير مباينةٍ له ، لكان في ذلك أحقُّ بالنظافة من الأنعام في جِرَّتِها ، وحشِيَّتِها وأهليَّتِها ، وإنَّ الأرانِبَ لتَحِيضُ حِيضاً نَتِناً ، فما عاف لحمها أصحابُ التَّقَدُّرِ (١) لمشاركتِها الأنعامَ في الجِرَّةِ .

فقال صاحب الكلب : أمّا ما عبتموه من أكلِ العذِرةِ ، فإنَّ ذلك عامٌّ في الماشيةِ المتخَيَّرِ لحمها على اللُّحْمَانِ ؛ لأنَّ الإبلَ والشيءَ (٢) كلُّها جَلَانَةٌ وهُنَّ على يابسٍ ما يخرُجُ من الناسِ أحرَصُ ؛ وعلى أنها إذا تعوَّدت أكلَ ما قد جفَّ ظاهره وداخله رطبٌ ، رَجَع أمرها إلى ما عليه الكلب . ثم الدَّجاج لا تَرْضَى بالعذِرةِ ، وبما يَبْقَى من الحبوبِ التي لم يأتِ عليها الاستمراءُ والهضمُ ، حَتَّى تلتَمِسَ الديدانَ التي فيها ، فتجمع نوعين من العذرةِ (٣) لأنها إذا أكلت ديدانَ العذِرةِ فقد أتتْ على النوعين جميعاً . ولذلك قال عبد الرحمن بن الحَكَمِ (٤) في هجائه الأنصارِ بخبيث الطعام ،

(١) ط والأمبروزيانا : « التقرز » وهو الاشمزاز . والتقذر من تقذر الشيء : عده قدرا .

(٢) في الأصل : « الشاة » والوجه الجمع كما صنعت .

(٣) ط : « فيجتمع نوعان » .

(٤) ط : « ابن أم الحكم » والصواب ما أثبت من ل . وعبد الرحمن بن الحكم

هذا شاعر إسلامي متوسط الحال في شعراء زمانه . وكان يهاجى عبد الرحمن

ابن حسان بن ثابت الأنصاري فيقاومه ، وينتصف كل واحد منهما من صاحبه . له

ترجمة في الأغاني ١٢ : ٦٩ - ٧٣ . وأما عبد الرحمن بن أم الحكم فهو ممن روى

الكوفة وأساء بها السيرة ، وولاه خاله معاوية عدة أعمال فذمه أهلها ، وتظلموا

منه فعزله واطرحه . الأغاني ١٣ : ٣٢ .

فضرب المثلَ بالدجاج من بين جميع الحيوان ، وتركَ ذِكر الكلابِ وهي له مُعرضة فقال :

وللأنصارُ آكلُ في قُراها مُحبِثُ الأَطعماتِ مِنَ الدجاجِ (١)

ولو قال :

وللأنصارُ آكلُ في قُراها مُحبِثُ الأَطعماتِ مِنَ الكلابِ
لكانَ الشُّعرُ صحيحاً مُرضياً .

وعلى أن الكلابَ متى شِبت ، لم تعرض للعدرة . والأنعامُ الجلالةُ وكذلك الحافر ، قد جعلت ذلك كالحمض إذا كانت لها خلةٌ ؛ فهي مرّة تتغذى به ومرّة تتحمض . وقد جاء في ملحوم الجلالة ما جاء .

(رغبة الملوك والأشراف في الدجاج)

وملوكنَا وأهلُ العيشِ مِنَّا ، لا يرغبون في شيءٍ من اللُّحمان رغبتهم في الدجاج ، وهم يقدمونها على البطِّ والنواهض ، والتبجِجِ والدراج . نعم وعلى الجداء والأعنقِ الحمرِ من بناتِ الصفايا . وهم يعرفون طبعها وسوء قوتها (٢) ، وهم مع ذلك يأكلون الرواعي كما يأكلون المسمّات .

(الشبوط أجود السمك)

وأطيبُ ما في الأنهار من السمك ، وأحسنُها قدوداً وخرطاً ، وأسبُطها شُبوطة (٣) ، وأرفعها ثمناً وأكثرها تصرفاً في المالح والطرى ، وفي

(١) ل : « كخبث » وهو تحريف .

(٢) ط : « وشهوتها » .

(٣) ل : « سباطة » يقال سبط سباطة وسبوتة وسبوطا .

القريش والنشوط^(١) ، وليس في الماء سمكة رقيقة الذكر ولا ذات
نحول ، إلا وهي أحرص على أكل العذرة منها ، وإنها [في ذلك ^(٢)] لأشد
طلباً لها من الخنزير في البر ، والجري في البحر .

(لحم الخنزير)

وقد علم الناس كيف استطابة أكل لحوم الخنازير ، وأكل
١١٢ الخنازير لها ، وكيف كانت الأكاسرة والقيصرة يقدمونها ويفضلونها .
ولولا التعب لجري عندنا مجراه عند غيرنا .
وقد علم الناس كيف استطابة أكل الجري لأذناها^(٣) .

(ما قيل في الجري)

وفي الجري قال أبو كلدة : هو أدم العميان ، وجيد في الكوشان^(٤)
ودواء للكليتين^(٥) ، وصالح لوجع الظهر وعجب الذنب ، وخلاف على
اليهود ، وغيط على الروافض ؛ وفي أكله إحياء لبعض السنن ، وإماتة
بعض البدع ، ولم يفلج عليه أكثر منه قط ، وهو محنة بين المبتدع

(١) في القاموس : سمك قريس : طبخ وعمل فيه صباغ وترك حتى جمد . وفي مبادئ
اللغة ٧٤ : « والقريس : لحم يطبخ بخل ثم يبرد » . وهي في ط « القريش »
وفي ل : « القريس » وهما كلمتان محرفتان . . وأما النشوط فهي كلمة ساقطة
من ط . والنشوط : سمك يقر في ماء وملح .

(٢) التكلة من الأمبروزيانا .

(٣) في ط : « لأذناها محشوا » وفي ل : « لأذناها محسيا » ومحسوا كالمحشوا
مقحمتان فأسقطتهما . واللام في « لأذناها » بمعنى إلى .

(٤) الكوشان : طعام لأهل عمان من الأرز والسمك .

(٥) ط : « في الكليتين » وهو تحريف .

والشئى ، هلك فيه فِئْتَانٍ (١) مذ كانت الدنيا : محللٌ ومحرمٌ .

وقال أبو إسحاق : هو قبيح المنظر ، عارى الجلد ، ناقص الدماغ ، يلتهم العذرة ويأكل الجرذان (٢) [صحاحاً والفأر] ، وزهيمٌ لا يُستطاعُ أكله إلا محسباً (٣) ولا يتصرفُ تصرفَ السمك ، وقد وقع عليه اسم المسخ ، لا يطيب مملوحاً ولا مغموراً ، [ولا يؤكل] كباباً ، ولا يُختارُ مطبوخاً ، ويُرمى كله إلا ذنبه (٤) .

والأصناف التى تعرض للعذرة كثيرة ، وقد ذكرنا الجملالات من الأنعام والجري والشبوط من السمك . ويعرض لها من الطير الدجاج والرَّخْمُ والهداهد .

(الأنوق وما سمي بهذا الاسم)

وقد بلغ من شهوة الرَّخْمَةِ لذلك ، أن سموها الأنوق ، حتى سموا كل شئٍ من الحيوان يعرض للعذرة بأنوق ، وهو قول الشاعر :

حتى إذا أضحي تدرى واكتحل لجارتيه ثم ولى فنثل
* رزق الأنوقين القرني وأجعل (٥) *

(١) ط : « فتيان » وليس بشئ .

(٢) ط : « يلتقم العذرة ويبتلع الجرذان » .

(٣) هذا ما فى ل . وانظر ماسياتى فى ٥ : ٤٥٢ ، و ٦ : ٣٥٩ ، وكتاب الطبخ البغدادي ٦٤

حيث ذكر صفة المحسب . وفى سائر النسخ « محسوا »

(٤) ل : « بكله إلا ذنبه » .

(٥) فى الأصل : « ذرق » صوابه من ٣ : ٥٠٣ .

(ما قيل من الشعر في الجعل)

ولشدة طلب الجعل لذلك قال الشاعر :

يبيت في مجلس الأتوم يربوهم كأنه شرطيُّ بات في حرس
وكذلك قال الآخر (١) :

إذا أتوه بطعامٍ وأكل (٢) بات يعشي وخذَه الفئ جُعل
هذا البيت يدلُّ على عظم مقدار النجو ، فهجاه بذلك ، وعلى أن الجعل
يقتات البراز .

وفي مثل ذلك يقول ابن عبدل - إن كان قاله - وإنما قلت هذا
لأن الشعر يرتفع عنه .

والشعر قوله :

نعم جارُ الخنزيرةِ المرضعُ الغر ثي إذا ما غدا أبو كلثوم (٣)
ثاويًا قد أصابَ عند صديقٍ من ثريدٍ ملبقٍ مأدوم (٤)
ثم أنحى بجمعه حاجبَ الشمسِ فسألقي كالمدفِ المهذوم (٥)
بضريطٍ ترى الخنازير منه عامداتٍ لتلهِ المركوم

وقال الراجز [في مثل ذلك] :

قد دقه ثارده وصومعا (٦) ثممت ألبان البخاني جعجعا

(١) ط : « ولذلك قال الشاعر » وهو تحريف .

(٢) هذا البيت ساقط من ل .

(٣) ط : « نعم جار الخنزيرة المرضع الفرثي » ، وتصحيحه من ل ومن البيان
٣ : ٣١١ .

(٤) ثريد ملبق : ملين باللحم .

(٥) ط : « ثم أنحى بجمعه » وهو على الصواب في ل والبيان .

(٦) ط : « فردقة ثاردة » وهو تصحيف ما في ل . في القاموس : ثريدة مصومعة :
مدققة الرأس .

جَعَجَعَةَ الْعَوْدِ ابْتَغَى أَنْ يَنْجَعَا (١) مُتَمَّتْ خَوْى بَارِكًا وَاسْتَرْجَعَا

* عَنْ جَائِمٍ يُحْسَبُ كَلْبًا أَبْقَعَا (٢) *

وفى طلب الجعل للزبيل قال الراجز (وهو أبو العصن الأسدى) :

مَاذَا تَلَّاقَى طَلَّحَاتُ الْحَرْجِ مِنْ كُلِّ ذَاتٍ بُخْنِقٍ غَمَلَّجِهِ (٣)

ظَلَّ لَهَا بَيْنَ الْحَلَالِ أَرْجِهِ (٤) مِنَ الضَّرَاطِ وَالْفُسَاءِ السَّمَجِهِ (٥)

فَجَثُّهَا قَاعِدَةٌ مَنْشَجِهِ (٦) تَعْطِيهِ عَنْهَا جُعَلًا مُدْحَرْجِهِ

وقال يحيى الأغر : تقول العرب « سَدَكَ بِهِ جُعَلُهُ (٧) ». وقال الشاعر :

إِذَا أَتَيْتُ سُلَيْمَى شَبَّ لِي جُعَلٌ إِنَّ الشَّقَّ الَّذِي يُغْرَى بِهِ الْجُعَلُ (٨)

يضرب هذا المثل للرجل إذا لصق به من يكره ، وإذا كان لا يزال يراه

[وهو] يهرب منه .

قال يحيى : وكان أصله ملازمة الجعل لمن بات فى الصحراء ، فكلما قام

لحاجة تبعه ؛ لأنه عنده أنه يريد الغائط .

(القرنى)

وفى القرنى يقول ابن مقبل :

- (١) ط : « جمع العواء تبغى تنجعا » وهو كلام مشوه تصحيحه من ل .
 (٢) فى القاموس : « البقع محرقة فى الطير والكلاب كالبلق فى الدواب » وفيه :
 « البلق : سواد وبياض » وفى ل : « كبشا أبقعا » والوجه ما أثبت من ط .
 (٣) ط : « نجنتى » ولا معنى له وصوابه فى ل . والبخنق : خرقه تتنقع بها اجارية .
 (٤) ل : « بين الحجال »
 (٥) ل : السهجة .
 (٦) ل : « مفسحة » .
 (٧) ط : « سرك به جملة » وإنما هى سدك - بمعنى لزم - كما فى ل . وفى الأمثال :
 « ألصق من جعل » .
 (٨) شب ، أى أتيت . وعنى بالجعل الواشى . أمثال الميدانى ٢ : ١٨٠ .

ولا أطرق الجاراتِ بالليلِ قابعاً قبوعَ القرْنَبِي أُخْلَفَتْه مجاعره (١)
والقبوع: الاجتماع والتقبض . والقرْنَبِي : دويبةٌ فوق الخنفساء ودونَ
الجعل ، وهو والجعل يتبعان الرجلَ إلى الغائط .

(الهدهد وخبث ريحه)

ومن الطير الذي يُضَارِع الرَّخْمَةَ في ذلك الهدهدُ ، متنُ البدن وإن لم
تجدّه ملطخاً بشيءٍ من العذرة ؛ لأنه يبنى بيته ويصنع أفحوصه من الزبل ،
وليس اقتيائه منه إلا على قدر رغبته وحاجته في ألا يتخذ بيتاً ولا أفحوصاً
إلا منه ، فخامرَه [ذلك] التَّنُّ فَعَلِقَ ببدنه وجرى في أعراق أبويه ؛ إذ كان
هذا الصنيع عامّاً في جنسه (٢) .

وتعترى هذه الشهوة الذبان ، حتى إنَّها لو رأتُ عسلاً وقذراً ، لكانت .
إلى القدر أسرع . وقال الشاعر (٣) :

قفاً خَلَفَ وَجْهٍ قَدْ أُطِيلَ كَأَنَّهُ قفامالكٍ يُقْصِي الهُمومَ عَلَى بَثْقِ (٤)
وأعظمُ زهواً من ذُبابٍ على خيراً (٥) وأبخلُ من كَلْبٍ عَقُورِ على عَرَقِ (٦)
ويزعمون أنَّ الزُّنْبورَ لهجٌ بصيد الذبان ، ولا يكاد يصيده (٧) إلا وهو

(١) ط وأمثال الميداني ٢ : ١٨٠ . « محاجره » وأثبت ما في ل .

(٢) ط : « إذ كان هذا التضييع عامّاً في جنبه » وهو تحريف ما في ل .

(٣) هو أبو نواس الحسن بن هانئ كما سيأتي وكما في البيان ٣ : ٣٥٤ وعيون الأخبار

١ : ٢٧٣ والشعراء ٧٦٠ . والشعر في هجاء جعفر بن يحيى البرمكي .

(٤) البثق : منبعث الماء . ماعدال : « ثيق » .

(٥) ل : « خر » .

(٦) العرق بالفتح : العظم بلحمه . فإذا أكل لحمه فعراق - كغراب - أو
كلاهما لكليهما .

(٧) ط : « يصيد » والوجه ما في ل .

ساقط على عذرة لفرط شهوته لها [ولا ستفراغها] ، فيعرف الزنبور ذلك ، ١١٣
فيجعل غفلته فرصة ونهزة . قالوا : وإنما قلنا ذلك لأننا لم نجده يروم صيده
وهو ساقط على ثمرة ، فما دونها في الحلاوة .

(شعر في الهجاء)

وقال أبو الشمقمق في ذلك :

الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ جَاءَكُمْ الْأَحْمَقُ رَأْسُ الْأَثْنَانِ وَالْقَدِيرَهُ
وَابْنُ عَمِّ الْحَمَارِ فِي صُورَةِ الْفَيْءِ لِي وَخَالُ الْجَامُوسِ وَالْبَقْرَهُ
يَمْشِي رُويْدًا يَرِيدُ خَلْقَتَكُمْ كَمَشَى خِنْزِيرَةً إِلَى عَذْرِهِ (١)
وقال حمادُ عَجْرَدٌ فِي بَشَّارِ بْنِ بُرْدِ الْعُقَيْلِيِّ :

مَا صَوَّرَ اللَّهُ شَيْهًا لَهُ مِنْ كُلِّ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ صَوَّرًا
أَشْبَهَ بِالْخِنْزِيرِ وَجْهًا وَلَا بِالْكَلْبِ أَعْرَاقًا وَلَا مَكْسِرًا (٢)
وَلَا رَأَيْنَا أَحَدًا مِثْلَهُ أَنْجَسَ أَوْ أَطْفَسَ أَوْ أَقْدَرًا (٣)
لَوْ طَلَيْتُ جِلْدَتَهُ عَنَبْرًا لَنَدَّنتُ جِلْدَتَهُ الْعَنْبِرَا (٤)
أَوْ طَلَيْتُ مِسْكًَا ذَكِيًّا إِذْنَ تَحَوَّلَ الْمِسْكُ عَلَيْهِ خِرًا

وقال أبو نؤاس في هجاء جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي :

إِذَا مَا مَدَحْتُ فَنِيَّ مِنْ خِرَا أَلَيْسَ جَزَائِي أَنْ أُعْطِيَ الْخِرَا (٥)

وقال أعرابيٌّ يهجو رجلاً يقال له جلمود بن أوس ، كان مُتَنِّ العرق :

(١) ط : « يريد خلعتكم مشى » والوجه ما في ل .

(٢) المكسر - كمنزل - : الأصل والخبر .

(٣) الطفس بالتحريك : قذر الإنسان إذا لم يتعهد نفسه . وطفس كمتذر وزنا ومعنى .

(٤) في شرح المقامات للشريشي ٢ : ١١٤ : « لأفسدت » .

(٥) ط : « من خرى » ل « من خر » . وفي ط : « أعطى الخرا » .

إِنِّي إِذَا مَا عَارِضِي تَأَلَّقَا^(١) وَرَعَدَتِ حَافَتِهِ وَبَرَاقَا
أَهْلَكَتُ جُلْمُودَ بَنِ أَوْسٍ غَرَقَا كَانَ لِحَمَقَاءَ فَصَارَ أَحْمَقَا
* أَخْبَثَ شَيْءٌ عَرَقَا وَخِرَقَا^(٢) *

وقال حمادُ عَجْرَدٍ فِي بَشَّارِ :

يَا ابْنَ بُرْدٍ إِحْسَاءُ إِلَيْكَ فَمَثَلُ الْـ كَلْبِ فِي الْخَلْقِ أَنْتَ لَا الْإِنْسَانَ^(٣)
بَلْ لَعَمْرِي لَأَنْتَ شَرُّ مِنَ الْسُكَلَبِ وَأَوْلَى مِنْهُ بِكُلِّ هَوَانٍ
وَلَرِيحُ الْخِنْزِيرِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِكَ يَا ابْنَ الطَّيَّانِ ذِي التُّبَّانِ
وقال بعض الشعراء في عبد الله بن عمير :

غَزَا ابْنَ مُعْمِرٍ غَزْوَةً تَرَكْتُ لَهُ نَذَاءً كَرِيحِ الْجُورَبِ الْمُتَخَرِّقِ ١١٤
وقال حمادُ عَجْرَدٍ فِي بَشَّارِ^(٤) :

قُلْ لَشَقِيٍّ الْجَدُّ فِي رَمْسِهِ وَمَنْ يَفِرُّ النَّاسُ مِنْ رِجْسِهِ^(٥)
لِلْقَرْدِ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ وَلَا تَحْفَلِ بِرِغْمِ الْقَرْدِ أَوْ تَعْسِهِ^(٦)
لِلْقَرْدِ بِاللَّيْثِ اغْتَرَارٌ بِهِ فَمَا الَّذِي أَدْنَاكَ مِنْ مَسِّهِ^(٧)
يَا ابْنَ اسْتِهَا فَاصْبِرْ عَلَى ضَعْمَةٍ بِنَابِهِ يَا قَرْدُ أَوْ ضِرْسِهِ
نَهَارُهُ أَخْبَثُ مِنْ لَيْلِهِ وَيَوْمُهُ أَخْبَثُ مِنْ أَمْسِهِ

(١) ط : « إذا عارضني تألقا » .

(٢) ط : « أحرقا وعرقا » .

(٣) في ط نقصان كلمة (إليك) وبذلك يحتل البيت . والشعر من الخفيف لحقه التثنية
في البيت الأول والثالث . وانظر الأغاني ٣ : ٢١ .

(٤) الشعر في أمالي المرتضى ١ : ٩٣ ومعاهد التنخيص ١ : ١٠٠ .

(٥) ل : « . . . في رسمه وأمه الشلافة الرجسة » وهو تحريف .

(٦) ط : « نخسه » ولعلها « نخسه » وأثبت ما في ل .

(٧) ل : « ما الذي أدناك » .

وليس بالمُقْلِعِ عن غِيَّهِ (١) حتى يُدَلِّي القِرْدُ في رَمْسِهِ
 ما خَلَقَ اللهُ شَبِيهاً له من جِنِّهِ طُرّاً ومن إنْسِهِ
 والله ما الخِزِيرُ في نَتْنِهِ من رُبْعِهِ بالعُشْرِ أو خُمْسِهِ
 بل رِيحُهُ أَطيبُ من رِيحِهِ ومُسَّهُ أَلْيَنُ من مَسِّهِ
 ووجْهُهُ أَحْسَنُ من وَجْهِهِ ونَفْسُهُ أَنبَلُ من نَفْسِهِ
 وعودُهُ أَكْرَمُ من عودِهِ (٢) وجِنْسُهُ أَكْرَمُ من جِنْسِهِ

وأنا حفظك الله تعالى أستظرف وضعه الخنزير بهذا المكان وفي هذا
 الموضوع ، حين يقول : وعوده أكرم من عوده .

وأىُّ عودٍ للخنزير (٣) ؟ ! قَبَّحَهُ اللهُ تعالى ، [وقبح من يشتهى أكله] :

وقال حمادُ عجرد في بشارِ بن بُرد :

إنَّ ابنَ بُردٍ رأى رُؤيا فَاوَّ لها (٤)
 رأى العَمَى نِعْمَةً اللهُ سَابِغَةً
 وقال : لو لمَ أكنُ أعمى لَكنتُ كما
 أكُدُّ نَفْسِي بالتَّطْيِينِ مَجْتَهِدًا
 أو كنتُ إنَّ أنا لمَ أَقنَعُ بفعلِ أبي
 كإخوتي دَائِبًا أَشقى شَقَاءَهُمْ
 فقد كَفاني العَمَى من كلِّ مَكْسَبَةٍ
 بلا مَشُورَةٍ إنسانٍ ولا أَثرٍ
 عليه ، إذ كانَ مكفوفًا عن النَّظَرِ
 قد كانَ بُردُ أبي في الضِّيْقِ والعُسْرِ
 إمَّا أَجيراً وإمَّا غيرَ مُؤْتَجَرٍ
 قَصَابَ شَاءَ شَقِيَّ الجَدِّ أو بَقَرٍ
 في الحرِّ والبردِ والإدلاجِ والبُكَرِ
 والرِّزْقُ يَأْتِي بِأسبابٍ من القَدَرِ (٥)

(١) كذا في معاهد التنصيص . وفي ط : « غيَّله » و ل : « فعله » .

(٢) ط : « أحسن » وارتضيت مافي ل ومعاهد التنصيص .

(٣) ط : وعوده أكرم من عوده أين عود الخنزير من الكرم . ووضع الكلام بهذه

الصورة من تلاعب النساخ . وقد رددت الأمر إلى نصابه ، سعتدا مافي ل .

(٤) ل : « فقال بها » .

(٥) ط : « بأنواع من القدر » .

- ١١٥ فصرتُ ذانَسَبٍ من غير ما طلب
 إلاَّ بِمَسْأَلَتِي إذ كنت في صِغْرِي (١)
 أضْمُ شَيْئاً إلى شَيْءٍ فَأَذْخِرُهُ (٢)
 مَن كَانَ يَعْرِفُنِي لَوْلَمْ أَكُنْ زَمِيناً
 مِمَّا أَجْمَعُ من تمرٍ ومن كِسْرٍ
 فَقُلْ لَهُ لَا هِدَاةَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ
 أَوْ كَانَ يَبْذُلُ لِي شَيْئاً سِوَى الْحَجَرِ ؟!
 لَقَدْ فَطِنْتَ إِلَى شَيْءٍ تَعِيشُ بِهِ
 يَا بِنَ النَّشْرَةِ عَنْ شَيْخِ صَبِيَّتِهَا
 يَا بِنَ النَّشْرَةِ عَنْ شَيْخِ صَبِيَّتِهَا
 أَمَا يَكْفُكَ عَنْ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي
 لَأَيُّ ثُوبَانِ ذِي الْهَامَاتِ وَالْعُجْرِ (٥)
 نَفَتَكَ عَنْهَا عُقَيْلٌ وَهِيَ صَادِقَةٌ
 مَا فِي حِرَامِكَ مِنْ نَتْنٍ وَمِنْ دَفَرٍ (٦)
 يَا عَبْدَ أُمَّ الطَّبَاءِ الْمُسْتَطْبِ بِهَا
 نَفَتَكَ عَنْهَا عُقَيْلٌ وَهِيَ صَادِقَةٌ
 بَلْ أَنْتَ كَالْكَلْبِ ذُلًّا أَوْ أذْلُ وَفِي
 وَأَنْتَ كَالْقَرْدِ فِي تَشْوِيهِ مَنْظَرِهِ
 مِنْ اللَّوَى ، لَسْتَ مَوْلَى الْغُرِّ مِنْ مُضَرٍ
 نَذَالَةَ النَّفْسِ كَالْحَنْزِيرِ وَالْيَعْرَ (٨)
 وَأَنْتَ كَالْقَرْدِ فِي تَشْوِيهِ مَنْظَرِهِ
 بَلْ صُورَةُ الْقَرْدِ أَهْبَى مِنْكَ فِي الصُّورِ
 وَوَصَفَ ابْنَ أَبِي كَرِيمَةَ حُشًّا لَهُ ، كَانَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَتَأَذُّونَ بِرِيحِهِ فَقَالَ :
 وَفِي كَنْيْفٍ بِحَمْدِ اللَّهِ يَطْرُقُنِي
 أرواح وادي خبال غير فتّار (٩)

- (١) ط : « إلا بمسألتي إن كنت في صغر » وهو تحريف .
 (٢) ط : « فأخزعه » .
 (٣) العرر : المساوي والمثالب . في ط : « لاهدك الله » .
 (٤) ط : « لاقد » وهو تحريف ، وفيها « قد وفقت في النظر » .
 (٥) ط : « عن شيخ مبيتها لايرميان يذى » وهو تحريف .
 (٦) كذا في ل . وفي ط : « ذفر » بالذال . وهما بمعنى : في أدب السكاتب ١٥٧ :
 « الذفر : شدة ريح الشيء الطيب والشيء الخبيث » .
 (٧) ط : « فسل أسيد أو فاسأل » .
 (٨) اليعر ، ساكنة العين : الشاة أو الجمى يشد عند زبية الذئب أو الأسد . ومن أمثالهم : « هو أذل من اليعر » . وقد جاء محركا في هذا الشعر . وفي ط : « وفي نذالة النفس والخنزير والنقر » .
 (٩) كذا في ل . وفي ط : « وارى خيال » ، وفي س : « وادى خيال » وفي م : « واد خبال » .

له بدائعُ نَتْنٌ ليس يَعْرِفُهَا^(١) من البريَّةِ إِلَّا خَازِنُ النَّارِ
 إِذَا أَتَانِي دَخِيلٌ^(٢) زَادَنِي بَدْعًا كَأَنَّهُ لَهْجٌ عَمْدًا بِإِضْرَارِي
 قَدْ اجْتَوَانِي لَهُ الْخَلَّانُ كُلُّهُمْ وَبَاعَ مَسْكَنَهُ مِنْ قُرْبِهِ جَارِي
 فَمَنْ أَرَادَ مِنَ الْبِرْسَامِ أَقْتَلَهُ أَوْ الصُّدَاعِ فَرَّهُ يَدْخُلُنْ دَارِي
 اسْتَكْتَفَ النَّتْنُ فِي أَنْفِي لِكَثْرَتِهِ فَلَيْسَ يُوْجِدُنِيهِ غَيْرُ إِضْمَارِي^(٣)

(ثروة المحلول من الشعر)

وقيل للمحلول^(٤) : ويلك ، ما حفظت بيت شعرٍ قط ؟ فقال : بيتاً
 واحداً اشبهته فحفظته . فقيل له : فهاته . فقال : أما إنِّي^(٥) لا أحفظُ إلا بيتاً
 واحداً . قيل : فكيف رزق منك هذا البيت ؟ فأنشده ، فأنشدهم :
 كَأَنَّمَا نَسَكْهَتْهَا مِدَّةٌ تَسِيلُ مِنْ مَخْطَةِ مَجْدُومٍ
 وزعم أصحابنا أنَّ رجلاً من بني سعد - وكان أتى الناس إبطاً - بلغه أن
 ناساً من عبد القيس يتحدونه برجلٍ منهم ، فمضى إليهم شداً ، فوافاهم ١١٦
 وقد أزيد^(٦) إبطاه ، وهو يقول :
 أَقْبَلْتُ مِنْ جَلْهَةٍ نَاعْتِينَا^(٧) بِذِي حُطَاطٍ يُعْطِسُ الْمُخْنُونَا^(٨)

(١) كذا في ط . وفي ل : « يعجزها » وليس بشيء .

(٢) ط : « بخيل » موضع « دخيل » .

(٣) يوجدنيه : يجعلني أشعر بوجوده . وفي ط : « يوجد فيه » وهو تحريف .

(٤) روى الجاحظ خبراً له في البيان ٣ : ٢٢٦ . وفي البخلاء ٩٩ ما يفيد أن المحلول

مولى تمام بن جعفر .

(٥) في الأصل : « أما أنا » .

(٦) ط : « زيد » .

(٧) في معجم البلدان والقاموس أن « ناعتين » موضع ؛ ولم يعينه واحد منهما . . وفي

ط : « باعثنينا » محرفة .

(٨) أخطاط بالضم : الرائحة الخبيثة . والمخنون : المزكوم ، وأصله من الخنان في الإبل

وهو لها كالزكام للناس . . وفي ط : « بذى حضيض يعطس المخنوننا »

وهو تحريف .

يَزْوِي لَهُ مِنْ نَتْنِهِ^(١) الْجَبِينَا حَتَّى تَرَى لَوَجْهِهِ غَضُونَا
 * نَبَّئْتْ عَبْدَ الْقَيْسِ يَا بَطُونَا *

قال : ومتح أعرابيُّ على بئرٍ وهو يقول :

يَارِيَّهَا إِذَا بَدَا صُنَانِي كَأَنَّي جَانِي عَيْبِثَرَانِ^(٢)

وقال آخر :

كَأَنَّ إِبْطِيَّ وَقَدْ طَالَ الْمَدَى نَفْحَةَ خُرْعٍ مِنْ كَوَامِيخِ الْقَرَى^(٣)
 ويقال إنه ليس في الأرض رائحةُ أنتنُ ، ولا أشدُّ على النفس ،
 من بخرِ فمٍ أو نتنِ حِرٍ ، ولا في الأرض رائحةُ أعصمٍ لروحٍ من
 رائحةِ التفاح .

وقال صاحب الكلب : فما نرى النَّاسَ يَعَافُونَ تَسْمِيدَ بُقُورِهِمْ قَبْلَ
 مُجْمِئِهَا وَتَفْتِقِ بَزُورِهَا^(٤) ولا بعد انتشارِ ورقها وظهورِ موضعِ اللَّبِّ منها
 حَتَّى رَبَّمَا ذَرُّوا عَلَيْهَا السَّمَادَ ذَرًّا ، ثُمَّ يُرْسَلُ عَلَيْهَا الْمَاءُ حَتَّى يَشْرَبَ
 اللَّبُّ^(٥) قُورَى الْعَذِرَةِ ، بَلْ مَنْ لَمْ بِالْعَذِرَةِ ؟ ! وَعَلَى أَهْلِهِمْ مَا يَصِيبُونَهَا
 إِلَّا مَغْشُوشَةٌ مُنْغَسَدَةٌ . وكذلك صنيعهم في الريحان . نَأْمًا النَّخْلُ
 فَاوِ اسْتَطَاعُوا^(٦) أَنْ يَطْلُؤُوا بِهَا الْأَجْدَاعَ طَائِبًا^(٧) لَفَعَلُوا . وَإِنَّهُمْ لَيُوقِنُونَ بِهَا

(١) ط : « من شمه » .

(٢) العبيثران . قال ابن سيده : « هو من ريحان البر طيب الريح ، قريب الشبه من
 القيصوم ونوره مثل نوره وهو أطيب منه . . . وقيل هو أغبر شبيه بالقيصوم إلا
 أن له شمراخا مدلى ، عليه نور أصفر شبيه بالذى يكون في وسط الأتحوان .
 ويوضع في المجالس مع الفاغية فلا يفوقه ريحان » . وهي في ط :
 « عبيثراني » محرفة .

(٣) النفحة : الدفعة . . وهي في ط : « لقمحة » . وانظر عيون الأخبار ٣ : ٦٣ .

(٤) ل : « بذورها » بالذال ، وهما بمعنى .

(٥) ط : « يشرب موضع اللب » و « موضع » مقحمة .

(٦) ط : « استطالوا » وهو تحريف ما في ل .

(٧) ط : « طلبا » وهو تحريف ظاهر .

الْحَمَامَاتِ وَأَتَاتِينَ الْمِلَالِ^(١) ، وتنانير الخبز . ومن أكرم سدادهم الأبعادُ
كلُّهَا والأخثناء إذا جفَّت . وما بين الثَّلَطِ جَافًا والخِثَاءِ يابسًا ، وبين العَدْرَةِ
جافةً ويابسةً فرق . وعلى أنهم يعالجون بالعَدْرَةِ وبخَرْءِ السَّكَابِ ، من
اللَّذْبَةِ والخَانُوقِ^(٢) في أقصى مواضع التقزُّزِ^(٣) وهو أقصى الحلق ،
ومواضع اللِّهَاءِ^(٤) ، ويضعونها على مواضع الشُّوكَةِ ، ويعالجون بها
عُيُونُ الدَّوَابِّ .

(أقوال مسيِّح الكناس)

وقال مسيِّح^(٥) الكناس : إِنَّمَا اشْتَقَّ الخَيْرُ مِنَ الخُرِّ . والخُرُّ في النومِ
خير . وسَلْحَةٌ مُدْرِكَةٌ أَلْدُّ مِنْ كَوْمِ العَرُوسِ لَيْلَةَ العُرْسِ . ولقد دخلتُ على
بَعْضِ الملوكِ لبعض الأسبابِ ، وإذا به قُعَاصٌ وزُكَامٌ وثِقَلُ رَأْسٍ ، وإذا
ذلك قد طاوله ، وقد كان بلغني أنه كان هَجَرَ الجُلُوسِ على المقعدة وإتيانِ
الخلَاءِ ، فأمرته بالعودِ إلى عادته ، فما مرَّتْ به أيامٌ حتى ذهب ذلك^(٦) عنه .
وزعم أن الدنيا مُنْتَنَةٌ الحِيطَانِ والتُّرْبَةِ ، والأنهار والأودية ، إلا أن
النَّاسَ قد غمَّهم ذلك لثَنِ المحيطِ بهم ، وقد حَقَّ حِسُّهم له طولُ مُسْكِنِهِ ١١٧
في خياشيمهم . قال : فمن ارتابَ بخبري ، فليَقِفْ في الرَّدِّ إلى أن يمتحنَ
ذلك في أوَّلِ ما يخرجُ إلى الدنيا ، عَنْ بَيْتِ مطيِّبٍ ؛ وليتَشَمَّ^(٧) تشمَّ

(١) المليل : الخبز واللحم وضعته في الملة . والملة : الرماد اخار . وفي ل : « القلال » .

(٢) اللذبة : وجع في الحلق أو دم يخنق فيقتل . وفي ط : « الخانوق »
موضع الخانوق .

(٣) ط : « التفزر » وهو تصحيف ما في ل .

(٤) ط : « ومواضع اللهات » وهو تحريف .

(٥) ط : « مسيح » .

(٦) ط : « حتى ذهبت عنه » .

(٧) ط : « ليشم » .

المتشبت . على أن البقاع تتفاوت في النتن . فهذا قولٌ مسَّبَحٌ (١) الكناس .

(عصبية سلمويه وابن ماسويه)

وزعم لى سلمويه وابن ماسويه مُتَطَبِّبًا الخلفاء (٢) ، أنه ليس على الأرض جيفة أنتن نَدْنَا ولا أَثْقَبُ ثُقوباً من جيفةٍ بعير ، فظننتُ أن الذي وهَّهما ذلك عَصَبِيَّتُهُمَا عليه ، وبغضهما لأربابه ، ولأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله ، هو المذكورُ في السكتب براكب (٣) البعير . [ويقال إن الحجَّاج قال لهم : أىُّ الجيفِ أنتن ؟ فقيل : جيف السكلاب . فامتحنتُ فقيل له : أنتن منها جيف السنائر ، وأنتن جيفها المذكورُ منها . فصلب ابن الزُّبير بين جيفتي سنورين ذكرين (٤)] .

(أطيب الأشياء رائحة وأخبثها)

وأنا أقول في النتن والطيب شيئاً ، لعلك إن تفقدته أن توافقني عليه وترضى قولى . أمَّا النتن فأبئى لم أشمَّ شيئاً أنتن من ربح حُشٍّ مقيرٍ ، يبول فيه الحِصيان ولا يُصَبُّ عليه الماء ، فإنَّ لأبوالهم المترادفة المتراكبة (٥) ولريح القار وريح هواء الحش (٦) وما ينفصل إليه من ربح

(١) ط : « مسيح » .

(٢) سلمويه هو ابن بنان ، خدم المعتصم . ترجم له القفطى ١٤٣ ، وابن النديم ٢٩٦ ليسك ، ٤١٢ مصر . . وأما ابن ماسويه فهو أبو زكريا يحيى أويوحنا . خدم المأمون والمعتصم والهاثق والمتوكل ، كما في الفهرست ٢٩٥ ليسك ، ٤١١ مصر . وفى ط : « مطيب الخلقاء » وصحته فى ن .

(٣) ط : « بركوب » .

(٤) فى المعارف ٩٩ أنه صلب حيث أصيب .

(٥) ط : « لأبوالهم المتراكبة » .

(٦) ط : « ولريح القار وريح هوائه » وهو كلام محرف .

البالوعة - جهةً من النَّتْنِ ومذهباً في المسكروه ، ليس بينه وبين الأبدان عمل ، وإنما يقصد إلى عين الرُّوح وصميم القلب ، ولا سيما إذا كان الحلاء غيرَ مكشوف ، وكان مغموماً غيرَ مفتوح . فأما الطَّيبُ فإنِّي لم أشممَ رائحةً قطُّ أحيًا للنفس ولا أعصمَ للرُّوح ، ولا أفتقَ ولا أغنج ، ولا أطيبُ خمرة من ريحِ عَرُوس^(١) ، إذا أُحكمت تلك الأخلاط ، وكان عَرَفَ [بدنها] ورأسها وشعرها سالياً . وإن كانت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنك ستجد ريحاً تعلمُ أنه ليس فوقها إلا ريحُ الجنة .

(ما قيل في الظربان)

ومما قالوا في النَّتْنِ ، وفي ريحِ جُحْرِ الظَّرْبَانِ خاصَّةً ، قول الحكم ابن عبدل :

أَقْبَيْتَ نَفْسَكَ فِي عَرُوضٍ مَشْقَةٍ وَلِحَصْدِ أَنْفِكَ بِالْمَنَاجِلِ أَهُونَ^(٢)
أَنْتِ امْرُؤٌ فِي أَرْضِ أُمَّكَ فُلْفُلٌ جَمٌّ وَفُلْفُلْنَا هُنَاكَ الدَّنْدِينُ^(٣)
فَبِحَقِّ أُمَّكَ وَهِيَ مِنْكَ حَقِيقَةٌ بِالْبِرِّ وَاللَّطْفِ الَّذِي لَا يُخْزَنُ
لَا تُدْنِ فَاكَ مِنَ الْأَمِيرِ وَنَحْوِهِ حَتَّى يُدَاوِيَ مَا بَأَنْفِكَ أَهْرُنُ^(٤)
إِنْ كَانَ لِلظَّرْبَانِ جُحْرٌ مُنْتِنٌ فَلَجُحْرِ أَنْفِكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَنُ

(١) ل : « مشطة امرأة » .

(٢) العروض : الناحية ، والطريق في عرض الجبل في مضيق .

(٣) الدندن : ما سود من نبات أو شجر ، وأصل الصليان .

(٤) هو أهرن القس بن أعين . الفهرست ٢٩٧ ليصك ، ٤١٣ مصر ، والقفطي ٥٧ وفي ط : « أهون » والصواب في ل وفيها سيأتى قريباً ، وفي عيون الأخبار ٤ : ٦٢ . وانظر الأغاني ٢ : ٤٢٤ دار الكتب ، والشعر فيه محرف .

وقال الربيع بن أبي الحقيق - وذكر الظربان - حين رمى قوماً بأنهم يفسون في مجالسهم ، لأن الظربان أثنى خلق الله تعالى فسوة . وقد عرف الظربان ذلك فجعله من أشد^(١) سلاحه ، كما عرفت الحبارى مافي سلاحها من الآلة ، إذا قرب الصقر منها . والظربان يدخل على الضب^{١١٨} جحره وفيه حسوله أو بيضه ، فيأتي أضيّق موضع في الجحر فيسده بيديه ، ويحوّل استه فلا يفسو ثلاث فسوات حتى يدار بالضب فيخر^(٢) سكران مغشياً عليه ، فيأكله ، ثم يقيم في جحره حتى يأتي على آخر حسوله . وتقول العرب : إنه ربّما دخل في خلال الحجمة فيفسو ، فلا تتم له ثلاث فسوات حتى تتفرّق الإبل عن المبرك ، تتركه وفيه قردان فلا يردها الراعي ، إلا بالجهد الشديد .

فقال الربيع ، وهجاهم [أيضا] بريح التيوس :

قَدِيلٌ غَنَاؤُهُمْ فِي الْهَيَاجِ إِذَا مَا تَنَادَوْا لِأَمْرٍ شَدِيدِ
وَأَنْتُمْ كِلَابٌ لَدَى دُورِكُمْ تَهْرُ هَرِيرَ الْعَقُورِ الرَّصُودِ^(٣)
وَأَنْتُمْ ظَرَابِيٌّ إِذْ تَجَاسُونَ وَمَا إِنْ لَنَا فِيكُمْ مِنْ نَدِيدِ^(٤)
وَأَنْتُمْ تَيُوسٌ وَقَدْ تُعْرَفُونَ بِرِيحِ التُّيُوسِ وَقُبُحِ الْخُدُودِ^(٥)

قال : ويقال : « أفسى من الظربان » ويسمى مفرّق النعم ، يريدون من نثن ربح فسائه . ويقال في المثل - إذا وقع بين الرجلين

(١) ط : « أحد » .

(٢) ط : « فيحز » وصوابه في ل و ثمار القلوب ٣٣٣ .

(٣) ط : « الصرود » .

(٤) نديد : مثيل ، وفي ط : « مزيد » وهو تعريف مافي ل و ثمار القلوب .

(٥) ط : « الجدود » وفي الثمار : « وثن الجلود » .

شرًّا فتباينًا وتقاطعا - : « فسَا بَيْنَهُمَا ظَرْبَانِ » . ويقال : « أَنْتَن مِّنْ ظَرْبَانِ » لأنَّ الضَّبَّ إِثْمًا يَخْدَعُ (١) فِي جُحْرِهِ وَيُوغِلُ فِي سِرْبِهِ لَشِدَّةِ طَلْبِ الظَّرْبَانِ لَهُ . وقال الفرزدق في ذلك :
ولو كنتُ في نارِ الجحيمِ لأصبحتُ ظرَّابِيُّ من حِمَّانِ عني تثيرها (٢)
وكان أبو عبيدة يُسَمِّي الحِمَّانِيَّ صَاحِبَ الأَصَمِّ : الظَّرْبَانِ (٣) ، يريد هذا المعنى ، كما يسمي كلَّ حِمَّانِيٍّ (٤) ظَرْبَانَا .

وقال ابن عبدل :

لا تُدْنِ فَاكَ من الأَمِيرِ ونَحَّه حَتَّى يداوِيَ ما بأنْفِكَ أَهْرَنُ
إن كانَ للظَّرْبَانِ جُحْرٌ مُنْتِنٌ فَلجُحْرِ أَنْفِكَ يا مُحَمَّدُ أَنْتَنُ

في شعره الذي يقول :

ليتَ الأَمِيرَ أَطاعني فشفيتُهُ من كلِّ مَن يُكْفِي القصيدَ ويلحَنُ
مُسكُورٌ يَحْشُو الكلامَ كماثما باتتْ مناخِرُهُ بدهنٍ تُعْرَنُ (٥)
وَبني لهُم سِجْنًا فَكنتُ أَميرَهُم زَمناً فأضربُ مَن أشاءُ وأسجُنُ
قل لابنِ آكِلَةِ العِفاصِ مُحَمَّدٍ إن كنتَ من حبِّ التَقْرُبِ تجِبُنُ (٦)
أَلقيتَ نَفْسَكَ في عَرُوضِ مَشَقَّةٍ وَلحَصْدُ أَنْفِكَ بالمناجِلِ أَهْوَنُ ١١٩
أنتَ امرؤٌ في أرضِ أمكِ فلفلُ جَمٌّ وفلفلنا هناك الدَّنْدِنُ

(١) خدع الضب في جحره : دخل . وفي ط : « ينخدع » وهما بمعنى .

(٢) البيت في النوادر لأبي زيد ٢١١ . وفي ط : « تشير » فقط بدل « تثيرها » وليس بشيء .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « يسمي الحماني صاحب الأحم » فقط .

(٤) في الأصل « حمان » والوجه ما أثبت .

(٥) كوره فتكور : صرعه فصرع ؛ أو هو من تكور : سقط . ويحشو : يلق . وفي ط :

« متكوراً » محرفة . وفي ط : « يحسو » محرفة .

(٦) ل : « قد كدت من حب التهرب تخنن » وهو تحريف ماني ط وما في م .

فبحقِّ أُمَّكَ وَهِيَ مِنْكَ حَقِيقَةٌ بِالْبِرِّ وَاللَّطْفِ الَّذِي لَا يُخْزَنُ (١)
 لَا تُذْنِ فَالِكَ مِنَ الْأَمِيرِ وَنَحْوِهِ حَتَّى يُدَاوِيَ مَا بَأْنَفِكَ أَهْرَنُ
 إِنْ كَانَ لِلظَّرْبَانِ جُحْرٌ مِنْهُنَّ فَلَجُحْرُ أَنْفِكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَنُ (٢)
 فَسَلِ الْأَمِيرَ وَأَنْتَ غَيْرُ مَوْفَقٍ وَبَنُو أَبِيهِ لِلْفَصَاحَةِ مَعْدِنُ
 وَسَلِ ابْنَ ذَكْوَانَ تَجِدُهُ عَالِمًا بِسَلِيقَةِ الْعَرَبِ الَّتِي لَا تُخْزَنُ (٣)
 إِذْ أَنْتَ تَجْعَلُ كُلَّ يَوْمٍ عَفْصَةً (٤) فَتَجِدُ مَا عَمَاتِ يَدَاكَ وَتَحْسِنُ
 أَشْبَهْتَ أُمَّكَ غَيْرَ بَابٍ وَاحِدٍ أَنْ قَدْ خُتِنْتَ وَأَنَّهَا لَا تُتْحَنُ
 فَلَنْ أَصِيبَ دِرَاهِمًا فَدَفَنْتَهَا وَفُتِنْتَ فِيهَا ، وَابْنُ آدَمَ يُفْتَنُ
 فَمَا (٥) أَرَاكَ وَأَنْتَ غَيْرُ مُدْرِهِمْ إِذْ ذَاكَ تَقْصِيفُ فِي الْقِيَانِ وَتَزْفِنُ
 إِذْ رَأْسُ مَالِكٍ لُعْبَةٌ بَصْرِيَّةٌ بَيْضَاءُ مُغْرِبَةٌ (٦) عَالِمِهَا السَّوْسَنُ
 وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ أَيضًا :

نَجَوْتُ (٧) مُحَمَّدًا وَدَخَانُ فِيهِ كَرِيحِ الْجَعْرِ فَوْقَ عَطِينِ جِلْدِ
 رَكِبْتُ إِلَيْهِ فِي رَجُلٍ أَتَانِي كَرِيمٍ يَطْلُبُ الْمَعْرُوفَ عِنْدِي
 فَقَلَنْتُ لَهُ وَلَمْ أَعْجَلْ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ تَقْرِيطِي وَحَمْدِي
 فَأَعْرَضَ مُكْمَحًا عَنِّي كَأَنِّي أَكَلْتُ صَخْرَةً فِي رَأْسِ صَمْدٍ (٨)

- (١) ط : « لا يخزن » وهو تحريف .
 (٢) محمد هذا هو ابن حسان بن سعد كما في الأغاني ٢ : ٤١٢ طبع دار الكتب
 وعيون الأخبار ٤ : ٦٢ .
 (٣) من الحزونة وهي الصعوبة . وفي الأصل : « تخزن » .
 (٤) ط : « غمصة » .
 (٥) ل : « لبيا » وهما سيان .
 (٦) المغربة : الشديدة البياض . ط : « معرية » بالعين .
 (٧) ل : « فقدت » محرف ، يقال نجوت فلانا ، إذا استنكته . والبيت في اللسان (نجا)
 بدون نسبة . والقصيد في معجم الأدباء ١٠ : ٢٣٢ - ٢٣٣ .
 (٨) المكمح : من يرفع رأسه من الزهو . وفي ط : « مكفحا » وتصحيحه من ل .
 والصمد : المسكان المرتفع الغليظ . وفي ط : « همد » وفي ل : « ضمد » بالضاد
 ولا يتجه أحدهما .

أَقْرَبُ كُلِّ آصِرَةٍ (١) لِيَدْنُو فَمَا يَزْدَادُ مِنِّي غَيْرَ بُعْدِ
فَأَقْسِمُ غَيْرَ سِسْتِنٍ يَمِيناً أبا بَخْرٍ (٢) لَتَتَّخِمنَ رَدَى
فَلَوْ كُنْتَ الْمَهْدَبَ مِنْ تَمِيمٍ لَخَفْتُ مَلَامَتِي وَرَجَوْتُ حَمْدِي
نَجْوَتُ (٣) مُحَمَّدًا فَوَجِدْتُ رِيحاً كَرِيحِ السَّكَابِ مَاتَ قَرِيبَ عَهْدِ
وَقَدْ أَلْدَعْتَنِي (٤) ثَعْبَانِ نَتْنٍ سَيَبُلُغُ إِنِّ سَلِمْنَا أَهْلَ نَجْدِ
وَأَدْنَى خَطْمِهِ فَوَدِدْتُ أَنِّي قَرَنْتُ (٥) دَنُوهُ مِنِّي بِيُعْدِ
كَمَا افْتَدَّتِ الْمَعَاذَةُ مِنْ جَوَاهُ (٦) بِخِلْعَتِهَا وَلَمْ تَرْجِعْ بَزَنْدِ
وَفَارَقَهَا جَوَاهُ فَاسْتَرَاخَتْ وَكَانَتْ عِنْدَهُ كَأَسِيرٍ قَدِّ (٧)
وَقَدْ أَدْنَيْتُ فَاهُ إِلَى حَتَّى قَتَلْتُ بِذَلِكَ نَفْسِي غَيْرَ عَمْدِ
وَمَا يَدْنُو إِلَى فِيهِ ذُبَابٌ وَأَوْ طَائِتٌ مَشَافِرُهُ بِقَنْدِ (٨)
يَذُقْنَ حَلَاوَةً وَيَخْفَنَ مَوْتاً زَعَا فَا إِنِّ هَمَمَنْ لَهُ بِوَرْدِ (٩)
فَلَمَّا فَاحَ فُوهُ عَلَى فَوْحًا بِمِثْلِ غَثِيثَةِ الدَّبْرِ الْمَغْدِ (١٠)
فَقَلْتُ لَهُ : تَنَحَّ بِفِيَاكِ عَنِّي فَمَا هَذَا بِرِيحِ قَتَارِ رَنْدِ (١١)

- (١) الآصرة : الرحم والقربابة . وفي ل : « ذى صر » وليس بشيء .
(٢) البخر ، بالتحريك : نتن الفم . وفي ل : « بحر » والوجه ما في ط .
(٣) ماعدا ل : « نجوت » بالحاء ، وهو تحريف . وانظر ما سبق وكذا المخصص ١١ : ٢٠٩ .
واللسان (جلد ، نجا) .
(٤) ط : « لذعتني » .
(٥) كذا في ط . وفي ل : « فديت » .
(٦) ط : « كما افتدت المعادن من حواه » .
(٧) هذا البيت في الأصول متأخر عن البيت الذي بعده ، وقد قدمت موضعه ليستقيم الشعر .
(٨) التند : غسل قصب السكر إذا جمد . معرب .
(٩) الزعاف والذعاف : السم القاتل . وفي ل : « زعافا » وفيها كذلك « يرين حلاوة » .
(١٠) الغثيثة : القويح . والمغد : المصاب بالطاعون . وفي ط : « المغد » وهو تحريف .
(١١) الرند : نبت طيب الرائحة . وفي ل : « وقلت له » ، وفي ط : « بعيد عنى »
وتصحيحه من ل .

وما هذا بريح طلاً واسكن فحدثني فإن الصدق أدنى
أبات يجول في عفج طحور [نكيت على نكته أهدري
فإن أهديت لي من فيك حثني لكم شرداً يسرن مغنيات
أما تخزي خزيت لها إذا ما لأرجو إن نجوت ولم يصبني
وقلت له : متى استطرفت هذا فقلت له : أما داويت هذا
فقال : أما علمت له رقاء فقلت له : ولا آلوه عيا
عليك بقيئة وبجعر كلب وحلتيت وكراث وثوم
وحنجرة ابن آوى وابن عرس

يفوح خراك منه غير سرد^(١) لباب الحق من كذب وجحد
فأعلم أم أتك به مغدى^(٢) شتم أعصل الأنياب ورد
فإني كالذي أهديت أهدي^(٣) تكون فنونها من كل فند^(٤)
رواها الناس من شيب ومرد^(٥) جوى إني إذن لسعيد جد
فقال أصابني من جوف مهدي فتعذر فيه آمالا بجهد^(٦)
فتسديه لنا فيما ستسدى^(٧) له فيما أسر له وأبدى^(٨)
ومثلي ذلك من نون كنعدي^(٩) وعودى حرمل وديماغ فهدي^(١٠)
ووزن شعيرة من بزر فقدي^(١١)

- (١) الطلاء، بالكسر : الخمر . وفي ط : « فيه غير سرد » .
(٢) العفج : ما ينتقل إليه الطعام بعد المدة . والطحور : السريع . وفي ط :
أبت تجول في عفج طحور فاعلم إذا أتك به معدي (كذا)
(٣) ل : « مهدي » .
(٤) الفند، بالكسر : النوع . وفي ط : « قند » ولا وجه له .
(٥) ط « خزيت له إذا ما » والوجه مافي ل . ل : « رآها الناس » والوجه مافي ط .
(٦) كذا .
(٧) في الأصل : « تسدي » ولا يستقيم بها القول .
(٨) هذا البيت والأبيات الأربعة السابقة له ، ساقطة من ل . وفي البيت كلمة « عيا » وهي محرفة
(٩) كذا في ل . وفي ط : « من لون كنعدي » .
(١٠) ط : « وحلتيت » والصواب باللام كما في ل .
(١١) في القاموس : « الفقد نبات » ولم يفسره . وفي ل : « فقد » بتقديم القاف و .
تصحيف . وفي ط : « وحنجرة ابن آوى ثم دفلي » .

وَكَفَّ ذُرْحُوحٌ^(١) وَلِسَانِ صَقْرٍ وَمِثْقَالَيْنِ مِنْ صَوَانِ رَقْدٍ^(٢)
يُدَقُّ وَيُعْجَنُ الْمِنْخُولِ مِنْهُ بَبُولِ آجِنٍ وَبَجَعْرِ قِرْدٍ
وَتَدْفِنُهُ زَمَانًا فِي شَعِيرٍ وَتَرْقِبُهُ فَلَا يَبْدُو لِبَرْدٍ^(٣) ١٢١
فَدَخْنٌ فَالِكَ مَا عَتَّقَتْ مِنْهُ وَلَا يَعْجَنُ بِأَظْفَارِ وَنَدٍّ^(٤)
فَإِنْ حَضَرَ الشَّتَاءَ وَأَنْتَ حَيٌّ ، أَرَاكَ اللَّهُ غَيْبَكَ أَمْرًا رَشِدٍ^(٥)
فَدَخْرَجِهَا بِنَادِقٍ وَازْدَرِدْهَا مَتَى رُمْتَ التَّسْكُمَ أَيْ زَرْدٍ
فَتَقْدِفُ بِالْمِصَلِّ عَلَى مِصَلٍّ بِلَعُومٍ وَشِدْقٍ مُسْمَعِدٍ^(٦)
وَوَيْلَكَ مَا لِبَطْنِكَ مَذْقَعَدْنَا كَأَنَّ دَوِيَّهُ إِرْزَامَ رَعْدٍ^(٧)
فَإِنَّ لِحِكَّةَ النَّاسُورِ عِنْدِي دَوَاءً إِنْ صَبَرْتَ لَهُ سَيْجِدِي
يُمِيتُ الدُّودَ عَنْكَ وَتَشْتَبِهُهُ إِنْ أَنْتَ سَنَّتَهُ سَنُّ الْمُقَدِّي^(٨)
بِهِ ، وَطَلَيْتَهُ بِأَصُولِ دِفْلِي وَشَيْءٌ مِنْ جَنَى لَصْفٍ وَرَنْدٍ^(٩)
أَطْبِي مَيْتًا مِنْ نَتْنٍ فِيهِ أَهَانَ اللَّهُ مِنْ نَاجَاهُ بَعْدِي

- (١) الذرحرخ : دويبة حمراء منقطة بسواد ، تطير ، وهي من السموم . وهي في ط : « زرحرخ » و ل : « ذرائح » محرفتان . وفي ط : « ومثالين » محرف « ومثقالين » .
(٢) رقد : جبل تنحت منه الأرحية ، كما في القاموس . وفي معجم البلدان اختلاف فيه وفي ط : « رقد » محرفة .
(٣) في الأصل : « وترميه فلا يبدو لبرد » وكتبت بدلها « ترقبه » ليتجه القول .
(٤) ل : « ولا تعجن بأظفار وسعد » صوابه في ط . والأظفار والند : ضربان من الطيب .
(٥) كذا في ل . وفي ط : « أزال الله عنك أمور رشد » .
(٦) مصل : له صليل كثير . والمسمعد : المتنفخ وربما ، ومثله المصمغد والمسمغد . وفي ل : « مصمغد » .
(٧) ط : « كأن رويه » ودو تحريف .
(٨) السن : الصب في سهولة . والمقدي : ضرب من الشراب غليظ ، وفي ل : « المعد » وفي ط « المقد » محرفتان .
(٩) الدفلي : نبت مر قتال زهره كالورد الأحمر وحمله كالخرنوب . والمصنف : نبت ورقة كورق لسان الحمل أو أدق . والرند : نبت طيب الرائحة . وفي ط « سعدى » موضع « دفلي » وهو تحريف ، و « نصف » موضع « لصف » وهو تحريف أيضا . وفي ل : « زبد » وليس بشيء .

(أشعار العرب في هجاء الكلب)

وقال صاحب الديك : سندرُ أشعار العرب في هجاء الكلب مجرداً على وجهه ، ثمّ نذرُ ما ذمُّوا من خلاله وأصنافِ أعماله ، وأموراً من صفاته ، ونبدأ بذكرِ هجائه في الجملة . قال بشرُّ بن بُرد :
عددتَ سويداً إذ فخرتَ وتولباً ولايكلبُ خيرٌ من سويدٍ وتولبِ
وقال بشرُّ أو غيره :

أتذكرُ إذ ترعى على الحى شاءهمُ وأنتَ شريكُ الكلبِ في كلِّ مطعمِ
وتلحسُ ما في القعبِ من فضلِ سورهِ وقد عاثَ فيه باليدِ وبالضمِ
[وقال ابن الذئبة :

من يجمع المال ولا يتبُّ به^(١) ويترك المالَ لعامٍ جذبهِ
* يـنُ على الناسِ هوانَ كلبهِ] *

وقال آخر :

إنَّ شربى لا يغبُّ بوجهه كأمى كأن كلباً يهارش أكلباً^(٢)
ولا أقسمُ الأعطان^(٣) بينى وبينه ولا أتوقاه وإن كان مجرباً
وهجا [أبو] الأحوص^(٣) ابناً له فشبَّهه بجرِّو كلبٍ فقال :
أقبِحُ به من ولدٍ وأشقحُ . مثل جرِّى^(٤) الكلب لم يُفققحُ

(١) كذا في عيون الأخبار ١ : ٢٤٣ : وفي ل : « يشبه » وهو تحريف إملائي . وفي البخلاء ١٥٥ : « يشبهه » وليس بشيء . وانظرهما .

(٢) ط : « إن شرابى لاتغيب بوجهه كلوم » وهو قول محرف صوابه في ل .

(٣) كذا في ل وهو الصواب ، وفي ط : « الأعكان » .

(٤) جرى : مصغر جرِّو . وفي ل : « جرى » .

إِنْ يَرِ سُوًّا مَا يَقُمُ فَيَنْبِغُ^(١) بِالْبَابِ عِنْدَ حَاجَةِ الْمُسْتَفْتِحِ^(٢)

١٢٢

وقال أبو حُزَابَةَ^(٣) :

يَا ابْنَ عَلِيٍّ بَرِحَ الْخَفَاءُ أَنْتَ لِغَيْرِ طَلْحَةَ الْفِدَاءِ^(٤)
 قَدْ عَلِمَ الْأَشْرَافُ وَالْأَكْفَاءُ أَنَّكَ أَنْتَ النَّاقِصُ الْإِفَاءِ^(٥)
 حَبَلَقَ جَدَّعَهُ الرَّعَاءُ^(٦) يَغْمُهُ الْمِئْزَرُ وَالرِّدَاءُ
 بَنُو عَلِيٍّ كُلُّهُمْ سِوَاءٌ كَأَنَّهُمْ زَيْنِيَّةٌ جِرَاءُ^(٧)

وقال عبدُ بنى الحُصْحَاسِ ، وَذَكَرَ قُبْحَ وَجْهِهِ [فَمَا قَالَ] :

أَتَيْتُ نِسَاءَ الْحَارِثِيِّينَ غُدُوَّةً بِوَجْهِ بَرَاهُ اللَّهُ غَيْرِ جَمِيلٍ^(٨)
 فَشَبَّهَنِي كَلْبًا وَلَسْتُ بِفَوْقِهِ وَلَا دُونَهُ إِنْ كَانَ غَيْرَ قَلِيلٍ

(١) ط : « إن ير سوءا لم يقم فينبغ » .

(٢) ط : « خلقة المستفتح » .

(٣) كذا في ل وهو الصواب ، وفي ط : « أبو خدانة » . وأبو حُزَابَةَ هو الوليد

ابن حنيفة ، أحد بني ربيعة بن حنظلة ، شاعر من شعراء الدولة الأموية . بدوى حضر وسكن البصرة ثم اكتب في الديوان وضرب عليه البعث إلى سجستان فكان بها مدة وعاد إلى البصرة وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك . قال أبو الفرج : وأظنه قتل معه . وكان شاعرا راجزا فصيحاً خبيث اللسان هجاء . انظر الأغاني ١٠ : ١٥٢ - ١٥٦ والمشتبه للذهبي ١٦٠ ليدن وتاج العروس (حزب) .

(٤) الفداء هنا بمعنى البذل . وفي ل : « أنت لقبير طلحة الفداء » وفي الأغاني ١٩ :

١٥٣ : « أنت لعين طلحة الفداء » . وابن علي هذا هو عبد الله بن علي بن عدي ولي سجستان بعد طلحة . وطلحة هذا هو ابن عبد الله بن خلف ، الذي يقال له طلحة الطلحات ، وكان واليا على سجستان قبل عبد الله بن علي . وكان طلحة يحبو ابن حُزَابَةَ ، وكان عبد الله شحيحا مسكاً .

(٥) اللفاء ، كسحاب : الحسين الحقيير . وفي ل : « اللفاء » وهو تحريف .

(٦) الحبلق : غم صغار لا تكبر أو قصار المنز ودمامها . وفي ط « الدعاء » موضع « الرعاء » وهو تحريف .

(٧) الزينية : كلاب قصيرة القوائم . وفي الأغاني « بنو عدي » . . الخ .

(٨) كذا في ل وعيون الأخبار ٤ : ٣٥ بمعنى خلقه غير جميل . وفي ط : « يراه الله » .

وقال أبو ذؤيب السعدي^(١) في هوان الكلب :

لكسرى كان أعقل من تميم ليالي فرّ من أرض الضباب
وأسكن أهله ببلاد ريف وأشجار وأنهار عذاب
فصار بنو بنيه لها ملوكاً وصرنا نحن أمثال الكلاب
فلا رحم الإله صدى تميم فقد أزرى بنا في كل باب
وأراد اللعين^(٢) هجاء جرير - وجري من بني كليب - فاشتق

هجاءه من نسبه فقال :

سأقضي بين كلب بنى كليب وبين القين قين بنى عقال
فإن الكلب مطعمه خبيث وإن القين يعمل في سفال
كلا العبدین - قد علمت معد لئيم الأصل من عم وخال
فما بقياً على تركماني ولكن خفتم صرد النبال

وقال رجل من همدان ، يقال له الضحّاك بن سعد^(٣) ، يهجو مروان بن محمد

ابن مروان بن الحكم ، واشتق له اسماً من الكلب فجعله كلباً فقال :

لجّ الفرار بمروان فقلت له عاد الظلوم ظليماً همهم الحرب^(٤)
أين الفرار وترك الملك إن قبأت منك الهويني فلا دين ولا أدب^(٥)

(١) أبو ذؤيب السعدي : صحابي شاعر ، من سعد العشيرة . له في إسلامه خبر طريف ، وهو من عرف بكنيته فقط ، ترجم له ابن حجر في الإصابة أول قسم الذال من باب الكئي وهو في ط : « ابن دب » وفي ل : « ابن دواب » . ولعل صوابهما ما أثبت . والأبيات أعادها الجاحظ في الحيوان ٦ : ١٠١ ونسبها في الحنين إلى الأوطان إلى الفرزدق .

(٢) هو منازل بن زمة المنقري ، من بني منقر . وكان ممن قضى بين جرير والفرزدق فأصابه الشر . قال ابن قتيبة : وكان اللعين هجاء للأضياف قال :

وليس أبغض مابي جل مأكله إلا تنفجه عندي إذا تعدا
ما زال ينفج كتفيه وحبوته حتى أقول ليل الضيف قد ولدا

(٣) نسبه العسكري في ديوان المعاني ١ : ١٩٦ إلى سعيد بن العاصي .

(٤) ط : « عاد الظليم ظلماً » . والظليم : الذكر من النعام .

(٥) ديوان المعاني : « إذ كشفت عنك » . الطبري ٩ : ١٣١ : « إذ ذهبت عنك » .

فَرَأَيْتَ الْجَلْمَ فِرْعَوْنَ الْعَذَابِ ، وَإِنْ يُطَلَّبُ نَدَاهُ فَكَابُ دُونَهُ كَلْبُ
 وقال آخر وجعل الكلبَ مثلاً في اللؤم :
 ١٢٣

سَرَتْ مَاسَرَتْ مِنْ لَيْلِهَا ثُمَّ عَرَّسَتْ عَلَى رَجُلٍ بِالْعَرَجِ الْأَمِّ مِنْ كَلْبٍ
 وكذلك قول الأسود بن المنذر^(١) ، فإنه قال :

فَإِنَّ امْرَأَةً أَنْتُمْ حَوْلَهُ تَحْفُونَ قُبَّتَهُ بِالْقَبَابِ^(٢)
 يُهِنُّ سَرَاتِكُمْ جَاهِدًا وَيَقْتَلِكُمْ مِثْلَ قَتْلِ الْكَلَابِ
 وقال سحيم بن نعيم :

أَلَسْتَ كَلْبِيًّا الْكَلْبِ وَكَابَةً لَهَا عِنْدَ أَطْنَابِ الْبُيُوتِ هَرِيرُ
 وقال النجرائي في ذلك :

مِنْ مَنزِلِي قَدْ أَخْرَجْتَنِي زَوْجَتِي تَهْرُ فِي وَجْهِ هَرِيرِ الْكَلْبَةِ
 زَوْجَتُهَا فَقِيرَةٌ مِنْ حِرْفَتِي قَلَّتْ لَهَا لَمَّا أَرَاكَتُ جَرَّتِي
 أُمَّ هِلَالٍ أَبْشَرِي بِالْحَسْرَةِ وَأَبْشَرِي مِنْكَ بِقُرْبِ الضَّرَّةِ

(الفلحس والأرشم)

ويقال للكلب « فلحس » ، وهو من صفات الحرص والإلحاح .
 ويقال : « فلان أسأل من فلحس » . و« فلحس » رجل من بني شيبان^(٣) كان
 حريصاً رغيباً ، ومُلاحِفاً مُلاحِفاً . وكلُّ طُفَيْلٍ فهو عندهم فلحس .
 والأرشم^(٤) الكلب والذئب ، وقد اشتق منه للإنسان إذا كان يتشمم
 الطعام ويتبع مواضعه . قال جرير في بعضهم :

(١) في الأغاني ١٩ : ١٣٠ نسبة البيت إلى لقيط بن زرارة يعير بني مالك بن حنظلة
 في أخذ عمرو بن هند لهم وقتله كثيراً منهم .

(٢) في عيون الأخبار ١ : ١٩٢ « بأن » ، وقبله :

فأبلغ لديك أبا مالك * على نأيا وسراة الرباب

(٣) ط : « من ابني شيبان » . وانظر أمثال الميداني (١ : ٣١٧) .

(٤) ل : « الأرسم » وهو تصحيف . والأرشم : الذي يتشمم الطعام ويحرص عليه .

لَقِيَ حَمَلَتُهُ أُمَّهُ وَهِيَ ضَيْفَةٌ فَجَاءَتْ بَيْتِنِ لِلضِّيَافَةِ أَرْشَمًا^(١)
وقال جريرٌ في استِرواحِ الطعامِ^(٢) :

وَبَنُو الْمُهْجِمِ سَخِيفَةٌ أَحْلَامُهُمْ نُطُّ الْأَحْيِ مُتَشَابَهُهُ الْأَلْوَانِ
لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكَلَةٍ أَوْ شَرْبَةٍ بَعْمَانَ أَضْحَى جَمْعُهُمْ بَعْمَانِ
مِتَابُطِينَ بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ صُعْرَانِ الْخُدُودِ لَرِيحِ كُلِّ دُخَانِ^(٣)

وقال سَهْمٌ بنُ حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيُّ فِي ذَلِكَ :

وَأَمَّا كِلَابٌ فَثَلُّ الْكِلا ب لا يُحْسِنُ الْكِلَابُ إِلَّا هَرِيرًا
وَأَمَّا مُعِيرٌ فَثَلُّ الْبِغَا ل أشْبَهَنَ آبَاءَهُنَّ الْحَمِيرَا^(٤)
وَأَمَّا هِلَالٌ فَعَطَّارَةٌ تَبِيعَ كِبَاءً وَعِطَّرًا كَثِيرًا^(٥)

١٢٤

(بين جرير والراعى)

ومرَّ جريرٌ يوماً بِالْمَرْبَدِ ، فوقف عليه الراعى وابنه جنْدَلُ ، فقال له
ابنه جنْدَلُ : إِنَّهُ قَدْ طَالَ وَقُوفُكَ عَلَى هَذَا الْكِلْبِ الْكُلَيْبِيِّ ، فَإِلَى مَتَى ؟ !
وَضَرَبَ بِغَلَّتِهِ ، فَضَى الرَّاعِي وَابْنَهُ جَنْدَلَ ، فَقَالَ جَرِيرٌ : وَاللَّهِ لِأَثْقَانِ

(١) ل : « أرسما » مصحف . وفي ط : « قى » محرفا . والبيت على الصواب في اللسان
(ضيف ، رشم ، يتن) وأدب الكاتب لابن قتيبة ١٢٧ والاقتنصاب ٣٤٦ . وقد نسب
في كل تلك إلى البعيث . ابن منظور (رشم) : قال ابن سيده : وأنشد أبو عبيد
هذا البيت لجرير . قال : وهو غلط .

(٢) الأبيات في البيان ٣ : ٣٢٠ وعيون الأخبار ٣ : ٢٢٥ .

(٣) البيت ساقط من ل .

(٤) يبتدىء هذا البيت والذي قبله في ل ، بكلمة « فأما » مع الفصل بين البيتين بكلمة
« وقال » وفي ط : « وأما تميم فثل البغال » .

(٥) الكباء ككتاب : عود البخور أو ضرب منه . وبدله في ل « ملابا » وهو
كسحاب عطر أو الزعفران . والشعر في كتاب البغال ٣٤٣ .

رواحلك ! فلما أمسى أخذَ في هجائه ، فلم يأتَه ما يريد ، فلما كان مع الصبح
انفتح له القولُ فقال :

فغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ولو جُعِلت فِقَاحُ بَنِي نُمَيْرٍ على خَبَثِ الحَديدِ إِذَا لَذَابَا
ثم وقف في موقفه ، فإمّا مرّ به جنـدلاً قبض على عنان فرسه ، فأنشده
قوله ، حتى إذا بلغ إلى هذا البيت :

أجنـدلاً ما تقول بنو نـميرٍ إذا ما الأيرُ في استِ أبيك غابا
قال : فأدبرَ وهو يقول : يقولون والله شرّاً (١) .

وقال الشاعر - وضرب بالكلب المثلَ في قُبُحِ الوجه - :
سَفَرْتُ فَقَلْتُ لَهَا هَجَجٌ فَتَبَرَّقَعَتْ فذَكَرْتُ حِينَ تَبَرَّقَعَتْ ضَبَّاراً (٢)
وضَبَّار : اسم كلب له (٣) .

(أمثال في الكلاب)

وقال كعب الأخبارِ لرجل وأراد سفرأ : إن لـسكـلٌ رُفْقَةً كلباً ، فلا
تكنْ كلبَ أصحابِك .

وتقول العرب : « أحبُّ أهلى إلىّ كلهم الطاعن (٤) » . ومن الأمثال
« وقع الكلبُ على الذئب ليأخذ منه [مثل] ما أخذ » . ومن أمثالهم :

(١) سقط الكلام في ل من « ثم وقف » إلى هنا .
(٢) في الصحاح : « هجج تخفف زجر للكلب ، يسكن وينون » وأنشد البيت في
(هجج وهجر) برواية « هبارا » ، وكذلك في اللسان (هجر) ولكن في (هجج
وضبر) : « ضبارا » كما في ٢ : ٢١ من الحيوان .
(٣) ل : « لهم » .
(٤) في عيون الأخبار ٢ : ٨١ : « الكلب أحب أهله إليه الطاعن » . وانظر أمثال
الميداني ١ : ١٨٣ والتشيل والمحاضرة ٣٥٥ .

« الكلاب على البقر^(١) ». ومن أمثالهم في الشؤم قولهم : « على أهلها دلت براقش^٢ ». وبراقيش : كلبة قوم نبحت على جيش مروا ليلا وهم لا يشعرون بالحى^٣ ، فاستباحوهم واستدلوا على مواضعهم بنباحها .
قال الشاعر :

ألم ترَ أن سيّد آلِ ثورٍ نُبّاتةَ عضه كلبٌ فأتانا^(٢)

(قتيل الكباش وقتيل العنز)

وقال صاحب الكلب : قد يموت الناسُ بكلِّ شيء ، وقد قال عبد الملك بن مروان : ألا تتعجبون من الضحّاك بن قيس يطلب الخلافة ونطح أباه كبش فوجد ليس به حبّض ولا نبّض^(٣) . وقال عرفة بن شريك يهجو أسلم بن زُرعة - ووطئت أباه عنز^٤ بالمربد فأت - فقال :

١٢٥ ولم أستطع إذ بان^(٤) منى معشرى مكان قتيل العنز أن أتكلها

فيا ابن قتيل العنز هل أنت ثائر^٥ بزُرعة تيساً فى الزريرة أزتما^(٥)

وقال أبو الهول يهجو جعفر بن يحيى^(٦) :

أصبحت محتاجاً إلى الضربِ فى طلب العُرفِ إلى الكلبِ

(١) فى الأصل : « الكلاب كل البقر » والمثل معروف . ولصاحب القاموس ، وكذلك

للميرى فى حياة الحيوان كلام كثير فيه . وانظر المزهرة ١ : ٦٥ .

(٢) ط : ألم تر أن سيد آل شور بناه عضه كلب فأتانا

(٣) فى القاموس : ما به حبض ولا نبض : حراك .

(٤) ط : « بات » وهو تحريف ما فى ل .

(٥) الأزيم : ذو الزئمة ، وهى هنة معلقة فى حلقه تحت اللحية . وفى ط « أزتما » .

(٦) أبو الهول الحميرى شاعر مقل له شعر يبلغ خمسين ورقة . ابن النديم فى

الفهرست ١٦٣ ليسك و ٢٣٢ مصر . وفى ط « أبو الغول » محرفاً . والشعر فى

العمدة ١ : ٤٠ والبيان ٣ : ٣٥١ واسمه عامر بن عبد الرحمن . تاريخ بغداد ٩٦٨٢

والشعر منسوب لإسماعيل بن بشر اللاحق فى الأوراق للصول أخبار الشعراء

قد وَقَّحَ السَّبُّ لَهُ وَجْهَهُ فَصَارَ لَا يَنْحَاشُ لِلسَّبِّ
إِذَا شَكَأَ صَبُّ إِلَيْهِ الْهُوَى قَالَ لَهُ مَالِي وَلِلصَّبِّ
أَغْنِي قَتِي يُطْعَنُ فِي دِينِهِ يَشِبُّ مَعَهُ خَشَبُ الصُّلْبِ (١)

قال : وقلتُ لأبي عبيدة : أليس بُقِعَ الكلابُ أمثلها؟ قال : لا .

قلت : ولم قال :

وَخِفتُ هِجَاءَهُمْ لَمَّا تَوَاصَّـوا
كَخَوْفِ الذَّنْبِ مِنْ بُقْعِ الكِلَابِ (٢) ؟

قال : ليس هكذا قال ، إنما قال :

* كَخَوْفِ الذَّنْبِ مِنْ سُودِ الكِلَابِ *

ألا ترى أنه حين أراد الهجاء قال :

كَأَنَّكَ بِالْمَبَارِكِ بَعْدَ شَهْرِ
تَخُوضُ عُمُورَهُ بُقْعِ الكِلَابِ (٣)

ويدل على ذلك قول الجَدَلِيِّ (٤) :

لَعَمْرِي لَجُوءٌ مِنْ جِوَاءِ سُويْقَةٍ
أحِبُّ إِلَيْنَا أَنْ نَجَاوِرَ أَهْلَهُ
أَسَافِلُهُ مَيِّثٌ وَأَعْلَاهُ أَجْرَعٌ
وَيَصْبِحُ مِنَّا وَهُوَ مَرَأَى وَمَسْمَعٌ
مِنَ الْجَوْسَقِ الْمَلْعُونِ بِالرَّيِّ لَا يَنْبِي
عَلَى رَأْسِهِ دَاعِي الْمَيْتَةِ يَلْمَعُ
يَقُولُونَ لِي صَبْرًا فَقَلْتُ لَطَامًا
صَبَرْتُ وَلَكِنْ لَا أَرَى الصَّبْرَ يَنْفَعُ

(١) ل : « . . دبره يشب منه » وهو تحريف .

(٢) ل : « وخفت هجيتهم » .

(٣) المبارك : اسم نهر بالبصرة احتفراه خالد بن عبد الله القسري لهشام بن عبد الملك .

وفي ط : « بالمنازل » وهو تحريف . والعمور : جمع غمر ، وهو الماء الكثير .

وفي ط : « عمورة » وفي ل : « عموره » وصوابهما ما أثبت . وانظر معجم البلدان

رسم (المبارك) . والبيت فيه للفرزدق ، وقد أعاده الجاحظ في ٢ : ٧٨ .

(٤) نسبه ياقوت إلى الغطاش الضببي في رسم (الجوسق) .

فليت عطائي كان قسّمَ بينهمُ وكان لي الصّمان والحزنُ أجمعُ^(١)
وكان لهم أجرى هنيئاً وأصبحتُ بي البازلُ الكوماءُ بالرملِ تَضْبَعُ
أَجْعَلُ نفسي عدلَ عِلجٍ كأنّما يموتُ به كلبٌ إذا ماتَ أبقَعُ
قال : فقد بينَ كما ترى أنّ الأبقعَ شرُّها .

قال : وقلت : فلم قال الشاعر :

أرسلتُ أسداً على بُقَعِ الكلابِ فقد

أمسى شريدُهُمُ في الأرضِ فُلالاً^(٢)

قال : فكيف يقول ذلك وهو يمدحهم ؟ وإذا صغّر شأن من هزّموا

١٢٦ فقد صغّر شأن الممدوح . بل إنّما قال « أرسلتُ أسداً على سود الكلاب » .

قال : وإِنّما جاء الحديثُ في قتلِ سُودِ الكلابِ ، لأنَّ عُقْرَها أكثرُ ما تكون
سوداً ، وذلك من غلبةِ أنفسِها .

وليس في الأرضِ حيوانٌ من بقرةٍ وثورٍ وحمارٍ وفرسٍ وكلبٍ وإنسانٍ ،

إِلَّا وَالسُّودُ أَشَدُّها أَسْرًا وَعَصَبًا^(٣) ، وأظهرها قُوَّةً وصبراً .

وقال أبو سعد الخزومي^(٤) في هجائه دعبلا :

(١) ط : « وكان لي الصّمان » .

(٢) في اللسان : وهم قوم فل : منهزمون ، والجمع فلول وفلال . وللأحفش في هذه
الكلمة بحث جيد في اللسان .

(٣) في لأصل : « شرا وعصيا » . وانظر ٢ : ٧٩ .

(٤) أبو سعد الخزومي من عرف بكنيته ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية .
وقد عاصر دعبلا وله معه مهاجاة وإقذاع . وقد نعته الجاحظ في البيان ٣ : ١٤٧
بأنه دعى بني مخزوم . وفي ط : « أبو سعيد » والصواب ما في ل . ويؤيد ذلك قول
ابن أبي الشيص فيه (الأغاني ١٨ : ٥٤) :

أنا بشرت أبا سعد فأعطاني البشارة

وقول دعبل :

إن أبا سعد فتى شاعر يعرف بالكنية لا الوالد

يا ثابِتَ بنَ أبي سَـ عبيدٍ إنَّها دُولٌ وأخرٍ بها بأنَّ تنقلاً
هلاً جعلتَ لها كحرمةِ دِعْبِلٍ في است [أم] كلبٍ لايساوى دِعْبِلًا

[وقال ابن نوفل] :

وجئتَ على قَصَواءَ تنقلُ سوءَ إلبنا وكم من سوءةٍ لا تهابها (١)
وتزعمُ أنْ لم تخز سلمُ بنُ جندلٍ وقد خزيت بعدَ الرجالِ كلابها (٢)

وقال الحسن بن هانيء يهجو جعفر بن يحيى :

قفأ خلف وجه قد أطيل كأنه قفا مالك يقضى الموم على بثق (٣)
وأعظم زهواً من ذباب على خيراً (٤) وأبخلُ من كلبٍ عقورٍ على عرق

وقال أبو الشمقمق :

أهلُ جودٍ ونائلٍ وفَعَالٍ غلبوا الناسَ بالتدى والعطية
جئته زائراً فأدنى مكانى وتلقى بمرحبٍ وتحيّة
لا كمثّلِ الأصمِّ حارثةِ اللؤمِ مِ شبيهِ السكلبية القلطية
جئته زائراً فأعرض عني مثلَ إعراض قحبة سوسية (٥)
وتولّى كأنه أير بغلٍ غابَ في دُبُرِ بَغلةٍ مصريةٍ

وقال أيضاً :

ألا قولاً لسرّان المخالزي ووجه الكلب والتيس الضروط (٦)

(١) ط : « جنبت على قصواء » وهو تحريف .

(٢) ل : « سلمى بن جندل » وهو تحريف .

(٣) ط : « تثق » . وانظر الشعراء ٧٩٠ وما سبق في ص ٢٣٨ .

(٤) ل : « خر » .

(٥) ط : « سرسية » .

(٦) ط : « ألا قولاً لسرّان » .

له بطنٌ يَضُلُّ الفيلُ فيه ودُبْرٌ مثلُ راقودِ النَّشوطِ^(١)
 وأبْرٌ عارمٌ لا خيرَ فيه كدورِ سفينةٍ في بثقِ رُوطِ^(٢)
 وحيَّةٌ حائكٍ من بابِ قلبِ^(٣) موصَّلةِ الجوانبِ بالخيوطِ
 له وجهٌ عليه الفقرُ بادٍ مُرَقَّعةِ جوانبُهُ به بقوطِ^(٤)
 إِذَا نَهَضَ الكِرَامُ إِلَى المَعَالِي تَرَى سَرَّانَ يَسْفُلُ فِي هَبُوطِ
 وقال أيضاً في ذلك : ١٢٧

يارازقِ الكلبِ والخنزيرِ في سعةِ والطيرِ والوحشِ في يهماءِ دويَّةِ^(٥)
 لو شئتَ صيرتَه في حالِ فاقتَه حتى تُقِرَّ بتلكِ الحالِ عينيه^(٦)
 وقال جرير بن عطية ، يهجو الصلَّتان العبدى^(٧) :

أقولُ لنا والدَّمعُ يغسِلُ كُحلها متى كان حكمُ اللهِ في كَرَبِ النَّخْلِ
 فأجابه الصلَّتانُ فقال :

تُعيرنا أن كانت النَّخْلُ مالنا وودَّ أبوك الكلبُ لو كان ذا نَخْلِ
 يعيره جريرٌ بأنَّه كان هو وأبوه من أصحابِ النَّخْلِ^(٨) .

(١) الراقود : دن كبير أو طويل الأسفل يسيع داخله بالقار . والنشوط : سمك يمتد في ماء وملح .

(٢) عارم ، من يوم عارم : نهاية في البرد . والروط بالضم : النهر ، معرب . وبثق النهر : كسر شطه لينثق الماء . وفي ل : « زوط » وليس بشيء .

(٣) ل : « قلبا » .

(٤) ط : « بغوط » وقد كتب هذا البيت تاليا للذي بعده في ط ، ورددته إلى موضعه سابقا له كما في ل .

(٥) ط : « في يهماروية » ، وهو تصحيف . وفي ل : « من سعة » .

(٦) ل : « حتى يقر » .

(٧) ل : « قال الصلَّتان العبدى يهجو جريرا » وهو خطأ صوابه في ط ، وفي الخزانة ٢ : ١٥٥ ، والشعراء لابن قتيبة ٤٧٨ .

(٨) ل : « يعير جريرا وأباه بأنهما كانا أصحاب نخل » ، وهو خطأ انظر له المراجع السابقة .

وقال وضاحُ اليمين :

وأَ كتم السرَّ غضباناً وفي سكرى حتى يكون له وجهٌ ومستمعٌ
وأتركُ القولَ عن علمٍ ومقدرةٍ حتى يكون لذاك النجدِ مُطلعٌ (١)
لأقوتى قوّة الراعى ركائبه بيتُ يأوى إليه الكلبُ والرُّبعُ (٢)
ولا العسيفِ الذى تشتدُّ عقبتهُ حتى يئُوبَ وباقى نعلِه قطعٌ (٣)

وقال محمد بن عبّاد السكاكيب مولى بجيلة، وأبوه (٤) من سبى دابق وكاتب زهير ، وصديق مُمامة ، يهجو أبا سعد (٥) دعىً بنى مخزوم ، وبعد أن لقي منه ما لقي :

فعلتُ نزارُ بك الذى اسـتأهلتَه نفيّاً وضرباً
فهجوتُ قحطانا لأهـ جُوهم مكابدةً وإرباً (٦)
وأردتُ كيما تشتفى بهجائهم منهم فترّباً
ووثقتُ أنّك ما سببتُ ، حمّاك لؤمك أن تُسبّأ
كالكاب إن ينبج فليدس جوابه إلا أخس كلباً (٧)
خفضّ عليك وقرّ مكا نك لا تطفُ شرقاً وغرباً
واكشفِ قناعَ أبيك فالآباءُ ليس تُنال غصبا

- (١) ط : « حتى يكون بذاك » .
(٢) الربع : ولد الناقة فى الربيع ، وفى ط : « الولع » وصوابه فى ل ، وفى الحماسة : ١ : ٢٦١ . وانشر فى الحماسة غير منسوب .
(٣) العسيف : العبد أو الأجير . وعقبته : مرفوع على الفاعل ، أو منصوب على الظرف (برواية : يشتد) أى وقت عقبته ، والعقبه من المعاقبة وهى النوبة . وفى ط : « وباقى فعله » وتصحيحه من ل ، ومن الحماسة . وانظر التبريزى (٢ : ٩٧) .
(٤) كلمة « وأبوه » ساقطة من ل : والصواب إثباتها كما فى الأغلنى ٦ : ١٤ . وانظر البيان ١ : ٤٤ . وفى ط : « من سبى وأبقى » وتصحيحه من ل ، ومن البيان .
(٥) ط : « أبو سعيد » وهو تحريف نهبت عليه ص ٢٦٢
(٦) ل : « لأهجوكم » . ط : « مكابرة وإربا » .
(٧) ل : « كالكلب » .

وقال آخر يصف كلباً :

وَلَدْتُ كَطَعْمِ الصَّرْحَدِيِّ تَرَكْتُهُ بِأَرْضِ الْعِدَا مِنْ خَشْيَةِ الْحَدَثَانِ
وَمُبْدٍ لِي الشَّحْنَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ دَعَوْتُ وَقَدْ ظَالَ السُّرَى فِدْعَانِي
فوصفه كما ترى أنه يبدي له البغضاء .

وقال آخر :

سَرَّتْ مَا سَرَّتْ مِنْ لَيْلِهَا ثُمَّ عَرَّسَتْ عَلَيَّ رَجُلٍ بِالْعَرَجِ الْأَمِّ مِنْ كَلْبِ
وقال راشد بن شهاب البشكري :

فَلَسْتُ إِذَا هَبَّتْ شِمَالُ عَرِيَّةٍ بِكَلْبٍ عَلَى لَحْمِ الْجَزُورِ وَلَا بَرَمٍ
وقال كثير بن عبد الرحمن ، وهو يصف نعلًا من نعال الكرام (١) :
إِذَا طُرِحَتْ لَمْ يَطَّبِ الْكَلْبُ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ مُشَمَّتْ
وقال اللعين في بعض أضيافه (٢) ، يخبر أنه قراه لحم كلب . وقد قال
ابن الأعرابي : إنما وصف تيساً :

فَقَامَتْ لِعَبْدِيَّ اقْتِلَا دَاءَ بَطْنِهِ وَأَعْفَاجِهِ اللَّائِي لَهْنٌ زَوَائِدُ (٣)
فَجَاءَا بِجُرْشَاوَى شَعِيرِ عَائِيهِمَا كَرَادِيْسُ مِنْ أَوْصَالِ أَعْقَدَ سَافِدِ
وقال خلد بن عيين (٤) وهو يهجو جرير بن عطية ويرد عليه :

وَعَيْرَتْنَا بِالنَّخْلِ أَنْ كَانَ مَالِنَا وَوَدَّ أَبُوكَ الْكَلْبَ لَوْ كَانَ ذَا نَخْلِ

(١) البغدادي كلام في البيت الآتي . الخزانة ٤ : ١٤٧ بولاق . وهو مع بيتين سابقين

له في البيان ٣ : ١٠٩ . ولتيسار مثل هذا المعنى إذ يقول :

إِذَا وَضَعْتَ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ نَعْلَهَا تَضُوعُ مَسْكَ مَا أَصَابَتْ وَعَيْرَا

وروايته في اللسان (نعل) : « له نعل » ، وقال : « حرك الحلق لانفتاح ما قبله » .

(٢) انظر ترجمة اللعين ص ٢٥٦ .

(٣) في هذا البيت إقواء . وقد روى ياقوت في معجم البلدان برسم (حلامات) سبعة أبيات

من تصيدة اللعين هذه ، اثنان منها مضموماً التافية يليهما خمسة مكسورات القوافي . وهذا

البيت هو الرابع في روايته . وقد روى عجزه هكذا :

* وَأَعْفَاجِهِ الْعَظْمِي ذَوَاتِ الزَّوَائِدِ *

(٤) هو من ولد عبد الله بن دارم ، وكان ينزل أرضاً بالبحرين يقال لها « عينين » فنسب

إليها . وقد أجازته زياداً لمناسبة طريفته . الشعراء ٤ : ٤٣٤ .

وقال دعبل بن علي :

ولو يُرزقُ الناسُ عن حيلةٍ لما نال كفاً من التربةِ
ولو يشربُ الماءُ أهلُ العفا ف لما نال من مائهم شربةً
ولكنه رزقٌ من رزقه يعمُّ به الكلبُ والكلبةُ

باب

(ذكر من هُجِيَ بأكلِ لحوم الكلابِ ولحومِ الناسِ)

قال سالم بن دارة الغطفاني (١) :

يا فقسي لم أكلته لمة لو خافك الله عليه حرمة
* فإأكلت لحمه ولا دمه *

وقال الفرزدق في ذلك :

إذا أسدى جاع يوماً ببلدةٍ وكان سميناً كلبه فهو آكله

وقال مساور بن هند :

إذا أسديت ولدت غلاماً فبشرها بلوم في العلام

يخرسها نساء بني دبير بأخبث ما يجدن من الطعام (٢)

تري أظفاراً أعقدت ماقمات برائتها على وضم الثمام (٣)

فهذا الشعر وما أشبهه يدلُّ على أن اللعين إنما قراهم كلباً ولم يقهرهم

تيساً ، وأن الصواب خلاف ما قال ابن الأعرابي .

وقال مساور بن هند أيضاً :

بني أسدٍ أن تمحل للعام فقفس
فهذا إذن دهر الكلابِ وعامها

(١) هو سالم بن مسافع . ودارة أمه ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ،

وكان رجلاً هجاء ، وله ترجمة مسبية في الخزانة ٢ : ١٢٥ - ١٣٠ . والشعر في البخلاء

١٩٧ وانظر الحيوان ٢ : ٥٨ ، ٤ : ١٤ .

(٢) ط : « ما يكون من الطعام » وأثبت ما في ل والبخلاء ١٩٧

(٣) وضم الثمام : مثل القلة والهون . وفي ط : « الثمام » وصوابه قول والبخلاء ١٩٧ .

وقال شريح بن أوس يهجو أبا المهوش الأسدي^(١) :
وعيرتنا تمر العراق وبره وزادك أير الكلب شيطه الجمر

(أكل لحوم الناس وما قيل في ذلك من الشعر)

وقال معروف الدبيري^(٢) في أكلهم لحوم الناس :
إذا ماضيت يوماً فقعسيّاً فلا تطعم له أبدا طعاما
فإنّ اللحم إنسان فدعه وخير الزاد ما منع الحراما
وقد هجيت هذيل وأسد وبلعنبر وباهلة بأكل لحوم الناس ،
قال حسّان بن ثابت يذكر هذيل :

إنّ سرّك الغدر صرفاً لامزاج له فأت الرجيع وسل عن دار لحيان
قومٌ تواصلوا بأكل الجار بينهم فالكلب والشاة والإنسان سيّان

وقال الشاعر في مثل ذلك في هذيل :

وأنتم أكلتم شحمة بن مخدّم زباب فلا يأمنكم أحد بعد^(٣)
تداعوا له من بين خمس وأربع وقدنصل الأظفار وأنسباً الجلد^(٤)

(١) أبو المهوش الأسدي : هو حوط بن رثاب ، أو ربيعة بن وثاب ، من المخضرمين الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يروه . وانظر الخزانة ٣ : ٨٦ بولاق والإصابة ٢٠١٥ . . وفي ط : « المهوس » وصوابه في الخزانة و ل ، والبخلاء ١٩٨ .

(٢) ط : « الأسدي » وأثبت ما في ل والبخلاء ١٩٩ .

(٣) ل : « شخفة بن مخدّم » . وفي البخلاء ١٩٨ : « صحفة بن مخدّم » وفي ط :

« زمانا » موضع « زباب » . والزباب : ضرب من الفأر ، وهو ما يهجي به . قال :

وهم زباب حائر لا تسمع الآذان رعدا

(٤) ط : « نسل » وليس بشيء وصوابه في ل والبخلاء .

وَرَفَعْتُمْ جُرْدَانَهُ لِرئيسِكُمْ مُعَاوِيَةَ الْفُلَحَاءِ يَا لَكَ مَا شَكَّدَ (١)

وقال الشاعر في ذلك في باهلة :

إِنَّ غَفَاقًا أَكَلَتْهُ بَاهِلُهُ تَمَشَّشُوا عِظَامَهُ وَكَاهَلَهُ

وَأَصْبَحَتْ أُمُّ غَفَاقٍ ثَا كِلَهُ (٢)

وهججا شاعر آخر بلعبر ، وهو يربد ثوب بن شحمة (٣) ، وكان شريفاً وكان ١٣٠

يقال له مجير الطير . فأما مجير الجراد فهو مدليج بن سويد بن مرشد بن خيبري (٤)

فغير الشاعر ثوب بن شحمة (٣) بأكل الرجل العنبري (٥) لحم المرأة إلى أن أتى

ثوب (٦) من الجبل فتال :

عَجَلْتُمْ مَا صَادَكُمْ عِلَاجٌ مِنَ الْعُنُوقِ وَمِنَ النَّعَاجِ

* حَتَّى أَكَلْتُمْ طَفْلَةً كَالْعَاجِ *

فلما عيره قال ثوب (٧) :

يَا بِنْتَ عَمِّيَ مَا أَدْرَاكِ مَا حَسْبِي إِذْ لَا تَجْنُ خَبِيثَ الزَّادِ أَضْلَاعِي (٨)

إِنِّي لَدُو مِرَّةٍ تَخْشَى بُوَادِرَهُ عِنْدَ الصَّيَاحِ بِنَصْلِ السَّيْفِ قَرَّاعٍ

ومن ظريف الشعر قول أبي عدنان (٩) :

(١) ط : ودفعتم جيرانه لرئيسكم معاوية الفلحاء يالك ماشكدا

والصواب في ل والبخلاء . و « يالك ما » كذا وردت والوجه « يالك من » .

(٢) ط : « غفاقا » و « أم غفاق » بالعين ، وأثبت ما في ل والبخلاء .

(٣) كذا في القلعوس والبخلاء ١٩٨ . وفي ط : « ثور بن شحمة » وفي ل : « ثوب

بن شحمة » وكلاهما محرف . وكان ثوب سيداً شريفاً قد أجاز الطير فكان لا يثار

ولا يصاد بأرضه ، فسمى مجير الطير . ثمار القلوب ٣٥٥ .

(٤) ط : « جبير » . وانظر خبر مجير الجراد في أمثال الميداني (١ : ٢٠٢) وبلوغ

الأرب (١ : ١٤٤) .

(٥) ل : « القيني » ، وفي البخلاء « بأكل الفتى » .

(٦) ط : « ثورا » وصوابه في ل .

(٧) ط : « ثور » .

(٨) ط « ما يدريك » وهما سيان ، ط : « لا تجر » ل : « لا يجز » وتصحيحه

من البخلاء .

(٩) سبقت ترجمته ص ١٨٤ .

فمسا كلبه سوداء تغرى بناهبا عراقاً من الموتى مراراً وتكدم^(١)
أترج لها كلبٌ فضنتُ بعرقِها فهارشها وهي على العرقِ تعذم^(٢)
فقف على هذا الشعر فإنه من أعاجيب الدنيا .

وقال سُدَيْحُ بن رباح شار الزنجي^(٣) :

مَا بَالُ كَلْبِ بَنِي كَلَيْبٍ سَبَّنَا أَنْ لَمْ يُوَازِنْ حَاجِبًا وَعِقْلًا

(قتييل الكلاب)

وتنازع مالك بن مسمع وشقيق بن ثور ، فقال له مالك : إنما رفعك
قبرٌ بدستر^(٤) فقال شقيق : حين وضعك قبرٌ بالمشقر ، يا ابن قتييل النساء
وقتييل الكلاب !! .

قال : وكان يقال لمسمع بن شيبان قتييل^(٥) الكلاب ، وذلك أنه
لجأ في الردة إلى قومٍ من عبد القيس ، فكان كلبهم ينبج عليه فخاف أن
يدل على مكانه فقتله فقتل به .

(أمثال أخرى في الكلب)

قال : والعرب تقول : « أسرع من لحسة كلبٍ أنفه » . ويقال :

(١) ط : « تغرى بناهبا » وهو تحريف . وفيها « مراداً وتكدم » وصوابهما في ل .

(٢) تعذم : تعض أو تأكل بجفاء .

(٣) ط : « وقال الشاذيرجي » ل « وقال السارزنجي » وهذا تحريف كتبت بدله

مافي رسائل الجاحظ ٦١ ساسي . وفي الكامل ٤١٥ لبيسك « رياح بن سنيح الزنجي »

وانظر الرسائل ٦٢ وكامل ابن الأثير ٤ : ١٦١ .

(٤) ط : « بتشير » .

(٥) في ثمار القلوب ٣١٨ : « مسمع بن سنان » .

« أحرص من نَعْوَةٍ » وهى السكبة ، وجمعها لِعَاءٌ^(١) . وفى المثل : « الأُم من كَابٍ على عَرَقٍ » ، و « نَعِمَ كَلْبٌ فى بؤس أهله » . وفى المثل : « اصنع المعروف ولو مع الكلب » .

(رُؤْيَا السُّكْبِ وَتَأْوِيلُهَا)

وقال ابن سيرين : السُّكْبُ فى النوم رجلٌ فاحش ، فإن كان أسود فهو عربىٌّ ، وإن كان أبيض فهو عجميٌّ .

وقال الأصمعيُّ عن حماد بن سلمة عن ابن أخْتِ أبي بلالِ مرْدَاسِ ابنِ أُدِيَّةٍ^(٢) قال : رأيتُ أبا بلالٍ فى النوم كلباً تذرِفُ عيناه ، وقال : إنا حوّلنا بعدكم كلاباً من كلاب النار .

قال : ولما خرج شمير بن ذى الجوشن [الضَّبَّابِى] لقتال الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما ، فرأى الحسينُ فيما يرى النائم أن كلباً أبقعَ يبلغُ فى ١٣١ دماهم ، فأولَ ذلك أن يقتلهم^(٣) شمير [بن ذى الجوشن] . وكان مُنسلخاً برصاً^(٤) .

قال : والمسلمون كلُّهم يسمون الخوارجَ : كلابَ النار^(٥) .

(١) فى ط : « لقوة » و « لقاء » وصوابهما فى ل .

(٢) ط : « أبى بلال بن مرداس بن أدية » . وأبو بلال كنية مرداس نفسه كما فى

الأغانى وجمهرة ابن حزم ٢١١ .

(٣) ط : « فأول ذلك يقتلهم شمير » .

(٤) ل : « متسلخاً برصاً » .

(٥) ل : « أهل النار » والصواب من فى ط وثمار القلوب ٣١٥ .

(شعر في تشبيهه الفرس بضروب من الحيوان ليس بينها الكلب)

وقال صاحب الديك : صاحب الكلب ^(١) يصفه بالسرعة في الحضر ،
وبالصبر على طول العدو ، وبسعة الإهاب ، وأنه إذا عدا ضبع وبسط يديه
ورجليه حتى يمس قصصه الأرض ، وحتى يشرط أذنيه بشباً ^(٢) أظفاره ،
وأنه لا يحتشئ ريحاً مع ما ^(٣) يصيب الكلاب من اللهث . فإن كان كما تقولون
فلم وصفت الشعراء الفرس وشبهته بضروب من الخلق ، وكذلك الأعضاء
وغير ذلك من أمره ، وتركوا الكلب في المنسأ ^(٤) لا يلتفت أحد لفته ^(٥) ؟ !
وقال أبو ذؤاد الإيادي في ذلك :

عن لسان كجثة الورل الأحمر مجّ الندى عليه العرار ^(٦)

ولم يذكره في شيء . وقال خالد بن عجرة الكلابي ^(٧) :

كأن لسانه ورل عليه بدار مضية مج العرار

وقال امرؤ القيس :

وخذ أسيل كالمسن وبركة
كجؤجؤ هيق دفعه قد تموراً

(١) ط : « لصاحب الكلب » وصوابه في ل .

(٢) شبا : جمع شباة : وهي الخد . وفي ط : « بسبا » محرفاً .

(٣) ل : « لا يحتشئ ريحاً مع ما » و ط : « لا يحتشئ ريحاً ما » وسويت القول كما ترى .

(٤) المنسأ : المزجر . وفي ل : « المنسى » وفي ط : « المنسا » .

(٥) لفته : جهته . وفي ط : « لا يلتفت إليه أحد » .

(٦) الورل : ضرب من الوزغ . قال ابن منظور : « ولون الورل إلى الصحمة ، وهي نبرة مشربة سواداً وإذا سمن اصفر صدره » ، وروى البيت برواية : « كجثة الورل الأصفر » ونسب البيت إلى عدى بن الرقاع .

(٧) ط : « حماد عجرد الكلابي » . والبيت في النوادر لأبي زيد ١١٦ غير منسوب وبهذه الرواية :

كأن لسانه ورل عليه بدار مضنة مج العرارا

وفي ل : « ندى رمصيه » .

ولم يذكره في شيء. وقال عقبه بن سابق :

عريض الخدِّ والجبهةِ والصَّهْوَةِ والجَنبِ

ولم يذكره في شيء. وقال امرؤ القيس :

وسامعتان تعرف العتقَ فيهما كسامعتي مذعورة وسطَ ربرب

ولم يذكره في شيء من ذلك. وقال عقبه بن سابق :

ولها بركةٌ كجؤجؤ هيينٍ ولبانٌ مضرَّجٌ بالخصابِ

ولم يذكره في شيء. وقال خفاف بن ندبة :

عبل الذراعين سليم الشظا كالسيد يوم القرّة الصارد^(١)

[ولم يذكره في شيء من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

سليم الشظا عبلى الشوى شنج النسا أقب كتميس الحلب الغدوان^(٢)

ولم يذكره في شيء من ذلك. وقال عقبه بن سابق .

١٣٢

وأرساغ كأعناقِ ظباءٍ أربع غلبِ

ولم يذكره في شيء من ذلك. وقال الجعدي :

كان تماثيلَ أرساغه رقابٌ وعولٍ لدى مشربِ

ولم يذكره في شيء من ذلك. وقال امرؤ القيس :

لها متنتانِ خطاتا كما أكبَّ على ساعديه النمرُ

ولم يذكره في شيء من ذلك. وقال أبو ذؤاد :

(١) ط : « يوم نفرة الصادر » وهو تحريف ما في ل . وفي ل : « أمين الشظا » .

(٢) الحلب : نبت تعتاده الظباء ، يخرج منه شيء شبيه باللبن إذا قطع . والغدوان :

النشيط المسرع ، وفي ط : « الغدوان » من العدو ، وهو الجرى . وهما روايتان .

الديوان ١٢٣ .

يمشى كمشى نعماتينِ تُتابعانِ أشقَّ شاخصُ
ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال ابن الصِّعق (١) .

بمجنَّبٍ مثلِ العُقَا بِ تخالُه للضمِّ قدحا (٢)
ولم يذكره في شيء من ذلك .

وقال ربيعة بن جُشم [الفمري] ، و يروى لامرئ القيس (٣) :
وساقانِ كعباهما أصمعا نِ لحمِ حماتيهما منبتيرُ
ولم يذكره في شيء من ذلك .

وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري :
كأنَّ حماتيهما أرنبانِ تقبضتا خيفة الأجدل (٤)
ولم يذكره في شيء من ذلك .

وقال خالد بن عبد الرحمن في مثل ذلك (٥) :
كأنَّ حماتها كردوس فحلي مقلصةً على ساقى ظليم-
ولم يذكره في شيء من ذلك .
وقال الأعمشى :

أما إذا استقبلته فيكأته جذعُ سما فوق النخيلِ مشذبُ
وإذا تصفحه الفوارسُ معرضاً فتقولُ سرحانُ الغصبا المتصوبُ (٦)
أما إذا استدبرته فتسوقه ساقُ يتمصها وظيفُ أحدبُ

-
- (١) هو يزيد بن عمرو بن خويلد . له ترجمة في الخزانة ١ : ٣٨٨ .
(٢) المحنَّب : المعوج الساقين . وفي : ط « بمجنَّب » وليس بشئ .
(٣) جملة « و يروى لامرئ القيس » ساقطة من ل . وانظر ديوان امرئ القيس أول قصيدة منه .
(٤) الحماة : عضلة الساق . وفي ط : « كأن حمايتها » وهو تحريف .
والأجدل : الصتر .
(٥) جملة « خالد بن عبد الرحمن في مثل ذلك » ساقطة من ل .
(٦) ط : « وإذا تصفحه الفوارس مفضبا » .

منه وجاعرة كأن حماها لما كشفت الجلل عنه أرنب^(١)
ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال الأسعر الجعني^(٢) :

أما إذا استقبلته فكأنه بازٍ يكفكف أن يطير وقد رأى
أما إذا استعرضته متمطراً فتقول هذا مثل سرحان الغضا
أما إذا استدبرته فتسوقه ساق قومص الوقع عارية النسا
ولم يذكره في شيء . وقال أبو دواد :

كالسيد ما استقبلته وإذا ولّي تقول مللم ضرب^(٣)
لأم إذا استعرضته ومشى متتابعاً ما خانة عقب
يمشي كمشي نعامة تبعت أخرى إذا هي راعها خطب

[ولم يذكره في شيء من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

له أبطلاً ظبي وساقاً نعامة وإرخاء سرحانٍ وتقريب تتفل

[ولم يذكره في شيء من ذلك] . وقال ابن سنان العبدي :

أما إذا ما أقبلت فطارة كالجدع شذبه نفي المنجل

أما إذا ما عرضت فنبيلة ضخم مكان جزامها والمر كل^(٤)

أما إذا تشددت فهي نعامة تنفي سنا بكها صلاب الجندل^(٥)

(قول أبي عبيدة في تشبيه الفرس بضروب من الحيوان)

قال أبو عبيدة : ومما يشبه خلقه من خلق النعامة طول وظيفها وقصر

(١) الجلل : غطاء الفرس . وفي ط : « الجلل » محرفاً . وفي ل : « هنة وجاعرة » .

(٢) الأبيات في انخرازة ٤ : ٢٢ بولاق بتقديم الثالث على الثاني .

(٣) الضرب : أخفيف اللحم . وفي ل : « ضرب » .

(٤) ط : « فقليلة » .

(٥) ل : « أما إذا ما أدبرت فنعامه »

ساقبها وعُرى نسيها^(١) . ومما يشبهه من خلقه خلق الأرنب صغر كعبها .
ومما يشبهه من خلقه خلق الحمار الوحشي غلظ لحمه ، وظماً فصوصه
وسرّاته ، وتمحص عصبه^(٢) ، وتمكن أرساغه ، وعرض صهوته .

قال صاحب الكلب : قد قال أبو عبيدة : إن مما يشبهه من خلقه
خلق الكلب هرت شدقه ، وطول لسانه ، وكثرة ريقه ، وانحدار
قصه^(٣) ، وسبوغ ضلوعه ، وطول ذراعيه ، ورُحْب جالده . ولحوق بطنه .
وقال طفيل الغنوي ، يصف الخيل :

تبارى مراحيا الزجاج كأنها ضرائء أحست نبأاً من مكّاب^(٤)
وقال طفيل أيضاً :

كأن على أعطافه ثوب مائح وإن يلق كلب بين لحبيه يذهب^(٥)
وقال صاحب الديك : وأين يقع البيت والبيتان والثلاثة : من جميع
أشعار العرب ؟ !

وقال صاحب الكلب : لعلنا إن تتبّعنا ذلك وجدناه كثيراً ،
ولكنك تقدّمت في أمر ولم تُشعر بالذي تعني ، فنالتقط^(٦) من الجميع
١٣٤ أكثر مما التقطت . والإنسان شريف الأعضاء وقد تشبه مواضع منه مواضع
من الفرس العتيق . وما حضرنا من الأشعار إلا قوله :

(١) ط : « نسيها » وليس بشيء .

(٢) تمحص العصب : شدته . وفي ط : « تمحيص » .

(٣) النقص والتقصص : الصدر . ل : « قصبه » ط : « قصه » محرفتان .

(٤) يقول : إن هذ الخيل المراحی - وهن المسرعات واحدها مرخاء - تبارى الزجاج :
جمع زج . أي تكاد تسبق ما يحمله أربابها من سلاح . مثله قول لبيد :
يطرد الزج يبارى ظله بأسيل كالسنان المنتحل

وفي ط ، ل : « تبادى » . وفي ط « مراحيا » . وذلك تحريف . انظر الحيوان (٢ : ٨١) .

(٥) المائح : الذي ينزل البئر فيملاً الدلو ، والماتح : الذي يجذب الدلو ليخرجهما . وفي ل
« كأن على أعطافها ثوب مائح » وفي ط : « كأن على أعطافه ثوب مائح » وانظر
أدب الكاتب ٨٧ والاقضية ٢٢٧ .

(٦) في الأصل : « فتلقتط » .

وترى الكهيتَ أمامه وكأنه رجلٌ مُغاضِبٌ ١٣٤

وقال الشاعر في ذلك :

خُوصٌ تَرَّاحَ إِلَى الصَّرَاخِ إِذَا غَدَتِ فِعْلَ الضَّرَاءِ تَرَّاحَ لِلْكَلَابِ (١)
وقد شبهوا بالكلب كلَّ شيء .

وكان اسم فرس عامر بن الطفيل ، الكلب ، والمزنوق ، والورد .

(شعر في وصف الناقة ونشاطها)

قال صاحب الديك : قد قال أوس بن حجر ، ووصف الناقة ونشاطها

والذي يهيجها فقال :

كَأَنَّ هِرًّا جَنِيْبًا عِنْدَ مَعْرِضِهَا وَالتَّفَّ دِيكٌ بِرِجَالِهَا وَخَنَزِيرٌ (٢)

فهلَّا قال : والتف كلبٌ كما قال : والتف ديك !! وقال أبو حية :

[و] تَزَاوَرَتْ عَنْهُ كَأَنَّ بَدَفَهَا هِرًّا يَنْشَبُ ضَبْعَهَا بِالْأظْفَرِ (٣)

وقال الأعشى :

بِجَلَالَةِ سُرْحٍ كَأَنَّ بَدَفَهَا (٤) هِرًّا إِذَا انْتَعَلَ الْمَطِيُّ ظِلَالَهَا

وقال عنتره بن شداد العبسي :

وَكَأَنَّما يَنأى بِجَانِبِ دَفِّهَا الْوَحْشِيُّ مِنْ هَزَجِ الْعَشِيِّ مُؤَمِّمٍ (٥)

(١) ل : « إلى الصياح » وكذلك في اللسان مادة (روح) .

(٢) لابن طباطبا نقد في هذا البيت ذكره المرزباني في الموشح ٨٦ ، ولابن رشيق كلام فيه في العمدة ٢ : ٢٢٥ ، وانظر معاهد التنصيص ١ : ٤٧ .

(٣) ينشب : يعلق به . وفي ط : « تنشب » .

(٤) ل : « بفرزها » . والفرز : ركاب من جلد . والدف : الجانب .

(٥) في الأصل : « دفها الوحشي في هزج . . » . وانظر التبريزي ١٨٧ .

هَرٌّ جَنِيْبٌ كَدَّمَا عَطَفَتْ^(١) اِهْ غَضَبِي اتَقَاهَا بِالْيَدَيْنِ وَبِالْقَمِ^(١)
وقال المثقَّب العَبْدِيُّ :

فَسَلِّ اِهْمَّ عَنْكَ بَدَاتِ كَوْتِ عُدَاْفِرَةٍ كَمِطْرَقَةٍ التَّمِيُونِ
وَبِصَادِقَةِ الْوَجِيْفِ كَأَنَّ هَرًّا يُبَارِيهَا وَيَأْخُذُ بِالْوَضِيْنِ^(٢)

قال صاحب السكلب : إنما يذكرون في هذا الباب السَّبَاعَ المنعوتة
بالمخالب وطول الأظفار ، كما ذكر الهَرُّ وابن آوى . والسكلب ليس
يوصف بالمخالب ، وليس أَنَّ الهَرَّ أقوى منه . ألا ترى أَنَّ أوسَ بن حجرٍ
قال في ذلك :

* كَأَنَّ هَرًّا جَنِيْبًا عِنْدَ مَغْرَضِهَا *

فذكر الموضع الذي يوصف بالخلب والحدش والحمش والتظفير ، فلما
أراد أن يفزعها ويثورها حتى تذهب جافلة في وجهها^(٣) ، أو ناذة ،
١٣٥ أو كأنها مجنونة من حاق المرح والنشاط^(٤) قال :

* وَالتَّفَّ دِيكَ بَرَجَلِيهَا وَخِنْزِيرِ^(٥) *

وقال أبو النجم :

لَوْ جُرَّشَنُّ وَسَطُهَا لَمْ تُجْفَلِ^(٦) مِنْ شَهْوَةِ الْمَاءِ وَرِزٌّ مَعْضَلِ^(٧)
[ويروى : تحفل] . ولو قال أوس :

(١) ط : « التقاها » .

(٢) ط : « وصادقة الوجيف » وانظر المنضليات ٢٩٠ .

(٣) ل : « وجهه » وهو تحريف .

(٤) حاق المرح : صادقه . وفي ط : « حال المرح » .

(٥) البيت لأوس بن حجر كما سبق قريباً . وصدده :

* كَأَنَّ هَرًّا جَنِيْبًا عِنْدَ مَغْرَضِهَا *

(٦) ط : « لو جرشن خلفها لم يحفل » .

(٧) البيت ساقط من ل . والرز : الصوت ، وعنى به الوجع ، كما في اللسان (رز) عند

إنشاد الرجز . وفي الأصول : « رز » ، تحريف .

* والتفَّ شَنُّ برجلِها وخنزير *

لسكان جائزاً ، لولا يُبَسُّ الشنُّ وقحوله ، وأنه ليس مما يلتوى على

رجليها . وقال آخر :

كأنَّ ابنَ آوى مُوثقٌ تحتَ غرْزِها إذا هو لم يَكلمُ بنابيه ظفراً

وقال صاحب الديك : حديث عمرو بن شعيب عن عبد الله بن عمر

وعبد الله بن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحلُّ

لرجلٍ [أن] ^(١) يُعطيَ عطيَّةً ويرجعَ فيها ، إلاَّ الوالدُ فيما يعطى ولده .

ومثل الذي يُعطي العطيَّةَ ثم يرجعُ فيها كمثل الكلب يأكل ، حتى إذا

شَبِعَ قاءً ثم عاد في قبته » ^(٢) .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا يرجع في هبته إلاَّ الوالد من ولده . والعائدُ في هبته كالعائد في قبته » .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر ، أن أبا بكرٍ أمر

بقتل الكلاب . قال عبد الله بن جعفر : وكانت أمي تحتَ أبي بكرٍ ،

وكان جروُّ لي تحتَ سريره ^(٣) فقلت له : يا أبتِ ، وكلبي أيضاً ؟ فقال :

لا تقتلوا كلبَ ابني ، ثمَّ أشار بإصبعه إلى الكلب - أي خذوه من تحت

السري - وأنا لا أدري ، فقتل .

وإسماعيل بن أمية قال : أمَّتان من الجنِّ مُسختا ، وهما

الكلاب والحيات .

ابن المبارك قال : إذا عرف الرجلُ قدرَ نفسه صار عند نفسه

أذلَّ من الكلب .

(١) ليست بالأصل .

(٢) ل : « قاه ثم عاد في قيه » .

(٣) ط : « تحت السري » .

(لؤم الكلب)

قال صاحب الديك - وذَكَرَ الكلب فقال - : من لؤمه أنه إذا أَسْنَدَهُ
أَكَلَك ، وإن أَجَعْتَهُ أَنْكَرَكَ . ومن لؤمه اتَّبَاعَهُ لِمَنْ أَهَانَهُ ، وإِلْفَهُ لِمَنْ
أَجَاعَهُ ؛ لِأَنَّهُ أَجْهَلُ مَنْ أَنْ يَأْنِسَ بِمَا يُؤْنِسُ بِهِ (١) وَأَشْرَهُ وَأَنْهَمُّ وَأَحْرَصُ
وَأَلْحُ مِنْ أَنْ يَذْهَبَ بِمَطْمَعَتِهِ (٢) مَا يَذْهَبُ بِمَطَامِعِ السَّبَاعِ .

ومن جهله أيضا أنا لم نجده يجرس المحسنين إليه بنباحه ، وأربابه
الذين ربّوه وتبنّوه (٣) إلا كحراسته لمن عرفه ساعة واحدة ، بل لمن أذّبه
وأجاعه وأعطشه . بل ليس ذلك منه حراسةً ، وإِنَّمَا هُوَ فِيهِ مِنْ فَضْلِ الْبَدَاءِ
أَوْ التَّمَحُّشِ ، وَشِدَّةِ التَّحَرُّشِ وَالتَّسْرُّعِ . وقد قال الشاعر في ذلك :

إذا تخازرتُ وما بي من خزرٍ ثم كسرت العين من غير عور (٤)

أبدي إذ أبوذيت من كلبٍ ذكره (٥) أسود قزاحٍ يعوى في السحر (٦)

وإنما ذلك شكل من شكل الجبن ، وكالذي (٧) يعترى نساء السفلة

من الصخب .

(جبن الكلب)

والكلب جبانٌ وفيه جرأة ولؤم . ولو كان شجاعاً وفيه بعض التهيّب

(١) ل : « منه » .

(٢) مطمعتة : طمعه . وفي ط : « بمطمعه » .

(٣) ط : « وواسوه » والوجه ما في ل .

(٤) ل : « الطرف » موضع « العين » .

(٥) أبدي ، من البداء . ط : « أبدي إذا بوزيت » صوابه في ل . وانظر الأمان

(١ : ٩٦) وأمثال الميداني (٢ : ١٢٧) . والرجز منسوب إلى عمرو بن العاص

عند النديري (١ : ٤١٠) .

(٦) القزاح : الذي يدفع ببوله دفعا . وفي ط : « فزاح » . وفي ط : « تعوى في السحر »

وفي ل : « يفضي في السحر » .

(٧) ط : « ولا الذي » وهو تحريف .

كان أمثل . ومن فرط الجبن أنه يفرع من كل شيء وينبجحه .
والبردون ربما رمح البردون مبتدئا ، وقلق وصهل صهيلا في اختلاط ،
وليس ذلك من فضل قوّة يجدها في نفسه على المرموح ، وليكنه يكون جباناً ،
فإذا رأى البردون الذي يظن أنه يعجز عنه أراه الجبن أنه واقع به ، فعندها
يقلق وإذا قلق رمح . وهذه العلة تعرض للمجنون ؛ فإن المجنون الذي
تستولى عليه السوداء ، ربما وثب على من لا يعرفه . وليس ذلك إلا لأن
المرة أوهمته أنه يريد بسوء ، وأن الرأي أن يبدأه^(١) بالضرب . وعلى مثل
ذلك يرمي بنفسه في الماء والنار .

(مما حدث للنظام)

فأما الذي شهدت أنا من أبي إسحاق بن سيّار النظام ، فإننا خرجنا ليلة
في بعض طرقات الأبلّة ، وتقدّمته شيئاً ، وألح عليه كلب من شكل كلاب
الرّعاء ، وكره أن بعدو فيغريه ويضريه^(٢) ، وأنف أيضاً من ذلك - وكان أنفاً
شديد الشكيمة أباء للهزيمة - وكره أن يجلس مخافة أن يشغره عليه^(٣)
أو لعله أن يعضه فيهرت ثوبه ، وألح عليه فلم ينله بسوء^(٤) . فلما جزنا حدّه
وتخلصنا منه ، قال إبراهيم في كلام له كثير ، يعدّد خصاله المذمومة ،
فكان آخر كلامه أن قال : إن كنت سبّع فاذهب مع السباع ، وعليك
بالبراري والغياض ، وإن كنت بهيمة فاسكت عنا سكوت البهائم !

(١) ط : « أنه يبدأه » .

(٢) يضره : يغريه . وفي الأصل : « ويضربه » .

(٣) في ط : « يشغره عليه ببواه » وهو تحريف .

(٤) ل : « أن يأكله فهرت ثوبه وألح عليه ولم يرد سواه » .

ولا تتكرر قولي وحكايتي عنه بقولٍ ملحون . من قولي : « إن كنت
سَبَعٌ » ولم أقلُ « إن كنت سبعا » !

(إفساد الإعراب لنوادير المولدين)

وأنا أقول : إنَّ الإعرابَ يفسد نوادر المولِّدين ، كما أنَّ اللحنَ يفسد
كلام الأعراب (١) ؛ لأنَّ سامعَ ذلك الكلام إنَّما أعجبتَه تلك الصورة (٢)
وذلك المخرَج ، وتلك اللغة وتلك العادة ؛ فإذا دخلت على هذا الأمر - الذي
إنَّما أضحك بسُخْفِهِ وبعضِ كلامِ العجميَّة التي فيه (٣) - حروفَ الإعراب
والتحقيق والتثقيب (٤) وحوَّلته إلى صورةِ الفاظِ الأعرابِ الفصحاء ،
وأهلِ المروءة والنجابة (٥) انقلب المعنى مع انقلابِ نظْمِهِ ، وتبدَّلت صورته .

ثم قال أبو إسحاق : إنَّ أطمعَه اللصُّ بالنهار كسرةَ خبزٍ خلَّاه .
ودارَ حوله ليلا . فهو في هذا الوجه مرتشٍ وآكلٌ سُحْتٌ ؛ وهو مع
ذلك أسمعُ الخلقِ صوتاً ، وأحمقُ الخلقِ بقظَّةً ونوماً ، ينامُ النَّهارَ كله على
نفسِ الجادَّة ، وعلى مدقِّ الحوافر ، وفي كل سوقٍ وملتقى طريق ، وعلى
سبيلِ الحمونة (٦) وقد سهر الليلَ كله بالصياح والصَّخب ، والنَّصَب
والتَّعب ، والغَيْظ والغضب ، وبالخبىء والذَّهاب ، فيركبه من حبِّ النوم

(١) ل : « يفسد كلام المولدين كما أن اللحن يفسد نوادر كلام الأعراب » . وانظر

البيان ١ : ١٤٥ .

(٢) ل : « أضحكته » بدل « أعجبتَه » .

(٣) ط : « فيها » والوجه ما في ل .

(٤) ط : « والتخفيف والتثقيب » والوجه ما في ل .

(٥) ل : « والشخانة » .

(٦) الحمولة بالفتح : ما احتمل عليه القوم من بئر وحمار ونحوه . وفي الأصل : « الحمولة »
بالحاء ، مصحفة .

على حسب حاجته إليه : فإن وطئته دابةٌ فأسوأ الخلقِ جزعاً وألمه
لوماً ، وأكثره نباحاً وعوَاءً ، فإن سلم ولم تطأهُ دابةٌ ولا وطئه إنسان ،
فليست تتمُّ له السلامة ؛ لأنه في حالٍ متوقِّعٍ للبليةِ . ومتوقِّعُ البليَّةِ في
بليَّةٍ . فإن لم يسلم فليس على ظهرها مبتلى أسوأ حالاً منه ؛ لأنه أسوأهم
جزعاً ، وأقلُّهم صبراً ، ولأنَّه الجاني ذلك على نفسه ، وقد كانت الطُّرق
الخالية له معرضة ، وأصول الحيطان مباحة .

وبعد فإنَّ كلَّ خُلُقٍ فارقَ أخلاقِ النَّاسِ فإنَّه مذموم . والناس ينامون
بالليل الذي جعله الله تعالى سكناً ، وينتشرون بالنَّهار الذي جعله الله تعالى
لحاجات النَّاسِ (١) مَسْرَحاً .

قال صاحب الكلب : لو شئنا أن نقول : إنَّ سهره بالليل ونومه بالنَّهار
خَصْلَةٌ ملوكيَّة اقلنا ، ولو كان خلافُ ذلك ألدَّ لسكانت الملوك بذلك
أولى . وأمَّا الذي أشرتمُ به من النوم في الطُّرق الخالية ، وعبتموه به من
نومه على شارعِ الطُّرق والسُّككِ العامرة (٢) وفي الأسواق الجامعة ،
فكلُّ امرئٍ أعلم [بِشأنه] . ولولا أنَّ الكلبَ يعلمُ ما يَلتقي من الأحداث
والسُّفهاء وصبيان السُّكَّاب ، من رضَّ عظامه بألواحهم إذا وجدوه نائمًا في
طريق خالٍ ليس بحضرته رجالٌ يُهابون (٣) ، ومشبيخةٍ يرحمون ويزجرون
السُّفهاء ، وأنَّ ذلك لا يعتريه في مجامع الأسواق - لقلَّ خلافه عليك ، ولما
رقد في الأسواق . وعلى أنَّ هذا الخُلُقُ إنَّما يعترى كلاب الحُرَّاس ، وهي

(١) ل : « النفوس » .

(٢) شرع المنزل : صار على طريق نافذ . وفي ل : « على مربعات السكك العامرة »

(٣) في الأصل : « في طريق ليس خال بحضرته . الخ » وكلمة « خال » مزحزحة
عن موضعها .

التي في الأسواق مأواها ومنازلها .

وبعد فمن أخطأ وأظلمُ ممن يكلف السباعَ أخلاقَ الناسِ وعاداتِ
البهائمِ !! وقد علمنا أن سباعَ الأرضِ عن آخرها إنما تهبج وتسرح وتلتمس
المعيشةَ وتتلاقى على السفاد والعظام ليلاً ؛ لأنها تبصر بالليل .

(سبب اختيار الليل للنوم)

وإنما نام الناسُ بالليل عن حوائجهم ، لأن التمييز والتفصيل والتبيين^(١)
لا يمكنهم إلا نهاراً ، وليس للمتعَب المتحرِّك بدُّ من سكون يكون جماماً له .
ولولا صرفُهم^(٢) التماسَ الجمام إلى الوقت الذي لو لم يناموا فيه والوقتُ مانع
١٣٨ من التمييز والتبيين^(٣) ، لكانت الطبائعُ تنقض . فجعلوا النومَ بالليل
لضربين : أحدهما لأن الليلَ إذ كان من طبعه البرد والرُّكود والحُثورة .
كان ذلك أنزعَ إلى النوم وما دعا إليه ، لأنه من شكله . و [أمّا]^(٤)
الوجه الآخر فلأن الليلَ موحشٌ مخوف الجوانب من الطوامِّ والسباع .
ولأن الأشياء المبتاعةَ والحاجات إلى تمييز الدنانير ، والدراهم ، والحبوب .
والبزور ، والجواهر ، وأخلاط العطر ، والبرِّبهار^(٥) وما لا يحصى عدده .
فقداتهم طبائعهم وساقتهم غرائزهم إلى وضعِ النوم في موضعه ، والانتشار

(١) ط : « والتفصيل والتبيين » والوجه ما في ل .

(٢) ل : « فصرفهم » .

(٣) ط : « التبيين » .

(٤) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٥) البرِّبهار : الأدوية التي تجلب من الهند من الخشيش والعقاقير ونحوها ، يقول البحرية
وأهل البصرة لها : البرِّبهار . أنساب السمعاني ٧١ . وانظر ماسياني في حواشي ٣ : ٣٥ :

والتصرف^(١) في موضعه على ماقدّر الله تعالى من ذلك وأحبّه . وأمّا السباع فإنها تتصرف وتبصر بالليل ، ولها أيضاً عللٌ أخرى يطول ذكرها .

(نوم الملوك)

وأما ما ذكرتموه من نوم الملوك بالنهار وسهرهم بالليل ، فإن^(٢) الملوك لم تجهلوا فضل النوم بالليل والحركة بالنهار ، ولكن الملوك لكثرة أشغالها فضلت حوائجها عن^(٣) مقدار النهار ولم يتسع لها ، فلما استعانت بالليل ولم يكن لها بدٌّ من الحلوة بالتدبير المكتوم والسرّ المخزون ، وجمعت المقدار الفاضل عن اتساع النهار إلى المقدار الذي لا بدّ للخلوة بالأسرار منه ؛ أخذت من الليل صدرها صالحاً . فلما طال ذلك عليها أعانها المران^(٤) ، وخفف ذلك عاينها بالدربة .

وناسٌ منهم ذهبوا إلى التناول من الشراب وإلى أن سماع الصوت الحسن مما يزيد في المنّة ، ويكون مادةً للقوة . وعلموا أنّ العوام إذا كانت لاتتناول الشراب ولا تتكلف السماع على هذا المعنى ، أن ظنّها سيسوء^(٥) ، وقولها سيكثر ؛ فأروا أنّ الليل أستر وأجدر أن يتمّ به التدبير^(٦) ، وقال الراجز :

* اللَّيْلُ أَخْفَى وَالنَّهَارُ أَفْضَحُ *

وقالوا في المثل : « أَلَيْلٌ أَخْفَى ^(٧) لِلْوَيْلِ » .

(١) ط : « والانتشار بالتصرف » وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « وإن » والوجه ما أثبت .

(٣) ط : « على » موضع « عن »

(٤) ط : « المرآت » وهو تحريف .

(٥) ط : « متيسر » وهو تحريف ما قبل .

(٦) ط : « به باقي التدبير »

(٧) ط : « أنفي للويل » . وانظر أمثال الميداني (٢ : ١٢٧) .

(تلهى المحزون بالسماع)

وما زالت ملوكُ العجم تلهي المحزون بالسماع ، وتعلل المريض ، وتشغله عن التفكير ، حتى أخذت ذلك ملوكُ العرب عن ملوك العجم . ولذلك قال ابن عسلة الشيباني (١) :

وسماع مُدجِنَةٍ تعللنا حتى ننامَ تناوُمَ العُجمِ -
فصحوت والنمرى يُحسبُها عمَّ السِّمِّكِ وخالة النُّجمِ (٢)

النجم : واحد وجمع ، وإِنَّمَا يعنى فى البيت الثرىيا . ومدجنة : يعنى سحابة دائمة .

(قول أم تأبط شرا فى ولدها)

وفىما يحكى عن امرأةٍ من عقلاء نساء العرب - وإذا كان نساء العرب .
١٣٩ فى الجملة أعقل من رجال العجم ، فما ظنك بالمرأة منهم إذا كانت مقدمة .
فيهم (٣) - فرووا جميعاً أن أم تأبط شراً قالت : « والله ما ولدته يتناً ، ولا سقيته .
غياً ولا أبته على مائة » .

فأما اليتن فخروج رجل المولود قبل رأسه ، وذلك علامة سوء ،
ودليل على الفساد . وأما سقى الغيل ، فارتضاع لبن الحبل ، وذلك
فساد شديد .

(١) سبق هذا الشعر ص ٢١٢ كما سبقت ترجمة ابن عسلة .

(٢) صواب روايته : « لصحوت » كما سبق فى حواشى ٢١٢ .

(٣) ل : « عندهم » .

(ما ينبغي للأُم في سياسة رضيعها حين بكائه)

وأما قولها في المأفة ، فإنَّ الصبيَّ يبكي بكاءً شديداً متعباً موجعاً ، فإذا كانت الأُم جاهلةً حرَّكته في المهد حركةً تورثه الدُّوار ، أو نومته بأن تضرب يدها على جنبه . ومتى نام الصبيُّ وتلك الفزعةُ أو اللوعةُ أو المكروه قائمٌ في جوفه ، ولم يعللْ ببعض ما يلهيه ويضحكه ويسرُّه ، حتى يكون نومه على سرورٍ ، فيسرى فيه ويعمل في طباعه ، ولا يكون نومه على فزعٍ أو غيظٍ أو غمٍّ ؛ فإنَّ ذلك ممَّا يعمل في الفساد . والأُمُّ الجاهلةُ والمرقصةُ الحرقاءُ ، إذا لم تعرف فرقَ ما بين هاتين الحالتين ، كثيرٌ منها ذلك الفساد ، وترادفَ ، وأعان الثاني الأوَّلَ والثالثُ الثانيَ حتى يخرجَ الصبيُّ مائتقا . وفي المثل : « صاحبي مئق وأنا تنق » ، يضرب هذا المثل للمسافر الأحمق الرقيقِ والزَّميلِ ، وقد استفرغه الضَّجرَ لطول السفر^(١) فقلَّبه مألان ، فأوَّلُ شيءٍ يكون في ذلك المئق من المـكروه لم يحتماه^(٢) بل ينفِض ضجره عليه ، لامتلأته من طول ما قاسى من مكروه السفر .

(ما يحتاج إليه الملوك)

فاحتاج حُذاق الملوكِ وأصحابُ العنایات التامةً ، أن يداووا أنفسهم بالسمع الحسن ، ويشدُّوا من متنبهم بالشراب ، الذي إذا وقعَ في الجوف حرَّك الدَّم ، وإذا حرَّك الدَّم حرَّك طباعَ السرور ، ثمَّ لا يزالُ زائداً

(١) ل : « بطول السفر »

(٢) ط : « ولم يحتمله » ، والواو مقحمة .

فى مكيال الدم ، زائداً فى الحركة المولدة للسرور . هذه صفة الملوكة . وعليه بنوا أمرهم ، جهل ذلك من جهله ، وعلمه من علمه .

وقال صاحب السكلب : أمّا تركه الاعتراض على اللصّ الذى أطعمه أياماً وأحسن إليه مراراً ، فإنّما وجب عليه حفظ أهله لإحسانهم إليه ، وتعاهدتهم^(١) له . فإذا كان عهده ببرّ اللصّ أحدث من عهده ببرّ أهله^(٢) ، لم يكلف السكلب النظر فى العواقب ، وموازنة الأمور^(٣) . والذى أضمر اللصّ من البيات غيبٌ قد ستر عنه ؛ وهو لا يدري أجراء ليأخذ أم جاء ليعطى ، أو هم أمره أو هو المتكلف لذلك ؛ ولعلّ أهله أيضاً [أن] يكونوا قد استحقّوا ذلك منه بالضرب والإجاعة ، وبالسبّ والإهانة .

وأما سماجة الصوّت فالبغل أسمع صوتاً منه ، كذلك الطاووس على
١٤ أنهم يتشاءمون به . وليس الصوّت الحسن إلا لأصناف الحمام من القمارى^{١٤}
والدبّاسى ، وأصناف الشفانين^(٤) والوراشين . فأما الأسد والذئب ؛ وابن آوى والخنزير ، وجميع الطير والسباع والبهائم فكذلك . وإنّما تك
أن تدمّ السكاب فى الشىء الذى لا يعمّ . والناس يقولون : ليس فى الناس
شىء أقلّ من ثلاثة أصناف : البيان الحسن ، والصوت الحسن ، والصورة
الحسنة ؛ ثمّ الناس بعد مختلطون ممتزجون . وربّما كان من الناس بل
كثيراً ما تجده وصوته أقبح من صوت السكلب ، فلم تخصّون السكلب
بشئٍ عامّة الخلق فيه أسوأ حالاً من الكلب ؟ !

وأما عواؤه من وطء الدابة وسوء جزعه من ضرب الصبيان ، فجزع

(١) ل : « وتعهدهم له » وهما بمعنى .

(٢) ط : « فإذا كان عهده بين اللص وبينه أحدث من عهده بينه وبين أهله » وأثبت

ما فى ل ، مع إبدال « بينه وبين » بكلمة « ببر » .

(٣) ط : « وموازنة الأمور » .

(٤) ط : « الشفانين » وهو تحريف سبق التنبيه عليه ص ١٩٤ .

الفرس من وقع عذبة السوط ، أسوأ من جزعه من وقع حافر برذون .
وهو في هذا الموضع للفرس أشد^(١) مناسبة منه للحجار .
على أن الديك لا يُذكر بصبرٍ ولا جزع .

(نوادر ديسيموس اليوناني)

قال صاحب الديك : حدثني العُتبي^(٢) قال : كان في اليونانيين ممرورٌ
له نوادرٌ عجيبة ، وكان يسمّى ديسيموس^(٣) ، قال : والحكماء يروون له
أكثرَ من ثمانين نادرة [مامنها] إلا وهي غرّةٌ وعينٌ من عُيون النوادر :
فمنها أنّه كان كلّما خرجَ من بيته مع الفجر إلى شاطئ الفرات للغائط
والطهور ، ألقى في أصل باب داره وفي دُوارته حجراً ، كي لا ينصفق الباب ،
فيحتاج إلى معالجة فتحه ، وإلى دفعه^(٤) كلّما رجعَ من حاجته ، فكان
كلّما رجع^(٥) لم يجد الحجرَ في موضعه ، ووجد البابَ منصفقاً . فيكمن
له في بعضِ الأيام^(٦) ليرى هذا الذي يصنع^(٧) ما يصنع . فبينا هو في
انتظاره إذ أقبل رجلٌ حتّى تناول الحجر ، فلما نَحاه عن مكانه انصفق

(١) ل : « إلى الفرس » وفي الأصل : « أشد منه » . وكلمة « منه » مقحمة .

(٢) ل : « القيني » وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة العتبي ص ٥٤ .

(٣) كتابة هذا العلم بالبدال هي الصواب كما في ل ، ورسائل الجاحظ ١٤٣ . وهو علم
يوناني متداول ، وحرف بالراء في ط والبخلاء ١٥٨ ، والبيان ٢ : ٢٢٥ : ٢٢٦ .

(٤) ط : « رفعه » والوجه ما في ل .

(٥) ل : « إذا رجع » .

(٦) ط : « في بعض الأمكنة في بعض الأيام » .

(٧) ط : « الباب يصنع » وهو تحريف .

البابُ ، فقال له : مالك ولهذا الحجر ؟ ومالك تأخذه ؟ فقال : لم أعلم أنه
لك . قال : فقد علمت أنه ليس لك !

قال : وقال بعضهم : ما بال ديسيموس يعلم الناس الشَّعرَ ولا يقول
الشعر ؟ قال : ديسيموس كالمِسِّنِّ الذي يشحذ ولا يقطع .

ورآه رجلٌ يأكلُ في السُّوقِ فقال : أتأكل في السوق ؟ فقال : إذا جاع
ديسيموس في السُّوقِ أكلَ من السوق .

قال : وأسمعه رجلٌ كلاماً غليظاً وسطاً عليه ، وفحش في القول ، وتحمُّل عنه
فلم يجبه ، فقيل له : ما منعك من مكافأته وهو لك مُعرض ؟ قال : رأيتَ لِرِ
رَمَحِكَ حِمَارٌ أَكُنْتَ تَرْمُهُ ؟ قال : لا . قال : فإن ينبح عليك كلب تنبح^(١)
عليه ؟ قال : لا ، قال : فإنَّ السفيةَ إما أن يكون حماراً ، وإما أن يكون
كلباً ، لأنَّه لا يخلو من شرارةٍ تكون فيه أو جهل ، وما أكثر ما يجتمعان
فيه^(٢) .

(أمثال أخرى في الكلب)

وقال صاحب الديك : يقال للسفيه إنَّما هو كلب ، وإنَّما أنت
كلبٌ نَبَّاحٌ ، وما زال ينبح علينا منذُ اليوم ، وكلبٌ من هذا ؟ ويا كلب
ابن الكلب ، وأخسأ كلباً^(٣) .

وقالوا في المثل : « احتاج إلى الصُّوفِ من جزَّ كلبه » . و « أجمع كلبك
يتبعك » ، و « أحبُّ شيءٍ إلى الكلبِ خائمه » ، و « سمن كلبك يأكلك » :

(١) ل : « فإن ينبح عليك الكلب » الخ . . .

(٢) ط : « من يجتمعان فيه » واللوجه ما في ل .

(٣) ل : « ويا كلب ابن الكلبة واخس كلباً » .

و « أجوع من كلبة حومل »^(١) ، و « كالكلب يربض في الآري فلا هو يأكل ولا يدع الدابة تعلف » .

(براقش)

وفي أمثالهم في الشؤم : « على أهلها دلّت براقش » .
وبراقش : كلبة نبحت على جيش مرّوا في جرف الليل وهم لا يشعرون بموضع الحى ، فاستدلّوا عليهم بنباح الكلبة فاستباحوهم^(٢) .

(الجن والجن)

وقال صاحب الديك : روى إسماعيل المكي عن أبي عطاء العطاردي قال : سمعت ابن عباس يقول : السّود من الكلاب الجنّ ، والبقع منها الجنّ . ويقال إنّ الجنّ ضعفة الجنّ ، كما أنّ الجنى إذا كفر وظلم وتعدّى وأفسد ، قيل شيطان ، وإن قوى على البنيان والحمل الثقيل ، وعلى استراق السمع قيل مارد ، فإن زاد فهو عفريت ، فإن زاد فهو عبقرى . كما أنّ الرجل إذا قاتل في الحرب وأقدم ولم يحجم فهو الشجاع^(٣) ، فإن زاد فهو البطل ، فإن زاد قالوا : بهمة ، فإن زاد قالوا : أليس^(٤) . فهذا قول أبي عبيدة .

وبعض الناس يزعم أنّ الجنّ والجنّ صنفان مختلفان ، وذهبوا إلى قول الأعرابي حين أتى بعض أبواب الملوك ليكتتب في الزمّنى ، فقال في ذلك :
إن تكتبوا الزمّنى فلائى لزمن من ظاهر الداء وداء مستكين

(١) انظر ثمار القلوب ٣١٥ والتبثيل والمحاضرة ٣٥٥ والميداني ١ : ١٦٩ - ١٧٠ .

(٢) انظر تحقيقنا طريقا للمثل في إكليل الهمداني ٨ : ١٢٦ .

(٣) ل : « ولم يخم . . . » وهما بمعنى .

(٤) الأليس من الليس بمعنى الشجاعة . وفي ط : « ليث » وهو تحريف .

أبیتُ أهوی فی شیطینَ تُرِنُّ مختلفِ نجارُهم حِنٌّ وجنٌّ

(ماورد من الحديث والخبر فی قتل الكلاب)

وعن أبي غنبة^(١) عن أبي الزبير عن جابر : (٢) قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، حتى أن المرأة لتقدم بكلبها من البادية فنتقله ، ثم نهانا عن قتلها وقال : « عليكم بالأسود البهيم ذى النكتتين على عينيه ؛ فإنه شيطان » .

وعن أبي الزبير عن جابر قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، فكنا نقتلها كلها حتى قال : « إنها أمة من الأمم ؛ فاقتلوا البهيم الأسود ذا النكتتين على عينيه ؛ فإنه شيطان » .

١٤٢ وعبدالله وأبو بكر ابنا نافع^(٣) عن ابن عمر ، ونافع عن أبي رافع قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقتل الكلاب ، فكُنَّا نقتلُها ؛ فانتهيت إلى ظاهر بنى عامر ، وإذا عجوزٌ مسكينة معها كلب وليس قربها إنسان^(٤) فقالت : ارجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أن هذا الكلب يؤنسنى ، وليس قربي أحد . فرجع إليه فأخبره ، فأمر أن يقتل كلبها فقتله . وقال في حديث آخر^(٥) : إنه لما فرغ من قتل كلاب المدينة وقتل كلب المرأة قال : الآن استرحت . قالوا : فقد صحَّ الخبرُ عن قتل جميع الكلاب ، ثم صحَّ الخبرُ بنسخ بعضه وقتل الأسود البهيم منها ، مع الخبرِ بأنَّها من الجنِّ والحنِّ ، وأنَّ أُمَّتَيْنِ مُسِيخَتَا ، وهما الحيَّات والكلاب .

(١) ل : « ويحيى بن أبي أنيسة » .

(٢) في ل بعد هذا زيادة : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم . وعن أبي الزبير عن جابر » . كما أن الحديث الآتى في ل روى بعد الذى يليه هنا .

(٣) ماعد ل : « أنبانا نافع » . (٤) ط : « يقرها إنسان » .

(٥) ل : « قال وفى حديث » .

ثم روى الأشعث عن الحسن قال : ما خطب عثمان خُطبةً إلا أمرَ بقتل الكلاب وذبح الحمام .

وعن الحسن قال : سمعت عثمان بن عفان يقول : اقتلوا الكلاب واذبحوا الحمام .

قال : وقال عطاء : في قتل كلب الصيد إذا كان صائداً أربعون درهماً ، وفي كلب الزرع شاة .

(ما ورد من الحديث والخبر في دية الكلب)

والحسن بن عمارة عن يعلى بن عطاء عن إسماعيل بن حسان عن عبد الله بن عمر^(١) قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلب الصيد بأربعين درهماً ، وفي كلب الغنم بشاة ، وفي كلب الزرع بفرق من طعام^(٢) ، وفي كلب الدار بفرق من تراب ، حتى على القاتل أن يؤدِّيَه . وحقَّ على صاحب الدار أن يقبضه .

قالوا : والتراب لا يكون عقلاً إذا كان في مقدار الفرق .

وفي قوله : وحقَّ على صاحب الدار أن يقبضه ، دليلٌ على أنه عقوبة على اتخاذه^(٣) وأن ذلك على التصغير لأمر الكلب وتحقيره ، [و] على وجه الإرغام للمالكه . ولو كان عوضاً أو ثواباً ، أو كان في طريق الأموال المحروص عليها ، لما أكرهه على قبضه أحد ، وإن كان العفو أفضل .

(١) في الأصل : « حسان بن عبد الله بن عمر » .

(٢) الفرق ، بالفتح ، وبالتحريك : مكيال ضخم لأهل المدينة يقال إنه يسع ستة عشر رطلاً . وفي ل : « من الزرع » .

(٣) ط : « على النهى عن اتخاذه » ، وتصحيحه من ل .

(ما ورد من الحديث والخبر في شأن الكلب)

قال : وسئل عن الكلب يكون في الدار وفي الدار من هو له كاره .
ابن أبي عروبة عن قتادة عن أبي الحكم : أن ابن عمر سئل عن ذلك
فقال : المأثم على رب الدار الذي يملكها .

وعن ابن عمر قال : من اتخذ كلباً ليس بكلب زرع ولا ضرع ولا صيد
نقص من أجره كل يوم قيراط . فقال رجل : فإن اتخذ رجلاً وهو كاره ؟
قال : إنما إثمه على صاحب الدار .

وصدقة بن طيساة^(١) المازني قال : سألت الحسن قلت : إن دورنا في
الجبان^(٢) وهي مَعْوَرَة وليس عليها أبواب ، أفترى أن نتخذ فيها كلاباً ؟
قال : لا لا .

وعن ابن أبي أنيسة^(٣) عن سالم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « من اقتنى كلباً إلا كلب صيد أو كلب ماشية ، نقص من أجره
كل يوم قيراطان » .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من اقتنى كلباً^(٤) فإنه
ينقص من عمله كل يوم قيراط » .

ويونس عن أبيه عن إسحاق^(٥) قال : حدثنا هنيذة بن خالد^(٦) الخزامي
قال : انطلقت مع نفرٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، نعود رجلاً من

(١) ط : « طيلسة » وأثبت ما في ل .

(٢) الجبان والجبانة : المقبرة والصحراء . وفي ط : « الجبان » وهو تحريف .

(٣) اسمه يعقوب . ما عدل : « ابن أبي شيبه » تحريف .

(٤) ل : « من أمسك كلباً » .

(٥) ل « ويونس عن أبي إسحاق وإسرائيل بن يونس عن أبي إسحاق قال : حدثنا أبو إسحاق

قال : حدثنا هبيرة » .

(٦) ط : « هنييرة » ، وهو تحريف صوابه في ل والإصابة ٤٠١٠ .

الأنصار . فالعامة انتهوا إلى باب الدار ثارت أكلب في وجوه القوم ، فقال بعضهم لبعض : ما يُبقي هؤلاء من عمل فلان شيئاً ، كل كلبٍ منها ينقص قيراطاً في كل يوم .

هشام بن حسان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أخذ كلباً ليس بكلبٍ صيدٍ ولا زرعٍ ولا ضرعٍ ، فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراطاً ، والقيراطُ (١) مثلُ جبلٍ أُخذ » .

يونس عن أبي إسحاق (٢) عن مجاهد (٣) قال : أقبل عبد الله بن عمرو بن العاص حتى نزل ناحية مكة ، وكانت امرأة عم له تهاديه ، فلما كانت ذات يوم قالت له : لو أرسلت إلى الغنم فاستأنست برعائها وكلابها فقد نزلت قاصية ! فقال : لولا كلابها لفعلت ، إن الملائكة لا تدخل داراً فيها كلب .

الثوري عن سيبك بن حرب ، أن ابن عباس قال على منبر البصرة : إن الكلاب من الجن (٤) وإن الجن من ضعفة الجن ، فإذا غشيتكم منها شيء فآلقوا إليها شيئاً أو اطرده (٥) ، فإن لها أنفُسَ سوء .

وهشيم عن المغيرة عن إبراهيم قالوا : لم يكونوا ينهوننا عن شيء من اللعب ونحن غلمان (٦) إلا الكلاب .

قال صاحب الديك : روى إبراهيم بن أبي يحيى الأسامي ، عن محمد بن المنكدر ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : تقامر رجلان على عهد

(١) ل : « وقيراط » .

(٢) ل : « يونس بن أبي إسحاق » .

(٣) ل : « عن أبيه عن مجاهد » .

(٤) ط : « الجن » بالجم ، والصواب بالحاء كما في ل .

(٥) كذا جاء في الأصل بتغاير الضميرين .

(٦) ط : « وعن غلمان » وليس بشيء وانظر الجزء الثاني ص ٢٩٢ .

عمر بديكين ، فأمر عمر بالديكة أن تُقتل (١) فأتاه رجلٌ من الأنصار فقال : أمرتَ بقتل أمةٍ من الأمم تسبِّح الله تعالى ؟ ! فأمر بتركها .

وعن قتادة أن أبا موسى قال : لا تتخذوا الدجاج في الدُّور فتكونوا أهل قرية ، وقد سمعتم ما قال الله تعالى في أهل القرى : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ .

وهذا عندي من أبي موسى ليس على ما يظنُّه الناس ، لأنَّ تأويله هذا ليس على وجه ، ولسكنه كرهه للفرسان ورجالِ الحرب (٢) اتخاذاً ما يتَّخذه الفلاح وأصحابُ التعيش ، مع حاجته يومئذ إلى تفرُّغهم لحروب العجم ، وأخذهم في تأهب الفرسان وفي دُرْبَةِ رجال الحرب . فإن كان ذهب إلى الذي يظهرُ في اللفظ فهذا تأويلٌ مرغوب عنه .

وقال صاحب الكلب لصاحب الديك : فقد أمر عمر بقتل الديكة ١٤٤

ولم يستثن منها شيئاً دون شيء ، ونهى أبو موسى عن اتخاذاً الدجاج ولم يستثن منها شيئاً دون شيء ، والديكة تدخل في هذا الاسم ، واسم الدجاج يجمعها جميعاً . ورويت في قتل الحمام مثلَ روايتكم في قتل الكلاب ، ولم أركم رويت أن الحمام مسخ ، ولا أن بعضه من الجن وبعضه من الجن ، ولا أن أمتين مسختا وكان أحدهما الحمام . وزعمتم أن عمر إنما (٣) أمر بقتل الديكة حين كره الهراش بها والقمار بها . ففعل كلاب المدينة في تلك الأيام كثير فيها العقور (٤) وأكثر أهلها من الهراش بها والقمار فيها . وقد علمتم أن ولاية المدينة ربما دَهِروا على صاحب الحمام (٥) إذا خيف قبَله

(١) ط : « نقل » ، وهو تحريف .

(٢) ل : « وللرجال » .

(٣) في الأصل « لسا » والوجه ما كتبت .

(٤) ل : « العقر » وهو جمع عقور .

(٥) دمروا عليه : دخلوا عليه وهجموا فجأة .

القمار^(١) وظنوا أنه الشرف^(٢) : وذكروا عنه الرمي بالبندق وخديعة أولادهم بالفراخ . فما بالسك لم تُخرَجوا للكلاب من التأويل والعذر ، مثل الذي خرَّجتم للحمام والديكة .

(المسخ من الحيوان)

ورويتم في الجري^(٣) والضباب أنهما كانتا أمتين مُسختا . وروى بعضهم في الإربابنة أنها كانت خيَاطة تسرق السلوك ، وأنها مُسخت وترك عليها بعضُ خيوطها لتسكون علامةً لنا ودليلاً على جنس سرقتها . ورويتم في الفأرة أنها كانت طحانة ، وفي سهيل أنه كان عشراً باليمن^(٤) وفي الحية أنها كانت في صورة جمل ، وأن الله تعالى عاقبها حتى لا طها بالأرض ، وقدم عقابها على عشرة أقسام ، حين احتملت دخول إبليس في جوفها حتى وسوس إلى آدم من فيها . وقلتم في الوزغة وفي الحكأة^(٥) ما قلتم . وزعمتم أن الإبل خلقت من أعنان الشياطين^(٦) وتأولتم في ذلك أقبح التأويل . وزعمتم أن الكلاب أمة من الجن مُسخت . والذئب أحق بأن يكون شيطاناً من الكلب ، لأنه وحشيٌ وصاحب قفار ، وبه يُضرب

(١) ط : « من قبل القمار » والصواب ما في ل .

(٢) الشرف : الإشفاء على خطر من خير أو شر . وفي ل : « به التشرّف » ، وفي ط : « أنه السرف » .

(٣) الجري : ضرب من السمك . وفي ط : « الجدي » وهو تحريف .

(٤) العشار : من يأخذ العشر .

(٥) الحكأة : عظمة مخططة بخمسة خطوط سود ، تعرف في مصر بالسحلية الخضاري .

معجم المملوف ١٥٥ . وفي ط : « الحدأة » وهو تحريف .

(٦) الأعنان : النواحي والجوانب . وفي الأصل : « أعناق » وهو تصحيف نهبت عليه ص ١٥٢ .

وانظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٦٣ .

المثل في التعدي ، والكلب ألوفٌ وصاحبٌ ديار ، وبه يُضربُ المثل .
والذئب ختور غدار ، والكلب وفيٌ مناصح . وقد أقام الناسُ في الديار
الكلابَ مقامَ السنابير للفأر^(١) . والذئب مضرّةٌ كلّه ، والكلبُ منافعُه
فاضلةٌ على مضارّه ، بل هي غالبةٌ عليها وغامرةٌ لها ، وهذه صفةٌ لجميعِ هذه
الأشياء النافعة .

والناس لم يطبقوا على اتّخاذها عبثاً ولا جهلاً ، والقضاة والفتهاء والعبّاد
والوُلاة والنُساك ، الذين يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر ، والمحتمسبة
وأصحاب التكلّف والتسليم جميعاً ، لم يطبقوا على ترك النكير على^(٢)
١٤٥ ما يشاهدونه منها في دورٍ من لا يعصيهم ولا يمتنع عليهم إلا وقد علموا
أنه قد كان لقتل الكلابِ بأعيانها في ذلك الدهر ، معنى . وإلاّ فالناسُ
في جميعِ أقطارِ الأرض لا يُجمعون على مسالمةِ أصحاب المعاصي ، الذين قد
خلعوا عُذرهم وأبرزوا صفحتهم^(٣) . بل ما ترى خصماً يطعن على شاهدٍ عن
قاض بأنّ في داره كلباً ، ولا ترى حكماً يردُّ بذلك شهادة . بل لو كان اتّخاذ
الكلابِ مأموراً به ، لما كان إلاّ كذلك .

ولو أنّكم حملتم حكم جميع الهداهد على حكم هدهد سليمان ، وجميع
الغربان على حكم غراب نوح ، وجميع الحمام على حكم حمامة السفينة^(٤)
وجميع الذئاب على حكم ذئب أهبان بن أوس ، وجميع الحمير على حكم حما
عزير - لكان ذلك حكماً مردوداً .

(١) ل : « من الفأر » .

(٢) في الأصل : « وعلى » وللواو مقحمة .

(٣) ط : « ضجتيم » وهو تحريف .

(٤) في الأصل « حمام السفينة » ، وهو تحريف . انظر الحيوان ٢ : ٣١

(ما لا يحدث إلا في دهر الأنبياء ونزول الوحي)

وقد تعرض لخصائص الأمور أسباباً في دهر الأنبياء ونزول الوحي ، لا يعرض مثلها في غير زمانهم : فقد كان جبريل عليه السلام يمشى في الأرض على صورة دحية الكلابي ، وكان إبليس يراءى في السكك^(١) في صورة سُراقَة المدلجي ، وظهر في صورة الشيخ النجدي . ومثل هذا كثير .

(ما يسمى شيطانا وليس به)

فإن زعمتم أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى رجلٍ يتبع حماماً طياراً فقال : « شيطانٌ يتبع شيطانا » ، فخبرونا بمن يتخذ الحمام^(٢) من بين جميع سكان الآفاق ونازلة البلدان من الحرمين والبصريين^(٣) ومن بني هاشم إلى من دونهم ، أتزعمون أنهم شياطينُ على الحقيقة ، وأنهم من نجل الشياطين ؛ أو تزعمون أنهم كانوا إنساً فمُسِخُوا بعدُ جنًّا ؛ أم يكون قوله لذلك الرجل شيطان ، على مثل قوله ﴿ شَيَاطِينُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾ وعلى قول عمر : لَأَنْزَعَنَّ شَيْطَانَهُ مِنْ نُخْرَتِهِ^(٤) ، وعلى قول منظور بن رواحة^(٥) : فلما أتاني ما تقبلُ تَرَقَّصْتُ شَيَاطِينَ رَأَيْتُ وَأَنْتَشِينَ مِنَ الْخَمْرِ

(١) ل : « يتخرق السكك » .

(٢) ط : « يتبع الحمام » .

(٣) ل : « الحرمين والمنصرين » .

(٤) النخرة ، بالضم وكهزة : متمدم الأنف . ط : « نخرته » تصحيف . وانظر ٦ : ١٩٣ .

(٥) ط : « منصور بن رواحة » . وانظر عن ٣٠١ .

وقد قال مرّة أبو الوجيه العُكَلِيّ : « وكان ذلك حين ركبني شيطاني »
قيل له : وأيّ الشياطينِ تعني ؟ قال : الغضب .

والعرب تسمّى كلّ حيّةٍ شيطاناً . وأنشد الأصمعي :
تُلاعب مني حَضْرَمِيٌّ كأنّه تعمّج شيطانٍ بذى خِرْوَعٍ قَفَرٍ (١)
وقالت العرب : ما هو إلا شيطان الحَمَاطة . ويقولون : « ما هو إلا شيطان »
يريدون القبح ؛ و « ما هو إلا شيطان » ، يريدون الفِطنة وشدّة العارضة .
وروى عن بعض الأعراب في وقعة كانت : والله ما قتلنا إلا شيطاناً برصاً (٢)
١٤٦ لأنّ الرجل الذي قاتلهم كان اسمه شيطان ، وكان به برص .

وفي بني سعد بنو شيطان . قال طفيلُ الغنوي :

* وشيطان إذ يدعوهم ويثوب (٣) *

وقال ابن ميادة :

فأما أتاني ما تقول محاربٌ تغنّت شياطيني (٤) وجنّ جنونها

وقال الراجز :

إنّي وإن كنتُ حديثَ السنِّ وكانَ في العينِ نُبوءُ عٍ
فإنّ شيطاني كبيرُ الجنِّ

وقال أبو النّجم :

إنّي وكلّ شاعِرٍ من البَشَرِ شيطانُهُ أنثى وشيطانِي ذَكَرٌ

وهذا كلُّه [منهم] على وجه المثل ، وعلى قول منظور بن رَواحة :

أتاني وأهلي بالدمّاخِ فغمرةٌ مسبُّ عُوفِ اللّومِ حتى بنى بدرٍ (٤)

(١) تعمج : تلوى . وفق ط : « تنعج » وهو تحريف ، وانظر ص ١٥٣ .

(٢) ل : « شياطينا برصا » والوجه ما في ط .

(٣) شيطان هو ابن الحسك ، فارس الخذواء . وصدر البيت كما في اللسان (شطن ، شيط ، خذا) :
* وقد منّت الخذواء منا عليهم *

(٤) ط : « شياطين » وصوابه في ل . وانظر ص ١٥٢ وثمار القلوب ٥٧ .

(٥) ط : « بالرمّاح » ل : « بالدمّاخ » . وانظر ياقوت (دمّاخ ، غمرة) . ل : « حتى بنى بدر » .

فلما أتاني ما يقول ترقصت شياطين رأسي وانتشين من الخمر

(خرافةُ العذريُّ)

وفدرويتم عن عبد الله بن فايد بإسنادٍ له يرفعه قال : خرافة رجل من بني عذرة استهوته الشياطين ، فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم [يوماً] بحديث فقالت امرأة من نسائه : هذا من حديث خرافة قال : « لا وخرافة حق » .

(حديث عمر مع الذي استهوته الجن)

ورويتم أن شريك بن خناسة دخل الجنة وخرج منها ومعه ورقة من ورقها ، (١) وأن عمر سأل الرجل المفقود الذي استهوته الجن فقال : ما كان طعامهم (٢) ؟ قال : الفول والرمّة . (٣) وسأل عن شرابهم فقال : الجذف (٤) . وقال الأعشى :

وإني وما (٥) كلفتموني وربكم لأعلم من أمسى أعق وأخوبا
لكالثور والجنى يضرب ظهره (٦) وما ذنبه أن عافت الماء مشربا

(١) « من ورقها » ساقطة من ل .

(٢) ط : « طعامكم » .

(٣) ط : « البعر والبول والرمّة » .

(٤) الجذف بالتحريك : نبات يكون باليمن لا يحتاج آكله معه إلى شرب ماء . ابن الأثير .
وفي ط : « الجذق » وهو تحريف .

(٥) ط . س : « وإن » وتصحيحه من ل وهذا الجزء ص ١٩ .

(٦) ط : « ظهره » وهو تحريف .

(من خنقته الجن ، ثم عود إلى الحوار)

وزعمَ أنَّ الجنَّ خنقت حرَّبَ بن أمية ، وخنقت مرداسَ بن أبي عامر ،
وخنقت الغريص المغني ، وأنها قتلت سعد بن عبادة ، واستهوت عمرو بن عدى
واستهوت عمارة بن الوليد ؛ فأنتم أملياء بالخرافات (١) أقوياء على ردِّ الصحيح
وتصحيح السقيم ، وردِّ تأويل الحديث (٢) المشهورِ إلى أهوائكم . وقد
١ : عارضناكم وقابلناكم وقارضناكم .

وقالوا : في الحديث أنه « من اقتنى كلباً ليس بكلب زرع ولا ضرع
ولا قنص فقد أثم (٣) » . فهاتوا شيئاً من جميع الحيوان يصلح للزرع
والضرع والقنص . وبعد فهل اتخذوا كلبَ الضرع إلا ليحرسَ الماشيةَ
وأولادها من السباع ؟ وهل عند الكلبِ عند طروق الأسد والنمر والذئب
وجميع ما يقتات اللحان من رؤساء السباع ، إلا صياحه ونباحه وإنذاره
ودلالته ، وأن يشغلها بعض الشغل ، ويهجهج بها بعض الهججة ، إلى أن
يلحق بها من يحميها ، ويتوافى إليها (٤) من يذود عنها ، إذ ليس في هذا
القياس أنا متى وجدنا دهنأ تكثُر فيه اللصوص ويفشو فيه السراق ،
وتظهر فيه الثقب ، ويشيع فيه التسلق ، ممن إذا أفضى إلى منزلِ القوم لم
يرضَ إلا بالحرية (٥) ليس دونها شيء ، أو يأتى على الأنفس ، وهو لا يصل
إلى ما يريد حتى يمرَّ على النساء مكشفات ، ومن عسى إذا أخذ المرأة أخذ يدٍ
ألا يرضى أن يتوعَّد بذبح الأولاد [و] أن يتقى بالمال ، (٦) حتى يذبح ،

(١) ل : « ملأء بالخرافات » وهما بمعنى .

(٢) ط : « ورد بأن التنزيل والحديث » والصواب في ل .

(٣) ط : « فهو أثم » .

(٤) ل : « إليه » .

(٥) الحرية : المال الذي يعيش به الإنسان ، أو المال الذي يسلب منه . وفي ط : « بالحرية » .

(٦) ل : « وإن لم يتق بالمال » والوجه ما في ط .

ومن عسى إن تمسكن شيئاً أو أمن قليلاً ، أن يركب الحرم بالسوءة العظمى
وبالتى لاشوى لها^(١) . فهذا الحال أحق بالحراسة من تلك الأحوال .
وبعد فلم صار نساء الحرمين يتزاورن ليلاً ، ونساء المصريين^(٢)
يتزاورن نهاراً ، ونساء الحرمين لا يرين نهاراً ، ونساء المصريين^(٢) لا يرين
ليلاً ؛ إلا للمكابرات ولمسكان كثيرة من يستقفي ويتحوب^(٣) للنقب
والتسلى . وإذا كان الأمر كذلك فأى الأمور أحق بالتحصين^(٤) والحياطة ،
وأيهما أشبه بالتغريب والإضاعة : اتخاذ الكلاب التى لاتنام عند نوم من
قد دأب نهاره ، أو ترك اتخاذها ؟ ويقظة السراق على قدر نوم المسروقين .
وعلى أننا لو حللنا^(٥) بين حرس الأسواق وما تشتمل عليه من حرائب
الناس^(٦) ، وبين اتخاذ الكلاب ، لادتنعوا من ضمان الحراسة ، ولا تمنع
كل محروس من إعطائهم^(٧) تلك الأجرة ، ولو وجد اللصوص ذلك من أعظم
الغنم وأجود الفرض^(٨) . أو ما تعلمون أن هذا الحريم ، وهذه الحرمات^(٩) وهذه
العقائل من الأموال ، أحق بالمنع والحراسة والدفع عنها بكل حيلة ، من
حفظ الغنم وحريم الراعى وحرمة الأجير ؟ !
وبعد فإن الذئب لا يجتمع على قطيع واحد ، والذي يخاف من الذئب
السلة والخطفة^(١٠) ، والاستلاب والاختلاس . والأموال التى فى حوانيت

(١) يريد بالإصابة التى لاتخطئ .

(٢) ط : « المصريين » وهو تحريف .

(٣) ط : « ومن يتخوف » .

(٤) ط : « بالتحصيل » وهو تحريف .

(٥) ط : « جعلنا » وهو تحريف .

(٦) ط : « جراءة الناس » وهو تحريف . وسبق قريباً تفسير الحرية .

(٧) فى الأصل : « إعطائهم » والضمير ضمير الحرس . فالصواب ما كتبت .

(٨) فى الأصل : « الفرض » .

(٩) ط : « الحرمات » .

(١٠) ل : « والخطف » وهما بمعنى .

١٤٦ التجار وفي منازل أهل اليسار يأتيها من العدد والعدّة ، ومن مُجِب أصحاب النجدة ، من يحتملها بخذافيرها ، مع ثقل وزنها وعظم حجمها ، ثمّ يجالدون دون ذلك^(١) بسيف الهند وبالأذرع الطوال . وهم من بين جميع الخليمة لولا^(٢) أنهم قد أحسّوا من أنفسهم الجراعة وثبات العزيمة ، بما ليس من غيرهم ، لكانوا كغيرهم ، ولولا أن قلوبهم أشدّ من قلوب الأسد لما خرّجوا ، على أن جميع الخلق يطالبونهم ، وعلى أن السلطان لم يُولّ^(٣) إلا لمكانهم . و [الكلاب لم تتخذ إلا لـ] الإنذار بهم ، وعلى أنهم إن أنذروا بهم قاتلوا قتال من لا ينجيه إلا القتال ، وعلى أنهم إذا أخذوا ماتوا كراما .

ولعلّ المدينة قد كانت [في] ذلك الدهر مأمونا عليها من أهل الفساد^(٤) وكان أكثر كلابها عقورا ، وأكثر فتيانها من بين مُهارشٍ أو مقاميرٍ . والكلبُ العقورُ والكلبُ السكبُ أشدُّ مضرّةً من الذئب المأمور بقتله .

وقد يعرض للكلاب السكب والجنون لأمر : منها أن تأكل لحوم الناس ، ومنها كالجنون الذي يعرض لسائر الحيوان .

(قتل العامة للوزغ)

وجُهاالُ الناس [اليوم] يقتلون الوزغ ، على أن آباءها وأمهاها^(٥) كانت تنفخ على نار إبراهيم ، وتنقل إليها الحطب . فأحسب أن آباءها

(١) ط : « على ذلك » .

(٢) ل : « أولى » والصواب في ط .

(٣) ط : « يولم » .

(٤) ل : « مأمونة من أهل الفساد » وأثبت ما في ط .

(٥) ط : « أباهها وأمهاها » والوجه ما في ل .

وأَمْهَاتِهَا قَدْ كُنَّ يَعْرِفُنْ فَصَلَّ (١) مَا بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْمُنْتَبِيِّ ، وَأَنْبَنَ اعْتِمَادُنْ
عِدَاوَةَ إِبْرَاهِيمَ ، عَلَى تَقْصِيرٍ فِي أَصْلِ النَّظَرِ ، أَوْ عَنِ مَعَانِدَةِ بَعْدِ الْإِسْتِبَانَةِ
حَتَّى فَعَلْنَا ذَلِكَ - كَيْفَ جَازَ لَنَا أَنْ تَزِرَ وَازِرَةٌ وَزِرًا أُخْرَى ؟ ! إِلَّا أَنْ
تَدَّعَوْا أَنْ هَذِهِ الَّتِي نَقَنَاهَا هِيَ تِلْكَ الْجَاهِدَةُ لِلنَّبُوَّةِ ، وَالْكَافِرَةُ بِالرَّبُوبِيَّةِ .
وَأَنْهَا لَا تَنَّا كَحِ وَلَا تَتَوَالِدُ .

وَقَدْ يَسْتَقِيمُ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ (٢) أَنْ تَقْتَلَ أَكْثَرَ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ ، إِمَّا
مِنْ طَرِيقِ الْحَمِيَّةِ وَالتَّعَبُّدِ (٣) وَإِمَّا إِذَا (٤) كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَضَى عَلَى
جَمَاعَتِهَا الْمَوْتَ ، أَنْ يَجْرَى ذَلِكَ الْمَجْرَى عَلَى أَيْدِي النَّاسِ ، كَمَا أَجْرَى مَوْتَ
جَمِيعِ النَّاسِ عَلَى يَدِ مَلِكٍ وَاحِدٍ . وَهُوَ مَلِكُ الْمَوْتِ .

وَبَعْدَ فَعَلْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ [إِنْ] كَانَ قَالَهُ ،
عَلَى الْحِكَايَةِ لِأَقَاوِيلِ قَوْمٍ . وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَى مَعْنَى كَانَ يَوْمَئِذٍ مَعْلُومًا
فَتَرَكَ النَّاسُ الْمَعْلَةَ وَرَوُوا الْخَبَرَ (٥) سَالِمًا مِنَ الْعِلَلِ ، مَجْرَدًا غَيْرَ مُضْمَنٍ (٦) .
وَلَعَلَّ مَنْ سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ شَهِدَ آخِرَ السَّكَلَامِ وَلَمْ يَشْهَدْ أَوَّلَهُ . وَلَعَلَّهُ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَصَدَ بِهَذَا السَّكَلَامِ إِلَى نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ كَانَ دَارَ بَيْنِهِمْ
وَبَيْنَهُ فِيهِ شَيْءٌ . وَكُلُّ ذَلِكَ مُمْكِنٌ سَائِعٌ (٧) غَيْرَ مُسْتَنْكَرٍ وَلَا مَدْفُوعٍ .

(١) فصل : فرق . وفي الأصل : « فصل » .

(٢) ل : « في البدى الأمر » .

(٣) ط : « المحبة والتعبد » ووجهه في ل .

(٤) ط : « وإما إذا » .

(٥) ط : « وردوا الخبر » وهو تحريف .

(٦) ط : « غير مميز » .

(٧) ل : « شائع » وهو تحريف ما في ط .

وقد رويت [في الفواسق ما قد رويت في ^(١) الحية والحدأة والعقرب
والفأرة والغراب ، ورويت [في الكلب العقور ، وكيف يُقتلن ^(٢) في الحبل
والحرَم . فإن كنتم فقهاء فقد علمتم أن تسمية الغراب بالفسق ، والفأرة
بالتفوسقة ؛ أن ذلك ليس من شكل تسمية الفاسق ^(٣) ، ولا من شكل
تسمية إبليس .

وقد قالوا : ما فجرها إلا فاجر ، ولم يجعلوا الفاجر اسماً له لا يفارقه .
وقد يقال للفاسق من الرجال : خبيث . وقد قال صلى الله عليه وسلم :
« من أكل من هذه الشجرة الخبيثة ^(٤) فلا يقربن مصلانا » وهو على غير
قوله عز وجل ﴿ الخبيثات للخبيثين ﴾ . وقد قال بعض الرُّجَّاز
وذكر ذنباً :

أما أذاك عني الحديثُ إذ أنا بالغائطِ أستغيثُ
والذئبُ وسطَ غنمي يعيثُ وصحتُ بالغائطِ يا خبيثُ

وهذا الباب كثير ، وليس هذا موضعه ، وقد ذكرناه في كتاب
الاسم والحكم .

وقد يشبه الاسمُ الاسمَ في صورة تقطيع الصوت ، وفي الخطُّ
في القرطاس ، وإن اختلفت أما كنهه ودلائله . فإذا كان كذلك فإنما يعرف
فضله بالمتكلمين به ، وبالحالات والمقالات ، وبالذين عنوا بالكلام .
وهذه جملة ، وتفسيرها يطول .

(١) في الأصل : « من » .

(٢) ط : « يقتل » والوجه ما في ل .

(٣) ط : « القاذق » . ل : « القاذف » والوجه ما أثبت .

(٤) قال ابن الأثير : يريد الثوم والبصل والكراث .

(القتل والقصاص)

وقالوا : قد أمرنا بقتل الحيّة والعقرب ، والمذئب والأسد ، على معنّى
بنتظم معنيين^(١) : أحدهما الامتحان والتعبّد بفكر القاب وعمل الجارحة ،
لا على وجه الانتقام والعقوبة . وأمرنا بضرب الباغي بالسيف إذا كانت
العصى لا تُغنى فيه على جهة الدّفْع وعلى جهة العقاب ، ولم نُؤمّر بالقصد إلى
قتله ، وإنّما الغاية في دفع بأسه عنا ، فإن أتى إلى ذلك المقدار عليه ، كان
كسارقٍ مات من قطع يده ، وقاذفٍ مات عن جلد ظهره^(٢) . وقد أمرنا
بالقصد إلى قتل الحيات والعقارب وإن لم تعرض لنا في ذلك الوقت ؛
لأنّ جنسها الجنس المثلّف متى همّ بذلك . وليس لنا أن نضرب الباغي
بالسيف إلّا وهو مقبلٌ غيرٌ مدبرٌ ، ولنا أن نقتل الحيّة مقبلةً ومدبرةً ، كما
يُقتل الكافرٌ مقبلاً ومدبراً ؛ إلّا أنّ قتل الكافر يجمع الامتحان^(٣)
والعقوبة ، وليس في قتل الحيّة إلّا الامتحان . وقد كان يجوز أن تمتحن
بحبسها^(٤) والاحتياط لمنعها ، دون قتلها . وإذا ولى الباغي من غير أن يكون
يريد الرجوع إلى فئة : فحكمه الأسر والحبس [أبدأ] إلى أن يُؤنّس منه
النزوعُ . وسبيل الأحناشِ والسباعِ وذوات السموم من الهمج والحشرات ،
القتلُ مقبلةً ومدبرةً . وقد أبيع لنا قتلُ ضروبٍ من الحيوان عند ما يبلغ

(١) في الأصل : « بمعنيين » ، وهو تحريف .

(٢) ط : « من جلد ظهره » .

(٣) ط : « الانتقام » .

(٤) ط : « يمتحن لجنسها » وهو تحريف .

من جزاياتها علينا الخدش ، فضلاً عن الجرح والقتل ، كالبعوض والنمل ،
والبراغيث والقمل .

والبعيرُ قتلُهُ فسادٌ ، فإن صال على الناس كان قتلُهُ صلاحاً . والإنسان
قتله حرام ، فإن خيفَ منه كان قتلُهُ حلالاً .

(طائفة من المسائل)

والحديث عن مسخ الضبِّ والجريِّ ، وعن مسخ السكلاب والحكأة
وأنَّ الحمامَ شيطان ، من جنس المزاح الذي كُنَّا كتبنا به إلى بعض
إخواننا^(١) ممن يدعى علمَ كلِّ شيء ، فجعلنا هذه الخرافاتِ وهذه الغمطنَ
الصغارَ ، من باب المسائل .

فقلنا له : ما الشنقنقُ والشيصبانُ^(٢) وتنكوير^(٣) ودركاذاب^(٤)
ومن قاتل امرأة ابنِ مقبل ؟ ومن خانق الغريص^(٥) ؟ ومن هاتف سعد^(٦) ؟

(١) هو أحمد بن عبد الوهاب الذي صنع فيه الجاحظ رسالة « التريخ والتدوير » .
(٢) الشنقنق والشيصبان - زعموا - : رئيسان عظيمان من الجن . وسيتحدث عنهما الجاحظ
في الجزء السادس . وانظر الثمار ص ٥٥ . وفي ل : « الشيصبان » بحرفا .
(٣) ل : « تنكوير » وفي رسائل الجاحظ ١٠٦ : « بركوير » .
(٤) ل : « ركازات » وفي الرسائل : « دركاذاب » .
(٥) الغريص هو عبد الملك ، كان مولداً من مولدى البربر ، وولاهه للثريا صاحبة عمر
ابن أبي ربيعة ، وكان من رؤساء الغناء أخذ عن ابن سريج . وانظر حديث قتل الجن له
في الأغاني ٢ : ١٤٣ .

(٦) هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الخزرجي ، صحابي كان سيد الخزرج ، وكان
يلقب في الجاهلية بالكامل ، لمعرفة الكتابة والرمي والسباحة . توفي سنة ٥٥ هـ وزعموا
أن الجن قتلته ، وسمع هاتفهم يقول :

قد قتلنا سيد الخزر ج سمد بن عباده
ورميناه بسمين فلم نخط فواده

وخبّرنا عن بنى أقيش^(١) وعن بنى لبني ، ومن زوّجها ؟ وعن بنى غزوان
ومن امرأته ؟ وعن سملقة وزوبعة^(٢) ، والميدعان^(٣) ، وعن النقاد ذى الرقبة^(٤)
وعن آصف ، ومن منهم أشار بأصفر سليم^(٥) ، وعن أطيقس اسم كلب
أصحاب الكهف ، وكيف صارت الكلابُ لاتنبح من سماه^(٦) ؟ وأين
بلغ كتابُ شَرطهم ؟ وكيف حدّثوا عن ابن عباسٍ في الفأر والقرد والخنزير
والفيل والأرنب والعنكبوت والجُرّي ، أنهنّ كلهنّ مسخ [وكيف خُصّت
هذه بالمسخ ؟] وهل يحلُّ لنا أن نُصدّق بهذا الحديث عن ابن عباس ؟
وكيف صارت الطباءُ ماشيةً الجنّ ؟ وكيف صارت الغيلان تُغيّر كلَّ شيء
إلا حوافرها ؟ ولم ماتت من ضربةٍ وعاشت من ضربتين^(٧) ؟ ولم صارت
الأرانب والكلاب والنعامُ مراكبَ الغيلان ؟ ولم صارت الرواقيد مطايا
السّواحر ؟ وبأى شيء زوّج أهلُ السّعلة ابن يربوع ؟ وما فرق ما بينه وبين
عبد الله بن هلال ؟ وما فعلت الفتاة التي كانت سميت بصبر على يد حرمي

(١) ط : « ابن أقيش » ! وبنو أقيش : حى من الجن .

(٢) زوبعة ، هو الجنى الذى صنع لسليمان صرحا مرادا من قوارير التيجان ١٦١ . وانظر ٦ : ٢٣١ .

(٣) ط : « والميدعات » .

(٤) ل : « النقاد ذى الرقبة » .

(٥) أصفر سليم . قال الثعالبي في ثمار القلوب ١١٩ : « كان سليم صيدلانيا بالبصرة .
وقد عجن دواء أصفر لكل ما شرب له ، فكان يستشق به كل مبرود ومحروز ،
فصار مثلا في البركة وحسن الموقع » اهـ . وقال ابن قتيبة في المعارف ٢٦٥ : « كان
لعبيد الله بن أبي بكرة ثلاثة وكلاء : يقال لهم سليم الناصح ، وسليم الغاش ،
وسليم الساحر ، وهذا هو الذى عمل أصفر سليم » . في ط : « أشعار بأصفر
سليم » وهو تحريف صوابه في ل ، س و م .

(٦) ط : « أطيغش » . وفي ل : « من سماها » وهو تحريف . وانظر قول الدميرى في كلب
أصحاب الكهف ٢ : ٤٢٨ .

(٧) سيتحدث الجاحظ عن هذا في الجزء السادس ص ٢٢٣ - ٢٣٥ .

وأبي منصور^(١) ؟ ولم غضب من ذلك المذهب ؟ ولم مضى على وجهه
شفشف^(٢) ؟ وما الفرق بين الغيلان والسعالى ، وبين شيطان الخضراء^(٣)
وشيطان الحماطة ؟ ولم علق السمك المالح بأذنايه [والطرى بأذانه]^(٤)
وما بال الفراخ تُحمل بأجنحتها والفراريح بأرجلها ؟ وما بال كل شيء أصل
لسانه مما يلي الخلق^(٥) وطرفه مما يلي الهواء ، إلا لسان الفيل ؟ ولم قالت
الهند : لولا أن لسانه مقلوب لتكلم ؟ ولم صار كل ما ضغ وآكل يُحرك فكّه
الأسفل ، إلا التمساح [فإنه^(٦)] يُحرك فكّه الأعلى ؟ ولم صار لأجفان
الإنسان الأشفار ، وليس ذلك للدواب إلا في الأجفان العالية ؟ وما بال عين
الجرادة وعين الأفعى لاتدوران ؟ وما بيضة العُقر^(٧) وما بيضة الديك ؟
ولم امتنع بيض الأنوق ؟ وهل يكون الأبلق العقوق^(٨) وما بال لسان سمك
البحر [عديما] ؟ وما بال الغريق من الرجال يطفو على قفاه ، ومن النساء
على وجهه^(٩) ؟ ولم صار القليل إذا قُتل يسقط على وجهه ثم يقلبه ذكوره ،

(١) ل : « سمية نصير على يد جرى . . الخ » .

(٢) ل : « سفشف » .

(٣) ط : « الحصر » .

(٤) ط : « المليح بأذنايه » . وتعليق السمك الطرى بأذانه عبارة تهكمية ، فليس للسمك
أذن ظاهرة .

(٥) ط : « مما يلي الفم » ل : « مما يلي داخل » .

(٦) احرف يحتاج إليه الكلام .

(٧) ل : « المصفور » وهو تحريف . وبيضة العقوق هي التي تمتحن بها المرأة عند الافتضاض
أو أول بيضة للدجاجة ، أو آخرها ، أو بيضة الديك يبيضها في السنة مرة .

(٨) الأبلق : الفرس فيه سواد وبياض ، وهو ذكر . والعقوق : الحامل أو الحائل ، وهي
أنثى . ولا يكون الذكر أنثى .

(٩) ل : « يظهر على قفاه » . ط : « ومن النساء على وجهها » .

وأين تذهب^(١) شِقْشِقَةُ البعير وغُرْمُول الحمار [والبُغْل] وكَبِدُ الكوسج
بالنهار ، ودمُ الميت ؟ [ولم انتصب خَلْقُ الإنسان من بين سائر الحيوان] ؟
وخبَّرني عن الضفادع ، لم صارت تنقُّ بالليل^(٢) وإذا أوقدت النارُ
أمسكت^(٣) ؟ .

وقالوا : قد عارضناكم بما يجري مجرى الفساد والخرافة . لنددكم إلى
الاحتجاج بالخبر الصحيح المخرج للظاهر^(٤) .

فإن أعجبتك هذه المسائلُ ، واستطَرَفْتَ هذا المذهب ، فاقرأ رسالتي^(٥)
إلى أحمد بن عبد الوهاب الكاتب ، [فهي مجموعةٌ هناك] .

(أصناف الكلاب)

والكلابُ أصنافٌ لا يحيط بها^(٦) إلا من أطالَ الكلام . وجملة
ذلك أن ما كان منها للصيد فهي الضراء ، وواحدُها ضروءة^(٧) ، وهي
الجوارح والكواسب ، ونحن لانعرفها إلا السُّلُوقِيَّة ، وهي من أحرار الكلاب
وعتاقتها^(٨) ، والجلاسية^(٩) هجتها ومقاريفها . وكلابُ الرعاء من زينيتها

(١) ط : « وما بال » .

(٢) النقيق : صوت الضفدع . وفي ط : « تنعق » : والنقيق إنما هو لليوم والغربان .

(٣) ل : « إذا أبصرت النهار أمسكت » وهو تحريف ، صوابه في ط وفي
الحيوان ٤ : ٤٨٦ .

(٤) هذه الفقرة دخيلة وليس هذا موضعها .

(٥) في الأصل : « فاقدِر رسالتي » والوجه « فاقرأ » .

(٦) ل : « لا يحصيها » .

(٧) ط : « ضار » وهو تحريف .

(٨) في الأصل : « وهي في أحرار الكلاب وعتاقتها » وصححه كاتري .

(٩) ط : « الجلّاسية » وهو تصحيف .

وكرديها فهي كرادتها^(١) .

وقد تصيد الكلابُ غيرُ السلوقيَّةِ ، ولكنها تنصّر عن السلوقيَّةِ بعيداً . وسلوق من أرض اليمن كان لها حديدٌ جيّد الطبع ، كريم العنصر حرُّ الجوهر . وقد قال النابغة^(٢) :

تَقْدُ السَّلُوقِيُّ المِضَاعَفَ نَسِجُهُ وتوقد بالصنمّاح نارَ الحباحِبِ
وقال الأصمعيّ : سمعتُ بعضَ الملوك وهو يركض خلفَ كلبٍ وقد دنا
خطمه من عَجَبِ ذنبِ الظبي^(٣) وهو يقول : إيه فدتك^(٤) نفسي !!
وأُشْد لبعض الرجاز^(٥) :

* مفديّات وملعّعات^(٦) *

قال صاحب الديك : فلماً صار الكلبُ عندهم يجمع خصالَ اللؤمِ
والنذالة ، والحرصِ والشَّره^(٧) ، والبذاء والتسرُّع وأشباه ذلك ، صاروا
يشتقون من اسمه لمن هجوه بهذه الخصال . وقال بشر :

واستعْنِ بالوجباتِ عن ذهبٍ لم يبقَ قبلكَ لامرئٍ ذهبُهُ^(٨)
يردُّ الحريصُ على متالفه والليثُ يبعثُ حينه كلبُهُ

(١) كذا وفي ل : « حوادبها ومحامرها » .

(٢) ط : « الشاعر » . والبيت من قصيدة النابغة الذبياني التي مطلعها :

كليفي لهم يا أميمة ناصب وليل أفايه بطيء الكواكب

(٣) ط : « الظباء » وهو تحريف .

(٤) ل : « إياها » .

(٥) ط : « الرجال » .

(٦) ط : « مفديّات ومحميات » .

(٧) في الأصل : « الشده » ، وإنما هو الشره قرين الحرص .

(٨) المرتضى في أماليه ٢ : ٢٩ قبل ذكر هذا البيت : « قال ابن السكيت : يقال فلان يأكل الوجبة إذا كان يأكل في اليوم والليلة وجبة » . وفي ل : « الوجبات » وهو تحريف .

(ما اشتق من اسم الكلب)

قال صاحب الكلب : لما^(١) اشتقوا من اسمه للأشياء المحمودة أكثر .
قال عامر بن الطفيل^(٢) :

ومدجج يسعى بشكته محررة عيناه كالكلب^(٣)

ومن ولد ربيعة بن نزار كلب^(٤) بن ربيعة ، وكلاب بن ربيعة ،
ومكالب بن ربيعة ، ومكلبة بنو ربيعة [بن نزار] . وفيهم من السباع
أسد ، وضبيعة ، وذئب ، وذؤيب ، وهم خمسة عشر رجلا ثمانية من
جميع السباع ، ومن الثمانية أربعة مشتقة من اسم الكلب . ومن هذا
الباب كليب^(٥) بن يربوع ، وكلاب بن ربيعة ، وكلب بن وبرة . ومنه
بنو الكلبة ، قال الشاعر :

سيكفيلك من ابني نزار لراغب بنو الكلبة الشم الطوال الأشاجع^(٦) ٥٢
والكلبة لقب مية بنت علاج بن شحمة العنبري . وبنوها بنو الكلبة
الذين سمعت بهم - تزوجها خزيم بن [النعمان] من بني ضبيعة بن
ربيعة بن نزار ، فهي أمهم . وفيها يقول شبيل بن عذرة^(٧) الضبيعي

(١) في الأغاني (١٢ : ٥٠) أن الشعر للحارث بن الطفيل .

(٢) في الأصل : « كلما » والوجه ما أثبت .

(٣) المدجج عنى به التنفذ ، للشوك الذي عليه . اللسان (دجج) والمخصص ٨ : ٩٥ .

(٤) ل : « أكلب »

(٥) ل : « كلب » .

(٦) ماعدال : « لواغب » . وانظر الاشتقاق ١٩٣ .

(٧) هذا العلم كثيرا ما يقع فيه التحريف والتصحيف ؛ فقد ورد في خزينة الأدب (انظر

١ : ٩٢) برسم (شبيل بن عمرو) ، وفي الأمل (١ : ٤٨) (شبيل بن عروة)

وفي فهرست ابن النديم ٦٨ مصر (شبيل بن عرعة) وفي التاموس (شبيل

ابن عروة) وفي ط من الحيوان (شبيل بن عذرة) ، وصبواب هذا

كله ما أثبتته من ل ، وما نبه عليه الزبيدي في تاج العروس ، وكما ضبطه ابن دريد

في الاشتقاق ١٩٣ جوتنجن . وقد نبت على ذلك في تصحيحى للخزينة . =

صاحب الغريب - وكان شيعياً من الغالية (١) ، فصار خارجياً من الصُّفريّة - :

بنو كلبيةٍ هرّارةٍ وأبوهمُ خزيمةٌ عبدُ خاملٍ الأصيلِ أو كسُ
وفي مئةٍ [الكلبة] يقول أبوها ، وهو علاج بن شحمة (٢) :

إنّ تكُ قد بانت بمئةٍ غربةٍ فقد كان مِمّالا يَمَلُّ مزارها (٣)
دعتها رجالٌ من ضبيعةٍ كلبيةٍ وما كان يُشكى في المحولِ جوارها (٤)

ومما اشتقَّ له من اسم الكلب من القرى والبلدان والناس وغير ذلك ، قولهم في الرقعة التي كانت بإرم الكلبة (٥) . ومن ذلك قولهم : حين نزلنا من السّراة صرنا إلى نجد الكلبة .

وكان سبب خروج مالك بن فهم بن غنم بن دوس إلى أزد شنوءة من السراة (٦) أنّ بني أخته قتلوا كلبه جاراه ، وكانوا أعدّ منه (٧) فغضب ومضى ، فسمّى ذلك النجد الذي هبط منه نجد الكلبة .

[وبطسوج بأدوريا نهر يقال له : نهر الكلبة] .

ويقولون : كان ذلك عند طلوع كوكب الكلب . ومن ذلك قولهم :

= وشبيل هذا من خطباء الخوارج وعلمائهم ، وله قصيدة في الغريب ، وكان أولا رافضياً ثم انتقل إلى الشراة وبرى من الروافض ، ومات بالبصرة . هذه ترجمة ابن النديم له ، وهي تشبه ترجمة الملاحظ .

(١) ط : « من كبار الشيعة » ومثله في س .

(٢) ل : « شحمة » .

(٣) ط : « ميالا يمل » وهو تحريف .

(٤) ل : « في المحل » .

(٥) إرم الكلبة : موضع قريب من النجاج بين البصرة والحجاز ، وللعرب فيه يوم قتل فيه بجير بن عبد الله بن سلمة ، قتله قعنب الرياحي . معجم البلدان .

(٦) ل : « من أزد شنوءة بالسراة » .

(٧) أعدّ منه : أكثر عدداً . وفي ل : « أنجد » . وفي ط : « لجارهم » موضع « لجاره » .

عبّاد بن أنف الكلب . ومن ذلك أبو عمر الكلبُ الجرميّ النحويّ (١) .
وكان رجلاً من العلية عالماً ، عَرَضِيًّا [نحويًّا] فرضيًّا . وعلّويه (٢) كلب المطبخ ،
وكان أشرب الناس للنبيذ ، وقد راهنوا بينه وبين محمد بن عليّ .

والكلب : كلب الماء ، وكلب الرحي (٣) والضبة التي يقال لها الكلب .
وكذلك الكلبة والكلبتان ، والكلّاب والكلّوب .

وقال راشد بن شهاب في ذلك المعنى :

أمكن كلاب القنا من ثغورها وأخضب ما يبدومن استاهها بدم (٤)
[وقال] :

فسوف يرى الأقوام ديني ودينكم إذا كلبتا قينٍ ومقراضه أزم (٥)
وقال الراجز :

ما زال مذكّان غلامًا يستر (٦) له على العير إكافٌ وثفرٌ
والكلبتان والعلّة والنوتر * .

وقال أشهب بن ربيعة : وكان أول من رمى بنى مجاشع بأنهم قيون : ١٥٣

- يا عجبًا هل يركب القينُ الفرسُ وعرقُ القينِ على الخيلِ نجس (٧)
وإنما أداته إذا جلس الكلبتان والعلّة والقبسُ

وكان اسم المزنوق فرس عامر بن الطفيل : الكلب .

(١) هو صالح بن إسحاق الجرمي ، مولى جرم بن ربان ، أخذ عن الأخفش ويونس وأبي عبيدة ،
وحدث عنه المبرد ومات سنة ٢٢٥ . وفي الأصل : « أبو عمرو » وهو تحريف . انظر
نزهة الألباء ١٩٨ وبغية الوعاة ٢٦٨ ووفيات الأعيان ١ : ٢٢٨ .

(٢) ط : « علمويه » . محرف . وانظر الحيوان ٢ : ٢٢٨ .

(٣) ط : « الرحاء » وهو تحريف .

(٤) ط : « من نخوره » .

(٥) ط : « كلبت قين » وهو تحريف . وفي ل : « بدم » ببل « أزم » وهو تحريف .

(٦) ل : « تستبر » .

(٧) ل : « الحس » وهو تحريف ، وأشهب يهجو بهذا الشعر الفرزدق . وانظر خبر الشعر
في خزانة الأدب ٢ : ٥١٠ بولاق .

وقد زعمت العلماء أن حرب أيام هراميت^(١) إنما كان سببه كلب

قال صاحب الديك : قد قيل للخوارج : كلاب النار ، وللنوائح

كلاب النار .

وقد قال جندل بن الراعي [لأبيه] في وقوفه على جرير : مالك تطبل

الوقوف على كلب بنى كليب ؟ !

وقال زفر بن الحارث :

يا كلبُ قد كلب الزمانُ علبكمُ وأصابكمُ منّا عذابٌ مُرسلُ
 إنّ السماوةَ لاسماوةَ فالحقى بمنابتِ الزيتونِ وابنيَ جندلُ^(٢)
 وبأرضِ عكٍّ في السواحلِ إنّها أرضٌ تذوبُ بها اللقاحُ وتهزلُ

وقال حصين بن القعقاع^(٣) يرثي عتيبة بن الحارث :

بكر النعيُّ بخيرِ خندفٍ كلّها بعُتَيْبَةَ بنِ الحارثِ بنِ شهابِ
 قتلوا ذوّاباً بعد مقتلِ سبعةٍ فشفيَ الغليلُ وريبةُ المرتابِ
 يومِ الحليسِ بذى الفقارِ كأنه كلبٌ بضربِ جماجمِ ورقابِ

وقال آخر^(٤) :

للهِ درُّ بنى الحداءِ مِنْ نَفَرٍ وكلُّ جارٍ على جيرانه كلبُ
 إذا غدوا وعصى الطلحُ أرجلهمُ كما تنصبُّ وسطَ البيعةِ الصلْبُ

وإذا كان العُودُ سريعَ العلوقِ في كلِّ زمانٍ أوكلَّ أرض^(٥) ،

(١) يوم الهراميت كان بين الضباب وجعفر بن كلاب ، وهو من أيام العرب في الإسلام وكان في زمن عبد الملك بن مروان . معجم البلدان (هراميت) والعمدة لابن رشيد : ٢ : ١٦٧ . والحرب مؤنثة ، وقد تذكر القاموس .

(٢) ط : « جندل » وكذلك في ل . وأثبت ما في س والأغاني ١٧ : ١١٣ .

(٣) ط : « حصين بن القما » .

(٤) هو بشر بن أبي خازم كما في البيان ٣ : ٧٥ . وانظر كلام الجاحظ في هذا الشعر .

(٥) في الأصل : « وكل أرض » والوجه ما أثبت .

في عادة ذلك قالوا : ما هو إلا كلب .

وقالوا : قال النبي صلى الله عليه وسلم [في وزر بن] جابر (١) حين خرج من عنده واستأذنه إلى أهله : « نعم إن لم تدركه أم كلبية » يعني الحمى .

ومما ذكروا به العضو من أعضاء الكلب والكلبية والخلق منهما أو الصفة الواحدة من صفاتهما ، أو الفعل الواحد من أفعالهما ، قال رؤبة :

« لا قيت مطلاً كنعاس الكلب (٢) »

يقول : مطلاً مَقْرَمَطاً (٣) دائماً . وقال الشاعر في ذلك :

يكون بها دليل القوم نجم كعين الكلب في هبي قباع (٤)

قال : هذه أرض ذات غبرة من الجذب (٥) لا يبصر القوم فيها النجم ١٥٤
الذي يهتدى به إلا وهو كأنه عين الكلب ، لأن الكلب أبداً مُغْمِضٌ غير مطبق الجفون ولا مفتوحها . والهبي : الظلمة واحدها هاب ، والجمع هبي مثل غازٍ وغزى . والقباع : التي قبعت في القتام ، واحدها قابع ، كما يقبع القنفذ وما أشبهه في جحره . وأنشد لابن مقبل :

ولا أطرق الجارات بالليل قابعاً قبوع القرني أخلفته مجاعره (٦)

والقبوع : الاجتماع والتقبُّض . والقرني : دويبة أعظم من الحنفساء .

(١) كان ممن وفد مع زيد الخيل إلى الرسول . وانظر الحيوان ٢ : ٣٠٨ .
(٢) للشعالبي قول في هذا البيت بشار الثاقوب ٣١٦ ، وانظر أمثال الميداني (أنوم من كلب) ٢ : ٢٨٠ .
(٣) في ط : « مقرطقا » وليس له معنى يصح . وأصل القرمطة : مقارنة الخطو .
(٤) ط : « هبا » والصواب في ل . وانظر الميداني (كمين الكلب النعاس) .
(٥) ط : « الحر » .
(٦) في الأصل : « أسلمته نجاحره » وانظر ص ٢٣٨ من هذا الجزء .

(شعر في الهجاء له سبب بالكلمة)

وقال الآخر في صفة بعض ما يعرض له من العيوب :

ما ضر تغلبَ وائلٍ أهجوتها أم بُلّتَ حيثُ تناطحَ البحرانِ
إنَّ الأراقمَ لا ينالُ قديمَها كلبٌ عوى متبتمَّ الأسنانِ (١)

وقال الشاعر في منظور بن زبّان :

لبئس ما خلفَ الآباءَ بعدهمُ في الأمّهاتِ عجانُ الكلبِ منظورُ
ومن هذا الضرب قول الأعرابي (٢) :

لقد شانَ صغرى والياها وزيننا لصغرى فتى من أهلها لا يزيناها

كلاب لعاب الكلب (٣) إن ساق هجمة

يعذبُ فيها نفسه ومُهينها

وقال عمرو بن معديكرب (٤) :

لحا اللهُ جرماً كلما ذرَّ شارِقَ وجوهَ كلابٍ هارشتُ فازبأرتِ

وقال أبو سفيان بن حرب :

واوشاتُ نجتني كُमितُ طيرةٌ ولم أجعل النعماءَ لابن شعوب
وما زال مُهرى مزجراً الكلبِ منهمُ لذنُ غدوةٍ حتى دنتُ لغروبِ

وقال عبد الرحمن بن زياد :

(١) ل : « لن ينال قديمها » . والشعر للفوزدق كما في البيان ٣ : ٢٤٨ . وقد سبق

البيت الأول ص ١٣ .

(٢) من هنا يبتدىء سقط كبير في ل ، وسأنبه على نهايته .

(٣) كذا

(٤) له ترجمة في الخزانة ٢ : ٣٨٨ - ٣٩٠ . والبيت من أبيات فيها . وانظر تنبيه البكري

٤٢ وحاسة أبي تمام ١ : ٤٣ . ومعجم البكري ٢٨ - ٢٩ .

دَعَتْهُ بِمَسْرُوقِ الْحَدِيثِ وَظَالِمٍ مِنْ الطَّرْفِ حَتَّى خَافَ بِبَصْبِصَةِ الْكَلْبِ

وقال شريح بن أوس (١) :

وَعَيْرَتَنَا تَمْرَ الْعِرَاقِ وَنَحْلَهُ وَزَادَكَ أَيْرَ الْكَلْبِ شَيْطَهُ الْجَمْرُ

وقال آخر (٢) وهو يهجو قوما :

فَجَاءَ بِخَرَشَاوَى شَعِيرٍ عَلَيَّهِمَا كِرَادِيسٌ مِنْ أَوْصَالِ أَعْقَدَ سَافِدِ

وقال الحارث بن الوليد :

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا هَشُّوا وَقَالُوا : مَرَحِبًا بِالْمُقْبِلِ

وَبَقِيْتُ فِي خَلْفٍ كَأَنَّ حَدِيثَهُمْ وَلَعُ الْكِلَابِ تَهَارَشَتْ فِي مَنْهَلِ

وقال سبرة بن عمرو الفقعسي ، حين ارتشى ضمرة النهشلي ، ونفر عايبه

عباد بن أنف الكلب الصيداوي (٣) فقال سبرة :

يَا ضَمْرُ كَيْفَ حَكَمْتَ أُمَّكَ هَابِلٌ وَالْحَيْكُمُ مَسْئُولٌ بِهِ الْمُتَعَمِّدُ

أَحْفِظْتَ عَهْدًا أَمْ رَعَيْتَ أَمَانَةَ أَمْ هَلْ سَمِعْتَ بِمِثْلِهَا لَا يُنْشَدُ

شُعَاءَ فَاقِرَةٍ تَجَلَّلُ نَهْشَلًا دَنَسًا تَغُورُ بِهِ الرَّفَاقُ وَتُنْجِدُ

إِنَّ الرَّفَاقَ أَمَالَ حَكَمَكَ حُبُّهَا فَلَكَ الْلِقَاءُ وَرَاكِبٌ مَتَجَرِّدُ

فَضَحَ الْعَشِيرَةَ وَاسْتَمَرَ كَأَنَّهُ كَلْبٌ يَبْصِبُصُ لِلْعِظَالِ وَيَطْرُدُ

لَا شَيْءَ يَعْدِلُهَا وَلَا يَكُنْ دُونَهَا خَرَطُ الْقِتَادِ تَهَابٌ شَوَكْتَهَا الْيَدُ

جَوْعَانٌ يَلْحَسُ أَسْكَتَا زَيْفِيَّةَ غَلْمٌ يَشُورُ عَلَى الْبِرَاشِ أَعْقَدُ

وقال مزرد بن ضرار :

وَإِنَّ كِنَازَ اللَّحْمِ مِنْ بَكَرَاتِكُمْ تَهَرُّ عَلَيْهَا أُمَّكُمْ وَتُكَالِبُ

(١) الشعر في هجاء أبي المهوش الأسدي . وقد سبق القول فيه ص ٢٦٨ .

(٢) هو اللعين المنقري كما في ص ٢٦٢ .

(٣) ط : « عبادة » . وفي أمالي المرتضى ٣ : ٤٠ « عباد بن أنف الكلبى » ، محرفة .

وفي الأصل : « الصيداني » ، وإنما هو منسوب إلى بني الصيдах . المعمرين ٤٣ .

وايتَ الذي ألقى فناءك رحله لتقرّيه بالتّ عليه الثّعالبُ
وهذان البيتان من باب الاشتقاق لامن باب الصفات وذِكرِ الأعضاء .

وقال :

ياسبرُ يا عبدَ بنى كلابٍ يا أيرَ كلبٍ مُوثقٍ بهابٍ
أكان هذا أوّلَ الثّوابِ يا ورلاً رفرقَ في سرابٍ
* لا يعلّقنكم ظفري ونابِي * .

وقال الآخر (١) :

كأنّ بنى طهيّةَ رططَ سلّمي حجارةُ خاري يُرمي السكّلابا
وقال صاحب السكّاب : ومما اشتقّ من اسم السكّاب في موضع
النباهة ، كليب بن ربيعة ، هو كليب وائلٍ . ويقال إنّهُ قيل في رجلين
من بنى ربيعة ما لم يُقلّ في أحدٍ من العرب ، حتّى ضرب بهما المثل ، وهو
قولهم : « أعزُّ من كليبٍ وائلٍ » ، والآخر : « لاجرٌ بوادي عوفٍ » .

١٥٦

قالوا : وكانت ربيعة إذا انتجعت معه لم توقد ناراً ولم تحوِّض حوضاً ،
وكان يحمى السكّالاً ولا يتكلمُ عنده إلاّ خفضاً ، ويجير الصيد ويقول :
صيدُ أرضِ كذا وكذا في جوارى لايباح . وكان له جرو كلب قد كتّعه (٢)
فربما قدّف به في الروضة تعجبه ، فيحميها إلى منتهى عوائه ، ويلتقيه بحريم
الحوض فلا يرده بعير حتّى تصدُرَ إبله .

(١) هو جرير كما في البيان ٢ : ٢٥٠ . وللبيت حديث فيه . وانظر ثمار القلوب ٣٩٩ .

(٢) كتّعه بمعنى شدّ قوائمه . وانظر أمثال الميداني ١ : ٤٤٦ ، والنثر ٧٧ .

(ما قيل من الشعر في كليب)

وفي ذلك يقول معبد بن شعبة التميمي (١) :

أظنَّ ضِرارُ أننى سأطيعه وأنى سأعطيه الذى كنتُ أُمْنَعُ
إذِ اغرورقت عيناه واحمرَّ وجهه وقد كادَ غيظاً وجهه يتبضعُ (٢)
تقدّم في الظلم الميِّنَ عامداً ذراعاً إذا ماقدّمتُ لك إصبع (٣)
كفعلِ كُليبٍ كنتُ أنبئتُ أنه يخلطُ أكلاءَ المياهِ ويمنعُ (٤)
مُجِيرِ على أفناءِ بكرِ بنِ وائل أرايبِ ضاحِ والظباءِ فترتعُ

وقال دريد بن الصمة :

لعمرك ما كُليبٌ حين دلى بجبلٍ كلبه فيمن يميحُ (٥)
بأعظمَ من بنى سفيانَ بغياً وكلُّ عدوِّهم منهم مريح (٦)

وقال العباس بن مرداس :

كما كان يبغيها كليبٌ بظلمه من العزِّ حتى طاح وهو قَتيلُها
على وائلٍ إذ يُنزلُ الكلبَ مأحاً وإذ يُمنعُ الأكلاءَ منها حلولُها (٧)

وقال عباس أيضاً لكُليب بن عهمة الظفرى (٨) :

(١) هنا ينتهى السقط في ل .

(٢) ط : « يتبضع » .

(٣) ل : « إذا ما أرخيت لك إصبع » .

(٤) (يخلط) لعلها (يحلى) .

(٥) ط : « كليبية فيمن يميح » .

(٦) ط : « منه » .

(٧) ط : « يرك الكلب » وتصحيحه من ل . وفي ل : « فيها حلولها » .

(٨) كذا في ل . وفي ط : « عيمة » وفي الإصابة ٧٤٤٨ : « عيمة » .

أَكْلِبُ إِنَّكَ كُلَّ يَوْمٍ ظَلَمْتُ وَالظُّلْمُ أَنْكَدُ وَجْهَهُ مَلْعُونُ
تَبْغِي بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بَوَائِلُ يَوْمَ الْغَدِيرِ سَمِيكَ الْمَطْعُونُ
وَإِحَالُ أَنْكَ سَوْفَ تَلْقَى مِثْلَهَا فِي صَفْحَتَيْكَ سَنَانُهُ الْمَسْنُونُ^(١)
وقال الذابغة الجعدى :

كَلِيبٌ لِعَمْرَى كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيْسَرَ ذَنْبًا مِنْكَ ضُرَّجَ بِالْدَّمِ
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَ بِطَعْنَةٍ كَمَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِيِّ الْمَسْهَمِ
وقال قَطِرَانُ الْعَبْشِيُّ ، [وَيُقَالُ الْعَبْشِيُّ^(٢)] :

أَلَمْ تَرِ جَسَّاسَ بْنَ مُرَّةٍ لَمْ يَرِدْ حِمَى وَأَثَلٍ حَتَّى احْتَدَاهُ جَهْوَلُهَا^(٣)
أَجْرًا كَلِيبًا إِذْ رَمَى النَّابَ طَعْنَةً جَدَّتْ وَأَثَلًا حَتَّى اسْتَخَفَّتْ عَقُولُهَا^(٤)
بَأَهْوَنٍ مِمَّا قَلْتَ إِذْ أَنْتَ سَادِرٌ وَلِلدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ وَالِ يُدِيلُهَا^(٥)
وقال رجل من بنى هلال بن عامر بن صعصعة^(٦) :

نَحْنُ أَبَسْنَا تَغْلِبَ ابْنَةَ وَأَثَلٍ بِقَتْلِ كَلِيبٍ إِذْ طَغَى وَتَخَيَّلَا^(٧)
أَبَانَاهُ بِالنَّابِ الَّتِي شَقَّ ضَرْعَهَا فَأَصْبَحَ مَوْطُوءَ الْحِمَى مَتَدَلِّلَا^(٨)
وقال رجل من بنى سدوس :

وَأَنْتَ كَلِيبِي لِكَاكِيبِ وَكَلْبَةٍ لَهَا حَوْلَ أَطْنَابِ الْبَيْوتِ هَرِيرُ

(١) ل : « سنانها مسنون » .

(٢) كذا . ولعله « العبسي » .

(٣) ط : « اعتداه » .

(٤) ط : « حدت واثلا » .

(٥) ط : « دال » .

(٦) في الأغاني ١٤ : ١٤١ : « وقال رجل من بنى بكر بن وائل في الإسلام ، وهي .

تنسب للأعشى » .

(٧) أبسنا : قهرنا وأذللتنا . وفي ط : « تحوز النساء » وهو تحريف .

(٨) أباناه : جعلناه عدلا فقتلناه بها . وفي ط : « أثابته بالناب » وليس بشيء .

وقال ابن مقبل العجلاني :

بكت أم بكرٍ إذ تبدد رهطها وأن أصبحوا منهم شريد وهالك
وإن كلاً حبيك فيهم بقية لو أن المنايا حالها متماسك^(١)
كلاب وكعب لا يبيت أخوهم ذليلاً ولا تعيى عليه المسالك^(٢)
وقال رجل من بني كلاب من الخوارج^(٣) ، لمعاوية بن أبي سفيان :
قد سرت سيرَ كليبٍ في عشيرته لو كان فيهم غلامٌ مثلُ جساسِ
الطاعن الطعنة النجلاء عاندها كطرة البرد، أعيافتها الآسى^(٤)

(أهون من تبالة على الحجاج)

وقال أبو اليقظان في مثل هذا الاشتقاق : كان أوّل عمل وليه
الحجاج بن يوسف تبالة ، فلما سار إليها وقرب منها قال للدليل : أين هي ،
وعلى أيّ سمت هي ؟ قال : تسترك عنها هذه الأكمة . قال : لا أراني أميراً
إلا على موضعٍ تسترني منه أكمة ، أهونُ بها عليّ ؟ ! وكرّر راجعاً ، فقبل
في المثل : « أهونُ من تبالة على الحجاج » .

والعامة تقول : هو أهونُ عليّ من الاعراب على عركوك^(٥) .

(١) ل : « وإن كلى حبيك منهم » وهو تحريف .

(٢) ل : « ولا تعيا عليه المسالك » .

(٣) في نوادر أبي زيد ١٥١ أن قائل الشعر هو بشير بن أبي العيسى .

(٤) العائد : العرق يسيل فلا يرقأ . وفي ط : « عاندها » وهو تحريف ، وفي ل : « عن

عرض » . وفي النوادر : « يعيا فتقها » بنصب « فتقها » ، قال : أراد يعيا بفتقها .

بهذا ينتهي الجزء الأول من النسخة التي رمزت إليها بحرف ل ، وتستمر المقابلة على

النسخة س .

(٥) كذا .

(الحجاج والمنجم حينما حضرته الوفاة)

قال : ولما حضرت الحجاج الوفاة وقد وليَ قبل ذلك ما وليَ ،
وافتح ما افتتح ، وقتل من قتل ، قال للمنجم : هل ترى ملكاً يموت ؟
قال : نعم ولستَ به ، أرى ملكاً يموتُ اسمه كُليب ، وأنتَ اسمك الحجاج .
قال : فأنا والله كليبٌ ، أمي سَمَّني به وأنا صبيٌّ . فمات ، و [كان]
استخلفَ على الحجاج^(١) يزيد بن أبي مسلم ، وعلى الحرب يزيد بن
أبي كبشة .

(ما كان العرب يسمّون به أولادهم)

قال : والعرب إنّما كانت تسمّي بـكلب ، وحمار ، وحجر ، وجعل ،
وحنظلة ، وقرد ، على التفاؤل بذلك . وكان الرجل إذا وُلد له ذكر خرج
يتعرّض لزجر الطير والفأل ، فإن سمع إنساناً يقول حجراً ، أو رأى^(٢) حجراً
سمّى ابنه به وتفاءل فيه الشدة^(٣) والصلابة ، والبقاء والصبر ، وأنه يحطم
ما لقي . وكذلك إن سمع إنساناً يقول ذئباً أو رأى ذئباً ، تأوّل فيه الفطنة
والخبث والمكر والكسب . وإن كان حماراً تأوّل فيه طول العمر والوقاحة
والقوة والجلد . وإن كان كلباً تأوّل فيه الحراسة واليقظة وبُعد الصوت ،
والكسب وغير ذلك .

(١) في الأصل : « الخوارج » وهو تحريف . انظر المعارف لابن قتيبة ١٧٤ . وقد زدت

كلمة كان ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : « ورأى » .

(٣) لعلها « بالشدة » فإن الفعل يتعدى بالباء . وانظر الاشتقاق ٤ - ٦

ولذلك صورَّ عبید الله بن زياد في دِهليزه كلباً وكبشاً وأسدأ ، وقال :
كلب نابح ، وكبش ناطح ، وأسد كالح . فتطيرُ إلى ذلك فطارت عليه .
وقال آخر : لو كان الرجل منهم إنَّما كان يسمَّى ابنه بحجر وجبل ،
وكلب ، وحمار ، وثور ، وخنزير ، وجُعَل ، على هذا المعنى فهلاً سَمَّى
بِبِرْدُون^(١) ، وبغل ، وعُقَاب ، وأشباه ذلك ؛ وهذه الأسماء من لغتهم .
قال الأوَّل : إنَّما لم يكن ذلك ، لأنَّه لا يكاد يرى بغلا وبِرْدونا ،
ولعلَّه لا يكون رأهما قط ، وإن كانت الأسماء عندهم عديدة لأموِرٍ لعلَّهم
يحتاجون إليها يوماً ما .

قالوا : فقد كان يسمع بفرس وبعير ، كما كان يسمع بحمار وثور ، وقد
كان يستقيم أن يشتقَّ منهما اشتقاقاً محمودة . بل كيف صار ذلك كذلك
ونحن نجده يسمَّى بنجم ولا يسمَّى بكوكب ! إلاَّ أن بعضهم قد سمَّى بذلك
عبداً له ، وفيه يقول :

كوكبُ إن مُتْ فهى مِيتى لا مُتَّ إلاَّ هَرماً يا كوكبُ

ووجدناهم يسمون بجبل وسند ، وطود^(٢) ، ولا يسمون بأحد ولا بشبير
وأجاء وسلمى ورَضوى ، وصنديد وحميم^(٣) ، وهو تلقاء عيونهم متى أطلعوا
رؤوسهم من خيامهم . ويسمون بهُرَج ولا يسمون بفَلَك ، ويسمون بقمر
وشمس على جهة اللقب أو على جهة المديح ، ولم يسموا بأرض وسماء ، وهواء ١٥٩
وماء ، إلاَّ على ما وصفنا . وهذه الأصول في الزجر أبلغ ، كما أن جبلاً أبلغُ

(١) في الأصل : « سمي بردون » والوجه ما أثبت .

(٢) في ط : « طور » وهما بمعنى .

(٣) لعاه « حنين » وجبال حنين يقول فيها القائل :

سقوني وقالوا لاتغن ولو سقوا (جبال حنين) ماسقيت لغنت

من حجر ، وطودا^(١) أجمع من صخر . وتركوا أسماء جبالهم المعروفة .
وقد سَمَّوا بأسد وليث وأسامَةَ وضرغامة^(٢) . وتركوا أن يسمَّوا بسبع
وسبعة . [وسبع]^(٣) هو الاسم الجامع لكلِّ ذى ناب ومخلب .
قال الأول : قد تسمَّوا أيضاً بأسماء الجبال ، فتسمَّوا بأبان وسلَمَى .
قال آخرون : إنّما هذه أسماء ناسٍ سمَّوا بها هذه الجبال ، وقد كانت
لها أسماء تَرَكْت لِثقلها ، أو لعلَّة من العلل ؛ وإلّا فكيف سمَّوا^(٤) بسلمى
وتركوا أجاً ورضوى .

وقال بعضهم : قد كانوا ربَّما فعلوا ذلك على أن يتَّفَق لواحدٍ ولودٍ
ولمعظَّم جليل ، أن يسمع أو يرى حماراً ، فيسمَّى ابنه بذلك ؛ وكذلك
الكلب والذئب ، ولن يتَّفَق في ذلك الوقت أن يسمع بذكر فرس ولا حجر
أو هواء أو ماء ؛ فإذا صار حمار ، أو ثور ، أو كلب اسم رجل معظَّم ،
تتابعت عليه العرب تطيرُ إليه ، ثم يكثر ذلك في ولده خاصَّةً بعده . وعلى
ذلك سمَّت^(٥) الرعية بنيتها وبناتها بأسماء رجال الملوك ونسائهم ، وعلى ذلك
صار كلُّ علىٍّ يكنى بأبي الحسن ، وكلُّ عُمرٍ يكنى بأبي حفص ، وأشباه ذلك .
فالأسماء ضروب ، منها شيء أصليُّ كالسَّمَاء والأرض والهواء والماء والنار ،
وأسماءٍ أُخرُ مشتقَّاتٌ منها على جهة الفأل ، وعلى شكل اسم الأب ، كالرجل

(١) في ط : « وطور » وهما بمعنى .

(٢) الضرغام والضرغامة والضرغم كجعفر : الأسد .

(٣) زيادة يقتضيهما الكلام .

(٤) ط : « بسما » وصوابه في س .

(٥) في الأصل : « سميت » وهو تحريف ما أثبتته .

يكون اسمه عمر فيسمى ابنه عميرا ، ويسمى عمير ابنه عمران ، ويسمى عمران ابنه معمراً . وربما كانت الأسماء بإسماء الله عز وجل مثل ما سمي الله عز وجل أبا إبراهيم آزر ، وسمى إبليس بفاسق ، وربما كانت الأسماء مأخوذة من أمور تحدث في الأسماء ؛ مثل يوم العروبة سُميت في الإسلام يوم الجمعة ، واشتق له ذلك من صلاة يوم الجمعة .

(ما ترك الناس من ألفاظ الجاهلية)

وستقول في المتروك من هذا الجنس ومن غيره ، ثم نعود إلى مرضعنا الأول إن شاء الله تعالى .

ترك الناس مما كان مستعملاً في الجاهلية أموراً كثيرة ، فمن ذلك تسميتهم للخراج إناوة ، وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان : الحملان والمدكس . وتال جابر بن حني^(١) :

أنى كل أسواق العراق إناوة وفي كل ما باع امرؤ مدكس درهم
وكما قال العبدى في الجارود^(٢) :

أيا ابن المعلى خلتنا أم حسبتنا صرارى نعطى الماكسين مكوسا^(٣)

(١) في الأصل : « خارجى » وهو تحريف عجيب . والبيت في اللسان (مكس) ، وقصيدته في المفضليات ٢٠٩ - ٢١٢ .

(٢) العبدى هو يزيد بن خذاق : كما في المفضليات ٢٩٨ . والجارود هو ابن المعل ، صحابي كان سيد عبد القيس ، قدم على الرسول في وفد عبد القيس الأخير سنة عشر وأسلم وحسن إسلامه ، وابنه المنذر بن الجارود ، وحنفيده الحكم بن المنذر بن الجارود الذى يقول فيه الأعشى :

ياحكم بن المنذر بن الجارود سرادق المجد عليك ممدود

قتل الجارود سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر . الإصابة ١٠٣٨ .

(٣) ط : « أكابر » ، س : « أكابن » . وانظر المفضليات .

١٦ وكما تركوا انعم صباحاً، وانعم ظلاماً، وصاروا يقولون: كيف أصبحتم؟
وكيف أمسيتم؟

وقال قيس بن زهير بن جذيمة، ليزيد بن سنان بن أبي حارثة: انعم ظلاماً
أبا ضمرة! قال: نعمت فمن أنت؟ قال: قيس بن زهير.

وعلى ذلك قال امرؤ القيس:

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي
وعلى ذلك قال الأول (١):

أتوا نارى فقلت منون قالوا سراة الجن قلت عموا ظلاماً
وكما تركوا أن يقولوا للملك أو السيد المطاع: أبيت اللعن،

كما قيل (٢):

* مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه *

وقد زعموا أن حذيفة بن بدر كان يُحياً بتحية الملوك ويقال له: أبيت

اللعن. وتركوا ذلك في الإسلام من غير أن يكون كفراً.

وقد ترك العبد أن يقول لسيده ربّي، كما يقال ربّ الدار، وربّ

البيت. وكذلك حاشية السيد والملك تركوا أن يقولوا ربنا. كما قال

الحارث بن حلزة:

ربنا وابننا وأفضل من يم شى ومن دون ما لديه الثناء

(١) البيت لشمير (أو سمير) بن الحارث الضبي كما في النوادر ١٢٣ وخزانة الأدب
٣: ٣ بولاق.

(٢) البيت لبيد من أبيات لها خبر في الأغاني (١٤: ٩١ - ٩٢).

وكما قال لبيد حين ذكر حذيفة بن بدر :
وأهلكن يوماً رباً كندةً وابنه ورباً معدً بين خبت وعزعر
وكما عيّر زيدُ الحليل حاتمًا الطائيَّ في خروجه من طيِّ ومن حرب
الفساد ، إلى بني بدر ، حيث يقول (١) :

وفرَّ من الحربِ العوانِ ولم يكنُ بها حاتمٌ طبًّا ولا مطبِّبًا
وريب حصنا بعد أن كان آبياً أبوّة حصنٍ فاستقال وأعتبًا
أقيم في بني بدر ولا ما يهمننا إذا ماتقضت حربنا أن تطربنا
وقال عوف بن محمّم (٢) ، حين رأى الملك : إنّه ربي وربّ الكعبة .
وزوجه أمُّ أناس بنت عوف .

وكما تركوا أن يقولوا لقروم الملوك السدنة وقالوا الحجبة (٣) .
وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى عن أبي عبد الرحمن يونس (٤) بن حبيب
النحوى حين أنشده شعر الأسدى :

ومركضة صريحي أبوها تُهان لما الغلامه والغلام (٥)

(١) حرب الفساد كانت في الجاهلية بين جديلة والغوث . وانظر نسخة دواوين العرب
١٠٧ والأغانى (١١ : ١٢٧) وأمثال الميداني (٢ : ٣٥٨) .

(٢) هو السدى يقال فيه : « لاجر بوادى عوف » . أمثال الميداني ٢ : ١٦٧ . وهو
من بني ذهل بن شيبان ، ومن أشرف العرب في الجاهلية توفي نحو ٤٥ ق . هـ .
قاموس الأعلام ٧٤٧ . وهو غير عوف بن محمّل الخزاعي ، فإن هذا إسلامي كان
ينادم طاهر بن الحسين وابنه عبد الله ، وفارقه بقصيدته المشهورة التي فيها :

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعى إلى ترجان

(٣) في الأصل : « بالسدنة وقالوا لجحية » وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « عن أبي عبد الرحمن بن يونس » وكلمة « ابن » مقحمة ، فإن
أبا عبد الرحمن كنية يونس بن حبيب كما في بغية الوعاة ٩٣٥ والمعارف ٢٣٥ وقد
أخذ عنه أبو عبيدة كما في البغية ٣٩٥ . توفي يونس سنة ١٨٢ عن ثمان وثمانين سنة .

(٥) الجوهري : صريح : اسم فحل منجب . وأنشد هذا البيت .

قال: فقلت له : فتقول : للجارية غلامه ؟ قال : لا ، هذا من الكلام المتروك ، وأسماءه زالت مع زوال معانيها ، كالمرباع والنشيطه وبقى ^(١) الصفايا ؛ فالمرباع : رُبْع جميع الغنيمه الذي كان خالصاً للرئيس ، وصار في الإسلام الخمس ، على ماسنه الله تعالى . وأما النشيطه فإنه كان للرئيس أن ينشط عند قسمة المتاع العلق النفيس يراه إذا استحلاه . وبقى ^(٢) الصفي وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مغنم ، وهو كالسيف اللهائم ^(٣) والفرس العتيق ، والدرع الحصينة ، والشئ النادر .

وقال ابن عنمة الضبي ^(٤) حليف بني شيبان ، في مراثيه بسطام ابن قيس :

لك المرباعُ منها والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول
والفضول : فضول المقاسم ، كالشئ إذا قسم وفضأت فضلة
استهسكت ، كاللؤلؤة ، والسيف ، والدرع ، والبيضة ، والجارية ،
وغير ذلك .

(كلمات إسلامية محدثة)

وأسماء حدثت ولم تكن ، وإنما اشتقت ضم من أسماء متقدمة ، على التشبيه ، مثل قولهم لمن أدرك الجاهلية والإسلام مخضرم كأبي رجاء العطاردي ^(٤) ، بن سالمه ^(١) ، وشقيق بن سالمه ؛ ومن الشعراء التابعة الجعدي

(١) كذا ولعلها «نق» .

(٢) س : « الهذام » وهما بمعنى .

(٣) ط : « ابن غنمة » وصوابه في س . وابن عنمة هذا هو عبد الله ، وهو من شهد القادسية ، والبيت من أبيات ثمانية رواها أبو تمام في الحماسة ١ : ٢٠٠

(٤) لأبي رجاء ترجمة في الإصابة ج ٧ : ٧٢ واسمه عمران بن ملحان أو ابن تيم .

وابن مقبل ، وأشباههم من الفقهاء والشعراء . ويدلُّ على أن هذا الاسم أحدث في الإسلام ، أنهم في الجاهليَّة لم يكونوا يعلمون أن ناساً يسمون وقد أدركوا الجاهليَّة ، ولا كانوا يعلمون أن الإسلام يكون .

ويقال إنَّ أوَّلَ من سمَّى الأرضَ التي لم تُحْفَر قطُّ ولم تحرثْ إذا فعل بها ذلك مظلومة ، النابغة حيث يقول :

إِلَّا الْأَوَارِيَّ لَأَيًّا مَا أَيْدِنُهَا وَالنُّوَى كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلْدِ

ومنه قيل سقاء مظلوم إذا أعجل عليه قبل إدراكه . وقال الحادرة :

ظَلَمَ الْبِطَاحَ لَهُ انْهْلَالُ حَرِيصَةٍ فَصَفَا النَّطَافُ لَهُ بُعَيْدَ الْمَقْلَعِ

وقال الآخر :

قَالَتْ لَهُ مَيِّتْ بِأَعْلَى ذِي سَلَمٍ لَوْ مَا تَزُورُنَا إِذَا الشَّعْبُ أَلَمٌ

* أَلَا بَلَى يَامَيِّ وَالْيَوْمُ ظَلَمٌ (١) *

يقول ظلم حين وضع الشيء في غير موضعه . وقال الآخر :

* أَنَا أَبُو زَيْنَبٍ وَالْيَوْمُ ظَلَمٌ (٢) *

وقال ابن مقبل :

عَادَ الْأَذْلَةَ فِي دَارٍ وَكَانَ بِهَا هَرَّتْ الشَّقَاشِقُ ظَلَامُونَ لِلْجِزْرِ

وقال آخر :

وَصَاحِبِ صَدَقٍ لَمْ تَتَلَبَّنِي أَدَاتِهِ ظَلَمْتُ رَفِي ظُلْمِي لَهُ عَامِدًا أُجْرُ

وقال آخر :

لَا يَظْلِمُونَ إِذَا ضَيَّفُوا وَطَابَتْهُمْ وَهُمْ لَجُودِهِمْ فِي جُزْرِهِمْ ظَلَمٌ

(١) اليوم ظلم : أي حقا كما تقول لاجرم أي حقا . وانظر اللسان (ظلم) والرجز فيه .

(٢) في الأصل : « والنوم ظلم » : وانظر التنبيه السابق .

وظلم الجزور: أن يعرقبوها ، وكان في الحق أن تنحر نحراً . وظلمهم الجزر^(١) أيضا أن ينحروها صحاحا سماناً لاعلة بها .

قال : ومن ذلك قولهم : الحرب غشوم ؛ وإنما سُميت بهذا لأنها تنال غير الجاني .

قال : ومن ذلك قولهم : « مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ » ، يقول : قد وضع الشبه في موضعه .

ومن المحدث المشتق ، اسم منافق لمن رآى بالإسلام واستسرى بالكفر أخذ ذلك من النافقاء والقاصعاء والدائماء^(٢) ، ومثل المشرك والكافر ، ومثل التيمم . قال الله تعالى : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ أى تحروا ذلك وتوخؤه . وقال : ﴿ فَاَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ فكثُر هذا في الكلام حتى صار التيمم هو المسح نفسه . وكذلك عادتهم وصنيعهم في الشيء إذا طالت صحبتهم وملابستهم له^(٣) .

وكما سَمَّوا رَجِيعَ الْإِنْسَانِ الْغَائِطُ ، وَإِنَّمَا الْغَيْطَانُ الْبَطُونُ الَّتِي كَانُوا يَنْحَدِرُونَ فِيهَا إِذَا أَرَادُوا قِضَاءَ الْحَاجَةِ لِلسُّتْرِ .

ومنه العذرة ، وإِنَّمَا الْعَذْرَةُ الْفَنَاءُ ، وَالْأَفْنِيَّةُ هِيَ الْعَذْرَاتُ ، وَلَسْكَنَ لِمَا طَالَ إِقَامُهُمُ النَّجْوُ وَالزَّبِيلُ فِي أَفْنِيَّتِهِمْ ، سُمِّيتَ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي رَمَوْا بِهَا ، بِاسْمِ الْمَكَانِ الَّذِي رَمِيَتْ بِهِ . وفي الحديث : « أَنْقُوا عَذْرَاتِكُمْ » . وقال ابن الرقييات :

رَحِمَ اللَّهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا بِسِجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلِحَاتِ^(٤)

(١) في الأصل : « الجزور » والوجه الجمع .

(٢) هي من أسماء جحرة اليربوع السبع . انظر اللسان (دم) .

(٣) في الأصل : « صحبتته وملابسته له » .

(٤) طلحة الطلحات ، هو طلحة بن عبد الله الخزاعي ، أحد أجواد العرب توفي سنة ٦٥ .

كان لا يحبُّ الصديقَ ولا يعْتَلُّ بالبخلِ طيبَ العَدِرَاتِ
واسكنَّهم لكثرةِ ما كانوا يُلقون نجوهم في أفنيتهم سموها باسمها .
ومنه النَّجو : وذلك أنَّ الرجل كان إذا أراد قضاءَ الحاجةِ تَسْتَرُّ بنجوة . ١٦٣
والنَّجو : الارتفاع من الأرض ، قالوا من ذلك : ذهب يَنْجو ، كما قالوا ذهب
يتغوَّط إذا ذهب إلى الغائط لذلك الأمر ، ثمَّ اشتقوا منه فقالوا إذا غسل
موضع النجو قد استنجى .

وقالوا : ذهب إلى المخرَج ، وإلى المتوضأ ، وإلى المذهب ، وإلى الخلاء ،
وإلى الحشِّ ، وإِنَّمَا الحشُّ القِطْعَةُ من النَّخلِ وهي الحِشَّان . وكانوا بالمدينة
إذا أرادوا قضاءَ الحاجةِ دخلوا النخل ؛ لأنَّ ذلك أستر ، فسموا المتوضأ
الحشِّ ، وإن كان بعيداً من النخل ؛ كلَّ ذلك هرباً من أن يقولوا ذهب
للخرءِ ، لأنَّ الاسمَ الخرءُ ، وكلُّ شيءٍ سواه من (١) ورجيع وبراز وزبل وغائط
فكله كناية .

ومن هذا الباب المَلَّةُ ، والمَلَّةُ موضعُ الخُبْزَةِ ، فسموا الخُبْزَةَ باسم موضعها .
وهذا عند الأصمعيِّ خطأ .

ومن هذا الشكل الراوية ، والراوية هو الجمل نفسه ، وهو حامل المزايدة
فسميت المزايدة باسم حامل المزايدة . ولهذا المعنى سموا حاملَ الشعر
والحديث راوية .

ومنه قولهم : ساق إلى المرأة صدأقها . قالوا : وإِنَّمَا كان يقال ذلك

(١) في الأصل فراغ يتسع لكلمة واحدة .

حين كانوا يدفعون في الصَّدَاقِ إبلا ، وتلك الإبل يقال لها النافجة .
وقال شاعرهم :

وليس تِلادى من وِراثَةِ والدى ولا شادَ مالى مُستَفادِ النوافِجِ
وكانوا يقولون : تَهْنِيكِ النافِجَةَ . قال : فإذا كانوا يدفعون الصَّدَاقَ
عينا وورقا فلا يقال ساق إليها الصَّدَاقُ .

ومن ذلك أَنَّهُم كانوا يضربون على العروس البناء ، كالقَبَّةِ والخِيمَةِ
والخيام^(١) ، على قدر الإمكان ، فيقال بنى عاينها ، اشتقاقاً من البناء ، ولا
يقال ذلك اليومَ . والعروس إمَّا أن تكون مقيمةً في مكانها أو تتحوَّل
إلى مكان أقدم من بنائها .

قال : ومن ذلك قولهم في البَغْيِ المكتسبة بالفُجور : قَحْبَةٌ ، وإِنَّمَا
القُحَابُ السعال . وكانوا إذا أرادوا السكناية عن من زنت وتكسبت
بالزنى ، قالوا قحبت أى سعلت ، كناية . وقال الشاعر :

* إِنَّ السُّعَالَ هُوَ القُحَابُ *

[وقال (٢)] :

وإذا ما قحبت واحدةً جاوبَ المبعِدُ منها^(٣) فخَضَفُ

وكذلك كان كنايةهم في انكشاف عورة الرجل ، يقال كشف علينا
متاعه وعورته وشواره . والشوار : المتاع^(٤) . وكذلك الفرج وإِنَّمَا [يعنون^(٥)] :
الأير والحَرَ والاسْت .

(١) كذا في ط ، س ، م .

(٢) زيادة يقتضيهما الكلام .

(٣) ط : « فقحبت » وأثبت ما في س و م . ومعنى خضف فرط .

(٤) في القاموس : « والشوار مثلثة : متاع البيت » .

(٥) زيادة يقتضيهما الكلام .

(كلمات للنبي صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدمه فيهن أحد)

وكلمات النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدمه فيهن أحد^(١) : من ذلك ١٦٤ قوله : « إذا لا ينتطح فيها عنزان » . ومن ذلك قوله : « مات حثف أنفه » . ومن ذلك قوله : « يا خيل الله اركبي » ومن ذلك قوله : « كل الصيد في جوف الفراء » ، وقوله : « لا يوسع المؤمن من جحر مرتين » .

(شنشنة أعرها من أخزم)

وقال عمر رضي الله تعالى عنه : « شنشنة أعرها من أخزم » ، يعنى شبه ابن العباس بالعباس . وأخزم : فحل معروف بالكرم .

(ما يكره من الكلام)

وأما الكلام الذي جاءت به كراهية من طريق الروايات ، فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل لقيست نفسي » ، كأنه كره صلى الله عليه وسلم أن يضيف المؤمن الطاهر إلى نفسه الخبث والفساد بوجه من الوجوه .

وجاء عن عمر ومجاهد وغيرهما النهي عن قول القائل : استأثر الله بفلان ، بل يقال مات فلان . ويقال^(٢) استأثر الله بعلم الغيب واستأثر الله بكذا وكذا .

(١) انظر البيان ٢ : ١٥ - ١٦ وكتاب البغال ٢٢٣ .

(٢) ط : « ولا يقال » وصوابه في ل .

قال النَّخَعِيُّ : كانوا يكرهون أن يقال : قراءة عبد الله . وقراءة سالم
وقراءة أبي ، وقراءة زيد . وكانوا يكرهون أن يقولوا سنة أبي بكر وعمر ،
بل يقال سنة الله وسنة رسوله ، ويقال فلان يقرأ بوجه كذا . وفلان يقرأ
بوجه كذا .

وكره مجاهد أن يقولوا مُسَيِّجِدٌ ومُصَيِّحِفٌ ، للمسجد القليل الذرع .
والمصحف القليل الورق . ويقول : هم وإن لم يريدوا التصغير فإنه
بذلك شبيه .

(وجوه تصغير الكلام)

وربما صغروا الشيء من طريق الشَّفَقَةِ والرَّقَةِ ، كقول عمر : أخافُ
على هذا العُريب . وليس التصغير بهم يريد . وقد يقول الرجل : إنما فلانُ
أخيٌّ وصُدَيْقِي ؛ وليس التصغير له يريد . وذكر عمرُ ابنَ مسعود فقال
كُنَيْفٌ مُلَىٰ علماً^(١) . وقال الحباب بن المنذر^(٢) يوم السَّقِيْفَةِ : أنا جُدَيْلُهَا
المحْكك ، وعُدَيْقُهَا المرَجَّب . وهذا كقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة :
الحمراء ، وكقولهم لأبي قابوسَ الملك : أبو قُبَيْس . وكقولهم : دَبَّتْ إِلَيْهِ
دوَيْمِيَّةُ الدَّهْر ، وذلك حين أرادوا لطافة المدخل ودقَّة المسلك .

(١) كنيف : تصغير كنف ، بالكسر ، بمعنى الوعاء .

(٢) في الأصل : « سلمة بن سلامة بن وقش » وقائل القول الآتي هو الحباب بن المنذر كما هو
معروف ، وكما كتبه الجاحظ في البيان ٣ : ٢٩٦ في حديث يوم السقيفة . وانظر
تاريخ الخضرى ١ : ٢٥٣ .

ويقال إنَّ كَلَّ فَعِيلٌ فِي أَسْمَاءِ الْعَرَبِ فَإِنَّمَا هُوَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى ، كَقَوْلِهِمُ الْمَعِيدِيَّ ، وَكُنْحُو سُلَيْمٍ ، وَضَمَيْرٍ ، وَكَلِيبٍ ، وَعُقَيْرٍ ، وَجُعِيلٍ ، وَحُمَيْدٍ ، وَسُعَيْدٍ ، وَجُبَيْرٍ ؛ وَكُنْحُو عُيَيْدٍ ، وَعُيَيْدُ اللَّهِ ، وَعُيَيْدُ الرَّمَاحِ (١) . وَطَرِيقُ التَّحْقِيرِ وَالتَّصْغِيرِ إِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِهِمُ : نَجُيْلٌ وَنَذِيلٌ . قَالُوا : وَرُبَّ اسْمٍ إِذَا صَغُرَتْهُ كَانَ أَمَلًا لِلصَّدْرِ ، مِثْلَ قَوْلِكَ أَبُو عُبَيْدٍ اللَّهُ ، هُوَ أَكْبَرُ فِي السَّمَاعِ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَعْبُ بْنُ جُعَيْلٍ ، هُوَ أَفْخَمُ مِنْ كَعْبِ بْنِ جَعْلٍ . وَرُبَّمَا كَانَ التَّصْغِيرُ خِلْقَةً ١٦٥ وَبَنِيَّةً ، لَا يَتَغَيَّرُ ، كُنْحُو الْحَمِيَّةِ وَالسُّكَيْتِ ، وَجُنَيْدَةَ ، وَالْقَطِيعَا ، وَالْمَرِيضَاءِ ، وَالسَّمِيرَاءِ ، وَالْمَلِيسَاءِ - وَلَيْسَ هُوَ كَقَوْلِهِمُ الْقُصَيْرِيُّ ، وَفِي كَبِيدَاتِ السَّمَاءِ وَالثَّرَيَا .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : دَقَقْتُ الْبَابَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : أَنَا . فَقَالَ : أَنَا ! كَأَنَّهُ كَرِهَ قَوْلِي أَنَا .

وَحَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ ، وَعَبْدُ الْكَرِيمِ الْغِفَارِيُّ قَالَا : حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ حَاضِرٍ قَالَ : كَانَ عَمْرُو بْنُ عُيَيْدٍ (٢) يَجْلِسُ فِي دَارِهِ ، وَكَانَ لَا يَدْعُ بَابَهُ مَفْتُوحًا ، فَإِذَا قَرَعَهُ إِنْسَانٌ قَامَ بِنَفْسِهِ حَتَّى يَفْتَحَهُ لَهُ . فَأَتَيْتُ الْبَابَ يَوْمًا فَفَرَعْتُهُ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : أَنَا . فَقَالَ : مَا أَعْرَفَ أَحَدًا يَسْمَى أَنَا . فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا وَقَمْتُ خَلْفَ الْبَابِ ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ

(١) كَذَا .

(٢) ط : « عُبَيْدَةُ » وَصَوَابُهُ فِي س . وَعَمْرُو هَذَا مِنْ شَيْوخِ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَأَحَدِ الزُّهَادِ الْمَشْهُورِينَ وَلَهُ أَخْبَارٌ مَعَ الْمَنْصُورِ ، تَوَفَّى بِمِرَانَ سَنَةَ ١٤٤ ، وَرِثَاهُ الْمَنْصُورُ . قَالُوا وَلَمْ يَسْمَعْ بِخَلِيفَةٍ رَفِيٍّ مِنْ دُونِهِ سِوَاهُ . تَارِيخُ بَغْدَادَ ٦٦٥٢ وَالْمَعَارِفُ ٢١٢ .

خرا. إن فقرع الباب : فقال عمرو : من هذا ؟ فقال : رجلٌ غريبٌ قدم عليك ، يلتمس العلم . فقام له ففتح له الباب ، فلما وجدت فرجةً أردت أن ألج الباب . فدفع الباب في وجهي بعنف ، فأقمت عنده أياماً^(١) ثم قلت في نفسي : والله إنني يوم أتغضب على عمرو بن عبيد ، لغير رشيد الرأي . فأتيتُ البابَ فقرعته عليه فقال : من هذا ؟ فقلت : عيسى بن حاضر . فقام ففتح لي الباب .

وقال رجل عند الشعبي : أليس الله قال كذا وكذا ! قال : وما علّمك ؟ وقال الربيع بن خثيم : اتقوا تكذيب الله ، ليتق أحدكم أن يقول قال الله في كتابه كذا وكذا ، فيقول الله كذبت لم أقله .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : لا يقل أحدكم أهريق الماء ولكن يقول أبول .

وسأل عمر رجلاً عن شيء ، فقال : الله أعلم . فقال عمر : قد خزينا إن كنا لانعلم أن الله أعلم إذا سئل أحدكم عن شيء فإن كان يعلمه قاله ، وإن كان لا يعلمه قال : لا أعلم لي بذلك .

وسمع عمر رجلاً يدعو ويقول : اللهم اجعلني من الأقلين ! قال : ما هذا الدعاء ؟ قال : إنني سمعت الله عز وجل يقول : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ وقال : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ . قال عمر : عليك من الدعاء بما يعرف .

وكرر عمر بن عبدالعزيز قول الرجل لصاحبه : ضعه تحت إبطك ، وقال :

هَلَّا قَلْتَ تَحْتَ يَدِكَ وَتَحْتَ مَنْكِبِكَ ! وَقَالَ مَرَّةً - وَرِاثَ فَرَسٍ بِحَضْرَةِ
سَامِيَانَ - (١) فَقَالَ : اِرْفَعُوا ذَلِكَ النَّشِيلَ . وَلَمْ يَقُلْ ذَلِكَ الرَّوْثُ .

وَقَالَ الْحَجَّاجُ لِأُمِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ (٢) : عَمَدْتَ إِلَى مَالِ اللَّهِ

فَوَضَعْتَهُ تَحْتَ . كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَقُولَ عَلَى عَادَةِ النَّاسِ : تَحْتَ اسْتِكَ ، ٢٦٦
فَتَلْجُلِجُ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقُولَ قَدْعًا أَوْ رَفْعًا ، ثُمَّ قَالَ : تَحْتَ ذِيكَ .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِمَمْلُوكِهِ عَبْدِي

وَأَمْتِي ، وَلَسْكَنُ يَقُولُ : فَتَايَ وَفَتَاتِي ، وَلَا يَقُولُ الْمَمْلُوكُ رَبِّي وَرَبَّتِي .
وَلَسْكَنُ يَقُولُ سَيِّدِي وَسَيِّدَتِي » .

وَكَرِهَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَوْلَ الْقَائِلِ لِلسَّكَلَبِ : اللَّهُمَّ أَخْزِهِ .

وَكَرِهَ عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ ، أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ : « أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ

عَيْنًا » . وَ« لَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا » .

وَقَدْ كَرِهُوا أَشْيَاءَ مِمَّا جَاءَتْ فِي الرِّوَايَاتِ لَا تُعْرَفُ وَجُوهُهَا ، فَرَأَى

أَصْحَابُنَا : لَا يَكْرَهُونَهَا . وَلَا نَسْتَطِيعُ الرَّدَّ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ نَسْمَعْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ

أَكْثَرَ مِنَ السَّكْرَاهَةِ . وَلَوْ كَانُوا يَرَوُونَ الْأُمُورَ مَعَ عِلْمِهَا وَبِرَهَانَاتِهَا خَفَّتْ

الْمُؤَنَةُ ، وَاسْكَنَ أَكْثَرَ الرِّوَايَاتِ مَجْرَدَةً ، وَقَدْ اقْتَصَرُوا عَلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ

دُونَ حِكَايَةِ الْعِلَّةِ . وَدُونَ الْإِخْبَارِ عَنِ الْبِرْهَانِ . وَإِنْ كَانُوا قَدْ شَاهَدُوا

لِلْمُنْعِينِ مَشَاهِدَةً وَاحِدَةً .

(١) هُوَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ سَلِيمَانُ اسْتَوَزَرَ عِمْرَانَ ، وَوَلَّى عِمْرَانَ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ
بِعَهْدِ مَنْهُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْأَشْمَبُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَكَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ حُرُوبٌ قَامُوا فِيهَا الْحَجَّاجُ
وَانْتَهَتْ بِقَتْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَنَةَ ٨٥ هـ كَانَ أَهْمُهَا وَقَعَةُ دَيْرِ الْجَسَاجِمِ الَّتِي دَامَتْ مِائَةَ
وِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ .

قال ابن مسعود وأبو هريرة : « لا تسموا العنب الكرم ؛ فإنَّ الكرمَ هو الرجلُ المسلم » .

وقد رفعوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله : « لا تُسبوا الدهرَ فإنَّ الدهرَ هو الله » فما أحسن ما فسَّر ذلك عبد الرحمن بن مهدي^(١) قال : وجهُ هذا عندنا ، أنَّ القومَ قالوا : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ فلما قال القوم ذلك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ذلك الله » . يعنى أنَّ الذى أهلك القرونَ هو الله عزَّ وجلَّ ، فتوهم منه المتوهم أنه إنما أوقع الكلام على الدهر .

وقال يونس : وكما غلطوا في قول النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : « قُلْ وَمَعَكَ رُوحَ الْقُدُسِ » فقالوا : قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : قُلْ وَمَعَكَ جِبْرِيلُ ؛ لأنَّ روح القدس أيضاً من أسماء جبريل . ألا ترى أنَّ موسى قال : « لَيْتَ أَنَّ رُوحَ اللَّهِ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ » ، وهو يريد العصمة والتوفيق . والنصارى تقول للمتنبئ : معه روح دكالا^(٢) ، ومعه روح سيفرت^(٣) . وتقول اليهود : معه روح بعلزبول^(٤) ، يريدون شيطاننا . فإذا كان نبيا قالوا : روحه روح القدس . وروحه روح الله ، وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ ، يعنى القرآن .

(١) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العبدي البصرى ، من أئمة حفاظ الحديث . قال الشافعى : لأعرف له نظيراً في الدنيا . توفي بالبصرة ١٩٨ .

(٢) في رسائل الجاحظ ١٠٤ : « دلالة » .

(٣) في الرسائل : « شيقرة » .

(٤) في الأصل : « بلعربوث » وصوابه من إنجيل متى ١٠ : ٢٥ و ١٢ : ٢٤ ومرقس ٣ : ٢٢ وأوقاف ١١ : ١٥ . وهو رئيس الشياطين . وفي الرسائل : « بلعد بوث » .

وسمع الحسن رجلاً يقول : طلع سهيل وبرد الليل . فكره ذلك وقال :
إن سهيلاً لم يأت بحرّاً ولا ببردٍ قطُّ . ولهذا الكلام مجازٌ ومذهب ، وقد
كره الحسنُ كما ترى .

وكره مالك بن أنس أن يقولَ الرجلُ للغيمِ والمسحابة : ما أخاقها للمطر !
وهذا كلام مجازه قائم ، وقد كرهه ابن أنس . كأنهم من خوفهم عليهم العودَ
في شيء من أمر الجاهليّة ، احتاطوا في أمورهم ، فنعوه من الكلام الذي فيه ١٦٧
أدنى متعلق .

وروا أن ابن عباسٍ قال : لا تقولوا والذي خاتمته على في ، فإنما
يحتّم الله عز وجل على فم الكافر . وكره قولهم : قوس قزح . وقال : قزح
شيطان ، وإنما ذهبوا إلى التعرّيج والتلوين ، كأنه كره ما كانوا عليه من
عادات الجاهليّة . وكان أحبّ أن يقال قوس الله ، فيرفع من قدره ، كما
يقال بيت الله ، وزوّار الله ، وأرض الله ، وسماء الله ، وأسد الله (١) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : «قولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم
النبيين ، ولا تقولوا : لا نبيّ بعده» . فإلاً تكن ذهبت إلى نزول المسيح
فما أعرف له وجهاً إلا أن تكون قالت لا تغيروا ما سمعتم ، وقولوا كما قيل
لكم ، والفظوا بمثله سواء .

وكره ابن عمر رضي الله عنهما قول القائل : أسلمت في كذا وكذا ،
وقال : ليس الإسلام إلا لله (٢) عزّ وجلّ . وهذا الكلام مجازُه عند الناس
سهل ، وقد كرهه ابن عمر ، وهو أعلم بذلك .

(١) انظر مثل هذا الكلام في الحيوان ٢ : ١٨١ وكذا ثمار القلوب ٨ - ٢٨ حيث فسر
الثعالبي ما أضيف إلى لفظ الجلالة .

(٢) في الأصل : « الله » .

وكره ابن عباس رضي الله عنهما قول القائل : أنا كسلان .

وقال عمر : لا تسموا الطريق السكّة .

وكره أبو العالية قول القائل : كنت في جنازة ، وقال : قل تبعت جنازة .

كأنه ذهب إلى أنه عنى أنه كان في جوفها ، وقال قل تبعت جنازة .

والناس لا يريدون هذا ، ومجاز هذا الكلام قائم ، وقد كرهه أبو العالية .

وهي عندي شبيهة بقول من كرهه أن يقول : أعطاني فلان نصف درهم .

وقال : إذا قلت : كيف تكيل الدقيق ؟ فليس جوابه أن تقول : القفيز

بدنير ، ولكن يتناول القفيز ثم يكيل به الدقيق ، ويقول : هكذا الكيلة .

وهذا من القول مسخوط !

وكره ابن عباس قول القائل : الناس قد انصرفوا ، يريد من الصلاة ، قال

بل قولوا : قد قَضَوْا الصلاة ، وقد فرغوا من الصلاة ، وقد صلّوا ؛ لقوله :

﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ قال : وكلام الناس : كان ذلك حين

انصرفنا من الجنازة ، وقد انصرفوا من السوق ، وانصرف الخليفة ، وصرف

الخليفة الناس من الدار اليوم بخير ، وكنت في أول المنصرفين . وقد كرهه

ابن عباس . ولو أخبرونا بعلته انتفعنا بذلك .

وكره حبيب بن أبي ثابت . أن يقال للحائض طامث ، وكره مجاهد

قول القائل : دخل رمضان ، وذهب رمضان ، وقال : قولوا شهر رمضان ،

فعل رمضان اسم من أسماء الله تعالى .

قال أبو إسحاق : إنما أتى من قبل قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي

أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴿ فقد قال الناس يوم التَّروية : ويوم عَرَفة ولم ١٦٨
بقولوا عرفة .

(رأى النظام في طائفة من المفسرين

وصور من تكلفهم في التأويل)

كان أبو إسحاق يقول : لاتترسلوا إلى كثير من المفسرين ، وإن نصّبوا
أنفسهم للعامّة ، وأجابوا في كلّ مسألة ؛ فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على
غير أساس ، وكثيراً كان المفسر أغربَ عندهم كان أحبَّ إليهم ، وليكن
عندكم عِكْرِمَةُ ، والكلبيُّ ، والسُّديُّ ، والضَّحَّاك ، ومقاتل بن سليمان ،
وأبو بكر الأصبمّ ، في سبيل واحدة . فكيف أتق بتفسيرهم (١) وأسكن إلى
صوابهم ، وقد قالوا في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ : إن الله عزَّ
وجلَّ لم يعن بهذا الكلام مساجدنا التي نصلى فيها ، بل إنّما عنى الجباه وكل
ما سجد الناس عليه : من يدٍ ورجلٍ ، وجَبْهَةٍ وأنفٍ وثَفِنَةٍ .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ : إنّه
ليس يعنى الجمال والنوق ، وإنّما يعنى السحاب .

وإذا سئلوا عن قوله : ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ قالوا : الطلح هو الموز .

وجعلوا الدليل على أن شهر رمضان قد كان فرضاً على جميع الأمم وأن
الناس غيروه ، قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ .

(١) في الأصل : « بتفسير » .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾
قالوا : يعنى أنه حَشَرَهُ بِلَا حِجَّةَ .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَيَلُّ لِمُطَفِّفِينَ ﴾ : الويل وادٍ في جهنم .
ثم قَعَدُوا يَصِفُونَ ذلك الوادى . ومعنى الويل في كلام العرب معروف ، وكيف
كان في الجاهلية قبل الإسلام ، وهو من أشهر كلامهم !

وسئلوا عن قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ قالوا : الفلق :
وادٍ في جهنم ، ثم قعدوا يصفونه . وقال آخرون : الفلق : المِقْطَرَةُ^(١)
بلغه التين .

وقال آخرون في قوله تعالى : ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾ قالوا : أخطأ
من وصل بعض هذه الكلمة ببعض . قالوا : وإلّا ما هى : سَلُّ سَبِيلًا إليها
يا محمد . فإن كان كما قالوا فأين معنى تسمى ، وعلى أى شىء وقع قوله
تسمى فتسمى ماذا ، وما ذلك الشىء ؟

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَجَلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ قالوا الجلود
كناية عن الفروج . كأنه كان لا يرى أن كلام الجلد من أعجب العجب !
وقالوا في قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ : إن هذا إنما كان
كناية عن الغائط . كأنه لا يرى أن في الجوع وما ينال أهله من الذلّة
والعجز والفاقة ، وأنه ليس في الحاجة إلى الغذاء - ما يُكْتَفَى به في الدلالة
على أنّهما مخلوقان ، حتى يدعى على الكلام ويدعى له شيئاً قد أغناه
الله تعالى عنه .

(١) في التاموس : المِقْطَرَةُ : المحجرة ، وخشبة فيها خروق على قدر سعة رجل المحبوسين .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهَّرْ ﴾ : إنه إنما عني قلبه . ١٦٩
 ومن أعجب التأويل قول اللحياني : (الجبار) من الرجال يكون على
 وجوه : يكون جباراً في الضخم والقوة ، فتأول قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا
 جَبَّارِينَ ﴾ قال : ويكون جباراً على معنى قتالا ، وتأول في ذلك : ﴿ وَإِذَا
 بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ ، وقوله لموسى صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ تُرِيدُ
 إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ﴾ أى قتالاً بغير حق . والجبار : المتكبر عن
 عبادة الله تعالى ، وتأول قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ (١) ،
 وتأول في ذلك قول عيسى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ أى لم يجعلنى متكبراً
 عن عبادته ، قال الجبار : المسلط القاهر ، وقال : وهو قوله ﴿ وَمَا أَنْتَ
 عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ أى مسلط فتقهرهم على الإسلام . والجبار : الله .

وتأول أيضاً (الخوف) على وجوه ، ولو وجدته في ألف مكان لقال :
 والخوفُ على ألف وجه ، وكذلك الجبار . وهذا كله يرجع إلى معنى
 واحد ؛ إلا أنه لا يجوز أن يوصف به إلا الله عزَّ وجلَّ .

(تكلف بعض القضاة في أحكامهم)

وقال رجل لعبيد الله بن الحسن القاضي (٢) : إنَّ أبى أوصى بثلث
 ماله في الحصون . قال : اذهب فاشتر به خيلاً ، فقال الرجل : إنه إنما ذكر
 الحصون ! قال : أما سمعت قول الأسعر الجعفي :

(١) في الأصل : « ولم أك » وليس في الكتاب آية بهذا الرسم . مريم . ١٤ .
 (٢) هو عبيد الله بن الحسن بن حصين العبدي ، قاض من الفقهاء العلماء بالحديث ، من أهل
 البصرة ، وتوفى بها سنة ١٦٨ .

ولقد علمت على تجنبي الردى^(١) أن الحصون الخيل لا مدد القرى
فينبغي في مثل هذا القياس على هذا التأويل ، أنه ما قيل للمدن
والحصون حصون إلا على التشبيه بالخيل .

وخبّرني النوشرواني قال : قلت للحسن القاضي : أوصى جدّي بثلاث
ماله لأولاده ، وأنا من أولاده . قال : ليس لك شيء . قلت : ولم ؟ قال :
أو ما سمعت قول الشاعر^(٢) :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهنَّ أبناء الرجال الأبعد

قال : فشكوت ذلك إلى فلان فزادني شرًا .

وقالوا في قوله : ماساءك وناءك : [ناءك] : أبعذك . قالوا : وساءك^(٣)

أبرصك . قال : لقوله تعالى : ﴿ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ . وبئس المتكلف .
وقال ابن قميّة^(٤) :

وحال أثقال إذا هي أعرضت على الأصل لا يسطيعها المتكلف

وقال الله وهو ينجر عن نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا أَنَا

مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

وليس يؤتى القوم إلا من الطمع ، ومن شدّة إعجابهم بالغريب

من التأويل .

(١) في ط : « الورى » وهو تحريف ماني س .

(٢) هذا البيت الآتي مع كثرة الاستشهاد به في كتب العربية وفي كتب الفروض ، لم

يعرف له قائل ، كما صرح بذلك العيني ، والسيوطي في شرح شواهد المغني ٢٨٧ .

لكن وجدت البغدادي في الخزانة ١ : ٤٠٢ : قد نقل عن الكرمانى أن قائله

هو الفرزدق .

(٣) ط : « ماساءك ونايك » وتصحيحه من س . وقد زدت الكلمة التي بين معكفين

ليستقيم الكلام . وفي ط : « برصك » وصوابه في س .

(٤) ط : « ابن قميّة » وصوابه : « ابن قميّة » والبيت في البيان ٢ : ١٨ .

(رأى فى أبى حنيفه)

وسئل حفص بن غياث ، عن فقه أبى حنيفه ، فقال : أعلم الناس بما لم يكن ، وأجهلُ الناس بما كان (١) !

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ قالوا : النعيم : ١٧٠ الماء الحارُّ فى الشتاء ، والبارد فى الصيف .

(الصَّرورة)

ومن الأسماء المحدثه التى قامت مقامَ الأسماء الجاهليَّة ، قولهم فى الإسلام لمن لم يحجَّ : صرورة .

وأنتَ إذا قرأتَ أشعارَ الجاهليَّة وجدتهم قد وضعوا هذا الاسمَ على خلافِ هذا الموضع . قال ابن مقروم الضبِّي (٢) :

لو أنها عرَّضتْ لأشْمَطَ رَاهِبٍ عَبْدَ الإلهِ صرُورَةٍ مُتَبَدَّلِ
لِذَا (٣) لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا وَلَكَسَمَّ مِنْ تَأْمُورِهِ بِتَنْزِيلِ

والصرورة عندهم إذا كانَ أرفعَ الناسِ فى مراتبِ العبادة . وهو اليومَ اسمٌ للذى لم يحجَّ إمَّا لعجزٍ ، وإمَّا لتضييعٍ ، وإمَّا لإنكار (٤) . فهما مختلفان كما ترى .

(١) انظر ٣ : ١٩ .

(٢) هو : ربعة بن مقروم بن قيس الضبِّي . من مخضرمى الجاهلية والإسلام ، وهو من شعراء الحماسة ، وشهد رقعة القادسية سنة ١٦ وتوفى نحو سنة ٢٠ .

(٣) هى فى شعر شبيه بهذا للتأبغة « لرنأ » .

(٤) فى الأصل : « وأما الإنكار » .

(أَلْفَاظُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ)

فإذا كانت العرب يشتقون كلاماً من كلامهم وأسماءً من أسمائهم ،
واللغة عارية في أيديهم ممن خلقهم وهكّتهم وألهمهم وعلمهم ، وكان ذلك
منهم صواباً عند جميع الناس ؛ فالذي أعارهم هذه النعمة أحقُّ بالاشتقاق
وأوجبُّ طاعةً . وكما أن له أن يبتدىء الأسماء ؛ فكذلك له أن يبتدئها
مما أحب . . . قد سُمِّي كتابه المنزل قرآناً ، وهذا الاسم لم يكن حتى كان ،
وجعل السجودَ للشمس كفراً ، فلا يجوز أن يكون السجود لها كفراً
إلا وترك ذلك السجود بعينه يكون إيماناً ، والترك للشيء لا يكون إلا
بالجارحة التي (١) كان بها الشيء ، وفي مقداره من الزمان ، وتكون بدلاً منه
وعقباً . فواحدة أن يسمّى السجود كفراً ، وإذا كان كفراً كان سجوداً
وإذا كان سجوداً كان شركاً ، والسجود ليس بجحد ، والجحد ليس بإشراك
إلا أن تصرفه إلى الوجه الذي يصير [به (٢)] إشراكاً .

(ما اشتق من نباح الكلاب وما قيل من الشعر فيه)

وقال طفيل الغنوي (٣) :

عَوَازِبٌ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مَمَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَاراً تَمَّ حَوْلَ مَجْرَمٍ
وإنما أخذ ذلك للجميع من نباح الكلاب .

(١) في الأصل : « حتى » .

(٢) كلمة يحتاج إليها القول .

(٣) البيت في الشعراء لابن قتيبة ٢٨٨ منسوب إلى ابن مقبل . وفي ثمار القلوب ٤٦٢ :

« عوازب لم تسمع بنوح حمامة »

وذكروا أن الطَّبِيَّ إِذَا أَسَنَّ وَنَبَتَتْ لِقَرُونَهُ شَعْبٌ نَبَّحٌ ، وهو قول
أبي دَوَادٍ (١) :

وقصرى شَنِجِجَ الْأَنْسَاءِ ۖ نَبَّاحٌ مِنَ الشَّعْبِ

يعنى من جهة الشعب : وأنشد بعضهم :

وَيَنْبَحُ بَيْنَ الشَّعْبِ نَبْحًا كَأَنَّهُ نَبَّاحٌ سَلُوقٍ أَبْصَرَتْ مَا يُرِيْبُهَا
وَبَيَّضَهَا الْهَزْلُ الْمَسْوُودُ غَيْرَهَا كَمَا ابْيَضَّ عَنْ حَمْضِ الْمَرَا حِمْنِيْبُهَا (٢)
لأن الطَّبِيَّ إِذَا هَزَلَ ابْيَضَّ ، والبمير يَشِيْبُ وَجْهَهُ مِنْ أَكْلِ الْحَمْضِ .

وكذلك قال ابن لجأ (٣) :

« شَابَتْ وَمَا تَذُنْ مِنْ ذَكَائِهَا (٤) »

كما قال الآخر :

أَكَلَنْ حَمْضًا فَالْوَجُوهُ شِيْبُ شَرِبْنِ حَتَّى نَزَحَ الْقَلِيْبُ
وقد تصير النَّاقَةُ الْحَمْرَاءُ إِذَا أَمَّتْ حَبَشِيَّةً . ولذلك قال الشاعر :

« حَمْرَاءُ لِاحْبَشِيَّةِ الْإِمَامِ »

وما أشبه ذلك بقول العبدى (٥) :

وَدَاوَيْتُهَا حَتَّى شَدَّتْ حَبَشِيَّةً كَأَنَّ عَلَيْهَا سُدْسًا وَسَدُوسًا

(١) فى الأصل : « ابن داود » وإنما هو أبو داود كما فى اللسان (نبح) . والقصرى :
أول الأضلاع أو آخرها . وكان البيت محرفا على الوجه الآتى فصححت منه :

وقصرى سح الأتشا نباح من الشعب

(٢) انظر رواية البيهتين فى المعانى الكبير ص ٦٩٥ .

(٣) هو عمر بن لجأ من بنى تيم بن عبدمناة بن أد بن طابخة ، وكان قد لجج الهجاء بينه
وبين جرير لتنافس حدث بينهما فى الشعر ، فكانت خصومتها أدبية فى أول الأمر
ثم استحالت إلى خصومة النخر بالنسب ، والقبيلة . ابن سلام ٣٦٢ وابن قتيبة ٢٦٢ .

(٤) الذكاء : علو السن . وفى الأصل : « من ركاها » . وانظر المعانى الكبير .

(٥) هو يزيد بن خذاق . الاقتصاب . : ، والمفضليات ١٤٣ وانظر أدب الكاتب ٣١٧

والدَّواءُ : اللبْنُ ، فلذلك تصير الفرس إذا أَلقت شعرها وطرَّت :

تستديل هذا اللون .

وقال خالد بن الصَّقْعَبِ النَّهْدِيُّ^(١) :

هَبَطْنَا بَعْدَ عَهْدِكَ بَطْنًا خَبِثَ تَظَلُّ حَمَاهُ مِثْلَ الحُصُومِ -
كَأَنَّ عَرِينَ أَيْكَتِهِ تَلَاقَى بِهِ جَمْعَانِ مِنْ نَبِطٍ وَرُومٍ^(٢)
نُبَاحُ الهُدْهِدِ الحَوْلِيِّ فِيهِ كَنَبِاحِ الكَلْبِ فِي الأَنْسِ المَقِيمِ^(٣)

ويقال إنَّ الهدهد ينبحُ . وربما جعلوا الهدهدَ ، (الذي ينبح) .

الحمامَ الذَّكَرَ . قال الشاعر - وهو يصف الحمام الذَّكَرَ كيف يصنع فيها - :

وإذا استترن أرنَّ فيها هُدْهُدٌ مِثْلُ المِدادِ خَضَبَتْهُ بِجِسَادٍ^(٤)

وقال طُفَيْلٌ فِي النُّبُوحِ والمَجَاعَاتِ^(٥) :

وَأشَعَتْ تَزْهَاهُ النُّبُوحُ مُدْفَعٍ عَنِ الزَّادِ مِمَّا جَلَّفَ الدَّهْرُ مُحْتَلٍ^(٦)

وقال الجعدي^(٧) :

فلما دَنَوْنَا لَصَوْتِ النُّبَاحِ وَلَا نُبْصِرُ الحَيَّ إِلَّا التَّماسَا

وقال ابن عبدل :

آلَيْتُ إِذْ آلَيْتُ مُجْتَهِدًا وَرَفَعْتُ صَوْتًا مابَهُ بَحْحُ

لَا يُدْرِكُ الشُّعْرَاءُ مَنزِلَتِي فِي الشُّعْرِ إِنْ سَكَّتُوا وَإِنْ نَبَّحُوا

وقال عمرو بن كلثوم :

١٧٢

(١) فصيحة هذا الشعر رواها ابن الشجري في حماسه وفسرها (٢٨٩ - ٢٩١) .

(٢) في الأصل : « عريك » و « تلاح » و « قبط » وتصحيحه من الجماسة .

(٣) هذه في ط . وليست في س .

(٤) ط : « وإذا استترن » . والمداك : حجر يسحق عليه الطيب . والجساد : الزعفران .

(٥) في الأصل : « المجاعات » .

(٦) المحتل : الذي الخان ، ورواية اللسان : « من حرف الدهر » . وفي الأصل :

« خلف الدهر » ، صوابه بالجيم كما في المختصر ٢ : ١٣٦ .

(٧) هو النابغة الجعدي . وانظر الأغاني (: : ١١٩) .

وَقَدْ هَرَّتْ كِلَابُ الْحَيِّ مِنَّا وَشَذَبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا

وقال بعض العلماء : كلاب الحي شعراؤهم ، وهم الذين ينبحون دورهم .
ويحمون أعراضهم . وقال آخرون : إن كلاب الحي كلُّ عمورٍ . وكلُّ
ذئ عيون أربع (١) .

وأما قوله (٢) :

لَعَمْرُكَ مَاخَشَيْتُ عَلَى أَبِي رِمَاحَ بَنِي مَقِيدَةَ الْحِمَارِ (٣)

وَلَكِنِّي خَشَيْتُ عَلَى أَبِي رِمَاحَ الْجَنِّ أَوْ إِيَّاكَ حَارِ (٤)

فالتَّوَاعِينُ (٥) هي عند العرب رماح الجن . وفي الحديث : « إن
الطَّاعُونَ وَخَيْرُ مِنَ الشَّيْطَانِ » .

وقال أبو سلمى (٦) :

لَا بَدَّ لِنَسُودٍ مِنْ أَرْمَاحِ رَمَنْ سَفِيهِ دَائِمِ النَّبَاحِ

وَمَنْ عَدِيدٍ يُتَّقَى بِالرَّاحِ

وقال الأعشى :

مِثْلَ أَيَّامِ لَنَا نَعْرِفُهَا هَرَّ كَلْبُ النَّاسِ فِيهَا وَنَبَحَ

رُزْنُ الْأَحْلَامِ فِي مَجْلِسِهِمْ كَلِّمَا كَلْبُ مِنَ النَّاسِ نَبَحَ

(١) كذا .

(٢) الشعر في الحيوان (٦ : ٢١٩) منسوب إلى « الأسدى » يقوله للحارث الغسافي .
وفي آكام المرجان ١٦ إلى « الأزدي » وفي ثمار القلوب ٥٣ إلى امرأة .

(٣) بنو مقيدة الحمار : العقارب ، لأنها أكثر ما تكون في الحرة . اللسان (رمح :
حمر) .

(٤) ط : « رماح الحي » . وتصحيحه من س ، والمراجع المقدمة في التنبيه السابق

(٥) في الأصل : « والطواعين » .

(٦) الرجز في البيان ٣ : ٣٣٥ وسيعاد في ٣ : ٧٩ .

وقال :

سَيَنْبَحُ كَلْبِي جَاهِدًا مِنْ وِرَائِكُمْ وَأَغْنِي غَنَائِي عَنْكُمْ أَنْ أُؤْتَبَا

وقال أبو ذؤيب :

وَلَا هَرَّهَا كَلْبِي لِيَبْعَدَ تَعْرَهَا ^(١) وَلَوْ نَبَحْتَنِي بِالشُّكَاةِ كَلَابُهَا

كلابها : شعراؤها ، وهو قول بشر بن أبي خازم :

وَأِنِّي وَالشُّكَاةَ لَأَلِ لَأَمٍ كَذَاتِ الضُّغْنِ تَمْشِي فِي الرَّفَاقِ

وقال أبو زبيد ^(٢) :

أَلَمْ تَرَنِي سَكَّنْتُ لَأَيَّا كَلَابِهِمْ وَكَفَفْتُ عَنْكُمْ أَلْبِي وَهِيَ عُقْرٌ

(هجاء ضروب من الحيوان)

١٧٣ قال صاحب الكلب : قد علمنا أنكم تتبعتم على الكلب كل

شيء هجى به ، وجعلتم ذلك دليلا على سقوط قدره وعلى لؤم طبعه ؛ وقد رأينا الشعراء قد هجوا الأصناف كلها ، فلم يُفَلت منهم إنسان ولا سبع ، ولا بهيمة ولا طائر ولا هَمَج ولا حشرة ، ولا رفيع من الناس ولا وضيع ،

(١) تعر ، كنع : صاح . وفي ط : « شعرها » بحرفه .

(٢) هو أبو زبيد الطائي ؟ واسمه حرملة بن المنذر ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام

وكان لسانا فصيحاً بليغ الوصف : وصف الأسد بحضرة عثمان وصفاً بلغ فيه الغاية .

الأغاني ١١ : ٢٣ - ٢٥ وقد ترجم له البغدادي في الخزانة ؛ : ١٤٣ والسجستاني

في المعبرين ٩٨ ليدن ، وابن حجر في الإصابة ٤٨٠ ؛ قدم النكتي وزبيد بهيئة التصغير .

إلا أن يسلم بعض ذلك عليهم بالحمول . فكفاك بالحمول دقةً ولؤماً وقلةً
ونذالة . وقال أمية بن أبي عائذ لإياس بن سهم :

فأبليغ إياساً أن عريض ابن أخحك

رداؤك فاصطن حسنه أو تبدل^(١)

فإن تك ذا طول فإني ابن أخحك

وكل ابن أخت من ندى الخال مغتلي^(٢)

فكن أسداً أو ثعلباً أو شبيهه

فهما تكن أنسب إليك وأشكل

فما ثعلب إلا ابن أخت ثعالة^(٣)

وإن ابن أخت الليث ريبال أشبل

ولن تجد الآساد أحوال ثعلب إذا كانت الهيجا تلوذ بمدخل

فهذا من الثعلب . وقال مزرد بن ضرار^(٤) :

وإن كناز اللحم من بكراتكم تهر عليها^(٥) أمكم وتكالب

وليت الذي ألقى فناؤك رحله لتقرية بالت عليه الثعالب

فقد وضع الثعلب كما ترى بهذا الموضع الذي كفاك به نذالة . قال ابن هرمة :

فما عادت بذي يمن رءوساً ولا ضرت لفرقتها نزاراً

(١) في الأصل : فاصبر خشيةً و تبدل « ، وتصحيحه من عيون الأخبار ٣ : ٨٩ .

(٢) في الأصل : « مغتل » والصواب « مغتلي » كما في أشعار الخليلين أو « مغتلي » كما في عيون الأخبار . واعتل واغتل : ارتفع .

(٣) في عيون الأخبار : « ثعالب » .

(٤) في ط : « مزرد بن ضرار » وإنما هو « مزرد بن ضرار » أخو الشماخ .

(٥) في الأصل : « علينا » .

كعنزِ السَّوءِ تنطَحُ من خلاها (١) وترأُّمُ من يُحِدُّ لها الشِّفَارا

وهذا قول الشاعر في العنز . وقال ابن أحرر :

إنا وجدنا بني سَهْمٍ وجامِلِهِمُ كالعنزِ تَعْطِفُ رَوْقِهَا فترتَضِعُ

وقال الفرزدق :

على حينَ لم أتركْ على الأرضِ حَيَّةً ولا نابجاً إلا استقرَّ عَقُورُهَا

وكان نَفِيعٌ إذ هجاني لأهلِهِ كباحثةٍ عن مُدِيَّةٍ تستثيرُهَا

فهذا قولهم في العنز . ولا نعلم في الأرض أقلَّ شراً ولا أكثر خيراً

من شاة .

وقال الخريمي (٢) :

يا للرجال لقومٍ قد مللتهم أرى جوارهمُ إحدى البليَّاتِ

ذئبٌ رضيعٌ وخنزيرٌ تُعارضُهَا عَقَارِبُ وُجِنَتْ وَجَنَّا بِحَيَّاتِ (٣)

ما ظنُّكم بأناسٍ خَيْرُ كَسِبِهِمْ مُصَرَّحِ السُّحْتِ سَمَوَهُ الْأَمَانَاتِ

فهذا قولهم في العقارب والحيات والضباع والخنازير .

وقال حماد عجرد في بشار :

قد كان في حَيٍّ غزاةً شاغلٌ للقرد عن شَتْمِي وفي ثوبانِ

أو في سمِيعَةَ أُخْتِهَا وشِرادِهَا لمجونها مع سيفلة المَجَّانِ

أو بيت ضيق عرسه وركوبها شرَّ البِغَاءِ بأوكسِ الأثمانِ (٤)

(١) ط : « فلاها » وتصحيحه من س . والشعر سبق في ص ٢٣١ .

(٢) في الأصل : « الخريمي » وهو « الخريمي » كما سبق التنبيه في ص ٢٢٤ .

(٣) أصل الوجن : اللق ، ومنه ميجنة القصار ، وجعله الشاعر هنا للخلط .

(٤) في الشعر تحريف .

هذا قول حماد في القرد . وقال حماد في بشار بن برد أيضاً :

واسكن معاذ الله لست بقاذفٍ بريئاً لسواقٍ لِقومٍ نوائحٍ
وما قلتُ في الأعمى لجهلٍ وأمه ولكن بامرٍ بيني لي واضحٍ
سأعرضُ صفحاً عن حُصينٍ لأمه ولست عن القرد ابن بردٍ بصافِعٍ
وقال الآخر :

لما أتيت ابني يزيدَ بنَ خثعمٍ أرى القردَ والخنزيرَ مُحْتَبِيانِ
أمامَ بيوتِ القومِ من آلِ خثعمٍ وراءَ قبيحاتِ الوجوهِ بطنِ
وقال العتّابي :

اسجدُ لقرْدِ السوءِ في زمانِهِ وإن تَلَقَّكَ بِخَنزِوانِهِ (١)
« لا سيماً ما دام في سلطانه »

وقال أبو الشمقمق :

إن رياحَ اللُّومِ من شُحِّهِ (٢) لا يَطْمَعُ الخنزيرُ في سَلْحِهِ
كفاه قُفْلٌ ضلَّ مِفْتَاحَهُ قد يَبْسُ الحدَّادُ من فَتْحِهِ
وقال خلف بن خليفة (٣) :

فسبحانَ من رَزَقَهُ واسعٍ يعمُّ به القردَ والقردَةَ

(١) الخنزوان بفتح الحاء : القرد ، وذكر الخنازير ؛ وبضمها : الكبر . وانظر

اللسان (قرا ص ٣٦) والمعرب للجواليقي ٢٢٧ .

(٢) في ط : « شه » وهو تحريف صوابه في س .

(٣) شاعر إسلامي مجيد بحسن مقل ، كان في زمن جرير والفرزدق ، وكان يقال له الأقطع

لأنه قطعت يده في سرقة ، وهو من شعراء الحماسة .

وهذا كثير . ولعمري لو أُجمع كله لكان مثل هِجاء الناس للكلب ، وكذلك لو جمع جميع ما مدح به الأسد فما دونه ، والأمثالُ السائرةُ التي وقعت في حمد هذه الأشياء ، لما كانت كلها في مقدارِ مديح الكلب . فهذه حُجَّتُنَا في مرتبةِ الكلب على جميع السباع والبهائم .

١٧٥ ولما قال معبدٌ في قتل الكلب ، وتلا قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ ﴾ قال أبو إسحاق : وإن كنتَ إنما جعلتَ الكلبَ شرًّا الخلق بهذه العلة ، فقد قال على نسق هذا الكلام : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ فالذي قال في الإبل والبقر والغنم أعظم ، فأسقط من أقدارها بقدر معنى الكلام . وأدنى ذلك أن تُشرك بين الجميع في الذمِّ فإنَّك متى أنصفتَ في هذا الوجه ، دعاك ذلك إلى أن تُنصِفها في تبُّع ماها من الأشعار والأمثال والأخبار والآيات ، كما تتبعت ما عليها .

(الشرف والخمول في قبائل العرب)

وقال صاحب الكلب : سنضرب مثلا بيننا يكون عدلا : إذا استوى القبيلان في تقادم الميلاد ثم كان أحد الأبوين كثير الذرة^(١) والفرسان والحكماء والأجواد والشعراء ، وكثير السادات في العشائر ، وكثير الرؤساء [في] الأرحاء^(٢) وكان الآخر قليل الذرة^(١) والعدد ، ولم يكن فيم خير كثير ولا شر كثير ، خملوا أو دخلوا في غمار العرب ، وغرقوا في معظم الناس^(٣) ، وكانوا من المغمورين ومن المنسيين ، فسلموا من ضروب الهجاء ومن أكثر ذلك ، وسلموا من أن يضرب بهم المثل في قلّة ونذالة إذا لم يكن شر ، وكان محلهم من القلوب محلّ من لا يغبط الشعراء^(٤) ، ولا يحسداهم الأكفاء ؛ وكانوا كما قال حميد بن ثور :

وقولا إذا جاوزتما أرضَ عامرٍ وجاوزتما الحيين نهدا وخشعما
نزيعان من جرم بن ربان إنهم أبوا أن يريقوا في الهزاهز محجما^(٥)
وإذا تقادم الميلاد ولم يكن الذرة^(١) وكان فيهم خير كثير وشر كثير ، ومثالب ومناقب ، لم يسلموا من أن يهجوا ويضرب بهم المثل ، ولعل أيضا أن تتفق لهم أشعار تتصل بمحبة الرواة ، وأمثال تسير على ألسنة

(١) الذرة : النسل . وفي الأصل : « الذرة » محرفة .

(٢) الأرحاء : جمع رحي ، وهي القبيلة المستقلة . وفي الأصل « وكثير الرؤساء والأرجاء » . وقد صححت المصحف : واجتلبت الكلمة التي بين معكفين ليستقيم الكلام .

(٣) في ط : « غرفوا » وفي م : « عرقوا » ، وصوابهما ما أثبت من س .

(٤) أي يغبطهم الشعراء . وفي الأصل : « من لا يغبط الشعراء » .

(٥) ط : « نزيعان من جرم بن ريان » س : « تريعان من جرم بن ريان » .

العلماء ، فيصيرُ حينئذٍ من لاخير فيه ولا شرًّا ، أمثلًا حالًا في العامَّة ،
مَّن فيه الفضلُ الكثيرُ وبعضُ النقص ، ولا سيَّما إذا جاوَرُوا من يأكلهم
١٧٠ وحالفوا من لاينصفهم ، كما لقيت غنيًّا أو باهلة .

ولو أنَّ عبسًا أقامت في بني عامر ضِعْفَ ما أقامت ، لذهب شَطْرُ
شرفها ؛ ولكنَّ قيسَ بن زُهَيرٍ لما رأى دلائل الشرِّ قال لأصحابه :
الذلُّ في بني غطفان خير من العزِّ في بني عامر !

وقد يكون القوم حُلُولًا مع بني أعمامهم ، فإذا رأوا فضلهم عليهم حسدوهم
وإن تركوا شيئًا من إنصافهم اشتدَّ ذلك عليهم وتعاطمهم ، بأكثر من
قدره ، فدعاهم ذلك إلى الخروج منهم إلى أعدائهم . فإذا صاروا إلى آخرين
نهكهم وحملوا عليهم ، فوق الذي كانوا فيه من بني أعمامهم ، حتى يدعُوهم
ذلك إلى الندم على مفارقتهم ، فلا يستطيعون الرجوع ، حميةً واتقاءً (١) ،
ومخافةً أن يعودوا لهم إلى شيء مما كانوا عليه ، وإلى المقام (٢) في حلفائهم
الذين يرون من احتقارهم ، ومن شدَّة الصَّولة عليهم .

(بكلِّ وادِ بنو سعد)

وقد خرج الأضبط بن قُريِع السَّعديُّ من بني سعد ، فجاورَ ناسًا ،
فلما رأى مذهبهم وظلمهم ونهكهم (٣) ، قال : « بكلِّ وادِ بنو سعد ! »
فأرسلها مثلاً .

(١) لعلها : « حمية وإبقاء » .

(٢) في الأصل : « ولا المقام » .

(٣) في الأصل : « وتهكهم » وهو تحريف .

وقد كان عبّاس بن ربيعة الرّعلي سيّد بني سليم ، وقد ناله ضيم في بعض الأمر ، فأبى الضّيم ، فلما حاول مفارقتهم [إلى] بني غنم عزّ عليه^(١) فقال في كلمة له :

وأُمُّكم تُزجى التّوام لبعلها وأمُّ أخيكم كزّة الرّحم عاقِرُ
وزعموا أنّ أبا عمرو أنشد هذا الشعر^(٢) ، وخبر عن هذه القصّة في يومٍ
من أيامه ، فدمعت عينه ، فحلف شبّيل بن عزرة^(٣) بالطلاق : إنّه لعربى
في الحقيقة لغيّة أو لرشدة !

(قبائل في شطرها خير كثير

وفي الشطر الآخر شرف وضعة)

فمن القبائل المتقادمة الميلاد التي في شطرها خير كثير ، وفي الشطر الآخر
شرف وضعة ، مثل قبائل غطفان وقيس عيلان ، ومثل فزارة ومرة وثعلبة .
ومثل عبس وعبد الله بن غطفان ، ثم غني^(٤) وباهلة ، واليعسوب والطفافة
فالشرف والخطر في عبس وذبيان ، والمبتلى والملقى والمحروم والمظلوم ،
مثل^(٥) باهلة وغني ، ممّا لقيت من صوائب سهام الشعراء ، وحتى كأنّهم
آلة^(٦) لمدارج الأقدام ، ينكب فيها كلُّ ساعٍ ، ويعثر بها كلُّ ماش .

(١) في الأصل : « فلما حاول منافرتهم بني غنم أعز منه » .

(٢) في الأصل : « وزعم أن أبا عمرو أنشده هذا الشعر » وليس بشيء .

(٣) في ط : « عروة » وتصحيحه من س : وانظر التنبيه رقم ٦ ص ٣١٣ .

(٤) في الأصل : « يحيى » وإنما هو « غني » وسيتكرر الحديث عن غني وباهلة .

(٥) في الأصل : « ومثل » والوجه حذف اللواو .

(٦) كذا .

وربما ذكروا اليعسوب والظفاوة ، وهاربة البقاء^(١) وأشجع الخنثى
ببعض الذكر . وذلك مشهور في خصائص العلماء ولا يجوز ذلك صدورهم .
وجلُّ معظم البلاء لم يقع [إلا]^(٢) بغنى وباهلة ، وهم أرفع من هؤلاء وأكثر
فضولاً ومناقب ، حتى صار من لاخير فيه ولا شرراً عنده أحسن حالاً ممن
فيه الخير الكثير وبعض الشر ، وصار مثلهم كما قال الشاعر^(٣) :

١٧٧ اضرب ندى طلحةِ الطلحات مبتدئا

ببُخل أشعثٍ واستثبِتْ وكنْ حكماً^(٤)

تخرج خُزاعة من لؤمٍ ومن كرمٍ

ولا تُعدِّ لها لؤماً ولا كرمًا^(٥)

وقد ظرف في شعره فظلم خُزاعةَ ظلماً عبقرياً .

وقال في مثل ذلك الأشعر الرقبان^(٦) الأسديّ :

(١) هاربة البقاء هي هاربة بن ذبيان ، انظر القاموس (هرب) ومعجم البلدان (الهاربة)

مع المعارف لابن قتيبة (نسب ذبيان بن بغيض) ص ٣٧ .

(٢) حرف يصلح به الكلام .

(٣) هو دعبل بن علي الخزاعي كما في الأغاني ١٨ : ٤٤ ، ٤٨ ، وزهر الآداب ٤ : ٢٠٦ .

(٤) في ط : « بنى طلحة » ، وتصحيحه من س ، ومن الأغاني . والرواية فيها :

* بلؤم (مطلب) فينا وكن حكماً *

والمطلب الذي يعنيه هو ابن عبدالله بن مالك ، كان والياً على مصر . وقد كان ولي دعبلا

على أسوان ، فلما سمعه يهجو هذا الشعر المتقدم عزله عنها .

(٥) في الأصل : « ولا تغركها » وليس بشيء وصوابه في الأغاني .

(٦) في ط : « وقال في ذلك الشعر الرقبان » وفي س : « وقال في مثل ذلك الشعر الرقبان »

والوجه ما أثبت . والأشعر لقب للرقبان ، وهو شاعر جاهلي . والشعر في نوادر

أبي زيد ٧٣ وعيون الأخبار ٢ : ١٩٥ ، ٣ : ٢٦٨ وأمالى القلى ٢ : ٢١١ . وانظر

اللسان وتاج العروس (ضرر ، مسخ) .

بِحَسْبِكَ فِي الْقَوْمِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضِرٌّ
وَأَنْتَ مَلِيخٌ كُلِّحْمِ الْحَوَارِ فَلَا أَنْتَ حُلُوٌّ وَلَا أَنْتَ مُرٌّ

وكما قال الشاعر في علباء بن حبيب حيث يقول :

أرى العلباء كالعلباء لا حلو ولا مرٌّ
شيخٌ من بني الجارو د لا خير ولا شرٌّ
فهذا ونحوه من أشدَّ الهجاء .

والحمول اسمٌ لجميع أصناف النقص كلها أو عامتها ، ولكنه كالسرو
عند العلماء . وليس ينفعك العامة إذا ضررتك الخاصة .

ومن هذا الضرب تميم بن مرٍّ ، وثور وعكّل ، وتيم ومزينة . ففي
عكّل وتيم ومزينة من الشرف والفضل ، ما ليس في ثور ، وقد سلم ثور إلا
من الشئ اليسير ، مما لا يرويه إلا العلماء ، ثم حلت البليّة وركد الشرّ ،
والتحف الهجاء على عكّل وتيم ، وقد شعّوا بين مزينة شيئاً ، ولكنهم
حبّهم إلى المسلمين قاطبةً ما تهبأ لهم من الإسلام ، حين قلّ حظّ تيم فيه .
وقد نالوا من ضبّة ، مع ما في ضبّة من الخصال الشريفة ؛ لأنّ الأب متى
نقص ولده في العدد عن ولد أخيه^(١) فقد ركبهم الآخرون بكلّ عظمة ،
حتى يروا تسليم المربع إليهم حظّاً ، والسير تحت اللواء ، والحمل على أموالهم
في النوائب ؛ وحتى ربّما كانوا كالعضاريط والعسفاء ، والأتباع ، وفي الأتباع
والدخلاء ، ثم لا يجدون من ذلك بدءاً ؛ كأنهم متى امتنعوا خذلوهم ،
فاستباحوهم ، فرأوا أنّ النعمة أربح لهم .

(١) في الأصل : « متى نصر ولده في العدد على ولد أخيه » ، وأصلحته كما ترى .

وقد أعان غيلان^(١) على الأحنف بكلمة ، فقال الأحنف : عبيدٌ
في الجاهليّة ، أتباعٌ في الإسلام .

فإن هربوا تفرّقوا فصاروا أشلاءً في البلاد ، فصار حكمهم حكم من
درج ، وحكمُ أبيهم كحكم من لم يُعقب . وإن هم حالفوا القرباء فذلك
حيث لا يرفعون رؤوسهم من الذلّ والغرم .

(الحلف عند العرب)

والحِلفُ^(٢) ضربان : فأحدهما كانضمام عبس وضبّة ، وأسد وغطفان
فإنَّ هؤلاء أقوياء لم يُنْهكوا كما نُهكت باهلة وغنيّ ، لحاجة القوم إليهم ،
١٧٨ ولخشونة مسّهم إن تذكروا^(٣) على حال ؛ فقد لقيت ضبّةً من سعدٍ ، وعبرُ
من عامر ، وأسدٌ من عيينة بن حصن ما^(٤) لقوا .

وقد رأيت مشقّةً ذلك على النابغة ، وكيف كره خروج أسد من
بنى ذبيان .

وعيينة بن حصن وإن كان أسود من النابغة وأشرف ، فإنَّ النابغة
كان أحزم وأعقل .

(١) لعلها : « عال غيلان » بمعنى جار وجاوز الحد . فإن غيلان هذا هو غيلان بن خرشة

انظر حديثه مع الأحنف في البيان ٢ : ٨٨ و ٣ : ٩٨ .

(٢) ط : « الحلف » وصوابه في س .

(٣) كذا .

(٤) في الأصل : « مما » .

وقد سلمت ثور وابتليت عُكل وتيم ، ولولا الربيع بن خُثيم^(١) وسُفیان الثورى ، لما علمت العامةُ أنَّ في العرب قبيلةً يقال لها ثور . وكشريف واحدٌ ممن قبَلت^(٢) تيم أكثرُ من ثور وما ولد .

وكذلك بلعنبر ، قد أبتليت وظلمت وبُنخت : مع ما فيها من الفُرسان والشُعراء ، ومن الزُّهاد ، ومن الفقهَاء ، ومن القضاة والوُلاة ، ومن نوادر الرِّجال إسلاميِّين وجاهليِّين .

وقد سلمت كعب بن عمرو ؛ فإنه لم ينلها من انهجاء إلا الحمش^(٣) والنُتف .

وربَّ قومٍ قد رضوا بَحْمولهم مع السلامة على العامة ، فلا يشعرون حتَّى يصبَّ اللهُ تعالى على قهم رعو سهم حجارةَ القذف ، بأبياتٍ يسيرها شاعر ، وسوطَ عذابٍ يسير به الراكبُ والمثل ، كما قال الشاعر :

إِنْ مَنَافًا فَفَقَّحَةٌ لِدَارِمٍ^(٤) كَمَا الظَّيْمُ فَفَقَّحَةُ البِرَاجِمِ

وقال الشاعر^(٥) :

وَجَدْنَا الحُمَرَ مِنْ شَرِّ المَطَايَا كَمَا الحَبِطَاتُ شَرُّ بَنِي تَمِيمِ

فما الميسم في جلد البعير ، بأعلق من بعض الشعر .

(١) في الأصل : « خيثم » . وانظر الاشتقاق ١١٢ ، ١١٣ وتقريب التهذيب .

(٢) في الأصل : « قتلت » ، وجعلتها « قبلت » من قبلة القابلة الولد : أخرجته .

(٣) الحمش بمعنى الخدش . وفي الأصل : « الخمس » .

(٤) في الأصل : « إن منا فقحة لدارم » .

(٥) البيت من أبيات ثلاثة لزياد الأعجم أوردها العينى ، ونقلها عنه البغدادي في خزانة

الأدب ٤ : ٢٨٠ ، وهى - وفي البيت الأوسط إقواء :

وأعلم أننى وأبا حميد كما النشوان والرجل الخليم

أريد حباه ويريد قتلى وأعلم أنه الرجل اللثيم

فإن الحمير من شر المطايا كما الحبطات شر بنى تميم

(أثر الشعر في نباهة القبيلة)

وإذا كان بيت واحد يربطه الشاعر في قوم لهم النباهة والعدد
والفَعَال ، مثل نُمَيْر ، يصير أهله إلى ما صارت إليه نُمَيْر وغير نُمَيْر ، فما ظنُّكَ
بِالظُّلْمِ وبِمَنَافٍ وبِالْحَبِطَاتِ ، وقد بلغ مضرَّةُ جرير عليهم حيثُ قال :
فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلاباً
إلى أن قال شاعر آخر وهو يهجو قوماً آخرين :

وَسَوْفَ يَزِيدُكُمْ ضَعَةً هِجَائِي كَمَا وَضَعَ الْهِجَاءُ بَنِي نُمَيْرٍ
وَحَتَّى قَالَ أَبُو الرَّدِّدِيِّ :

أَتُوَعِدُنِي لِتُقْتَلَنِي نُمَيْرٌ مَتَى قَتَلْتَ نُمَيْرٌ مَنْ هَجَاهَا

(بكاء العرب من الهجاء وذ كر بعض من بكى منهم لذلك)

ولأمر ما بكت العربُ بالدموع الغزار من وقعِ الهجاء ، وهذا من
أول كرمها ، كما بكى مخارقُ بن شهاب^(١) ، وكما بكى علقمة بن عُلاثة ،
١٧٩ وكما بكى عبد الله بن جُدعان من بيتِ لُحْدَاش^(٢) بن زهير . وما زال يهجو
من غير أن يكون [رآه ، ولو]^(٣) كان رآه ورأى جماله وبهائه ونبله [و]^(٤) الذي
يتبع في النفوس من تفضيله ومحبته [و]^(٤) من إجلاله والرقه عليه — أمسك . ألا

(١) الذي أبكاه هو محرز بن المكعب العنبري ، وانظر الحديث في البيان ؛ : ٤١ - ٤٢ .

(٢) في الأصل : « نخراش » .

(٣) زيادة يتطلبها الكلام وليست بالأصل .

(٤) ليس بالأصل .

نرى أن النبيت وغسان بن مالك بن عمرو بن تميم^(١) . ليس يعرفهم بالعجز والقلة إلا دغفل بن حنظلة^(٢) ، وإلا النخار العذري^(٣) وإلا الكيس النمرى^(٤) . وإلا صحر العبدى ، وإلا ابن شريّة وأبو السطّاح^(٥) وأشباههم ومن شابه طريقهم والاقتباس من موارثهم ، وقد سلموا على العامة وحصلوا نسب العرب فالرجل منهم عربى تميمى ، فهو يعطى حقّ القوم فى الجملة ولا يقتضى ما عليه وعلى رهنه فى الخاصة . والحرمان أسوأ حالا فى العامة من هذه القبائل الحاملة وهم أعدّ وأجلد .

(ما تبدلى به القبائل فيصيبها بالحمول)

وبليّة أخرى : أن يكون القبيل متقادماً الميلاد ، قليل الذلة قليل السيادة ، وتبيهاً أن يصير فى ولد إخوتهم الشرف الكامل والعدد التام ، فيستبين لمكانهم منهم من قاتم وضعفهم لكل من رآهم أو سمع بهم . أضعاف الذى هم عليه لو لم يكونوا ابتلوا بشرف إخوتهم . ومن شؤم الإخوة أن شرفهم ضعفة إخوتهم ، ومن يمين الأولاد أن شرفهم شرف من قبلهم من آباءهم ومن بعدهم من أولادهم : كعبد الله بن دارم وجريز بن دارم . فلو أنّ الفقيم لم يناسب عبد الله بن دارم وكان جاراً ، كان خيراً له .

(١) فى الأصل : « نيمر » . وانظر الاشتقاق ١٢٤ .

(٢) فى الأصل : « من حنظلة » وقد جمع ابن النديم تراجم النسائين فى فهرسته ١٣١ .

(٣) فى الأصل : « النمرى » وتصحيحه من المعارف لابن قتيبة ٢٣٣ والفهرست ١٣٢ .

(٤) فى الأصل : « ابن أبى السطّاح » وانظر البيان (١ : ٣٦٢) وما سأتى فى ٣ : ٢٠٩ .

واقعد ضعفت قريش - لما جاءت به من الحصال الشريفة التامة ؛
من أركان كنانة - سنام الأرض وجبلها (١) وعينها التي تبصر بها ، وأنفها
التي بها تعطس ، فما ظنك بمن أبصر بنى زيد بن عبد الله بن دارم ، وبنى
نهشل بن دارم ، وبنى مجاشع بن دارم ، ثم رأى بنى فقيم بن جرير
ابن دارم ؟ !

وكذلك كلُّ أخوين إذا برع أحدهما وسبق وعلا الرجال ؛ في الجود
والإفضال ، أو في الفروسية (٢) أو في البيان ، فإن كان الآخر وسطاً من
الرجال ، قصدوا بحسن ما أثره في الطبقة السفلى لتبين البراعة في أخيه ،
فصارت قرابته التي كانت منمخرةً حتى التي بلغت به أسفل السافلين .
وكذلك عنزة بن أسد في ربيعة . ولو كان سودد ربيعة مرةً في عنزة
ومرةً في ضبيعة أضجم ، لكان خيراً لهم اليوم ، ولو د كثير من هؤلاء
القبائل التي سامت على الشعراء أو على العوام أن يكون فيهم شطر
مالمعزيين من الشرف ، ولو أن الناس وازنوا بين خصال [هذه (٣)] القبائل
خيرها وشرها لكانوا سوائاً (٤) .

١٨٠ وقال صاحب السكاب : ذكرت عيوب السكاب فقلت : السكاب
إذا كان في الدار محق أجور أهل الدار حتى يأتي على أقصاها ، لأن الأجور
إذ أخذ منها كل يوم وزن قيراط ، والقيراط مثل أحد ، لم يلبث على ذلك
أني يأتي على آخرها . وقلت : في السكاب أشد الأذى على الجار والضيف

(١) كذا .

(٢) الفروسية والغروسية : الخدق بركوب الخيل .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) في الأصل : « سعداء » وليس بشيء .

والدخيل ، يمنعه النَّوْمَ ليلاً والقائلة نهاراً ، وأن يسمعَ الحديث . ثمّ الذي على سماعِ النَّبَاحِ من المؤنة من الصوت الشديد .

ولو لم يكن في الكلب ما يؤذى بشدة صوتيه إلاّ بإدامة مجاوبة الكلاب لكان في ذلك ممّا ينغص العيش ، ويمنع من الكلام والحديث .

(شعر في النباح والاستنباح)

وقال أُرطاة بن سُهَيْبَةَ في بعض افتخاره :

وَإِنِّي لَقَوَّامٌ إِلَى الضَّيْفِ مَوْهِنًا إِذَا أَغْدَفَ السِّتْرَ الْبَخِيلُ الْمَوَاكِلُ^(١)
دَعَا فَأَجَابَتْهُ كِلَابٌ كَثِيرَةٌ عَلَى ثِقَةٍ مِنِّي بِمَا أَنَا فَاعِلٌ
وَمَا دُونَ ضَيْفِي ، مِنْ تَلَادٍ تَحْوِزُهُ يَدُ الضَّيْفِ ، إِلَّا أَنْ تُصَانَ الْحَلَائِلُ
وقال ابن هرمة :

وَمَسْتَبِحٌ نَبَّهْتُ كِلَابِي لَصَوْتِهِ وَقُلْتُ لَهُ قُمْ فِي الْيَفَاعِ فَجَاوِبِ
فَجَاءَ خَفِيَّ الصَّوْتِ قَدِ مَسَّهُ الضُّوَى بِضَرْبَةِ مَسْنُونِ الْغِرَارَيْنِ قَاضِبِ
فَرَحَّبْتُ وَاسْتَبَشَرْتُ حَتَّى بَسَطْتَهُ^(٢) وَتِلْكَ الَّتِي أَلْقَى بِهَا كَلَّ آتِبِ

وقال آخر :

هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْعَمُ كَلْبَهُ

دَعِ الْكَلْبَ يَنْبِجُ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِجٌ^(٣)

(١) ط : « إلى الضعيف » ، « إذا أغدت » . وتصحيح البيت من س . وعيون الأخبار (٣ : ٢٣٩) .

(٢) ط : « بسطه » وصوابه في س .

(٣) قال المرتضى في أماليه : ٣ : ١١٤ : « يكعم كلبه : يشد فاه خوفا من أن ينبج ، فيدل عليه » . والبيت للراعي كما في العمدة ٢ : ١٥١ يهجو به الخطيئة ، وانظر ماسياتي في نهاية هذا الجزء من الحيوان .

وقال مزرد بن ضرار :

نشأتُ غلاماً أتقى الذمَّ بالقري إذا ضاف ضيف من فزارة راغبُ
فإنَّ آبا سارٍ أسمعَ الكلبَ صوته
أنى دون نبحِ الكلبِ ، والكلب دائبُ

وقال بشار بن برد :

سقى الله القباب بتلَّ عبدى وبالشرقين أيامَ القباب^(١)
وأياماً لنا قصرت وطالت على فرعان نائمة الكلاب
وقال رجل من بنى عبد الله بن غطفان^(٢) :

١٨١

إذ أنت لم تستبقي وُدَّ صحابةٍ على دخنٍ أكثرت بثَّ المعاتب^(٣)
وإني لأستبقي أمراً السوءِ عُدَّةً لعدوة عريضٍ من الناس جانب^(٤)
أخاف كلابَ الأبعدين ونبحها إذا لم تجاوبها كلابُ الأقارب
وقال أحيحة بن الجلاح^(٥) :

ما أحسنَ الجيدَ من مُليكةٍ واللاًّ بباتٍ إذ زانها ترائبها
يا ليتنى ليلة إذا هجع ال ناسٌ ونامَ الكلابُ صاحبها
وقلت : وفي الكلب قذارة^(٦) في نفسه ، وإقذاره أهله لكثرة سُلاحه
وبوله ، على أنه لا يرضى بالسُّلاح على السطوح ، حتى يحفر براثته وينقب
بأظافره ، وفي ذلك التخريب .

(١) في الأصل : « آثار القباب » ، صوابه من ديوان بشار ١ : ٢٤٩ .

(٢) نسب في حماسة البحرى ٣٩٤ إلى النعمان بن حنظلة العبدى .

(٣) الدخن : الحقد وسوء الخلق ، ومعناه قريب من الدخل .

(٤) العريض ، كسكيت : الذى يتعرض للناس بالشر .

(٥) انظر الشعر في الخزانة ٣ : ٣٢١ .

(٦) في الأصل : « قدرة » .

ولولم يكن إلا أنه يكون سبب الوكف ، وفي الوكف من منع النوم ومن إفساد حرّ المتاع ، ما لا يخفى مكانه ، مع ما فيه من عصّ الصبيان وتفزيع الولدان ، وشقّ الثياب ، والتعرّض للزوّار ؛ ومع ما في خلقه أيضاً من الطبع المستدعى للصبيان إلى ضربه ورجحه وتهيجه بالعبث ، ويكون سبباً لعقرهم والوثوب عليهم^(١) .

وقلت : وبئس الشيء هو في الدار ، وفيها الحرم والأزواج ، والسراريّ والحظيّات المعشوقات ؛ وذلك أن ذكره أيرّ ظاهر الحجم ، وهو إما متبّع وإما قائم ، وليس معه ما يواريه ، وربما أشظّ^(٢) وأنعظّ بحضرتين ، ولعلهنّ يكنّ مغيبات^(٣) أو محتاجاتٍ إلى ما يحتاج إليه النساء عند غيبة فحلهنّ ، وإذا عجزَ عن أن يعمهنّ .

(وفد قرحان)

وقد رمى ضابئ بن الحرث البرجمي أمّ أناس من العرب ، أن الكلب الذي كان يسمّى قرحان^(٤) ، كان يأتي أمهم ، حتى استعدوا عليه . وحبسه في ذلك عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه . ولولا أن المعنى الذي رماهم به

(١) جواب لو محذوف ، وذلك من دأب الجاحظ .

(٢) أشظّ الرجل : أنعظ . وفي الأصل : « انتشط » .

(٣) مغيبات : غاب عنهن أزواجهن .

(٤) انظر قصة « قرحان » في الخزانة ٤ : ٨٠ بولاق والثقائض ٢١٩ ليدن ومعاهد

التنصيص ١ : ٦٦ والشعراء ٣٠٩ .

كان مما يكون ويجوز ويخاف مثله ، لما بلغ منه عثمان ما بلغ ، حتى مات
في حبسه (١) . وفي ذلك يقول ضابئ بن الحارث :

تَجَشَّم نَحْوِي وَفَدُّ قَرْحَانَ شُقَّةً تَظَلُّ بِهَا الْوَجْنَاءُ وَهِيَ حَسِيرٌ
فَزَوَدْتُهُمْ كَلْبًا فَرَاخُوا كَأَنَّمَا حَبَاهُمْ بَتَاجِ الْمُرْمَزَانِ أَمِيرٌ (٢)
فَأَمَّكُمْ لَا تَرَكُوهَا وَكَلْبَكُمْ فَإِنَّ عَقُوقَ الْوَالِدَاتِ كَبِيرٌ
إِذَا عَثَّتْ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ دُخْنَةً بَيْتٌ لَهُ فَوْقَ السَّرِيرِ هَرِيرٌ (٣)

(قصص تتعلق بالكلاب)

وزعم اليعقوبي أنه أبصر رجلاً يكوم كلبه من كلاب الرعاء ، ومراً
بذلك الزب العظيم في ثفرها - والثفر منها ومن السبع ، كالحر من المرأة
والظبية من الأتان والحجر ، والحياء من الناقة والشاة - فزعم أنها لم تعقد
عليه ، ولا ندرى أمكنته أم اغتصبها نفسها .

وأما الناس ففي ملح أحاديثهم : أن رجلاً أشرف على رجل وقد ناك
كلبة فعقدت عليه ، فبقي أسيراً مستخزياً (٤) يدور معها حيث دارت . قال : فصاح
به الرجل : اضرب جنديها . فأطامته ، فرفع رأسه إليه ، فقال : أخزاه الله
أى نياك كلبات هو !

(١) كتب مصحح الطبعة الأولى من الحيوان : « اتفق أهل الأخبار أن ضابئاً كسر ضلع عثمان
يوم الدار وأن الحجاج قتل ضابئاً لما ولى العراق » .

(٢) في الخزانة والنقائض : « بتاج الهرمزان » ، وفي الأصل : « بتاج المرزبان » ، والتاج
لا يكون إلا للملك وما المرزبان إلا رئيس من الرؤساء . وفي الطبري ٥ : ١٣٧ :
« بيت المرزبان » .

(٣) عثت : دخنت ، وفي الأصل : « عاينت » وصوابه في الخزانة والنقائض .

(٤) ط : « مستخزياً » وصوابه في س .

وخبرني من لا أردُّ خبره ، أنه أشرفَ من سطحٍ له قصير الحائط ،
فإذا هو بسوادٍ في ظلِّ القمر في أصل حائط ، وإذا أُنينُ كلبة ، فرأى
رأسَ إنسانٍ يدخل في القمر ، ثم يرجع إلى موضعه من ظلِّ (١) القمر ،
فتأمل في ذلك (٢) فإذا هو بحارس ينيك كلبة . قال : فرجمته وأعلمته أنني
قد رأيته ، فصبَّحني من الغد يقرع الباب عليّ ، فقالت له : ما حاجتك ؟ وما
جاء بك ؟ فلقد ظننتُ أنك ستركب البحر أو تمضي على وجهك إلى
البراري . قال : جُعِلتُ فِداك ، أسألك أن تسترَّ عليّ ، سترَ الله عليك ،
وأنا أتوب على يديك ! قال : قلت ويألك ، فما اشتبهت من كلبة ؟ ! قال :
جُعِلت فداك ، كلُّ رجلٍ حارسٍ ليس له زوجةٌ ولانجل (٣) ، فهو ينيك إناثَ
الكلاب (٤) إذ كنَّ عظامَ الأجسام . قال : فقلت : فما يخاف أن تعضه ؟
قال : لو رامَ ذلك منها غيرُ الحارس التي هي له وقد باتت معه فأدخلها
في كيسائه في ليالي البرد والمطر ، لما تركته . وعلى أنه إن أراد [أن] (٥)
يوعبه كلُّه لم تستقرَّ له . قال : ونسيتُ أن أسأله : فهل تعقد على أيور
الناس كما تعقد على أيور الكلاب ؟ فلقيته بعد ثلاثين سنة ، فقال :
لا أدري لعلها لا تعقد عليه ، لأنه لا يُدخِلُه فيها إلى أصله ، ولعل ذلك أيضاً
إنما هو شيءٌ يحدث بين الكلب والكلبة ، فإذا اختلفا لم يقع
الالتحام . قال : فقلتُ : فطيبُّ هو ؟ قال : قد نكحتُ عامَّة إناث
الحيوانات فوجدتُهنَّ كلَّهنَّ أطيبَّ من النساء . قلتُ : وكيف ذلك ؟ قال :

(١) في الأصل : « ظلمة » والوجه ما أثبت .

(٢) في الأصل : « فتأمل إنسان في ذلك » .

(٣) كذا .

(٤) ط : « إناثا الكلاب » .

(٥) الزيادة من س .

ما ذاك إلا لشدة الحرارة . قال : فطال الحديث حتى أنس فقلت له : فإذا دار الماء في صلبك وقرب الفراخ ؟ قال : فربما التزمت الكلبة وأهويت إلى تقبيلها . ثم قال : أما إن الكلاب أطيبتُ شيء أفواهاً ، وأعذبُ شيء ريقاً ؛ ولكن لا يمكن أن أنيكها من قدام ، ولو ذهبت أن أنيكها من خلف وثنيت رأسها إلى أن أقبلها ، لم آمن أن تظن بي أني أريد غير ذلك فتكدم في ووجهي . قال : فقلت : فإنني أسألك بالذي يستر عليك ، هل نزعمت عن هذا العمل منذ أعطيتني صفقة يدك بالتوبة ؟ قال : ربما حننت إلى ذلك فأحتبس^(١) بعهدك . قال : وقلت : وإنك لتحن إليها ؟ قال : والله إنى لأحن إليها ، ولقد تزوجت بعدك امرأتين ، ولى منهما رجالٌ ونساء ، ومن تعود شيئاً لم يكذب صبراً عنه ! قال : فقلت له : هل تعرف اليوم في الحراس من ينك الكلابات ؟ قال : نعم ، خذ محموديه الأحمر ، وخذ يشجب الحارس ، وخذ قنما الشاة ، وخذ فارساً الحمامي فإن فارساً كان حارساً وكان قيم حمام ، وكان حلقياً ، فزعم أنه ناك الكلاب خمسين سنة ، وشاخ وهزل وقبح وتشنج ، حتى كان لا ينيكه أحد . قال : فلم يزل يحن إلى كلب عنده حتى ناكه . قال : وكان معه بخير حتى قتله اللصوص ، ثم أشرف على فارس^(٢) ، هذا المحتسب الأحدث ، وهو ينك كلبة فرماه بحجر فدمغه^(٣) .

قال : فالكلاب كما ترى تُتَّهم بالنساء ، وينيكها الرجال ، وتنك الرجال ، وليس شيء أحق بالنبي والإغراب والإطراد وبالقتل منها . ونحن

(١) لعلها : « فأخيس » .

(٢) في الأصل : « فاس » وصوابه ما أثبت .

(٣) دمغه : أصاب دماغه .

من السباع العادية الوحشية في راحة ، إلا في الفِرط^(١) فإن لها عُراماً على
بعض الماشية ، وجنايةً على شرار العامة^(٢) وكذلك البهائم . وما عسى
أن يبلغ من وطءٍ بعير ونطح كبش ، أو خمش سنورٍ أو رمح حمار ، ولعلّ
ذلك يكون في الدهر المرّة والمرتين ، ولعلّ ذلك أيضاً لا ينال إلا عبداً أو
خادماً أو سائساً ، وذلك محتَمَل . فالكلاب مع هذه الآفات شركاء الناس
في دورهم وأهاليهم !!

قال صاحب الكلب : إن كنتم إلى الأذى بالسلاح تذهبون ، وإلى
قشَريّين السطوح بالبراشن تميلون ، وإلى نتن السلاح وقدر المأكول
والمشروب تقصدون ، فالسنورُ أكثرُ في ذلك . وقد روّيتم عن النبي
صلى الله عليه وسلم في ذلك أنه قال : « هُنَّ مِنَ الطَّوَّافَاتِ عَلَيْكُمْ » . فإذا كان
ذلك في السنائير مغتفراً ، لانتفاعهم بها في أكل الفأر ، ففنايع الكلاب
أكثرُ ، وهي بالاعتقاد أحقّ . وفي إطلاق ذلك في السنور دليلٌ على
أنه في الكلاب أجوز .

وأما ما ذكرتم من إنعاظه ، فلعمري إنّه ما ينبغي للغيور أن يُقيم الفرسَ
ولا البرذونَ والبغلَ والحمارَ والتيسَ في المواضع التي تراها النساءُ . والكلبُ ١٨٤
في ذلك أحسنُ حالا . وقد كره ناسٌ إدخال منازلهم الحمامَ والديكةَ والدجاج
والبطَّ خاصة ؛ لأنّ له عند السفاد قضييا يظهر ، وكذلك التيس من الطباء ،
فضلا عن تَبُوس الصفايا . فهذا المعنى الذي ذكرتم مجرى في وجوه كثيرة

(١) الفِرط : النذرة . وفي ط : « الفرق » .

(٢) كذا .

وعلى أن للحمام^(١) خاصّةً من الاستشارة^(٢) ، والسكّم بالذنب ، والتقبيل
الذى ليس للناس^(٣) مثله ، ثمّ التقبيل والتغزل والتنفّس^(٤) ، والابتهاج
بما يكون منه بعد الفراغ ، وركوب الأنثى للذكر و [عدم]^(٥) إمكانها
لغير ذكرها ، ما يكون أهيج للنساء ممّا ذكرتم^(٦) . فلم أفردتم الكلب
بالذكر دون هذه الأمور ، التى إذا عاينت المرأة غرمولاً واحداً منها ،
حقرت بعلمها أو سيدها ، ولم يزل ظلُّ ذلك الغرمول يعارضها فى النوم ،
وينبّهها ساعة الغفلة ، ويُحدّث لها التمتّى لما لا تقدر عليه ، والاحتقار لما
تقدر عليه ، وتركتم ذكر ما هو أجلُّ وأعظمُّ إلى ما هو أخسُّ وأصغرُّ !

فإن كنتم تذهبون فى التشنيع عليه إلى ما يعقر من الصبيان^(٧) عند
العَبث والتعرّض ، والتحكّك والتهبّيج^(٨) والتحرّيش ، فلو أن الذى
يأتى صبيانكم إلى الكلب ، من الإلحاح بأصناف العَبث - والصبيان
أقسى الخلق وأقلهم رحمةً - أنزلوه بالأحنف بن قيس ، وقيس بن عاصم ،
بل بحاجب بن زُرارة وحِصن بن حذيفة ، نلخرَجُوا^(٩) إلى أقبح ممّا يخرج
إليه الكلب . ومن ترك منهم الأخذ فوق يد ابنه ، فهو أحقُّ باللائمة .

(١) ط : « الحمام » وصوابه فى س .

(٢) الاستشارة : إظهار الحسَن . من استشارت الإبل : سمت وحسنت .

(٣) فى الأصل : « الناس » .

(٤) فى الأصل : « والتنفس » .

(٥) زيادة يقتضها الكلام وليست فى الأصل .

(٦) ط : « ما ذكرتم » وصوابه فى س .

(٧) س : « يعقره الصبيان » ط : « يعقرن الصبيان » والوجه ما أثبت .

(٨) فى الأصل : « والتهبّيج » ، والوجه : « التهبّيج » .

(٩) ط : « يخرجوا » وصوابه فى س .

وبعدَ فما وجدنا كلباً وثبَّ على صبيٍّ فعقره من تلقاء نفسه ، وإنه ليرددُ عليه وهو في المهد ، وهو لحمٌ على وضم ، فلا يشمه ولا يدنو منه . وهو أكثرُ خلقِ الله تعالى تشمُّماً واسترواحاً ؛ وما في الأرضِ كلبٌ يلقى كلباً غريباً إلاَّ شمَّ كلُّ واحدٍ منهما استَ صاحبه ، ولا في الأرضِ بجوسيٍّ يموت فيحزن على موته ويحمل إلى النأوس إلاَّ بعد أن يُدنى منه كلبٌ يشمه ، فإنَّه لا يخفى عليه في شمه عندهم ، أحيٌ هو أم ميّتٌ ؛ للطافةِ جسِّه ، وأنه لا يأكل الأحياء^(١) . فأما اليهود فإنهم يتعرّفون ذلك من الميت ، بأن يدهنوا استه . ولذلك قال الشاعر^(٢) وهو يرمي ناساً بدين اليهودية :

إذا مات منهم ميّتٌ مسحوا استهُ بدهنٍ وحفوا حوله بقرام

(جنایات الديك)

وقالوا : فإذا ذكرتم جنایات الكلاب ، فواحدٌ من جنایات الديكة

أعظمٌ من جنایات الكلاب ؛ لأنَّ عبد الله بن عثمان بن عفان ، ابن بنت ١٨٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنَّما مات من نقرِ ديكٍ في دار عثمان ، نقر عينه فكان سببَ موته . فقتلُ الديك لعيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعظمٌ من كثيرٍ ممَّا تستعظمونه من جنایات الكلاب .

وقد نقر ديكٌ عينَ ابنِ حسكة بن عتاب^(٣) ، أو عين ابن أخته .

(١) ط : « الأحياء » .

(٢) هو سالم بن دارة يهجو طريف بن عمرو . كما في اللسان (حم) . وقيل البيت :

إني وإن خوفت بالسجن ذاكر لشم بني الطماح أهل حمام

(٣) في الأصل : « عباد » صوابه في الاشتقاق ٣٢٩ والبيان ٤ : ٣٦ .

وقد نقر ديك عين ابن الريان بن أبي المسيح وهو في المهدي فاعور ، ثم ضربته الحُمرة فمات .

ووثب ديك فطعن بصيصته عين^(١) بنت ثمامة بن أشرس ، قال ثمامة : فأتاني الصربخ ، فوالله ما وصلت إليها حتى كمد وجهها كله واسودَّ الأنفُ والوجنتان وغارت العينان . وكان شأن هذا الديك - فيما زعم ثمامة - عجباً من العجب : ذكر أن رجلاً ذكر أن ديكاً عند بقالٍ لهم ، يقاتل به الكلاب ، قال : فأتيت البقال الذي عنده فسألته عن الديك ، فزعم أنه قد وجّه به إلى قتال الكلاب ، وقد تراهنوا في ذلك . فلم أبرح حتى اشتريته ؛ وكنتُ أصونه وجعلته في مكنة ، فخرجت يوماً لبعض مصلحة وأقبلت بنتي هذه لتنظر إليه ، فكان هذا جزأئ منه !

قال : وديك آخر أقبل إلى رأس زيد بن عمر ، حتى وطئ في ذؤابة ثم أقبل ينقر دماغه وعينه . فقال رجل من قريش ، لمن حضر ذلك من الخدم :

اطردوا الديك عن ذؤابة زيد طالما كان لاتطأه الدجاج^(٢)

(نفع الكلب)

والكلب إن كان كما يقول ، فإن له يداً تشج^(٣) وأخرى تأسو ، بل ما يدفع الله بحراسته ويجلب من المنافع بصيده^(٤) أكثر وأغمر ، وهو

(١) في الأصل : « في عين » .
(٢) جاء هذا البيت في الأصل كلاماً منشوراً . وانظره في الكامل ٧١٠ لبيسك . وفي الأصل أيضاً « لاتطوها » وتصحيحه من الكامل .
(٣) في ط : « تسبح » وهو تعريف ما في س .
(٤) ط : « بعينه » وتصحيحه من س و م .

الغامر لا المغمور ، والفاضل لا المنضول . والديك يفتقأ العيون وينقر الأدغة
ويقتل الأنفس ، ويشج ولا يأسو ؛ فشره صرف وخيره ممزوج . إلا أن
يزعموا أنه يحرس من الشيطان ، فيكون هذا من القول الذي يحتاج إلى البرهان .
و [من (١)] عارض منافع الكلاب وحراستها أموال الناس من اللصوص .
ومنع السباع من الماشية ، وموضع نفع الكلاب في المزارع - وذلك عيان ونفعه
عامٌ وخطبه عظيم -- بما يدعى من حراسة الديكة للشيطان ، لم يكابل ولم يُوازن
ولم يعرف المقايسة ، ولا وقف قطُّ على معنَى المقابلة (٢) ودلَّ بذلك على أن مبلغ
رأيه لا يجوز رأى النساء .

(العواء وما قيل من الشعر فيه)

ويكون العواء للكلب والذئب والفصيل . وقال النابغة (٣) :

لم أكُ جارَكم فتركتُمونى لِسِكلي في دياركمُ عواءُ

١٨٦

وقال الشاعر :

وإني امرؤٌ لا تقشعُرُ ذؤابتى من الذئب يعوى والغراب المحجلِ

وقال الشاعر (٤) :

ومستنبح تستكشط الريح ثوبه ليسقط عنه وهو بالثوب مُعصمُ

(١) ليست بالأصل .

(٢) في الأصل : « المقاتلة » وليس له وجه .

(٣) كذا . والبيت للحطيئة مثبت في ديوانه بشرح السكري من قصيدة مطلعها :

ألا أبلغ بنى عوف بن كعب وهل قوم على خلق سواء

(٤) الأبيات في الحماسة ٢ : ٢٦٠ . والشعر لإبراهيم بن هرمة في البيان ٣ : ٢٠٥ .

عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْزَعَ نَوْمٌ
فَجَاوَبَهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرَى لَهُ مَعَ إِتْيَانِ الْمُهَيَّبِينَ مَطْعَمٌ
يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يَكَلِّمُهُ مِنْ حَبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمٌ
وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

بِهِ الذُّئْبُ مَحْزُونًا كَأَنَّ عَوَاءَهُ عَوَاءُ فَصِيلِ آخِرِ اللَّيْلِ مُنْخَلٍ
وَقَالَ آخِرُ :

وَمِنْهُلٍ طَامِسَةٌ أَعْلَامُهُ يَعْوَى بِهِ الذُّئْبُ وَتَزَقُّو هَامَهُ
وَقَالَ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ يَهْجُو زَبَانَ بْنِ مَنْظُورٍ .

لَا بَارِكَ اللَّهُ فِي قَوْمٍ يَسُودُهُمْ ذُئْبٌ عَوَى وَهُوَ مُشْدُودٌ عَلَى كُورٍ
لَمْ يَبْقَ مِنْ مَازِنٍ إِلَّا شَرَارُهُمْ فَوْقَ الْحَصَى حَوْلَ زَبَانَ بْنِ مَنْظُورٍ
وَقَالَ غَيْلَانُ بْنُ سَلْمَةَ (١) :

وَمَعْرَسٌ حِينَ الْعِشَاءِ بِهِ الْحَبْسُ فَالْأَنْوَاءُ فَالْعَقْلُ (٢)
قَدْ بَثَّهُ وَهِنًا وَأَرْقَى ذُئْبُ الْفَلَاةِ كَأَنَّهُ جِذْلُ
فَتَرَكْتَهُ يَعْوَى بِقَفَرْتِهِ وَلِكُلِّ صَاحِبِ قَفْرَةٍ شَكْلُ
بَتْنُوفَةٍ جَرْدَاءٍ يَجْزَعُهَا لِحَبِّ يَلُوحُ كَأَنَّهُ سَحْلُ (٣)
وَقَالَ مَغْلَسُ بْنُ لَقِيْطٍ (٤) :

عَوَى مِنْهُمْ ذُئْبٌ فَطَرَّبَ عَادِيًّا عَلَى فَعْلِيَّاتٍ مُسْتَشَارٍ سَخِيمَهَا (٥)

(١) كان من حكماء العرب في الجاهلية وحكامهم. انظر الإصابة ٦٩١٨ والأغاني ١٢ : ٤٣-٤٦.

(٢) كذا في الأصول .

(٣) يجزعها : يقطعها ، وفى ط : « لِحَبِّ » وصوابه بالخاء كما فى س و م .

(٤) مغلس بن لقيط : شاعر من شعراء الجاهلية ، له ترجمة فى الخزائن ٢ : ١٩٩ بولاق .

(٥) ط : « مستشار » .

إذا هُنَّ لم يَلْحَسَنَّ من ذى قرابةٍ دماً هُلِسَتْ أجسادُها ولحومُها (١)

١٨٧

وقال الأحيمرُ السعديُّ (٢) :

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى

وصوَّتَ إنسانٌ فكِدتُ أطيْرُ

وقال آخر (٣) :

وعاوى عوى والليلُ مستجلس الندى

وقد زَحَفَتْ للغورِ تالية النّجم (٤)

وذلك أنَّ الرجلَ إذا كانَ باغياً أو زائراً ، أو مَنَّ يلمس القرى ،

ولم ير بالليل نارا ، عوى ونبح ، لتجيبه الكلاب ، فيهدى بذلك إلى موضع الناس .

وقال الشاعر :

ومُستنبِحٍ أهلَ الثرى يلمس القرى

إلينا وممساها من الأرض نازح

وقال عمرو بن الأهم :

ومستنبِحٍ بعد الهدوءِ دعوتُهُ وقد حانَ من سارى الشتاءِ طُروق

فهذا من عواء الفصيل والذئب والكلب .

(١) فى معجم المرزبانى ٣٩١ :

إذا هن لم يولغن من ذى قرابة دما هاست أبدانها ولحومها

(٢) ط : « الأحر » وصوابه فى س . وهو شاعر من لصوص العرب .

(٣) البيت لحميد الأرقط كما فى البخلاء ٢٠٠ .

(٤) ط : « للفور » وصوابه فى س . وفى الأصل : « مستجلس الندى » وصوابه فى البخلاء

٢٠٠ . استجلس الندى : تراكم .

(ما قالوا في أنس الكلب وإلفه)

وقال صاحب الكلب : ومما قالوا في أنس الكلب وإلفه ، وحبّه
لأهله ولمن أحسن إليه قول ابن الطّريّة (١) :

يا أمّ عمرو أنجزى الموعودا وارعى بذاك أمانةً وعهودا
ولقد طرقت كلابَ أهلك بالضحى حتى تركت عقورهن رُقودا
يضرِبْنَ بالأذنانِ من فرحِ بنا متوسّداً أذرعاً وخذودا

وقال الآخر (٢) :

لو كُنْتُ أَحْمَلُ خَمْرًا يَوْمَ زَرْتِكُمْ لم يُنْكِرِ الكلبُ أنّي صاحب الدّار
لكنّ أُنيتُ وريحُ المسكِ يفعمني والعنبرُ الورْدُ أذكيه على النار^٣
فأنكر الكلب ريحي حين أبصرني وكان يعرف ريح الزّقِّ والقار

وقال أبو الطّمحان القينيّ في الإلف ، وهو يمدح مالك بن حما
الشمخي (٤) :

سأمدحُ مالكا في كلّ ركبٍ لقيتهمُ وأتركُ كلّ رذلٍ

-
- (١) في الأصل : « وقال ابن الطّرية » والوجه ما أثبت . والشعر في البخلاء ٢٠٣ .
(٢) الشعر في البيان ٣ : ٣١١ منسوب إلى بعض الحجازيين ، وانظر البخلاء ٢٠٢ . و
في الحماسة ٢ : ٢٣٣ منسوب إلى مالك بن أسماء الفزاري ، وهو شاعر إسلامي غزل
وأخته هند بنت أسماء زوج الحجاج ، وهو من عرف بالجمال في العرب . ترجم
أبو الفرج في أغانيه ١٦ : ٤٠ - ٤٦ .
(٣) فعنه الطيب وفعمه : ملاً خياشيمه . وفي الأصل : « ينعمني » ، وصوابه في البخلاء ٠٢ .
وفي الحماسة ٢ : ٢٣٣ : « يفغمني » بالفين ، وفيها « وعنبر الهند أذكيه » .
(٤) هو قتيل خفاف بن ندبة ، وله أخبار في الأغاني والاشتقاق ١٧٢ .

فما أنا والبيكارَةُ من مخاضِ عِظامِ جِلَّةٍ سُدْسٍ وُزِلِ
وقد عرَفْتُ كلابُهُمُ ثيابي كأنِّي منهمُ ونسيتُ أهلي
نمتُ بك من بني شَمخِ زِنَادٍ لها، اشئتَ من فرعٍ وأصلِ

١٨٨

وقال الشاعر في أنس الكلاب وإفها ، يذكر رجلا :

عنيف بتسواقِ العِشارِ ورَعِيها ولكن بتلقامِ الثريدِ رفيقُ
سَدِيدٌ يظلُّ الكلبُ يَمْضَعُ ثوبه له في ديارِ الغانياتِ طَريقِ
وقال الآخر :

بات الحويرثُ والكلابُ تشمُّه وسرتُ بأبيضِ كالحلالِ على الطوى
وقال ذو الرمة :

رأيتُ كلابُ الحى حتى ألفتني ومُدَّتْ نَسوجَ العنكبوتِ على رحلي^(١)
وقال حسان بن ثابت :

أولادِ جَفَنَةَ حولَ قبرِ أبيهمُ قبرِ ابنِ ماريةِ الكريمِ المُفضِّلِ
بيضِ الوجوهِ نقيَّةٍ حُجراتُهُمْ شَمُّ الأَنُوفِ مِنَ الطَّرَازِ الأَوَّلِ^(٢)
يُغشَوْنَ حَتَّى ما تَهَرُّ كلابُهُمْ لا يَسألونَ عن السَّوادِ المُقبِلِ

وفي هذا المعنى قال الشاعر :

وبوأت^(٣) بيتك في معلمِ رَحِيبِ المِباءَةِ والمشرحِ
كفيت العُفَاةَ طِلابَ القِرَى ونَبَّحَ الكلابِ لمستنبح^(٤)

(١) في الأصل : « رأيت » والوجه « رأيتي » كما في البخلاء ٢٠٢ . وفي الديوان ٤٩١ : « رأيتي »
وفي ط : « على رحلي » وصوابه في س والديوان .

(٢) الحجرة : معقد الإزار . وفي الأصل : « حجراتهم » وليس بشيء .

(٣) في الأصل : « وبوات » تحريفه ، وأصله من بوأتة في المنزل : أنزلته به .

(٤) في الأصل : كلاب الضرام « وقبح » : صوابه في الحيوان ٥ : ١٣٥ . وانظر المسان ٣ : ٢١٩ س ٨ .

تَرَى دَعَسَ آثَارِ تِلْكَ الْمَطْيِ أَحَادِيدَ كَاللَّقَمِ الْأَفِيحِ
 وَلَوْ كُنْتَ نِي نَفَقِ زَائِعٍ لَكُنْتَ عَلَى الشَّرْكِ الْأَوْضَحِ (١)
 وفي مثل ذلك ، وليس في ذكر إلف الكلاب ، ولكنّه مما ينبغى
 أن يكون مجموعاً إلى هذه الأشعار ، وبك إلى ذلك حاجة شديدة ، قال
 أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

لَا الْغِيَابَاتُ مُتَسَوِّكَ وَلَكِنْ فِي ذُرَى مُشْرِفِ الْقُصُورِ ذَرَاكَا
 وَقَالَ الْبَزَّارُ الْحَلِّيُّ ، فِي الْمَعْنَى الْأُولَى :

أَلْفَ النَّاسِ فَمَا يَنْبَحُهُمْ مِنْ أَسِيفِ يَبْتَغِي الْخَيْرَ وَحُرًّا (٢)

وقال عمران بن عصام :

١٨٩ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ غَامِرَةٍ (٣)
 فَبَابِكَ أَلِينُ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ آهَلَةٌ عَامِرَةٌ
 وَكَلْبُكَ آنَسُ بِالْمَعْتَفِينَ مِنَ الْأُمِّ بَابِنَهَا الزَّائِرَةُ
 وَكَفُّكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِينَ نَ أُنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ الْمَاطِرَةُ
 فَبَابِكَ الْعَطَاءُ وَمِنَّا الشَّدَاءُ بِكَلِّ مَحَبَّرَةٍ سَائِرَةُ

وقال هلال بن خثعم (٤) :

إِنِّي لَعَفٌُّ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي وَإِنِّي لَمَشْنُوٌّ إِلَى اغْتِيَابِهَا

(١) ط : « ولو كنت في نفع » والوجه ما في س و م .
 (٢) في الأصل : « فيما » ولا يستقيم بذلك معنى الوزن ووزنه : صوابه في البخلاء ٢٠٢ مع نسبة الشعر فيه إلى المزار الحفاني .
 (٣) الشعر في الأغاني ١ : ١٢٩ منسوب إلى نصيب . وعبد العزيز هذا هو ابن مروان .
 (٤) كذا نسب الشعر في البخلاء ٢٠٢ . ويروي لقيس بن الخطيم . وقد رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣ : ١٨٣ وكذا ابن الشجري في الحماسة ١٣٥ لبشار بن بشر .

إذا غابَ عنها بعلها لم أكنُ ذنَا زءوراً ولم تأنسُ إلى كلابها
وما أنا بالذاري أحاديثَ سيرتنا ولا عالمٍ من أيِّ حوكٍ ثيابها (١)
وإنَّ قرابَ البطنِ يكفيكِ ملؤهُ ويسكنيكِ سوءاتِ الأمور اجتنابها
وقال حاتم الطائي ، ودر حاتم بن عبد الله ، ويكنى أبا سنانة ، وكان
أسره ثوب بن شحمة العنبري مجير الطير (٢) :

إذا ما بجيلِ الناسِ درتُ كلابهُ وشقَّ على الضيفِ الغريبِ عقورُها
فإني جبانُ السكلبِ بيبي موطأ جواد إذا ما النئسُ شحَّ ضميرُها
ولسكن كلابي قد أُقرتْ وعودت قليل على من يعتريها دريرُها

(هجو الناس يهجو كلابهم)

وقال صاحب السكلب : إن كثيراً من هجاء السكلب ، ليس يراد به
السكلب ، وإنما يراد به هجاء رجلٍ ، فيجعل السكلب وُصلةً في الكلام
ليبلغ ما يريد من شتمه . وهذا أيضاً مما يرتفق الناسُ به من أسباب
الكلاب . ولذلك قال الشاعر (٣) :

من دونِ سيِّكِ لُونُ ليلِ مظلمٍ وحَنيفِ نَافجةٍ وكَلبِ مُوسدٍ (٤)
وأخوكَ محتملِ عليكِ ضغينة ومُسيِّفِ قومِكِ لائمٍ لا يَحمدُ

(١) في الأصل : « حول » وأثبت ما في عيون الاخبار .

(٢) في الأصل : « ثور » وانظر التنبية رقم (٣) ص ٢٦٩ .

(٣) هو حسيل بن عرفة ، شاعر جاهلي . النوادر لأبي زيد ٧٥ . وانظر الحيوان
٤ : ٨٢ وديوان المعاني ٢ : ١٠٦ .

(٤) النافجة : الريح تجر بتموة . وفي الأصل : « نافخة » وإنما الحفيف للريح . وتصحيحها
من النوادر لأبي زيد . ويقال أوسد كالبه : أتراد بالصيد ، فهو موسد .

والضيفُ عندك مثلُ أسودَ سالخ لا بل أحبُّهما إليك الأسودُ

فهذا قول الشاعر . وقال الآخر :

وما يكُ في من عيبٍ فإني جبانُ الكلبِ مهزولُ الفصيلِ

فهو لم يرد مدح الكلب بالجن ، وإنما أراد نفسه حين قال :

« وحفيف نافجة وكلب موسد^(١) »

فإن كان الكلبُ إنما أسرَّه أهله ، فإنما اللوم على من أسرَّه . وإنما

هذا الضرب كقوله^(٢) :

قوم إذا استنبح الأضيافُ كلبهم قالوا لأُمَّهم بُولى على النَّارِ

ومعلوم أن هذا لا يكون ، ولكن حقر أمرهم وصغرهم .

وقال ابن هرمة :

وإذا تنوَّرَ طارقٌ مستنبِحٌ نبحتُ فدلتُّه على كلابي^(٣)

وقال ابن مهية :

جلبنا الخيلَ من شعبي تشكَّى حوافرها الدوابر والنسورا

فلما أن طلَّعن بعين جعدى رأهمل الجوف ان قتلوا غرورا

ولم يكُ كلبُهم لينيق حتى يُبارشَ كلبُهم بكلبا عقورا

ومعلوم أن هذا لا يكون ، إنما هو مثل . وقال أعرابي :

(١) في الأصل : « نافجة » ، وانظر التذييه السابق .

(٢) البيت للأخطل يهجو به جريرا . وفيه قالت بنو تميم : « ما حجيننا بشعر هو أشد علينا من هذا البيت ! » ديوان المماني ١ : ١٧٥ .

(٣) في الأصل : « كلاب » .

أخو ثقةٍ قد يحسبُ المجدَ فرصةً إلى أهله أو ذمةً لا تُخفَّرُ
حبيبٌ إلى كلبِ الكريمِ نباحه كريةً إلى الكوماءِ والكلبُ أبصرُ
وقال ابن هرمة :

وفرحة من كلابِ الحيِّ يتبعُها شحمٌ يزِفُّ به الداعي وترعيبُ
فهذا قول هؤلاء . وقال الآخر :

هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْعَمُ كَلْبَهُ

دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحُ إِتْمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ (١)

وقال الآخر :

وَتَكْعَمُ كَلْبَ الْحَيِّ مِنْ خَشْيَةِ الْقَرِي
وناركُ كالعذراءِ مِنْ دُونِهَا سِتْرٌ (٢)

وقال أعشى بنى تغلب :

إِذَا احْتَلَّتْ مَعَاوِيَةَ بِنَ عَمْرٍو عَلَى الْإِطْوَاءِ خَنَقَتِ الْكَلَابَا
فَالسَّكَابُ مَرَّةً مَكْعُومٌ (٣) ، وَمَرَّةً مَخْنُوقٌ ، وَمَرَّةً مُوسَدٌ وَمَحْرَشٌ ، وَمَرَّةً
يَجْعَلُهُ جَبَانَا ، وَمَرَّةً وَثَابَا ، كَمَا قَالَ الرَّاعِي فِي الْحَطِيئَةِ :

أَلَا قَبَّحَ اللَّهُ الْحَطِيئَةَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ ضَيْفٍ ضَافَهُ فَهُوَ سَالِحٌ
وَقَعْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْنَقُ كَلْبَهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحُ إِتْمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ
وقال أعشى بنى تغلب :

(١) ط ، س : « يطعم » وصوابه في م . وانظر التنبيه رقم ٣ ص ٣٦٧

(٢) في الأصل : « وتطعم » صوابه في اللسان (كعم) .

(٣) في الأصل : « مطعوم » ، والوجه ما أثبت .

بَكَيْتَ عَلَى زَادٍ خَيْثُ قَرِيْبَتِهِ الْأَكْلُ عَبْسِيٌّ عَلَى الزَّادِ نَابِحٌ^(١)

وقال الفرزدق :

ولا تنزع الأضياف إلا إلى فتى إذا ما أبى أن ينبح الكلب أوقدا

(وقال الآخر :

* دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحُ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ *

وقال الآخر :

* أَلَا كُلُّ كَلْبٍ لَا أَبَالَكَ تَابِحٌ *

وقال الفرزدق :

* إِذَا مَا أَبَى أَنْ يَنْبَحَ الْكَلْبُ أَوْقَدًا^(٢) (*

ومتى صار الكلب يأبى النباح ؟ ! فهذا يدلُّ على أنهم يتشفون بذكر الكلب ، ويرتفقون به ، لا على أن هذا الأمر الذى ذكروه قد كان على الحقيقة :

وقال الآخر ، وهو جرير^(٣) :

ولو كنت فى نَجْرَانَ أو بَعْمَايَةَ إِذْ لَأَتَانِي مِنْ رَبِيعَةٍ رَاكِبٌ^(٤)

(١) البيت فى العمدة ٢ : ١٥١ منسوب إلى الراعى . وقد رواه تاليسا للبيت السابق ، برواية :

* الْأَكْلُ عَبْسِيٌّ عَلَى الزَّادِ نَابِحٌ *

وانظر البخلاء ٢٠٣ .

(٢) ما وضع بين قوسين هو تكرار لأعجاز أبيات سابقة . ولست أدرى لم أعيدت .

(٣) « وهو جرير » ، الأرجح أن تكون مثل هذه الزيادة من أفلام الناسخين أو القارئى . والأبيات فى ديوان جرير ص ٤٢ طبع ١٣٤٥ .

(٤) نجران : مخلاف باليمن . وبعماية : جبل بالبحرين . ورواية الديوان : « ولو كنت فى غمدان » .

يُشير السكلابَ آخرَ الليلِ وَطُوهُ كَضَبِ العَرَادِ خَطُوهُ وَتَقَارِبُ^(١)

فَبَاتَ يُمَنِّينَا الرِّبِيعَ وَصَوْبَهُ وَيَنْظُرُ مِنْ لُقَاعَةٍ وَهُوَ كَاذِبٌ^(٢)

فذكر تقاربَ خطوه ، وإخفاءَ حركته ، وأنه مع ذلك قد أثار^(٣) السكلاب من آخر الليل ، وذلك وقت نومها وراحتها ، وهذا يدلُّ على تيقُّظها ودقَّة حسِّها .

وفيما ذكروا من حالة السكاب لسبب القرى من البرد ، والذي يلقى ، وكيف الشأن في ذلك ، قال أعشى باهلة :

وَأَجْحَرَ السَّكْلَبَ مُبَيِّضُ الصَّقِيعِ بِهِ

وَأَلْجَأَ الْحَيَّ مِنْ تَنْفَاحِهِ الْحُجْرُ^(٤)

(١) العراد : شجر صلب العود منتشر الأغصان . والعرب تقول : قيل للضب وردا وردا ، فقال :

أصبح قلبي سردا لايشمى أن يردا

إلا عرادا عردا وصليانا بردا

وعنكنا ملتبدا

وفي الأصل : « كضب العرار » وهو تحريف ، جاء على الصواب الذي أثبت في الديوان .

(٢) اللقاعة : الكثير الكلام . ورواية الديوان : « يسطر من لقاعة » ، وفي تاج العروس : « وتنظر من لقاعة » .

(٣) ط : « آثر » وصوابه في س .

(٤) يقول : إنه لاينتقع عن إطعام الطعام في شدة البرد ، حينها يضطر السكلب مايتلبد على شمره من الجليد الأبيض إلى الدخول في الجحر ، وحينها تكون الخجر ملجأ للحى يتقون بها تنفاح الصنبيع أى ضربه . . وقصيدة الأعشى هذه مشروحة في الخزانة ٢ : ١٧٨ - ١٨٦ ، وشرحها كذلك الشيخ حمزة فتح الله في المواهب .

وقال الخطيئة :

إذا أبحر الكلب الصَّقْبُ اتَّقَيْنَه

بأثباجٍ لا خورٍ ولا قفِراتٍ^(١)

وقال ابن هرمة :

وسل الجارَ والمعصَّبَ والأضَّ يافَ وهنأَ إذا نحيوا لدياً^(٢)

كيف يلقونني إذا نبَّحَ الكلابُ وراءَ الكُسُورِ نَبَّحاً خَفِيّاً

ومشى الحالبُ المُسِيسُ إلى النَّا بٍ فلم يقرَّ أصفرَ الحى رياً

لم تَكُنْ خارجيَّةً من تراثٍ حادثٍ ، بل ورثتُ ذاكَ عليّاً

وقال الأعشى :

وتَبُرِدُ بَرْدٌ رِداءُ العَرَوِ

سِ في الصَّيْفِ رَقَرَقَتْ فِيهِ العِبرِا^(٣)

وتسخن ليلةً لا يَسْتَطِيعُ نَباحاً بها الكلابُ إلا حريراً

وقال الخليل^(٤) :

وليلةً يَصْطَلِي بالفَرثِ جازِرُها يَخْتَصُّ بالنَّقَرِ المَثْرِينِ داعِها

لا يَنْبَحُ السُّكَّابُ فِيها غَيْرَ واحِدَةٍ من الشِّتاءِ ولا تَسْرِي أفاعِها

(١) أبحر وجره : أدخله في البحر . وفي ط : « أبحر » وصوابه في س ، والبيت من تصديده في ديوان الخطيئة ٥٦ .

(٢) في ط : « أصل الجار » ، وصوابه في س و م ، والحيوان ٢ : ٧٢ . المعصب : الذي يتعصب بأخرق جوعاً ، والرجل الفقير . وفي الأصل : « الجار المعصب » وتصحيحه من الحيوان (٢ : ٧٢) . وفي الأصل : « تحبوا » بياء موحدة وهي على الصواب في الجزء الثاني

(٣) ط : « فيها العبريا » وصوابه في س و م

(٤) انظر ماسيات من تعليقات في ٣ : ٧٥

وقال الفرزدق (١) :

إذا احمرَّ آفاقُ السماءِ وهتكتُ

كُسُورَ بيوتِ الحىِّ نكبَاءُ حُرُجَفَ

وجاءَ قريعُ الشَّولِ قبلَ إفالِها يَزِفُ وجاءتْ خلفه وهى زُحَفُ (٢)

هتكتُ الأطنابَ كلُّ ذِفْرَةٍ لها تاملُ من عاتقِ النىِّ أعرفُ (٣)

وباشرَ راعيها الصلَى بلبانه وكفَّ حرَّ النارِ ما يتحرَّفُ

وقانلَ كلبُ الحىِّ عن نارِ أهله ليربضَ فيها، والصلَا متكنَّفُ (٤)

وأصبحَ مبيضُّ الصَّقيعِ كأنه على سرَّواتِ النيبِ قطنٌ مُندَفُ (٥)

تمَّ الجزءُ الأول

ويليه الجزءُ الثانى (٦)

وأوله : باب احتجاج صاحب الكلب بالأشعار المعروفة

-
- (١) من قصيدته الفاتية المشهورة ، التى مطلعها :
 - عزفت بأعشاش وماكدت تعزف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف
 - (٢) فى الأصول : « قبله » وتصحيحه من الديوان ٥٥٩ . وفى ديوان جرير (والتصعيد فيه) : « بعده » .
 - (٣) الذفرة : الناقة النجبية . والتامل : السنام العظيم . والأعرف : المرتفع .
 - (٤) يقول : صار كلب الحى لشدة البرد يدافع أهله عن النار ، ليقع فى موضع يدفه وقد أحاط القوم بالنار وتكنفوها ليظفروا بالدفء . وفى الأصل :
 - « ليربض منها والصلَا متكشف » وليس بشىء ، وتصحيحه من الديوان .
 - (٥) يقول : قد وقع الثلج على أسنمة هذه الإبل المسان فأضحى كأنه القطن قد ندف . ويروى « موضوع الصقيع » كما فى الديوان .
 - (٦) فى نهاية س « تم المصحف الأول ويتلوه المصحف الثانى من كتاب الحيوان » .

معارضات على نسخة الأمبروزيانا

س	س
٢٠	١٨ : « وإن كان شاطنا » ، وهو الوجه .
٢١	٢ - ١ : « طابن ولا يعدم الإنسى والجن طابنا » . وهى توافق رواية ل ، وهى الصواب . والطابن : الحدّاع الخبّ .
٨	: « شوك العضاه » .
١٣	: « قد ابتلى أيضا بأن أخته » .
٢٢	٨ : « وعبّاس » .
٢٣	٨ : « فأمر به فرمى به من فوق القصر » .
١٤	: « وظن سمار به كل خيرة » .
٢٤	٥ : « بغير جرم » . (١٠) : « وأقلّ رمادك » .
١٧	: « يمسى ويصبح سالما » .
٢٥	٨ : « ومساءة الجلساء » .
٢٦	١١-١٢ : « ويجعلونها متخيرة غير مسخرة » .
٢٧	٤ : « لاتضاف إلى النمو والحسن » .
٢٨	٧ : « والباذنجان » كما فى ل . وجاء فى لسان العرب [حرر (٢٥٦) : « الأزهرى عن شمر ، يقال لهذا الطائر الذى يقال له بالعراق باذنجان ، لأصغر ما يكون : جميل حرّ » .
٢٩	١ : « كالكلب والنهيد [والذئب والأسد » .
٧	: « ما يكون سلاحه سلاحه » ، كما فى ل .

ص	س	
٣٠	٢	: « واليعاسيب والذبان والعقارب والجراد »
١١		: « مشهوران بالحبل » .
١٦		: « والبنبد » بدل « البينيب » .
٣١	١	: « والبلبل » ، وقد نبّهت على خطئه في الحاشية .
١٠		: « وبصرصر » بدل « ويصوصى » ، وهو الصواب .
١٠		: « ويزئر » بدل « ويزأر » ، وهما لغتان .
١١		: « وينبر » بدل « وينزب » ، كما في ل .
١١		: « وينفح » بدل « ويعجج » كما اقترحت في الحواشي .
٣٢	١ ، ٢	: « إذا وجد بعضها مع بعض سميت بأنبه النوعين ذكرا .
	٨	: « خلاف دعائها [عند المائدة] لوأدها » .
٣٤	٥ - ٦	: « والحسكة يلوحان لمن استخبرهما وينطقان لمن استنطقهما كما يخبر الهزال وكهود اللون عن سوء الحال ، وكما ينطق السمن والنضرة » .
٣٦	٦	: « المتقدم في الأمور » .
١٠		: « ثم لم يوجد لهم » ، كما في ط ، ل .
١٢		: « وصاحب الحسد والمشانفة ، والمتفقد لشأن العاقبة »
٣٧	٥	: « وعلى الاتعاظ والاترجار » .
٦		: « وجعل الفكر تنشيء » .
١٢		: « مارأيت في أثنائه من مزح » .
١٦		: « لأن يكون علّة للجدّ ، وأن البطالة وقار وزمانة »

ص	س	
٣٨	١	: « إلا بما لا يحتاج إليه ، قال أبو شمر : إذا كان لا يصل » .
٥ - ٦		: « إلا من قد تجرد للعلم وفهم معناه على حسب ما يورث .
		الطول من السكد » ، مع إسقاط ما في أثناء الكلام .
١٤		: « ونعم الجليس والقعدة » .
٣٩	٢ - ٣	: « من غرائب فوائده ، وإن شئت ألفتك بوادره » .
١٣		: « أو روضة تتقلب » .
٤٠	١	: « ويترجم كلام الأحياء » .
٦		: « حين العناية تامة لم تنتقص ، والأذهان فارغة لم تقسم » .
٧		: « فهي أقبل ماتكون للطابع » ، وهو الوجه .
٨ - ٩		: « حين هذه الخصال لم يُلبس جديدها ، ولم يقل غربها » .
		ولبس ، في معنى أخلق . وفي اللسان : « وثوب لبس ،
		إذا كثر لبسه ، وقيل قد لبس فأخلق » .
٤١	١	: « بعد الذي أبصرت من يبسه » .
٥		: « أدبت عرسي » .
٨		: « في طلبها ليلة » .
١٢		: « ولا أحفل أخلاقا » ، سقطت من النسخة .
٤٢	٢	: « أحسن مواتاة » .
٨		: « والمذاهب القديمة » .
١٩		: « لازمة لطبائعهم » .
٤٣	١	: « ويأخذ بأرماقهم أو يصلح بهم » .

ص	س	
	٣	: « معرفة ما بحضرتهم ، والتوازر على ما يحتاجون [إليه] من الارتفاق » .
	٤ - ٦	: « واختلال الأذى إلى معونة الأقصى ، معان متضمنة ، وأسباب متصلة ، وحبال متقيدة » .
		والتكلمة التي في س ٧ لم ترد في النسخة :
٤٤	٤	: « مذالاً ميسراً » ، وهذا يوجه ما في ط . والمذال : المهان الممتن .
	١١-١٠	: « وبالتقليب والتنقيب ، وبالتوقيف وبالتثبت » .
	١٥	: « ومعرفاً لمواقع سد الخلة ودفع الشبهة » .
	١٦	: « الأشباح المثل » .
٤٥	٤	: « وأسكن إليه وأضبُّ به » ، بالضاد المعجمة .
	١٤	: « تكمل بجنسه الذي » .
	١٧	: « والساكنة الثابتة التي لانبس ولا تفهم ، ولا تحسر ولا تتحرك » .
٤٦	٤	: « والذائق [في ذلك] نصيباً » .
	١٠	: « هذه الآلة لكان » .
٤٧	٢	: « مجرى البيان ؛ [وألحق البيان] بالقرآن » .
	١١-١٠	: « لعواجل حاجاتهم وأواجلها » ، وهو الوجه .
٤٨	٥	: « فضل على انتهاء » .
	٦	: « إلى الحاجة بالتفاهم بالخطوط » .

ص	س	
٤٩	١	: « فالشأن الآن في منافع اليد » ، فقط .
	٩	: « لبطل الطَّرب كلّه » .
	١٢	: « لكان [ذلك] من أعظم الخطوط » .
٥٠	٣	: « فصل » ، بالصاد المهملة كما نهبت في الحاشية .
	٦	: « والكتاب هو الذى قيد على الناس » .
	٧	: « خفة ثقله » .
٥١	١	: « والمستميح الذى لا يستزيدك » .
	١٢-١١	: « إن افتقرت لم يحقرك » ، وبإسقاط « إليه » .
٥٢	٧	: « وأصحاب الكفايات » ، بدل « الفكاهات » .
	٩ - ٨	: « ليلهم هو الشيء الذى لا يرى له فيهم مع الليل أثر في ازدياد ولا في تجربة ولا في عقل ولا في مروءة » .
	١٥	: « ذهبت المكارم » ، موضع « ذهب » .
٥٣	١	: « ولا اتكأت » ساقطة من النسخة .
	٩	: « وانقطاع المادة من قبيله » ، وهو الوجه .
	١٠	: « وكان الورق كثير العدد » ، ومع إسقاط باقى السطر .
	١١	: « القينى » بدل « العتبى » في كل موضع ورد فيه هذا العلم ، كما هو الشأن في نسخة ل .
٥٤	١	: « إلا [الشيء] الذى زهدك فيه » .
	١٠	: « به هذا الظن [كله] » .
	١١	: « كذا [وكذا] » ، في الموضعين .

- ص س
- ١٢ : « أنفق قليلاً وأكسب كثيراً »
- ٥٥ ٢ : « ولا بد من أن تصير كتبه » .
- ٣ : « ولا يعلم ولا يجمع ولا يختلف حتى يكون الإنفاق » .
- ١٣-١٤ : « وإني غرمت ما لا عظيمًا مع حبي للمال ، وبغضى للمغرم ؛ لأن سخاء النفس بالإنفاق على الكتب دليل على تعظيم العلم » .
- ٥٦ ٥ : « أو كتب أرفاق ورياضات » .
- ٨ : « في التبيين » .
- ١٤ : « داعية إلى العبادات ، وباعثًا على الخشوع » .
- ١٧ : « وقد رأيتكم » . وبذلك يتغير المعنى التاريخي .
- ١٨ : « ملوكنا » .
- ٥٧ ٨ : « ولا حكمة غريزية أو فلسفية » .
- ١١-١٢ : « بعمود السبح ، والإخبار عن شلقون الهمامة ، وكله هذروعي ، ودعوى خرافة ، وسخف وتكذب » .
- ٥٨ ١ : « على الناس الإطاعة » .
- ٢ : « الاستبصار والمحنة » .
- ٥-٦ : « والدرهم الزائف الذي يغلط فيه الكثير » ، بإسقاط « لا » .
- ٧-٨ : « يكون أظهر فساداً يحتاج من الترفيه والتمويه ، ومن الاحتشاد والتغليب » .
- ٩-١٠ : « من اليهودية بعيداً ، فعلى حسب ذلك يكون تزئيدهم في توكيدها ، واحتفالهم في إظهار تعظيمها » .

ص	س	
٥٩	٥	: « هو العالم المقنع » .
	٨	: « وأحصر بالعى » . إلى نهاية البيت ساقط من النسخة .
٦٠	١	: « لشيء اعتراه » .
	٢٥	: « أو إلى ثلاثة أشياء فلا ينزع » .
	١٤	: « اشتملوا » بدل « اجتمعوا » .
	١٥	: « فدمرنا عليهم » كما توقعت في الحاشية .
٦١	٢-١	: « وإذا أصحابه حوله ، وإذا هم بيض اللحى ، وهو يقرأ عليهم دفتر شعر ، فقال الذى كان سعى بهم » .
	٣	: « عثرتم بها ، [قال] : فقلت » .
	٧	: « ما أشد صبايته » .
	١١-١٢	: « لقد ضييع درهمه من تجود » .
	١٣-١٤	: « وأجعله محطوطاً على ناظرى » .
	١٧	: « الأسفاط والرفوف » . وكلاهما صحيح ؛ فإن الرقوق جمع الرِّق بالفتح ، وهو الصحيفة البيضاء ، والجلد الرقيق يكتب فيه .
	١٨	: « قط أثخن ولا أنبل » . والشخانة : اللحم والرزانة والثقل فى المجلس .
٦٢	٦	: « ولا أمتع من كتاب » بالتاء ، كما ترقت فى الحاشية :
	٧	: « [قال] فقيل له : فقد جاء » ، مع سقوط التكملة التى فى نهاية السطر .
٦٣	٣	: « إذا غزوا » .

	س	ص
. « كما يعترى النادم من قرع السن » .	٤	
. « إذا تذكرت منى » .	٦	
. « الحزين في الأرض » .	٧	
. « يخططن » .	١	٦٤
. هذا البيت الثاني ساقط من النسخة .	٥	
. « وقال الحزين الكندي » .	٦	
. « ماتنقضى عبراتي » .	١١	
. « في نواح » ، و « لم تَعَلَّلْ لهم » ، أى لم تتعلَّل بعلَّة .	١٤	
. « تنلقط الحصى » .	١٥	
. « يمتدح فيها » .	٧	٦٥
. « إذا تشابه آيها » ، وهو الوجه .	١٠	
. « من ترشامه » ، لعل صوابها « من ترسامه » تفعال من الرسم .	١	٦٦
. عجزه في النسخة : « فهو الصواب به على استبهامه » .	٢	
. لم يرد هذا البيت في النسخة في هذا الموضع ، وإنما ورد بعد البيت التالي بالرواية المثبتة بعد ذلك البيت .	٨	
. « حده لحسامه » .	١١	
. « في الخط [والقلم] : » .	١٣	
. « يرقل عامدا » .	١	٦٧
. « مخلولف السن » .	٢	
. « بآثاره » بدل « بآثارها » ، وهي رواية الديوان ٢٥٧ .	١١	

- | ص | س | |
|-------|-------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| | ٨ | : « أو بها مُسكة » . |
| | ١١ | : « والمسند والسيمون كيف كان ، كذلك قال الهيثم » . |
| | ١٤ | : « وقال أبو عبيدة : كل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها ،
وحصر مناقبها » . |
| ٤ - ٥ | | : « يقيد فضيلة اللسان ، على الشاعر الراغب ، والمادح ،
وفضيلة السيد المرغوب إليه الممدوح به . قال : وذهبت
العجم » . |
| | ٦ | : « مثل كردينذاذ وبناء أردشير وبيضاء إصطخر » . |
| | ١٠ | : « والأبلق الفرد ، وفي الأبلق الفرد ومارد » . |
| ٧٣ | ٢ | : « من القرون السابقة ، والأمم البائدة » . |
| | ١٢ | : « كل قصر وصنيع كان لابن عامر ، وكما هدم أصحابنا مدن » . |
| ٧٤ | ١٢-١٣ | : « فإذا استظهرنا للشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام
خمسين ومائة عام ، إذا استظهرنا له بغاية الاستظهار »
مع سقوط « فماتى عام » بعدها . |
| ٧٥ | ٢ - ٣ | : « موضع التعجب [منه] ، وصار كالكلام المنثور » مع
سقوط « والكلام المنثور » بعده . |
| | ٤ | : « المنثور الذى حول عن موزون » مع سقوط كلمة « الشعر » |
| | ١٢ | : « لبطل ذلك المفخر » ، وهو الوجه . |
| | ١٣ | : « لمعايشهم » بدل « لمعاشهم » . |
| ٧٦ | ٦ - ٧ | : « وابن بهريز ووهيلي » مع سقوط ما بين ذلك من كلمات . |

ص	س	
٧٧	١	: « بلغة واحدة استفرغت تلك [اللغة] القوة ، [وإن تكلم بلغتين انقسمت القوة] عليهما » .
٧٨	٥ - ٤	: « أضر من الخطأ في [بعض] الصناعة والرياضة والفلسفة ، مروفي بعض المعيشة » ، مع سقوط سائر ألفاظ النص .
	١٧-١٦	: « لم يجد المعين والرافد [بدأ من] التقصير » .
٧٩	٢ - ١	: « من الخطأ ، ولا ينقص منه ، ثم يعارض به له من يترك »
٨٢	١٢	: ساقط من النسخة .
٨٣	٢ - ١	: ساقطان كذلك من النسخة .
	٤	: « وجه الدهر » ، وهو الوجه .
	١٤	: « في سير البُختية » ، كما في ل .
	١٥	: « وضروبا من المرفوع » ، كما في ل .
٨٤	٢٢	: « فأمرتهم أن يسيروها تلك السيرة » .
	٤	: « حتى شدوا من معرفة ذلك شدوا » .
	٥	: « وكذلك جميع أمركم لا يخلو » .
	٩	: « على من أزرى على واضع الكتب » .
	١١	: « مثوتهم في تعريفهم » .
٨٥	٦	: « ويرتجح قلمه » .
	١١	: « ويفنى العقل ويبقى أثره » .
	١٢	: « ولولا ما رسمت لنا الأوائل »
	١٦	: « ولو ألقينا »

	س	ص
« لقد قامت المعرفة ، وقصرت الهمة ، وانتقضت المنة » .	٢ - ١	٨٦
« الله التي فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كل عبرة » .	٦	
« فينبغي أن يكون سبيلنا فيمن بعدنا » .	١٢	
« وليس يجد الإنسان في كل حال إنسانا يدرسه » . صواب	٢	٨٧
ضبطه « يدرسه » ، يقال درسه الكتاب وأدرسه إياه ، كما في اللسان (درس ٣٨٢) ، وانظر رسائل الجاحظ ١ : ٧٧ بتحقيقنا ففيه : « ويدرسهم مناقبهم » .		
« ونازعت إلى حب الأدب ، وأنفت من حالة الجهل » .	٧	
« فتظن أنه باب بعض العمال » ، كما في ل .	١٥	
« يدع كتابه يغيب ويختمر ، ولا يشق بالرأى بالفطير » .	٤	٨٨
« وتوقف عند فصوله » .	٦	
« فرأيت » بدل « لرأيت » ، وقبائه في النسخة عبارة لا يدرى صلتها ، وهي : « الفترة المانعة من البلوغ في الفهم وتعرف ما يحتاج إلى التعرف منه » .	٩	٩٣
« ودربة العلماء » :	٣	٩٤
« إلى النواويس فالماخور » :	١٢	
« علما بأولها » . وس ١٢ : « في العلم همته » .	٩	٩٥
« خلاف قولك ماماتوا ولا ذهبوا » .	١٣	
« يكون منه إذا مامات يُكتسب » :	١	٩٦
« فيعلمها أهل البصرة » :	١	٩٧

	ص	س
« التكملة التي تبدأ هنا من ل تشاركها فيها نسخة الأمبروزيانا إلى نهاية س ٧ عند « ولها عرش عظيم » ، ثم تنفرد نسخة ل بالتكملة إلى ص ٩٩ س ٣ عند « وليرى أنه » ، ثم يتفقان في مقدار التكملة إلى كلمة « يسرى » في ص ١٠١ س ٤ ، ثم يسقط الكلام من نسخة الأمبروزيانا إلى نهاية س ٦ من صفحة ١٢١	٣	
« وصاحب المال بعرض فساد » :	٨	٩٩
« تسكن النفس ويثلج الصدر » :	١٦	
« والأمل فسيحا » ، وهو تصحيح لما أثبت من نسخة ل .	١٧	
« وقالوا : ومتى ورثته كتابا » :	١٠	١٠٠
« ما بعد كلمة « حظاً » إلى كلمة « خطأ » ساقط من النسخة .	١	١٠١
« طريق تدبج له » :	٤	
« لن يعدم البانون » ، وهي رواية جيدة وإن كان فيها الحرم .	٧	١٢١
كلمة « المرى » ليست في النسخة .	١١	
كلمة « المخنثين » ساقطة من النسخة .	١	١٢٢
« كأنها تمررة فقال اليعقوبي » ، مع إسقاط ما بين هذا الكلام .	٣ - ٢	
« إلا بالخصاء دون الإحصاء » :	٥ - ٤	
« وسمى بالسنوط » بدل « ولقب » :	١٣	
« وقال يوما » :	١	١٢٣
« لا يحمل إلا الثمر ، وبعضه لا يحمل إلا المنصف ، وبعضه لا يحمل إلا الحلال »	٣ - ٢	

	ص	س
: « والحصى » بدل « والحصيتين » .	٦	
: « وقد زعم لنا ناس »	١١	
: « إنما ولدوا له بعد أن زعت بيضته اليسرى » ، وهو الوجه .	١٢	
: « محالسة الأعراب » بالحاء المهملة	١٨	
: « ونضاضته » ، بدل : « وخلاصته » ، وفي اللسان :	١	١٢٤
ونضاضة الرجل : آخر ولده . وفي السطر نفسه		
« محزز » بالحاء المهملة ، و « ابن كرز » كما في ل .		
: « فقد يزعمون أنهم »	٧	
: « كأنهم يذهبون إلى أنه يستقصي » .	٨	
: « بفرط قوته » .	٩	
: « و [من] رقة الكبد والقلب »	١٢	
: « وإن كان الحصى أسوأ وأبلغ منهم ، وإن جمع » .	٢	١٢٥
: « بطرسوس وبادية » ، تحريف	٣	
: « قد أرميت على المائة » ، وأربي وأرمى بمعنى .	٦	١٢٦
: « وهى الكبرة »	٧	
٩ - ١٠ : « تركهن زهدا ، وتخلّى منهن سنين ودهراً »		
: « هجرانى لملايسة النساء »	١٢	
: « ولم يرهن متكشفات عاريات أن يكون إذا تقدم » .	١٥	
: « موت الخاطر »	١	١٢٧
: « وفيما تحويه من النساء »	٢	

	س	عس
: « من الخطار »	٨	
: « والدواعى لاتطوره »	٩	
: « ولم تمتلى عروى »	١	١٢٨
: « ولربما نزا فؤادى عند ضحك إحداهن » .	٥	
: « وقد كان عثمان بن مظعون »	١٨	
: « فأما خصاء الجلب على وجه التجارة » .	٣	١٢٩
: « ويمتلخ البيضتين إلا أن تقلص إحداهما من إفراط الفرع » .	٤	
: « لا يمكن ردها [إلى مكانها] إلا بعلاج طويل » .	٥	
: « وظلم يربى [على الظلم الأول و] على كل ظلم » .	٦	
: « فإذا برأ وهو محبوب القضيب ذو بيضة واحدة » .	٧	
: « موضع الخاص من بيوتهم » .	٩	
: « مقربا [ومن لذة الإنسال والتمتع] وخصب العيش منعا » .	١٠	
: « ومن لذة الإنسال والتمتع بشم » .	١١	
: « فلا يزال عند الفحول محقرا ، وعند الخصيان محرجا مطردا » .	١٢-١٣	
: « قتلة سريحة » ، كما فى ل	١	١٣٠
: « مجامع [جلد] الخصية » .	٤	
: « وتتحشف » بدل « تنخسف » ، وهو الوجه .		
: « وبشدة التحزيق والعقد بالخيط الشديد التوتير الشديد القتل »	١٠ - ٩	
: « [و] قال أبو زيد: خصيت الدابة أخصيه خصاء، ووجأته	١٦ - ١٥	
أجؤه ووجاء » والدابة . يذكر ويؤنث .		

	ص	س
« أما الخصاء فهو سل الخصيتين . والوجاء : أن توجأ العروق والخُصيانِ » . يقال خُصِيُّ كما يقال خُصية .	١٣١	١
٢-٣ : « حتى تسقط الخصيتان والخُصيان . الواحد خصية . ويقال ملست الخصيتين أملسهما » .		
٨ : « وَقَدِيًّا غَدِيًّا » . القَدِيُّ : الطيب الطعم والرائحة .		
١١-١٢ : « وأكثر السفاد يورث الضعف والهزال » .		
٧ : « وخبرت عن جهله بإتيان النساء وعجزه » .	١٣٢	
١٤ : « وإذا كمنوا الكمان »		
٣ : « عادات » بدل « عادة »	١٣٥	
٥ : « الهرمى » موضع « الهرمين » .		
١ : « على طول الركوب » .	١٣٦	
١٨-١٩ : « من أهل التجربة المميزين ، أنهم اعتبروا أعمار ضروب الناس »		
٣ : « ولم يجدوا مع طول العمر فيهم » .	١٣٧	
٦-٧ : « قالوا : ولذلك لم نجد فيما يعايش الناس في دورهم [وضياعهم] من الخيل والحمير والإبل والبقر والغنم والدجاج والكلاب والحمام والديكة » .		
٥ : « إلا رديا قصير العنق » .	١٣٨	
٧-٨ : « تكلف المأكل والمشرب ، ثم بلغ إلى أن يصير جملا [لم] يمكنه الضراب »		
١١ : « وهزلا » بدل « وهزالا »		

ص	س	
	١٥	: « [وهي الصرصرانية] «زيادة كلمة « هي » على ما في ل :
١٣٩	٧	: « [أنها] أطول الحمير أعماراً »
	١٠ - ٩	: « فجاءت أولاده منها أعظم من سائر الحمير وأحسن ، وخرجت أعمارها على أعمار الخيل وسائر الحمير » .
	١٣	: « ولا يعرفون حماراً أهلياً » . فلعلها « أهلياً أو وحشياً » .
١٤٠	٦ - ٤	: « وهم يزعمون أن فيروز بن قباد طلب حماراً أخذ ربا فطاوله ، فليجّ به الاعتزام » مع سقوط ما بين ذلك من ألفاظ ، وكلمة « الاعتزام » هي الوجه في « الاغترام » .
١٤١	١	: سقطت كلمة « لدرست » .
	٤	: « و [من] تركهم التشاغل » .
	٥	: « حبيب إلى هذا »
	٧ - ٦	: « صياد أفاعى يبيعها للترياقات ، وسخر هذا لأن يكون من سواس الأسد » ، مع سقوط ما بين ذلك من كلام وسقوط كلمة « والفهود » ، وإظهار (أن) بعد لام التعليل كثيراً ما يستعمله الجاحظ انظر ص ٣٩٢
	١٣	: « وإنما نأبى التيسير للمعاصي » كما في ل
١٤٢	٧	: « وسبيل نتائج الظلف على خلاف ذلك ؛ لأن التيسر مع شدة غلمته »
	١٠	: « فضلاً على أن يكون بينهما نتائج »
١٤٣	٢	: « بلند » موضع « بلنك » في كل موضع ، وهو تحريف .

- ص س
- ٩ : « اشتر مرك »
- ١٠ . : « بشيتين متفاوتين » ، وهو الصواب .
- ١٣ : « للناقة من الحوش فيسفدها »
- ١٦ : « فمنهم من جحد البتة أن تكون الزرافة » . ومما لحظته
أن « الزرافة » حيثما وردت في النسخة ضبطت بضم
الزاي ، وهي إحدى لغات فيها ، وفي اللسان :
« وهي الزرافة والزرافة ، والفتح والتخفيف
أفصحهما » . ثم قال : « وقيل هي بفتح الزاي
وضمها مخففة الفاء »
- ١٤٤ ٣ : « من شأن الورداني والراعي »
- ٥ : « بسماع الغرائب »
- ٥ - ٦ : « ولو أعطوا مع هذا الاستهتار من التثبت نصيبا
والتوحي حقا سلمت الكتب »
- ١٤٥ ٩ : « يحيى بن لجيم » ، و « فيخرج [من بينهما] ولد » .
- ١٤٦ ١ : « عبد الرحمن بن [أم] الحكم » . وهو خطأ انظر له
حواشي ٢٣٢ وكذا ص ٤٢٤
- ٨ : « أراد هو التبعية به » بدل « بعينه »
- ١٤ : « [هو] آدم السنانير وتلك السنورة [أن تكون] حواء
السنانير ، قال أبو عبيدة الكيسان [وضحك منه] :
أو لم تعلم » .

	س	ص
. « ولا يتبعض عليه بفكه » ، بدل « بكفه » ، وهو الصواب .	٧	١٤٧
. « عظاما كان أم غيره ، [و] مصممتا كان أم أجوف » .	٩	
. « في شدقه شفرته وناره » .	١١	
. « وليس على ذلك [تأويل] قول أمير المؤمنين المأمون » .	١٤	
تحريف .		
. « الحمار » بدل « الخمارين » .	١	١٤٨
. « لبعض من [نكره] ذكره » .	٢	
. « بعده في النسخة » يعني عبد الرحمن بن يزيد !	٤	
. « من خلوة النساء [من جميع الأجناس ، قال] : قلت	٩	
لا والله لأعرفه ، قال : بلى اعلم أنه لا يكون » .		
. « زناها وسحقها » .	١٥	
. « بضروب » موضع « ضروبا » .	٢	١٤٩
. « في تركيبه و [في] إنسالة » .	٤	
. « لهاعظيم » .	٧	
. « الخجاشن » موضع « الخناييق » ، كما في ل .	١٣	
. « دفعت » بدل « اندفعت » و « فاطَّبَخُوا واشتَبُوا	١	١٥٠
و [مَلَّوْا ، و] مَلَّحُوا وادَّخَرُوا » .		
. « قليل الإناث ، ولا يكدن أيضا يجمعن البيض » .	١٥-١٤	
. « وإذ قالوا في الزرافة ما قالوا فلا نأمنهم » .	١٣-١٢	١٥١
. « انذني دعا إلى القول في الزرافة تركيب اسمه ، [فجعلوا	١٦	
تركيب الاسم] دليلا على تركيب » .		

ص	س	
١٥٢	١	: « كاوماش ، كأنه قال : ضأن بقري » .
	٢	: « فيه شبه الكبش وكثيراً من مشابه الثور ، ليس أن » .
	١١	: « من أعناق الشياطين ، فجهلوا المثل والمجاز ، [وحملوا الكلام] على غير » .
	١٣	: « تغنت شياطيني وجن جنونها » .
١٥٣	٤	: « إذا كانت داهية شيطانا » .
	٨	: « من أسطع جسر » . وانظر ٤ : ١٣٤ .
١٥٤	١٤	: « إلى تلك الجزيرة » بدل « الجزيرة » .
١٥٥	١	: « فإن لجّ خبلته »
	٢	: « وأما الذين زعموا »
	٥	: « وعلم أنها [كانت] تكون في الأنهار ومناقع المياه ، من الذكر والأنثى » ، وكلمة « مناقع » ، هي الصواب في « منابع »
	٧	: « إنما هو شيء يخلق تلك الساعة من طباع المطر والهواء والزمان » .
١٥٧	٢	: « وهو الذي يخلق » بدل « يتخلق »
	١٢	: « وجدوا طول أعمار الناس »
	١٣	: « وإن في الأعراب لأعماراً » بإسقاط كلمة « أطول » بعدها .
١٥٨	٨ ، ٢	: « وبذال » بدل « ويزال » .
	٥	: « الموقوفين على النبيذ »

- ص س
- ٧ - ٨ : « من كان يشرب النبيذ حيا ، وعاهة من كان لا يشرب النبيذ قد مات » ، وبإسقاط كلمة « عامتهم » .
- ٩ : « فقد كانا من المعمرين »
- ١٠ : « وتميَّز الصدق فيه من الكذب »
- ١٦ : « إيثار المُخْفِس » ، مطابقاً لما أثبت من تصحيح .
- ١ ١٥٩ : « ما بعد كلمة « للنساء » إلى نهاية السطر ساقط من النسخة .
- ٢ : « ويرون الماء غير الدافق ولا الغليظ » ، و « الدافق » تصحيح « الرائق » .
- ٩ : « والحبي الشريف » .
- ١٢ : « وإن كان يقيس هذا الأديب الكريم » .
- ٢ ١٦٠ : « وقد كانت إبل الصدقة موسومة »
- ٨ : « والنقض لمرائر القوى » ، وهو الصواب . والمرائر : جمع مريرة . وهي القوة من قوى الحبل ، تُمرّ وتُفتل .
- ١٣ : « ومن جنس البط »
- ٤ ١٦١ : « فتودى ، وتصذب في الهواشة فترد » .
- ٦ : « أن نعمَّها بالحرق بالنار » .
- ٧ - ٨ : « من ألف بغير بعير ، ثم عسى أن يحتاج إلى ذلك في جميع عمرد إلى شربة واحدة » .
- ١٥ - ١٦ : « فيما يرد على الشيء المصبور من العذاب مردداً بوجه من

ص	س	
١٦٢	٣	: « لا تملك الشيء » ، كما في ل .
		١١-١٢: « فإن [كان] ذلك في سبيل العلاج بعد أن يكون ذلك
		المتكلف يعرف وجه العلاج ، فالمذهب في ذلك معروف «
		وهو الصواب
١٦٣	٣	: « وليس كل مؤذ ولا كل أذى »
	١٧	: « ثم زاده على قيمته » .
١٦٤	١-٢	: « المعروفين بابتياح متاع اللصوص » .
	٢	: « من شهد السعانيين » ، وهو تصحيح ماورد في ل :
		« السعانيين » . والسعانيين : عيد من أعياد النصارى .
	٣	: « وأصحاب المخارجات » كما في ط .
	٧	: « وخطاء مترافدون » ، وهو الوجه .
	٩	: « قد قبل من المقوقس [الحصى] كما قبل مارية ، و [أنه
		استخدمه » .
	١٨	: « أجمل منه وأشرف وأخدم لم يزد » .
١٦٥	٣	: « لا يخل اطراده ونفيه » .
	٦-٧	: « ولا يزيل عنه ملكه إلا مثل ماوجب به لله ملكه » .
	٩	: « تدبيراً أو حكمة » .
١٦٦	٦	: « مطرداً » مكان « مطروداً » .
	٧-٨	: « فالغاجر لا يكون المبغى عليه » ؛ وهو الوجه .
	٢١	: بدل عبارة « وهو مباشر بمشقة » : « ولكن ذلك المـ
		لا يخرج منه إلا بعد جهد شديد وعلاج طويل » .

ص	س	
١٦٧	١	: « شئء يكون منه إنسان » . وهو الوجه .
	٧	: « وتعظيم البعولة »
	٩	: « مرة فوق ومرة أسفل : وأسمحت النفس بمكنونها ، وأظهرت النفس ما عندها »
١٦٨	٥	: « الصاحب السوء »
	١١	: « ومتى ألقى إلى الفتيات شئء من أمور النساء » وهو الوجه .
	١٢-١٣	: « و [عند] قلة التشاغل ، وكذلك متى ألقى إلى الفتيان شئء من أمور الغلمان » .
	١٥-١٦	: « التكملة المقتبسة من ل ليست في النسخة »
١٦٩	١	: « داعية إلى الميراثية » !!
	٢-٤	: سقطت هذه التكملة ، وجاء بدلها : « وقال الشاعر فيما يشبه هذا المعنى :
		لا تخفون من الأشرار ذاصغروا فالذئب ليس بمأمون على الغم ولا عجوزا على أهل فتفسدها ولا خصيًّا على مال ولا حرام .
	٩	: « فصادف قلبي فارغا فتمكنا » .
١٧٠	١-٢	: « لامرأة [و] قد تمكن من كلامها ومكنته من سمعها ثم قال : قد والله يامولائي وسيدتي ، أشهرت ليلى »
	١٤	: « أشد لها إشغالا » .
	١٥	: « ملهى في النساء » .
	١٦	: « وقال سعيد بن سلم » : وهو الصواب كما في ٥ : ١٦١ .

ص	س	
١٧١	١	: « غير متكشف »
	٦ - ٧	: « لم يكن عليه من فقد مارآه في النوم أو مثلته له الأمانى مؤونة » .
١٧٢	٤	: « ولقد رأيت » ، مع سقوط التكملة التي بعدهذا الكلام ، وسقوط قوله « ويتمشى مع الشطار » .
	١٠ - ١١	: « فلما أبصر ذلك بزق وثقل وسقط في يده ، وهجم عليه أمرٌ لو كان رآه » .
	١٣	: « ممن كان يخلفه »
	١٤	: « قد حرق » بدل « [حزين] » ، مع سقوط التكملة الثانية في هذا السطر .
١٧٣	١	: سقطت التكملتان من النسخة
	٦	: « الماشى المعبى »
	٩	: « من الشنو والبغضة »
	١٢	: « وتلقحه الجنائيات » ، وهو الأوفق .
	١٤ - ١٥	: « إذا بدا لأحدهم في النزوع ونفى ترك الطريقة الأولى » ، وهو الوجه
١٧٤	١	: « فخرج لهم حب التشفى شدة الاعتزام على قتالهم » .
	٢	: « أن يحج [البيت] » .
	٩	: « من تعظيمه للدين ، و [من] الاحتراق فيه » .
	١١	: « ولرضى منهم بالمسألة » .
١٧٥	١	: « لآل جعفر » موضع « لآل سليمان » .

ص	س
	٣ : التكملة ساقطة من النسخة .
	٥ : " أليس زان خصي " .
	١٢ : « فلا سنان ينيك ولا يدعني أنيك »
١٧٦	١ : « يهجو امرأته » ساقطة من النسخة .
	٧ : « ولا والله لا والله لا ألقع أو أخصي »
	١٠ : « بدغنتي ركب النساء » ، وهو الوجه .
	١١ : « حين تلقى » .
	١٢ : « عجل بالخصاء » .
١٧٧	٣ : « عثرة وجدود » .
	١١ : « أرى أن المثلة تحمل له ما حرم الله » .
١٧٨	٣ : الذي في النسخة يوافق ما أثبت في الحاشية عن نسخة ل .
	١٤ : « عن نافع [بن عمر] » ، صوابه : « [مولى ابن عمر] » .
١٨٠	٧ : « ولا يخص ويعم بالقصود »
	١١ ، ١٣ : « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
١٨١	١ ، ٣ : « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
	٥ : « وعمرو ويونس عن الحسن » .
١٨٢	١ ، ٢ : « إلا بعرض لها ، ويزعمون أنه ليس شيء له عدو كعدو السمع » .
	٥ ، ٦ : « عن عرض بذي سيب » ، وهو الوجه .
	والسبيب : شعر الذنب والعرف والناصية . ويقال خرجوا يضربون الناس عن العرض ، أى عن شق وناصية لايبالون من ضربوا . اللسان (عرض ٣٨ - ٣٩) .

	س	ص
: « وقال ابن كنانة [وهو] يصف فرسا » .	٨	
: « التكملة كذلك في النسخة ، مع إسقاط « خلف بن حيان الأحمر » .	١٥	
: « كأن شبا طرفه » .	٦	١٨٣
: « في ديسم الغيري » ، تحريف . وانظر الأغاني ٣ : ٢٧ حيث روى البيت برواية « من نجل زارع » .	١١	
: سقط الكلام من أول السطر إلا كلمة « وزعموا » فإن بدلها « وزعم » .	٦	١٨٤
: « لا يَلَقَنَ ولا يَأْلَفُ » ، وهو الوجه .	٧	
: « وسنداوة تصأى به وحضاجر » . تصأى : تصيح . ويقال أيضا تصأى يَصْئِي . وهذا يوجه رواية ط « تصبى به » ، إذ صوابها « تَصْئِي به » .	٣	١٨٥
: « ذكروا [ذلك] عن عمرو بن يربوع ، وكما روى أبو زيد » .	١٥	
: « وأنشد » فقط ، أى بإسقاط باقى العبارة .	٤	١٨٦
: « منون قالوا سراة الجن » .	٥	
: « ولم تقل جىء » .	١٤	
: « أو ملك الأعجم » .	١٥	
: « عمرا وقابوس » .	٢	١٨٧
: « جرهما من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، [قالوا] : وكان » .	٤	

	ص	س
: « ومن هذا النسل ومن هذا الضرب من النجل »	١٢	
: « وأبوه غيرى » .	١	١٨٨
: « ينادى [رجلاً ويقول]: ياذا القرنين، فقال: فرغم » .	٣	
: « على جهة العشق » .	١٠	
: « تركب من الناس والنسناس » .	٥	١٨٩
: « والدوال » بإسقاط « باى » كما فى ط .	٦	
: « يَهَنَّا » بدل « مهنا » .	١٦	
: « من ولد مَهَنَّة ومُهَيِّنَنَّة » .	١	١٩٠
: « ذكرت [لك] كثيرا » .	٦	
: « وزعم ابن ميثم » .	٨	
: حتى « [إنه] ربما وثب على صاحبه » .	٢	١٩١
: « حاجب بن ذبيان » .	٧	
: « إذا أسلمَ الحبلُ » .	٨	
: « حين فارقه الهزل » ، وهو الصواب ، والهزل بالضم ، الهزال .	١٠	
: « فيهزل أهل البيت » .	٦	١٩٢
: « وذلك عند السواف » بإسقاط « أنه » .	٧	
: التكملة التى فى آخر السطر ليست فى النسخة .	٨	
: « كثير الجنابة على إلفه ، وإنما قبلوه حين قبلوه على أن ينذرهم موضع السارق » .	١٠	

	س	ص
: « وتركوا طرادة » .	١١	
: « إلا وخطمه في الأرض [أبدأ] يتشم » .	٤	١٩٣
: « وفي أموالهم » . وهذا تحريف قرآني . انظر تحقيق النصوص ونشرها من تأليف عبدالسلام هارون ص ٤٥ . وهي الآية ٢٤ من المعارج . وفي الآية ١٩ من الذاريات : « وفي أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم » . فمن هنا وقع اللبس .	١٣	
: « وليس من أحرارها [وكواسبها] ، ولا من عتاقها وجوارحها » .	١	١٩٤
: « ثم كان مما لا يزواج » .	١٢	
: « وحرّم هذا النسب »	١٣	
: « ولا يَنازِعُ إلى دِجاجةٍ وطروقتِهِ »	١٣	١٩٥
: « ولو لم يُخَلِّقْ » .	١	١٩٦
: « أو سقط على حائط الدار لم يعرف كيف الرجوع » .	٨-٧	
: « يسيراً ، ولا يتذكر ولا يهتدى » .	٩	
: « وذاهلة طامحة » ، موضع « طامحة وذاهلة » .	١٢	
: « لا يعرف التي سفد ، ولا يقصد إلى ولد ، ولا يحضن بيضه » .	١٥ و ١٤	
: « إذا اصطيدت أو قتلت » .	٢	١٩٨
: « ساقط من النسخة » .	١٠-٩	١٩٧

	س	ص
: « وأنشدوا قول السكيت » .	٣	
: « لدى الحبل » .	٤	
: « عام جاحد » .	١١	
: « وقدحى بكفى » .	٤	١٩٩
: « صغار ومن ديك تنوسُ غبا غبه » كما في ل .	١٨	
: « وقال شماخ بن أبي شداد » كما في ٧ : ٨٥ .	١	٢٠٠
: « فتجعل في حبالك » كما في ل .	٣	
: « سقطت كلمة » فإن » .	٥	
: « والأجناس » بدل « والحشاش » .	١١	
: « وألسنتهم لا تنطق » .	١٧	
: « من الفتق بالأعظم [فالأعظم] » ، وهو الوجه	١٨	
: « وقلتُ وهذا باب » .	١	٢٠١
: « من طرق المراء » .	٢	
: « ولكل طعام آكل » .	٦	
: « [و] قد زعم ناس أن كل إنسان فقيه » .	٨	
: « في البدن ، وكما ينمى العرق » .	١١	
: « من الحركة » .	١٢	
: « ولا بد لكل ذى قوى من أن تظهر قوته » ، وهو الوجه .	١٤ و ١٥	
: « لا بد للمصدر من النفث » ، وبإسقاط الواو من أوله .	١٦	
: « وشغف بعض النفوس بالتنجيم » .	٤	٢٠٢

	ص	س
« فنجد واحداً يلهج بشهوة القتال حتى يكتب مع الجند ، وآخر يختار أن يكون خبازاً أو مراًفاً ، وآخر يطلب الملك » .	٧-٦	
« وأن يسخو على الطعام » . يقال سَخِيَ يَسْخِي ، وَسَخُو يسخو ، وَسَخَا يَسْخُو ، لغات ثلاث .	٣	٢٠٣
« والمكروه بالمحبوب » .	٤	٢٠٤
« ومتى بطل التخير ذهب التمييز » .	٦	
« ومن جهل اليأس جهل الأمر » .	١٣	
« وإلى الغباوة والبلادة أو حال النجوم » .	١٥	
« الشمس أو القمر أو النار أو الثلج » .	١	٢٠٥
« ولأهل التمييز والروية » .	٤	
« والسبع من لطم الدم » .	٥	
« والملمس اللين » .	١٠	
« منافعها هنيئة » .	٣	٢٠٦
« بأحق من الثانی فی الحق الذي جوزت فيه » .	١١	
« والأسباب المتقيدة » .	١٣	
« بأدل عليه من الخزير » . « وإن اختلفا من جهة » .	١٥	
« لم يختلفا من جهة البرهان والدلالة » .	١٦	
« أعز عليه من الحدأة . وأن الغزال أحب إليه »	١	٢٠٧
« فجعل بعضها إنسياً وبعضها وحشياً » .	٤-٣	
« وإن أتى بالغيث » .	١١ و ١٠	

	س	ص
: « ولا اختلاف بين أصحابنا » ، وهو الصواب .	١٣	
: « وما نعرف » :	٥	٢٠٨
: « وأنه صالح لصاحب السِّلِّ » :	٧	
: « شئ من الحلواء إلا وهو ضار بالأسنان غيره » .	٩	
: « وليسهل مخرج » :	١١	
: « ومن الزيتون على زيته والاصطباج به » ، أى الائتدام به ، والصَّبِغ والصَّبَاغ : ما يصطبغ به من الإدام ، وفي قوله تعالى « وصبغ لآكلين » .	١٢	
: « والوقود بشجرتيها و [على] ما أشبه ذلك » .	١٣	
: « بقتلها وإطرادها » :	٥	٢٢٢
: « وتقرز المسامين من دنوها » ، مع سقوط التكملة التي بعدها	٧	
: « وأخذنا في ذكر أسمائها وأنسابها وأعرافها ، وتفدية للرجال لها »	١٤	
: « حفظها وإتقانها » .	٤	٢٢٣
: « وإهانة اللثام » :	٥	
: « وذكر [طول] ذماتها » ، وهو الوجه .	٦	
: « وشدة مُنْهَها ومعاقدة الدمار » !	٦	
: « ذكورتها والذكورة من غير جنسها »	٩ - ٨	
: « وفهمها وخدمتها » :	١١	

	ص	س
« وإخبار المتطيرين عنها ، وعن أسبابها ومنتهى أعمارها وعدد أجزائها » ، و « أسبابها » تحريف ، و « أجزائها » صوابها « أجزائها » بالراء المهملة	١٤	
« وسياستها ، والتي لا تلقن منها »	١	٢٢٤
« فمن يك عنه »	٦	
« تظل الكلاب العاويات »	٧	
« من ولد محارب بن خصفة » ساقط من النسخة .	٨	
« وقال الحريمي ، وهو إسحاق بن قوهي في قتلى حرب بغداد .	١٣-١٢	
« ويكنى أبا محمد [في يوسف الشاعر] » .	٥	٢٢٥
« حلقى بلقى كامن »	٧	
« فقال الحسن : أيا عجبى ممن يبلغ » .	١١	
« فقام وكيع فجعل يتخلج في مشيته كما يتخلج المجنون ، فقال الحسن : لله في كل عضو منه نعمة ، اللهم » .	١٣-١٢	
« وكصنان عرقها »	٣	٢٢٦
« وضرب بالسكلب في ذلك مثلا فقال » .	٦	
« إنها امرأة حسناء »	٩	
« بذى لسانها »	١٠	
« وقال [في] مثل ذلك »	١٧	
« بغبر البيد » .	١	٢٢٧
« مثل الفرخ أعظمه »	٣	

	س	ص
: « فإذا اشتد بطنه ليسمن قيل : قد ضرب بطنه » .	٦	
: « والعقوى هو الققّة » مع إسقاط كلمة « الغيبة » بعدها ، وقد أورد الخبر في اللسان (ققق) وقال : « الققّة :	٧	
العقوى الذى يخرج من بطن الصبى حين يولد »		
: « إن أخى وضع يده فى ققّة ، إني لأنزع يدي من جماعة وأضعها فى فرقة » ، مع إسقاط ما بين ذلك من كلام	٩ - ٨	
: « ويشغر ببوله فى جوف أنفه ، ويسدّده تلقاء خيشومه » .	١٤	
: « وتستقلونه بهذا وأشباهه » .	٢	٢٢٨
: « من اللحم الغض الغريض »	٤ - ٣	
: « لهُ أشد من الأسد ، ولهُ أجرى من الليث الغادى » .	١٢ - ١١	
: « وبأن أنفه فى أسلوب »	١	٢٢٩
: « نماه لمجد أبٌ أصيد »	٧	
: « لم يبعد من طبائع كثير من الناس »	٨	
: « وليس بين [مسلوخ] التمسكسود وبين المصلوب اليباس كبير فرق » ، وكلمة « مسلوخ » صوابها « مملوح » . وفى معجم استينجاس ١٤٢٧ أن التمسكسود هو المملوح	١٠	
: « فسماك بالقحر » .	٣	٢٣٠
: « ويمذى فى لبان »	٤	
: « ولو أنى أشاء قد ارفأنت » نعامتة ويفهم ما أقول » ، وهو الوجه ، ارفأنت : سكنت	٧	

	ص	س
: « فما نعلم صنيع العنز » .	٨	
: « وقال ابن أحرر » فقط .	٩	
: « ابن هرمة » مع إسقاط « الفهرى » .	١	٢٣١
: « وحشيتها وإنسيها » .	٦	٢٣٢
: « حيضا بيدنا » ، وهو الوجه .	٧	
: « لأن الإبل والشاء » ، وهو الأولى مما اقترحته من	١٠	
تصحيح .		
: « ما قد قبَّ ظاهره » . وقبَّ بمعنى يبس .	١٢	
: « الاستمراء والقضم ، حتى تتلمس الدينان » .	١٤	
: « انقدر » بدل « العذرة » .	١٥	
: « قال عبد الرحمن بن الحكم » مطابقا لما أثبتته من ل	١٦	
على الصواب . وانظر ص ٤٠٨ .		
: « والعنق الحمر » ، والأعنق والعُنُق كلاهما جمع للعناق ،	١٣	٢٣٣
وهي الأنثى من المعز ، ومثلهما « العنوق » .		
: « طبعها وشهوتها » ، مع إسقاط « قوتها » ، والمعنى شهوة	١٤-١٣	
الدجاج نخبث الأطعمة .		
: « سباطة » بدل « سبوطاً » .	١٧	
: « القريس النشوط والشبوط » .	١	٢٣٤
: « لأذناهما [محسيا] » كما في ل .	٨	
: « قال أبو كلدة : آدم العحيان » بإسقاط صدر الكلام	١٠	
وكلمة « هو » .		

ص	س	
	١٣	: « ليعض البدع » .
٢٣٥	١	: « هلك فيه فتیان منذ كانت الدنيا » .
	٣	: « يلتقم العذرة ، وزهما لا يستطاع أكله » ، وفيه تحريف ونقص .
	٥	: « لا يطيب مالحاً ولا ممقوراً » .
	١١	: « وقد بلغ من شهرة الرخمة بذلك - واسمها الأنوق - حتى سموا كل شيء يعرض من الحيوان للعذرة بأنوق » . وهو الوجه ، فإن الرخمة إنما سميت بالأنوق لأنها تختار أوكارها في رؤوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ؛ ولم تسم بالأنوق لشبهتها للعذرة .
	١٤	: « أرزق الأنوقين قرنبا وجعل » . وهذه نهاية المقابلة على ما وجد في مخطوطة الأميروزيانا من الجزء الأول من كتاب الحيوان .

استدراك وتذييل

ص	س
٧٤	١١
<p>في العبارة شيء من الغموض لوجازة ألفاظها ، فلتوضيحها يقال : إن امرأ التمس ، وهو من أقدم شعراء العرب ، قد ذكر « عدسا » ، و « عدس » هو والد « زرارة » ، وزرارة كان قريب العهد من مولد الرسول ؛ إذ أنه مات يوم أواراة الثاني، وكان ذلك في أيام عمرو بن هند اللخمي ، الذي ولد الرسول في أيامه . فنخلص مما تقدم إلى أن أقدم شعر عربي لا يبعد عهده عن الإسلام كثيراً . انظر مجمع الأمثال ٢ : ٣٥٨ وكامل ابن الأثير ١ : ٣٥٥ والعمدة ٢ : ١٦٨ ومعجم البلدان (أواراة) .</p>	
١٤٩	١١
<p>(مطر الضفادع) . تصديقاً لما أورده الجاحظ منذ أكثر من ألف سنة . عثرت في صحيفة (الأخبار) العدد ٢١٨٩ بتاريخ الأربعاء ٩ من محرم سنة ١٣٧٩ و ١٥ من يولية سنة ١٩٥٩ مانصه :</p> <p>« دهش السكان في ضواحي أنقرة عندما تساقطت عليهم الضفادع خلال نزول المطر . فسّر إحصائيو الأرصاد الجوية هذه الظاهرة بأنه يحدث في بعض الأحيان أن تقرب السحب إلى درجة كبيرة من الأرض وبصاحبها رياح قادر على رفع بعض الحيوانات إلى ارتفاع قد يبلغ خمس آلاف متر »</p> <p>كتبه</p>	

عبد السلام محمد هارون

أبواب الكتاب

صفحة

٣ مقدمة الكتاب

١٠٦ باب ذكر ما يعترى الإنسان بعد الخصاء وكيف كان قبل الخصاء

١٧٧ ذكر ما جاء في خصاء الدواب

٢٢٠ باب نأ قدمنا ذكره ، وبينه وبين ما ذكرنا بعض الفرق

٢٢٢ باب ما ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب وتعداد أصناف معايها

٢٦٧ باب ذكر من هجى بأكل لحوم الكلاب ولحوم الناس

